أسنى المطالب في صلة الاقارب

ابن حجر الهيثمي



٢١٨
ح٠١ أسنى المطالب في صلة الأقارب، تأليف احمد بن محمد بن على
ابن حجر الهيتمى السعدى الانصارى، شهاب الدين،
١٢٠٥ شيخ الاسلام، ابو العباس (٩٠٩-٩٧٤هـ) . بخط على بن
عثمان بن حاجى بدوى، ١٠٨٤هـ.
٢٩٥ق ١٩س ١٥×٢١٫٥سم
نسخة حسنة، بعض خطها نسخ معتاد وبعضه نسخ حسن.
الاعلام ١ : ٢٢٣، هدية العارفين ١ : ١٤٦
١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية أ-
ابن حجر الهيتمى، [illegible]احمد بن محمد -٩٧٤هـ أ-
الناسخ ج- تاريـ[illegible]ـخ النسخ.

١٠

كتاب اسنا المطالب في صلة الاقارب

للامام العلامة البحر الفهامة الشيخ
احمد بن حجر المكي الهيتمي رحمه الله
تعالى امين

وقف الله تعالى على زاوية سيدنا العارف بالله تعالى الحبيب عبد الله
بن علوي الحداد باعلوي وذلك من اوقاف الموفق للخيرات
الوزير ريحان اغا ابن مساعد تقبل الله منه امين



بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا وسيدنا الامام العالم العلامة البحر الفهامة جامع اشتات
الفضائل بقية السلف الاماثل قدوة المحققين وعمدة المدققين
الامام الامثل والحبر الاكمل الافضل شيخ الشيوخ مفتي الحجاز والعراق
الراجع الى اقواله ومصنفاته في جميع الامصار وسائر الافاق
ابو عبد الله احمد بن حجر الهيتمي المكي الانصاري اعاد الله علينا
وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه في الدنيا والاخرة امين
يا رب العالمين الحمد لله الذي عمر دوائر كبريائه بعظائم قدرته
وجعل خلصاء حضراته بسوابغ نعمته ونور قلوب اوليائه
بنور جمال ذاته وربوبيته وحفظها عن ان تنطق بغير ذكره
او تشهد غير حضرته وفتح ابصار بصائرهم الى التخلق باخلاق كرمه
ليصلوا كل قاطع وان ابدى عوار حسده وقطيعته والتوقي
من سطوات انتقامه لئلا يتجلى عليهم بقواصم عدله وسطوته
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بمعاني سلك
اوليائه المتحققين بحقائق كتابه وسنته الذين ينفقون في السرا
والضرا والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واشهد ان سيدنا محمدا عبده
المؤيد لكل من وصل الى قربه واهل للدخول الى حضرته
صلى الله عليه وسلم وعلى اله الذين مازالوا سالكين من مسلكه الاعظم

في تحمل الاذا

في تحمل الاذا وسائر المشاق ومقابلتها بواسع الحلم وكريم الاخلاق
ما تميزوا به من وراثة ابوته وكمال بضعته واصحابه الذين بذلوا
نفوسهم في صلاح الامة واصلاح ذات بينها والتئام شملها وافتراق
بينها بما نقلوه لهم في ذلك وسلكوه من احوالهم الواجب علينا الاقتدا
بها في سائر المسالك لنكون ممن تابعهم باحسان المفاز بتزيين
برضا الله تعالى ومنته صلاة وسلاما دايمين بدوام السعادة
لمن لجا اليه وعول في جلايل اموره ودقايقها عليه بقربه ورحمته
وامداده لمن تخلق باخلاقه في ايصال قاطعيه والاحسان الى مناويه
بمدده المتكفل بدوام رضاه في الدارين وتحليته عليه بجمال
اسعافه والطافه ونعمته **وبعد** فهذا كتاب عميم
ان شاء الله تعالى نفعه عجيب وضعه باهر جمعه عالية ذروته
غالية قيمته عزيز نظيره غزير اكسيره دعاني اليه امر اي امر
وَوِزْر كله وزر وحال بين اخوين حايل وجور مايل وقطع رحم
من غير تاويل وكثرة قال وقيل وذلك ان اخوين من وجوه اهل مكة
وسلالة اكابرها وشى بينهما واشون ووسوس اليهما من الجنة والناس
موسوسون فتكدرت مشاربهما الصافية وتقهقرت مطالبهما
العالية واخلدا الى سماع ما لا ينبغي الاصغا اليه وتنزلا الى ما كانا
غنيين عن التعويل عليه فاذ كاد الامر بينهما ان يتفاقم والقطيعة
لرحمهما ان تتعاظم نهضت الى السعي في التيام هذا الخرق الذي اتسع

يا ابن عوفان حي

حل

وقف الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا وسيدنا الامام العالم العلامة البحر الفهامة جامع اشتات الفضائل بقية السلف الاماثل قدوة المحققين وعمدة المدققين الامام الامثل والحبر الاكمل الافضل شيخ الشيوخ مفتي الحجاز والعراق الراجع الى اقواله ومصنفاته في جميع الامصار وسائر الافاق ابو عبد الله احمد بن حجر الهيتمي المكي الانصاري اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه في الدنيا والاخرة امين يارب العالمين الحمد لله الذي عمر دوائر كبريائه بعظائم قدرته وحمل خلصاء حضراته بسوابغ نعمته ونور قلوب اوليائه بنور جمال ذاته وربوبيته وحفظها عن ان تنطق بغير ذكره او تشهد غير حضرته وفتح ابصار بصائرهم الى التخلق باخلاق كرمه ليصلوا كل قاطع وان ابدى عوار حسده وقطيعته والخوف من سطوات انتقامه ليلا يتجلى عليهم بقواصم عدله وسطوته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها في سلك اوليائه المتحققين بحقائق كتابه وسنته الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واشهد ان سيدنا محمدا عبده المؤيد لكل من وصل الى قربه واهل للدخول الى حضرته صلى الله عليه وسلم وعلى اله الذين مازالوا سالكين من مسلكه الاعظم

في تحمل الاذا

وقف الله تعالى على زاويه سيدنا العارف بالله الحبيب عبد الله بن علوي الحداد

في تحمل الاذا وسائر المشاق ومقابلتها بواسع الحلم وكريم الاخلاق مما تميزوا به من وراثة ابوته وكمال بضعته واصحابه الذين بذلوا نفوسهم في صلاح الامة واصلاح ذات بينها والتئام شملها وافتراق بينها بما نقلوه لهم في ذلك وسلكوه من احوالهم الواجب علينا الاقتدا بها في سائر المسالك ليكون من تابعهم باحسان الفايز بزيت برضا الله تعالى وعنه صلاة وسلاما دايمين بدوام السعادة لمن لجا اليه وعول في جلايل اموره ودقايقها عليه بقربه ورحمته وامداده لمن تخلق باخلاقه في ايصال قاطعه والاحسان الى مناويه بمدده المتكفل بدوام رضاه في الدارين وتحليه عليه بجمال اسعافه والطافه ونعمته **وبعد** فهذا كتاب عميم ان شاء الله تعالى نفعه عجيب وضعه باهر جمعه عالية ذروته غالية قيمته عزيز نظيره غزير كسيره دعاني اليه امر امر دور كله وزر وحال بين اخوين حايل وجور مايل وقطع رحم من غير تاويل وكثرة قال وقيل وذلك ان اخوين من وجوه اهل مكة وسلالة اكابرها وشى بينهما واشون ووسوس اليهما من الجنة والناس موسوسون فتكدرت مشاربهما الصافية وتقهقرت مطالبهما العالية واخلدا الى سماع ما لا ينبغي الاصغا اليه وتنزلا الى ما كانا غنيين عن التعويل عليه فاذ كاد الامر بينهما ان يتفاقم والقطيعة لرحمهما ان تتعاظم بهت الى السعي في التيام هذا الخرق الذي اتسع

صح
يا ابن عوفان
وحل

على الواقع وسد هذا الثلم الذي كاد ان لا ينفع فيه شافع
فبذلت في ذلك جهدي وكررت استعمال المصلحات لتجدي مخلصا
ان شاء الله تعالى في ذلك النية وصطهدا من التزيغ عن الحق في شي
منذ الطوفين غير معول فيه الا على من القلوب بيده يقلبها
كيف شاء بقاهر قدرته ويلهمها ما اراد مما تقتضيه باهر حكمته
فلم يزدد الامر بينهما الا غلظة وشدة ولم ار من كل منهما
الا إبا وحدة فتكدرت لذلك وقلت لعلي لست من اهل
هذه المسالك فقد قال بعض العارفين كنت اذا سعيت في اصلاح
لم يتم عددت ذلك من عدم اخلاصي وصدق نيتي لان الله تعالى
يقول في الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وحينئذ
توسلت الى خالق القوى والقدر ومانح النفع والضر ان يسهل اللامق صه
هذا الامر الصعب وان يضيق هذا الخرق الرحب ولم ازل على ذلك
الى ان غشيني النوم ليلة الامس وتعطلت مني الحواس الخمس فرايت
قايلا لي باعجال وسرعة وايقاظ ومنعه الف في هذه المسئلة كتابا
فسررت لذلك كثيرا وايقنت انه لا بد ان يلتئم خرق ما بينهما وكان
ذلك على ذلك قديرا ورجوت ان السعي في ذلك ديني فيه خير كثير
ونفع غزير كيف وبه اصلاح الدارين واجتماع الشملين وزوال
الفرقة والبين والقيام بما يجب للرحم والقرابة من الحقوق والسلامة
من القطيعة والعقوق ومن شماتة الاعدا والحاسدين والاسافل

والمارقين

والمارقين فانهم جبلوا على محبة الفتن بين الاكابر واظهار القبايح
في صور المآثر والمفاخر والسعي في افساد ما بين الاقارب والاصدقا
من صفات الود والمحبة وقديم الالفة والوصلة والرغبة وحين اذ
تاملت ذلك شرعت في التاليف البديع الداعي اليه ذلك السر المنيع
مستعينا باكرم الاكرمين ومغيث المضطرين في اكماله وتيسيره وتهذيبه
وتحريره فلم يتم فراغه الا وقد التئم ما بينهما من الخرق الواسع وعاد
الى ما طلب منهما من الوصل الجامع وقد بذلت فيه جهدي وافرغت فيه
وسعي الى ان صار حقيقا بان يسمى اسنا المطالب في صلة الاقارب
والله سبحانه وتعالى اسال ان يفيض علي من فيض جوده الواسع
وكرمه الجامع وان يعم النفع به وان يوصل الى نوافح الخيرات وغاياتها
بسببه انه اكرم كريم وارحم رحيم ورتبته على مقدمة وخمسة
ابواب وخاتمة المقدمة الاولى فيما هو الاصل في الاعانة
على هذا التاليف بصدده من صلاح الحال مع الحق تارة ومع الخلق
اخرى وذلك هو صلاح القلب لا غير وانما قدمت هذا لان كل شرف
وفضيلة امتاز بها الانسان على ساير الحيوانات وجنسه ورذيلة
انحط بها الانسان عن الحشرات فضلا عن بقية الحيوانات انما
نشات مما في قلبه من خير وشر ونفع وضر فالاعمال كلها انما تظهر على عالمها
ويتطرق بسعادتها او شقاوتها بما يترتب عليها ناشية عما تحلى به القلب
من كمال المعرفة لله تعالى او سو الجهل به والاعراض عنه فبادر الى تصفية

قلبك عن كل قبيح يقطعك عن ربك واستحضر وقوفك بين يديه
وانه سايلك عن كل ما كان في قلبك اذ هو محط نظره وتكليفه منك
فان سلم من غير الله قبل والا خيب والعايد على الجوارح من نور او ظلمة
انما هو اثره من عرفه وما خلق له وطلب منه عرف نفسه ومن عرفها
عرف ربه وبالعكس **واعلموا** ان الله يحول بين المرء وقلبه اي بان
يمنعه من معرفة ذلك **وقد صح** ان قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر
في غليانها **وصح** خبر قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اي بين ارادتيه اما شرا واما خيرا **كان** صلى الله عليه وسلم يكثر
ان يقول حتى في سجوده يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك نسوا الله
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون ومن ثم قال الايمة
معرفة القلب وحقيقته اوصافه اصل الدين واساس طريق
السالكين اعلم ان القلب قد يراد به النفس والروح والعقل
من وجه وقد يفارقه من وجوه قال حجة الاسلام واكثر الاغاليط
منشاؤها الجهل بمعاني هذه الاسامي فيتعين بيانها باختصار فالقلب
يطلق على اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من
جانب الصدر وعلى لطيفة ربانية روحانية لها بهذا الجسم
تعلق يقرب من تعلق العارض بالمعروض وهذه اللطيفة
هي المدركة والمرادة من القلب حيث اطلق في الكتاب والسنة
او كلام الصوفية ونحوهم اذ هي مناط التكليف والعلوم والمعارف
المحتاج

والمحتاج اليه معرفة اوصافها واحوالها لا حقيقتها لتعذر علمها على
اكثر الخلق لما يأتي في قوله تعالى قل الروح من امر ربي والروح وله
معاني منها جسم لطيف منبعه جسم القلب سار منه في البدن سريان ماء
الورد في الورد وله مضاهاة بفيضان نور سراج يدار به في زوايا
البيت **ومنها** تلك اللطيفة المسماة بالقلب وهي المراد من قوله
تعالى قل الروح من امر ربي والنفس له معان منها معنى ينشأ
عنه معنى الغضب والشهوة الناشي عنهما جميع الاوصاف المذمومة
واستعمالها في هذا هو الغالب في كلام السادة الصوفية رضي الله تعالى
عنهم اجمعين وهو المراد مما قيل اعدا عدو لك نفسك التي
بين جنبيك **و**روي حديث لكنه موضوع وهذه المسماة بالنفس
الامارة ومنها تلك اللطيفة لكن الغالب انه اذا اريد بها
هذا المعنى توصف بالمطمئنة وبقدر قرب هذه من مولاها
بعد تلك منه وبينهما حالة تسمى فيها لوامة وهي ان تسلك بعض
السلوك حتى تصير مدافعة لشهوتها ولايمة لصاحبها اذا قصر
في عبادة ربه والعقل وله معان منها العلم نفسه ومحله القلب
ومنها المدرك لهذا العلم وهو تلك اللطيفة والعلم حال فيها
صفة قايمة بها ثم الجوارح الظاهرة والباطنة تابعة للقلب وجنود
له اذ هي مسخرة له مجبولة على طاعته [illegible] او قهرا يتصرف فيها كيف تعسر
اراد فتصلح بصلاحه وتفسد بفساده كما في الحديث الصحيح ان في الجسد

مضغة اذا صلحت اي باعتبار تلك اللطيفة المتعلقة بها كما مر صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وبيان ذلك
ان كل انسان في قلبه شوب من صفات اربعة سبعية تنشا عن تسلط
القوة الغضبية عليه فيتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضا
لا سيما لارحامه واقاربه والتهجم على الناس بالضرب والشتم وبهيمية
تنشا عن تسلط الشهوة عليه فيتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص
والبخل وما في معنى ذلك وربانية من حيث انه في نفسه امر رباني كما قال
قل الروح من امر ربي فهو يدعي لنفسه اكثر صفات الربوبية من التمييز
على غيره بساير صفات الجلال من القهر والاستيلا والكبر والعظمة
وغيرها والكمال من الاحاطة بالعلوم وساير المعالي الرفيعة
وشيطانية تنشا عن الغضب والشهوة فيصير شريرا مشيطا بساير وجوه الشر
متحليا بكل خلق ذميم مذموم كالمكر والحيل والخداع باظهار الشر في صورة
خير كما هو داب الشياطين ومداخل الشيطان الى القلب كثيرة اذ هو محصن
فيه كل نفس والشيطان عدو له يريد ان يدخله ويملكه ويستولي عليه
فلا يحفظه الا من يعرف حراسة ابواب ذلك الحصن ومداخله فلا جرم
صارت حماية القلب من الشيطان من آكد الفروض العينية من كل
مكلف ولا تعرف هذه الحماية الا بمعرفة مداخله فصارت معرفتها
فرضا عينيا ايضا اذ ما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فمن
اعظم تلك المداخل الحسد والحرص وكل منهما يعمي ويصم عن كل حق ويدعوا

لكل قبيح ومن ثم جاء في اثر عن ابليس اثنان لا يهلك الناس الا بهما الحرص
والحسد وفي حديث ابي داود حبك الشي يعمي ويصم ولا يزيلهما الا
نور البصيرة الناشي عن تطهير السريرة بحسن المجاهدة ودوام المكابدة
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومنها الغضب والشهوة
اذ الشيطان يلعب بالغضبان لعب الصبي بالكرة وكذا بمن قويت عليه
شهوته ومنها حب التزين في ملبسه ومسكنه ونحوهما فاذا علم الشيطان
من قلب محبته ذلك باض فيه وفرخ وفتح ابواب الزينة في كل ما قدر عليه
المرة بعد الاخرى وهكذا حتى يموت وهو مرتبل في سبيل الشيطان وغيه
ومنها محبة الشبع ولو من حلال والطمع فيما بايدي الناس فيتزين
لهم حتى باعماله فيخرج منها كما تسل الشعرة من العجين ومنها العجلة
وترك التثبت في الامور ففي حديث العجلة من الشيطان والاناة من الله
ومنها سعة المال زايدا على قدر القوت فهو مستقر الشيطان وبه
يجر للانسان اعظم الفتنة والاشتغال عن الله تعالى واوامره
ومن ثم لما ايس الشيطان وجنده من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
قال لجنده عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم ومنها
البخل وخوف الفقر فان ذلك يمنعه عن كل احسان واجب او مندوب ويدعوه
على ملازمة الاسواق وضياع جميع الاوقات في تحصيل الاموال ثم الى الكنز
الموجب لاليم العذاب ودوامه قال تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة الاية ومنها تعصبه لمذهبه وهواه بما يؤدي الى الحقد

على مخاصمه والازدراء به وبهذا جهلك بكل احد لظن فاعله انه يتعصب للدين وليس كذلك بل لنفسه انتصارا لها واظهارا لقدرها في قلوب الناس ومن المعلوم ان سلوكه للطريق المستقيم مع خلوص النية وتطهير الطوية احب الجم من تعصبه في بقاءه على نزاهته وارتكابه في قاذوراته ومن حيل الشيطان ومكره ان يشغلك بذلك عما هو المقصود الاعظم منك من اصلاح نفسك بادامة الاعمال والعلوم الدينية مع الاخلاص فيهما ومنها تحديث العوام بما لا يفهمون ومن ثم قال علي كرم الله وجهه بل جاء مرفوعا حدثوا الناس بما يفقهون اتحبون ان يكذب الله ورسوله وكم من رجل تزين له نفسه ان الكلام في ذلك هو عين الكمال في العلوم والمعارف وحاد عن الشرع اذ ذلك ربما ادى الى ابتداع او كفر وقد قيل اشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في كمال عقله واثقب الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وقلة احرصهم على اتباع العلماء بالله الجامعين بين الظاهر والباطن في سائر احوالهم

ومنها سوء الظن بالمسلمين بمجرد الخيال الفاسد والوهم الكاذب فيترتب على ذلك انتقاصهم والاستهتار بحقوقهم التي اوجبها الشارع او ندب بها واذ قد عرفت هذه المداخل وقبيح ما يترتب عليها فعليك ان تفرغ جهدك في التخلي عنها ما امكنك ولا تظن سهولة ذلك بل هو اصعب الصعب ومن ثم جاء في حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال وقد رجع من غزوة الى المدينة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ووجه اكبريته ان مجاهد نفسه ومطهرها عن خصالها المذمومة دائم المقاتلة للشيطان بسيوف المجاهدة

على

على نفسه حتى لا يبقى لها ذرة حظ ولا ارادة غير مع عمارتها ظاهرا وباطنا بمعالي التقوى والبراءة عن السوى لا يفتر عن ذلك والا افترسه ذلك العدو وظفر منه بما قصده فاهلكه الهلاك الابدي وعذبه العذاب السرمدي واعظم تلك السيوف دوام الذكر والفكر لا سيما في اوقات نفحات الحق كثلث الليل الاخير فان دوام الذكر يحرق الشيطان ويمزقه كل ممزق وفي حديث اسناده جيد اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وفي حديث الطبراني ان لله آنية من اهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين واحبها اليه الينها وارقها وفي حديث ضعيف ما خلق الله خلقا اكرم على الله من العقل وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا تقرب الناس الى الله بانواع البر فتقرب انت بعقلك وفي خبر حسن ليس خيرا من الف مثله الا الانسان وصح في الناس انهم يبعثون على نياتهم فانظر اي نية تحشر عليها واي صفة تقف بها بين يدي الله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء وصح خبر ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه وصح مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وصح مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانها

المقدمة الثانية فيما يعين على ما نحن بصدده وهو رياضة النفس وتهذيب الخلق قال تعالى لاكرم خلقه عليه بادخاله ومظهرا اعظم نعمائه لديه انك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن رواه مسلم وهو اجمع كلمة مدح بها صلى الله عليه وسلم ومن ثم صح خبر بعثت لاتمم مكارم الاخلاق

قاله

وصح انه صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وصح
المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف واخرج
ابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم فسر قوله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال هو ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وصح خبر اثقل ما يوضع في الميزان حسن
الخلق وفي رواية خلق حسن وفي اخر لابي داود والترمذي
ما من شيء في الميزان اثقل من حسن الخلق وروى الطبراني ان اقربكم
مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون
وفي رواية له سندها ضعيف ان احبكم الى الله الذين يالفون ويؤلفون
وفي حديث مرسل جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال
حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه
من ورائه فقال ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب
وروى احمد وغيره الشوم سوء الخلق وصح ان رجلا جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اوصني فقال اتق الله حيث كنت
قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق
الناس بخلق حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم سئل عن امراة سيئة الخلق
تؤذي جيرانها لكنها تصوم النهار وتقوم الليل فقال لا خير فيها
هي من اهل النار وروى الدارقطني والخرائطي انه صلى الله عليه وسلم

واخرج م

قال

قال ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه فلا يصلح لدينكم
الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وفي حديث سنده
ضعيف حسن الخلق خلق الله الاعظم وفي مثله سوء الخلق يفسد العمل
كما يفسد الخل العسل وفي مثله ثلاث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا
يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به
السفيه وخلق يعيش به في الناس وفي مثله خبر ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة
كما تذيب الشمس الجليد وفي مثله اليمن حسن الخلق وفي مثله من سعادة المرء
حسن الخلق وفي مثله يا اباذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وفي مثله
حديث انس رضي الله عنه قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة منا
ربما يكون لها زوجان فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال
لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير
الدنيا والاخرة وفي مثله حديث اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي
جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق فادخله
على الله عز وجل وجاء بسند جيد ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الاخرة
وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وان العبد ليبلغ بسوء خلقه اسفل درك
جهنم وصح خبر يا رسول الله اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وفي خبر
رجاله ثقات انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق
وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انك حسنت خلقي فحسن خلقي وفي رواية كان
يكثر الدعاء ويقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وصح عن نزاع

نحبه من كرم الله على المرء دينه ومروته وعقله وحسبه حسن خلقه وروى
ابن ماجه بسند صحيح عن اسامة ابن شريك رضي الله تعالى عنه قال شهدت
الاعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي
العبد قال حسن الخلق وروى الطبراني ان احبكم الى الله وفي رواية
له ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوا
في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها ‏فائدة
الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت
وروى الطبراني بسند ضعيف ما من شيء الا وله ‏واخرج نخ
توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في
شر منه وفي حديث موقوف رجاله ثقات يا معاذ حسن خلقك
للناس وقال لقمان الحكيم من اجتمع فيه خمس الدين والمال والحيا
وحسن الخلق والسخا فهو تقي نقي لله تعالى ولي من الشيطان
بريء وما احسن قول يحيى ابن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق
سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق
حسنة لا يضر معها كثرة السيئات وقال الفضيل ابن عياض
رضي الله تعالى عنه لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان
يصحبني عابد سيء الخلق وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه
اربع يرفعن العبد الى اعالي الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم
والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان ومن ثم فبلك

التصوف

التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف ولكل
بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق لم ينل احد كمال حسن الخلق
الا الانبيا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم فهو اكملهم خلقا واقرب
الخلق الى الله تعالى اقربهم اليه صلى الله عليه وسلم في التاسي به
في حسن الخلق واعلم ان الائمة اختلفت عباراتهم
عن حسن الخلق فكل حده ببعض ثمراته الحاضرة عنده اذ ذاك
كقول سهل ابن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه هو ان لا
تتهم مولاك في رزق بل تسكن لما ضمن لك منه وتطيعه
ولا تعصيه في جميع الامور سرا وعلنا والاوضح بيان حقيقته
التي يتفرع عليها جميع ثمراته التي ذكروا اكثرا منها وانما يعرف
بمعرفة اصولها الناشئة هي عنها وهي اربعة الحكمة وهي
قوة راسخة في النفس تدرك الصواب من الخطاء في كل فعل
اختياري والعدل وهو قوة كذلك تسوس الغضب
والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما عن الاسترسال
على حسب مقتضاهما والشجاعة وهي انقياد قوة الغضب
للعقل اقداما واحجاما والشجاعة وهي قوة كذلك تادب الشهوة ‏والعفة
بتاديب العقل والشرع فمن اعتدلت فيه هذه الاصول
الاربعة صدرت عنه الاخلاق الجميلة الحسنة كلها فمما ينشا
عن اعتدال قوة العقل قوة حسن التدبير وجودة الذهن

بلغ

وجزالة الراي والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا آفات النفس
ومما ينشا عن اعتدال قوة الشجاعة الكرم والنجدة
والشهامة ومجانبة النفس لكل سفساف والاحتمال كالحلم
وكظم الغيظ والوقار والتؤدة ومما ينشا عن اعتدال قوة
العفة السخا والحيا والصبر والسماحة والقناعة
والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع
ومما ينشا عن افراط هذه القوى او تفريطها اضداد
ذلك من الاخلاق الذميمة والافعال والاقوال القبيحة
ولم يتم اعتدال هذه الاربعة على ما ينبغي الا لنبينا
صلى الله عليه وسلم وكل من قرب اليه في التاسي والاقتدا
يعتدل منه بعضها واكثرها او بعض كل منها على حسب استعداده
وتهيئه فعلم ان حسن الخلق اعتدال قوة العلم والعقل
بحيث يدرك صدق القول من كذبه وحقية الاعتقاد
من باطله وحسن الفعل من قبيحه وهذه هي ثمرة الحكمة
التي هي ثمرة الاخلاق الحسنة المشار اليها بقوله
عز قايلا يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا واعتدال قوة الغضب بحيث ينقبض
وينبسط على حسب ما تقتضيه الحكمة واعتدال قوة الشهوة
بحيث لا تتجاوز اشارة العلم والعقل والدين واعتدال قوة

المعدل

المعدل بين هذه القوى الثلاث بحيث يصير على الحد الوسط
المحمود شرعا وعقلا وقد مثل الغضب بكلب الصيد يحتاج
لتاديبه حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب المؤدب وهو
العلم والعقل لا بحسب هيجان النفس والشهوة بفرس يروض
اذ جموح ويجمع ذلك كله حسن الخلق وهو بضم اوله ثم ثانيه
او سكونه حسن الصفات الراسخة في النفس بحيث يصدر عنها
الافعال الجميلة كالولاية فانها كثيرا ما تورث التفكر في
الاضداد فاما للوم طبع او ضيق صدر وقيل من تاه في ولايته
ذل في عزله وكالغنا فانه كثيرا ما يغير اخلاق اللئيم اشرا
او يبسي طرايقه اشرا وقد قيل

فان تكن الدنيا انالتك ثروة . فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الاثراء منك خلايقا . من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

المقدمة الثالثة فيما يعين على ذلك ايضا وهو
ترك الخصومة فان المتخاصمين تنقطع الوصلة بينهما غالبا
سواء كانا صديقين ام قريبين فعليك بترك الخصومة مطلقا
فانها مذمومة واي مذمومة لا سيما ان كانت بباطل وهي وزي
المرا والجدال لان المرا طعن في كلام الغير باظهار خلله من غير ان
يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واهانته باظهار رمزايا الكياسة
عنه والجدال مرا اخص مما يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها

والخصومة الحاح في الكلام ليستوفي بها مال او حق مقصود ابتدا او جوابا
وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد
الخصم وجاء بسند فيه من ضعفه الجمهور من جادل في خصومة
بغير علم لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع وفي حديث
حسن من ترك المرا وهو محق بني له بيت في اعلا الجنة وقال
ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله ابن ابي بكر الصديق فقال
ما يجلسك هنا فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك
عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا
اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب
من خصومة قال فقمت لارجع فقال الخصم مالك فقلت لا اخاصمك فقال
عرفت انه حقي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا فقال اني لا اطلب منه شيئا
هو لك قال حجة الاسلام فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له
من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف
تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يتخاصم بالباطل
والذي يتخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق
في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم من غير علم
ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر
اللدد في الخصومة قصدا للايذا واظهارا للقدرة على التسلط على الناس
والاستنصاف منهم ويتناول الذي يطلب حقه ويخرج بالخصومة

كلمات

كلمات مذمومة موذية ليس يحتاج اليها في نصر الحجة واظهار الحق ويتناول
الذي يحمله على الخصومة محض العناد وكسر الخصم مع استحقاره للمال
المتنازع فيه ففي الناس من يصرح بذلك فيقول انما قصدي عناده
وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بير فهذا
مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا واما المظلوم الذي
ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لحاجة ومن غير
قصد ايذا او عناد ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه
سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة
توغر الصدور وتهيج الغضب وذلك يترتب عليه من المفاسد ما لا
يحصى ولو لم يكن منها الا دوام الحقد والعداوة بينهما المودية
الى اذاية كل لصاحبه في حضوره وغيبته باطلاق اللسان في عرضه
وايغار الصدور عليه وغير ذلك مما هو ظاهر مشاهد فيعلم ان من ابتدا
بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات القبيحة واقلها دوام
وسوسة بها حتى في صلاته وساير عباداته فلا يجد روحها ولا صفاها
ولا عظيم ثوابها وفضلها فالخصومة مبدا لكل شر وسبب كل قطيعة
وليس الحامل على تاليف هذا الكتاب كما علم مما مر الا خصومة خفية
وقعت بين قريبينا انتشر عجاج عاديات الافكار فيها الى ان
اظلمت وجه الحق الواضح وادحضت حجج الصدق اللايح واشتبت
من العداوة والبغضا بين الفريقين ما اتعجب كثرة مفاسده القريبين

واذ هبت صبا القلوب الفايق ضوؤه على ضوء النيرين تحارق الافكار
في النمام خرقها وسد فتقها فلم تزدد الا اتساعا ولم تنتج الا بعدا وامتلاعا
واذ قد علمت ذلك فاحذر ان تفتح باب خصام او مرا او جدال الا ان اضطر
الامر الى ذلك ولم تجد عنه معدلا ولا الى غيره ملجا فحينئذ يرخص لك
في المشي اليه بقدر الضرورة لكن بشرط ان تحفظ قلبك ولسانك
عن تبعات الخصومة وما ينشا عنها بما لا يسلم من غوايله الا
الموفقون الذين جاهدوا نفوسهم وعلى ربهم في كل حال من الاحوال
يتوكلون المقدمة الرابعة فيما يعاين على ذلك ايضا وهو بلغ
ان لا يصغى الى كلام كثيرين في اصدقائه واحبائه فان اكثر ما يقع
بين الاهل والاقارب والاجانب الاباعد من الخصومات والهجر والاصدقا
والتقاطع والمفاسد القبيحة انما ينشا عن جهلة فسقة لا دين
لهم ولا اخلاق يأتون هذا بقول عن الآخر يكدر عليه وبالعكس
حتى تستعر نار الفتنة والعداوة والبغضاء بينهما الى ان لا تنفع
فيها شفاعة شافع ولا دوا نافع وينبغي لمن يبلغه عن غيره شيء صدر
منه في حقه انه يتثبت المرة بعد المرة ويتهم الناقل ولا يستصدقه
كلما ياتي فان قصد الفساد بين الناس هو الغالب اليوم وليتامل
الانسان قول ابن مسعود رضي الله عنه الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم
في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد لا يكون احدكم امعة قالوا
وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح وليتامل ايضا ان ذا الوجهين

من

من اشر الفسقة والمنافقين وافسدهم وهو الذي يتردد بين متعاديين
ويكلم كلا بكلام يوافقه وقل ما يخلوا عن ذلك من يتردد الى متعاديين
وروى البخاري في الادب المفرد وابو داود انه صلى الله عليه وسلم
قال من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة
وروى البخاري خبر تجد من شر الناس وفي رواية ابن ابي الدنيا
تجدون من اشر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي
ياتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي رواية هؤلاء
بوجه وهؤلاء بوجه قال حجة الاسلام فان قلت فيما ذا
يصير ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين
وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا
ذا اللسانين فان الرجل قد يصادق متعاديين ولكن صداقة
مع كل ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو حققت الصداقة
لقضت معاداة اي ان كان الصديق على الحق وعدوه على الباطل
هذا اذا لم ينقل كلام كل الى الآخر اي على وجه الافساد والا فهو الاعدام
ذو اللسانين والوجهين الذي لا يكون عند الله وجيها اذ هو
نمام بل اشر منه لزيادته عليه لنقل كلام كل الى الآخر والنمام يقتصر
على الجانبين فكلما ورد في النمام من الوعيد ياتي في هذا بالاولى
ومنه ما صح لا يدخل الجنة نمام الا اخبركم بشراركم قالوا بلى
قال المشاؤن بالنميمة وفي خبر الطبراني لا يسعى بين الناس

الا ولد بغي والا من فيه عرق منه اما من دخل على متعاديين
ولم ينقل لكل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه
من المعاداة مع صاحبه او اثنى عليه في معاداته له فهذا في حكم
ذي اللسانين وكذا لو وعد كلا منهما انه ينصره او اثنى على
احدهما او كل منهما في وجهه ثم ذمه عند خروجه عنه بل ينبغي
ان يسكت او يثني على المحق منهما في حضرته وغيبته وبين يدي
عدوه واعلم ان تفسير النميمة بما ذكر هو المشهور قال حجة
الاسلام وليست مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره
كشفه من قول او عمل كرهه المنقول عنه او اليه او ثالث سواء الكشف
بالقول والكتابة والاشارة بان كان ما نم به نقصا في المحكي عنه
فهو جمع بين الغيبة والنميمة ويتعين على من رأى شيئا من احوال
الناس ان لا يحكيه الا لفائدة شرعية وحصر الفقهاء مبيح
الغيبة في ستة امور مقررة في محلها والباعث على النميمة
اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او الفرح
بالحديث او الخوض في الفضول وكل من نقل اليه شيء من ذلك فعليه
ان لا يصدقه لما مر انه من اشر الفسقة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين وان ينهاه ويقبح له فعله قال تعالى
وامر بالمعروف وانه عن المنكر وان يبغضه في الله تعالى فان بغض من

يبغضه

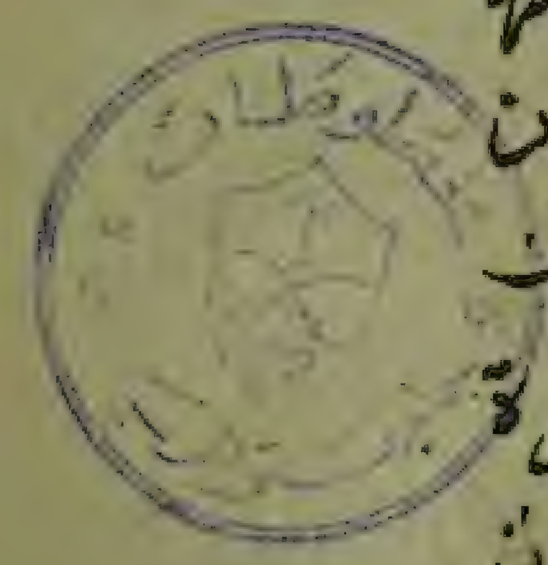
يبغضه الله تع واجب وان لا يظن بالمقول عنه السوء قال تعالى
اجتنبوا كثيرا من الظن وان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث
لتحقيق ذلك لان العفو بفرض الوقوع اكمل وان لا ترضى لنفسك بما
نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته بنحو قال لي فلان كذا لانك حينئذ اما
نمام او مغتاب نم رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فقال
ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا
فانت من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال
العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا وسبقه لذلك علي كرم الله
وجهه فانه قال لمن نم عليه يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك
فقال اقلني يا امير المؤمنين وزار حكيما اخ له فنم له فقال
ابطأت الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي
وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وقال سليمان بن عبد
الملك لآخر بحضرة الزهري بلغني انك وقعت في فانكر فقال
من اخبرك صادق فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان
صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم لك نم عليك اشار الى ان النمام
ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وقال رجل لعبد الله بن عامر
بن كريز وكان اميرا بلغني ان فلانا نم علي عندك فاخبرني بما قال

عني حتى اكذبه قال قد كان ذلك وما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي
اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وقال مصعب ابن
الزبير رضي الله تعالى عنهما نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية
لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن
قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا كان في صدقه
لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة ووعظ رجل امير المؤمنين
سليمان ابن عبد الملك وحذره قبول النميمة والسعاية انه قد
اكتنفك رجال ابتاعوا دنياكم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك
في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا
تصغ اليهم فيما استحفظك الله تعالى اياه فانهم ان نالوا ان يتركوا
الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا غاية
قربهم البغي والنميمة واجل رسايلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤل
عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم
بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بايع آخرته بدنيا غيره
وقال عمر ابن عبيد لمن نم اليه ما ادبت بحق مجالسة الرجل حيث
نقلت الينا حديثه ولا اديت الي حقي حيث ابلغتني عن اخي
ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا
والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين وقال لقمن الحكيم لابنه يا بني
اني موصيك بخصال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك
للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم

واحفظ

واحفظ اخوانك وصل اقرابتك وامنهم من قبول ساع او سماع
باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم
وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك ما احسن قول من قال لو صح
ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم والمنقول عنه اولى
بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وسبق عن الحسن انه اشار الى ان النمام
ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته قال حجة الاسلام وكيف
لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة
والغل والحسد والنفاق والفساد بين الناس والخديعة وهو
ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع قيل هو القاطع بين الناس
وهو النمام وقيل قاطع الرحم ولنختم هذه المقدمات بما هو
الاصل الباعث عليها بل وعلى سائر العبادات والا
خلاق والاحوال وهو الصبر وقد كثر كلام الناس في حدوده واحسنها
انه ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة والهوى فان
قوي على قهر الشهوة حتى اضمحلت فهو من اكابر الصابرين
بل الراضين وان تخاذل وضعف حتى غلبت عليه الشهوة
فهو من اخوان الشياطين فثمرة الصبر ترك المشتبهات
فضلا عن المحرمات قال ابو علي الدقاق فاز الصابرون
بعز الدارين لانهم نالوا من الله تعالى معيته قال الله تعالى

عليكم



ان الله مع الصابرين وروي شاب يطوف ثم يخرج رقعة
ويقرؤها ففعل ثلاث مرات ثم في مرة سقط ميتا ففتشت تلك
الرقعة فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال ابن عيينة
في قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا اخذوا
براس الامر وهو الصبر فجعلهم الله تعالى رؤس الامة والانبياء في
الصبر اظهار البلاء على غير جهة الشكوى قال تعالى عن ايوب صلى الله
على نبينا وعليه وسلم انا وجدناه صابرا نعم العبد مع قوله مسني
الضر وانت ارحم الراحمين وكان العباس صبورا الا انه الابلغ لولا انه
في كثير من احواله صابرا بل مستلذا بالبلاء راضيا به مستعذبا
له فخرج عن الصبر المبني عن تحمل المرارة الى اعلا منه وهو الرضى
الموجب للاستلذاذ والاستعذاب وكون الصبر راس الامر
واسه المبني عليه كل عمل ذكره الله تعالى في نيف وسبعين موضعا من
كتابه واضاف اكثر الدرجات والخيرات اليه وجعلها من ثمراته ومن
اعلاها انه ما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر
قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولكون الصوم
نصف الصبر كما ورد جعل الله تعالى حسابه اليه فقال في الحديث
القدسي الصوم لي وانا اجزي به ولقد جمع الله تعالى للصابرين
ما لم يجمعه لغيرهم من ذلك قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واولئك هم المهتدون وفي حديث الصبر نصف الايمان

ووجه

ووجهه ان الايمان الكامل مركب من عمل واعتقاد وقد علمت
ان اصل العمل المقوم له انما هو الصبر فكان نصف الايمان بهذا
الاعتبار ووجه كون الصوم نصف الصبر بان الصبر قسمان كف
النفس عن شهوتي البطن والفرج وحملها على الاعمال المامورة
بها والصوم متضمن للاول فكان نصف الصبر بهذا الاعتبار
ثم الصبر ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحظور فالصبر
عن المحظور هو الفرض وعن المكروه هو النفل وعن الاذى المحظور
هو المحظور واعلم ان لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسوة
الحسنة والاتباع الجميل لكن فيما يطاق التخلق به من اخلاقه الكريمة
واحواله العلية والا ففيها ما لا يصل اليها مخلوق حتى من الانبيا
والمرسلين والملايكة المقربين وجماعها العلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحيا
والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة
ونحو ذلك مما يجمعه حسن الخلق وبحيازته صلى الله عليه وسلم لجميع هذه
واحاطته بشتات محاسنها كان اعلى المخلوقين قدرا واعظمهم
محلا واكملهم محاسن وفضلا ثم الحلم حالة ينشا عنها التوقر
والثبات عند الامر المزعج المتحرك الباعث في الانتقام والاحتمال
حبس النفس على تجرع مرارات المؤذي ويرادفه ويقاربه الصبر
والعفو ترك المواخذة وقد ادب الله تعالى بذلك نبيه صلى الله

عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقال له جبريل يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفوا عمن ظلمك وقال له تعالى واصبر وما صبرك الا بالله فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل من قبلك ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور وقد انتشر اثر من حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره واحتماله
ما لا يمكن لمخلوق ان يحمله كيف وكل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الموذيات الا صبرا
ولا على اسراف الجهال الا حلما الا ترى انه صلى الله عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد اشتد ذلك على اصحابه وقالوا
لو دعوت الله عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا
ورحمة اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقال له عمر بابي انت وامي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فتامل رحمك الله تعالى ما في
هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم
النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفى عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اللهم اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة بالرحمة بقوله لقومي ثم

اعتذر

اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
للرجل الذي قال له اعدل ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل فبين له صلى الله عليه وسلم ما جهله ووعظ نفسه وذكرها
بما قال ونهى من اراد قتله عنه وكذلك لما تصدى له بعض العرب ليفتك
به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منفرد عن اصحابه تحت شجرة نائما
وحده فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم الا وذلك العربي قائم والسيف
مسلول في يده فقال للرسول صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني فقال
الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من
يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفى عنه فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس وكذلك عفوه عن اليهودية التي سمته
بخيبر في كتف شاة بسم موح فاكل منه لقمة او لقمتين فنطق الذراع
بذلك ومع ذلك لم يواخذها فيما يتعلق بحق نفسه وكذلك احتماله
للاعرابي الذي قال له يا محمد احملني من مال الله فانك لا تحملني
من مالك ولا من مال ابيك وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط
ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان
يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة والاحاديث في حلمه
وصبره وعفوه صلى الله عليه وسلم عند القدرة اكثر من ان تحصر واظهر
من ان تشهر وحسبك ما صح بل كاد يتواتر من صبره صلى الله عليه وسلم

على مقاسات قريش وآذا الجاهلية ومصابرته الشدايد فهم الذي
لا يطاق الصبر عليها الى ان اظهره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون
في استيصاله شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفى وصفح
وقال لهم يوم فتح مكة وقد كانوا في زرقة ادلة واسرة ما تقولون
اني فاعل بكم قالوا اخيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم
الطلقا وقال انس رضي الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم
صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا وجي بهم
اليه فاعتقهم وعفى عنهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وتلطف صلى الله عليه وسلم بابي سفيان
بعد ان حزب عليه الاحزاب وقاتله حتى قتل عمه واصحابه ومثل بهم فقال له
ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي
ما احلمك واوصلك للرحم واكرمك واذ قد تقررت هذه الشذرة من ذلك
البحر الخضم فينبغي للعاقل ان يتخلق بمبادي من هذه الاخلاق الكريمة
وان يتحلى بما استطاع من تلك الاوصاف الحميدة صابرا محتسبا
متوكلا مستحضرا لقوله صلى الله عليه وسلم واعلم ان ما اصابكم لم يكن ليخطيكم
وما اخطاكم لم يكن ليصيبكم راضيا بقضاء الله تعالى وقدره واعلم
ايضا ان من المهم الفرق بين القضا والقدر فانه قد اشكل فالقضا
ايجاد جميع المخلوقات في اللوح والتقدير ايجادها في الاعيان ولذلك

قال

قال تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا اي فابرزه على ما سبق في علمه
في الوجود الخارجي على طبق الوجود العلمي وقد يطلق القضا على المقضي
نفسه كما في حديث البخاري اللهم اني اعوذ بك من درك الشقاء وسوء
القضا اي المقضي وهو بهذا المعنى لا يجب الرضا به بل قد لا يجوز
ومن ثم استعاذ منه صلى الله عليه وسلم بخلافه على المعنى الاول فانه
يجب الرضا به وتحقيق ذلك ان الطبيب الحاذق اذا وصف للمريض
دوا مرا تنفر منه النفس بطبعها فان ذممت الطبيب من حيث تدبيره
ووصفه لذلك الدوا مع امكان التداوي بغير الاسهل منه فقد
تسخطت منه واذيته ورددت تصرفه وان ذممته من حيث
مرارة الدوا الذي لا ينفع الا بذله ولا يسخط من فعله ومعالجته
وانما السخط من المقضي الذي هو الدوا ولو سمع الطبيب ذلك لما تالم
منه بل قال له الامر كذلك فعلم ان من ابتلي بمرض فتالم منه بمقتضى
طبعه لم ينافي رضاه بالقضا لانه لم يتعرض لجهة الرب سبحانه وتعالى
وانما تعرض للمقضي لا غيره وان قال ما علمت ما يوجب هذا او نحوه
فهو راض بالقضا اي بتصرف الله تعالى في ملكه بما اراد فوجب
الرضا بالقضا وان لا يتعرض لجهة الرب سبحانه وتعالى الا
بالاجلال والتعظيم ولا يعترض عليه في ملكه ومع وجود هذا الرضا
لسنا مامورين بطلب الامراض والرزايا مثل من لم يتذلل لله سبحانه
وتعالى عند نزول المولمات ويسال منه ازالة العثرات فهو جبار عنيد

شيطان مريد بعيد عن طريق الخير قال تعالى ولقد اخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ذمهم الله تعالى
على ترك التضرع اليه في كشف ما نزل بهم فالواجب اذا الرضا بالقضا
اي بحكم الله تعالى وتصرفه في خلقه من غير تفصيل واما المقضي
فقد يجب الرضا به ان وجب وقد يندب ان ندب ويباح
ان ابيح ويكره ان كره ويحرم ان حرم فمن قضي عليه بمعصية
ان لاحظها من حيث كونها كسبه لزمه ان يكرهها او من حيث كونها
قضاء الله تعالى وخلقه لزمه ان يرضى بها بلا تسفه الربوبية
بقوله لم فعل هذا بي وانا لا استحقه او نحوه ثم الرضا بالقضا
على قسمين قسم على مقتضى العلم وهذا لا بد منه في الايمان وحقيقته
ان لا يتعرض على حكم الرب الصمد في تقديره واعلى من هذا
رضا اولي المقامات العلية وحقيقته ابتهاج القلب وسروره
بفعل الرب سئلت رابعة رضي الله عنها متى يكون العبد
راضيا فقالت اذا سرته المصيبة اي بعد وقوعها من حيث نسبتها
الى الله تعالى كما تسره النعمة وقال الحسن بن علي كرم الله وجهه
وقد قيل له ان ابا ذر يقول الفقر احب الي من الغنا والسقم احب الي
من الصحة رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله
سبحانه لم يتمن غير ما اختاره الله تعالى له وقد اختلف العارفون
في هذا القسم هل هو من الاحوال او من المقامات فالعراقيون على الاو

و

والخراسانيون على الثاني قالوا وهو نهاية التوكل قال الامام الحجة
ابو القاسم القشيري ومعناه يؤول الى انه مما يتوصل اليه العبد
باكتسابه ويمكن الجمع بينهما بان بداية الرضا مكتسبة له فهو من الاحوال
تنبيه مما ينبغي ان يستفاد هنا ان عمر رضي الله تعالى عنه وهو امير
المؤمنين سافر الى الشام فاخبر ان بها وبا فلم يدخلها فقال له ابو
عبيدة امين هذه الامة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفر من قدر الله
تعالى فقال له عمر رضي الله عنه لو غيرك قالها يا ابا عبيدة نعم نفر من قدر الله
الى قدر الله بين عمر رضي الله تعالى عنه انا امرنا على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا ندخل بلدا بها طاعون فالامتناع من دخولها
ليس فيه فرار من القدر حقيقة لانا لم نعلم عين المقدور من الموت
بذلك الطاعون لو دخلنا او من نجاة منه واذا انبهم الامر علينا
وامرنا بعدم الدخول كان فرارنا من قدر الله تعالى وهو الدخول
الى قدر الله وهو تيسيره لنا عند ارادتنا له يدل على انه المقدور
واما تسمية الاول مقدورا فانما هو باعتبار انه لو قدر الدخول كان
هو المقدور فكل منهما صالح لكونه مقدورا ويتبين بالارادة منا
لاحدهما المصحوبة بوقوع الفعل على وفقها عين المقدور حقيقة وحينئذ
فمن ترك الدخول امتثالا لا يقال انه فر من القدر لانه انما قصد
امتثال الامر وايضا فهو لم يعلم عين المقدور حتى يقال انه فر منه
الباب الاول في ذكر الاسباب الحاملة على السخاء الموجبة

لقطيعة الرحم الواجب على كل احد ان يعرفها ويعرف علاجها
ودواها ليتخلى عنها وهي انواع كثيرة لا تحصى ولبنائه هذا الكتاب
على الاختصار ما امكن احببنا ان لا نذكر الا شيا منها نهاية يستدل
بها على باقيها اولها محبة الدنيا والاستناد اليها والتطاول على الغير
واستذلاله والاستهزا بحق رحمه وقرابته اعلم ان ذم الدنيا مما اجمع
عليه سائر الملل حتى منكر البعث والنشور ولاجل هذا قال ائمتنا
رحمهم الله تعالى لو اقتصر خطيب الجمعة في وعظه الواجب عليه في خطبتها على ذم
الدنيا والتحذير منها لم يكفه ذلك ولم يعد وعظا لان ذمها مما تواصى عليه
منكر المعاد فليس فيه كبير فايده ومع ذلك لا بد من ذكر شي منه
فنقول اكثر القرآن مشتمل على ذمها وصرف الخلق عنها ودعوتهم
الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع كيف وهي عدوة لله
تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة
لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها
وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى
وثقوا بها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فهم على فراقها يتحسرون ومن
مكايدها يستغيثون فلا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون وصح في ذمها قوله صلى الله عليه وسلم وقد راى شاة ميتة
والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه الشاة على اهلها

ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما
وصح ايضا الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وصح ايضا من احب دنياه
اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى
وجاء بسند حسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
وعالم او متعلم وجاء في مرسل حب الدنيا راس كل خطيئة وصح ان ابا بكر
رضي الله عنه دعا بشراب فاتي بماء وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى
ثم مسح عينيه فسالوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرايته يدفع عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله
ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها
اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك
وجاء بسند مرسل ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه
من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وصح انه صلى الله عليه وسلم لما قرا
الهاكم التكاثر قال يقول الله تعالى ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك
الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وجاء
بسند جيد الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له اي وغنى من لا غنى له
بالله ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها
يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وجاء بسند ضعيف
من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله تعالى في شي والزم الله قلبه اربع
خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غنا

ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا ومثله حديث من طلب الدنيا حلالا مكاثرا
مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة
وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومثله حديث
ليجيئ اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا
يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون
هناة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه ومثله حديث
انه صلى الله عليه وسلم قال في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين
اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري
ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته
ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم
للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد
الدنيا من دار الا الجنة والنار وصح من جملة حديث مشهور فوالله
ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على
من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وصح
ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات
الارض فقال زهرة الدنيا وصح ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت
لا تسبق فسبقتها ناقة لاعرابي فشق عليهم فقال صلى الله عليه وسلم
انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من هذه الدنيا الا وضعه وصح انه صلى الله
عليه وسلم رأى بعض اصحابه يبني بيتا من جص فقال ارى الامر

الجل

العجل من هذا وجاء بسند فيه مختلف فيه ان الله تعالى ضرب مثل
الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم وفي رواية ان مطعم ابن آدم قد ابي
ضرب للدنيا مثلا وجاء عن علي كرم الله وجهه بسند منقطع حلالها
حساب وحرامها النار وروى جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى
صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقعدا على شط نهر ومعهما ثلاثة
ارغفة فاكلا رغيفين وبقي واحد فقام عيسى ليشرب من النهر
ثم رجع فلم يجده فقال له من اخذه فقال لا ادري فاتى ميتا وساله
بمن اراه ذلك ان يخبره بمن اخذ فابى ثم مشى هو وهو على الماء
وساله كذلك فابى فجمع ترابا وقال كن ذهبا باذن الله تعالى فكان فقسمه
عيسى ثلاثة اثلاث لنفسه ولصاحبه ولآخذ الرغيف فاعترف
حينئذ انه اخذه فتركه عيسى المال وذهب فجاءه رجلان فارادا اخذه دراهم
وقتله فقال هو بيننا اثلاثا فرضوا ثم ارسلوا واحدا يشتري لهم طعاما
فسمه حتى يفوز بالمال واضمرا انهما يقتلانه ليفوزا بالمال فحين قدم
اليهما بالطعام قتلاه ثم اكلا الطعام فماتا فمر عيسى عليهم فقال
لاصحابه هكذا الدنيا تفعل باهلها فاحذروها ومما جاء في ذمها
من الآثار وهي كثيرة لا تحصى قول ابي الدرداء من هوان الدنيا على الله
تعالى ان لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقال ابو امامة
رضي الله تعالى عنه لما بعث صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا
قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال فما ابالي

ان لا يعبد الاوثان وانا اروح عليهم واغدو ا بثلاث اخذ المال
من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا
كله تبع وقال ابو سليمان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة فلا يجتمعا في
قلب وقال غيره بل يجتمعان لكن ايما غلب كان الحكم له وهذا اصح كما قاله
الغزالي وفي قوت القلوب والاحيا ان رجلا كان يخدم موسى فجعل يقول
حدثني موسى حدثني موسى حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل
يسال عنه فجئ له بخنزير وقيل له هو هذا فسال الله ان يرده الى حاله
ليساله مما اصابه ذلك فقال تعالى له يا موسى لو دعوتني بالذي دعا به
آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك بما صنعت به هذا لانه
كان يطلب الدنيا بالدين وقال علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة
اشيا مطعوم واشرفه العسل وهو مذقة ذباب ومشروب واشرفه الما
وفيه يستوي البر والفاجر وملبوس واشرفه الحرير وهو نسج دودة
ومركوب واشرفه الفرس وعليه تقتل الرجال ومنكوح واشرفه المراة
وهو مبال في مبال ومشموم واشرفه المسك وهو دم حيوان وفي رواية
عنه رضي الله عنه واشرف شرابه فيها رجيع نحله والجمهور على انه
من فمها كما في الرواية الاولى وقيل بعضهم الكوارش لاوسطان العسل
ينزل من السما فينبت في اماكن من الارض فياتي النحل فيشربه
ثم ياتي الخلية فيلقيه في الشمع المسلسلة لا كما يتوهمه بعض الناس
من ان العسل من فضلات الغذا فانه قد استحال في المعدة عسلا

بنت عبارته وعشاق ذلك لا يصاد اليه الا بخير معصوم والافلا يعول
عليه وقال الفضيل ابن عياض لو لم احاسب على الدنيا لتقذرتها
كالجيفة اي لانها مع ذلك مشغلة عن الله تعالى ومن مواعظ الحسن
البصري لامير المومنين الملحق بالخلفاء الراشدين عمر ابن عبد
العزيز رضي الله تعالى عنهم في التحذير عن الدنيا احذرها يا امير
المؤمنين فان لها في كل حين قتيل فتذل من اعزها وتفقر من جمعها
وهي كسم ياكله من لا يعرفه غدارة ختالة النفوس انها غاشية وهي لا
لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر
امانيها كاذبة واماالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم
فيها على خطر الخطر لو لم يخبر الخالق عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا
لكانت قد ايقظت النائم ونبهت الغافل وكيف وقد جا من الله تعالى
ابلغ زاجر عنها وواعظ ولقد عرضت على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصها ذلك عند الله جناح بعوضة فابى
ان يقبلها اذ كره ان يحب ما ابغضه خالقه ويرفع ما وضعه مليكه فزواها
عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها
المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم
حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل انه
قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته
واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت

يا امير المؤمنين اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم
عليهما السلام كان يقول ردائي الجوع وشعاري الخوف ولباسي
الصوف وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت
الارض ابيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على وجه الارض احد
اغنى مني وقال بعض الاكابر لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب
ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة
قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه
من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا واخذوا منها
ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا
من ادنى الطعام ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها
فانية والى الآخرة بانها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب
صبروا قليلا وتنعموا طويلا واخرج احمد في الزهد عن ابن عباس
قال لما بعث الله موسى وهرون الى فرعون قال لا يغرنكما لباسه
الذي البسته فان ناصيته بيدي فلا ينطق ولا يطرف الا باذني
ولا يغرنكما ما متع به من زهرة الدنيا بشيء يعرف فرعون ان
قدرته تعجز عن ذلك لفعلت وليس ذلك لهوانكما علي ولكن البستكما
نصيبكما من الكرامة على ان لا تنقصكما الدنيا شيئا واني لاذود
اوليائي عن الدنيا كما يذود الراعي ابله عن مبارك العروة واني
لاجنبهم اياها كما يجنب الراعي ابله عن مواقع الهلكة اريد ان انور
بذلك صدورهم واطهر بذلك

بذكر

دنوام

قلوبهم في سيماهم الذي يعرفون به وامرهم الذي يفتخرون به واعلم
ان من اخاف لي وليا فقد بارزني بالعداوة وانا راحم لاوليائي يوم القيمة
واخرج احمد وآخرون عن وهب ان من جملة ما قال الله تعالى لموسى
حين ارسله الى فرعون وجاهده بنفسك واخيك ولا يعجبكما زينته
ولا ما متع به ولا تمدا الى ذلك اعينكما فانها زهرة الحيوة الدنيا وزينة
المترفين واني لو شئت ازينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعون حين ينظر
اليها ان قدرته تعجز عن مثل ما اوتيتما فعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك
وازويه عنكما وكذلك افعل باوليائي فاني لاذودهم عن نعيمها ورخائها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة وما ذاك لهوانهم علي
ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ولا
يطغه الهوى واعلم انه لم يتزين لي العباد بزينة هي ابلغ فيما
عندي من الزهد في الدنيا فانه زينة المتقين وما احسن ما وقع
لبعض العارفين الزهاد ان ملكا احتبس ريح في بطنه حتى
اشرف على الهلاك فقال كل من يزيل عني هذا البلاء اعطيه ملكي كله
فسمعه ذلك العارف الزاهد فجاء ومسح بيده المباركة على بطنه
فخرجت منه ريح منتنة فعوفي الملك من ساعته فقال يا سيدي
اجلس على سرير الملك فانا عزلت نفسي وولّيتك فقال لا حاجة لي الى
متاع قيمته ضرطة منتنة ولكن انظر انت ايها الملك بهذا واعلم ان
ملكا يساوي ضرطة منتنة فلا تتعزز ولا تغتر به انتهى وبهذا نعلم

ان العافية نعمة لا قيمة لها ومن ثم روى البخاري في الادب والترمذي
وابن ماجة من اصبح منكم آمنا في سربه معافا في جسده وعنده
قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ويوافق تلك الحكاية
ان ابن السماك دخل على هرون الرشيد يوما فاستسقى فاتي بكوز
فلما اخذه قال له على رسلك يا امير المومنين لو منعت هذه الشربة
بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكي قال اشرب هنأك الله فلما شربها
قال اسالك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها قال
بجميع ملكي قال ان ملكا قيمته شربة ماء وبولة لجدير ان لا ينافس فيه فبكى
هرون **وقال الرشيد** لشيبان الراعي عظني قال لان تصحب من
يخوفك حتى يدركك الامن خير لك من ان تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف
فقال الرشيد فسر لي هذا قال من يقول لك انك مسؤل عن الرعية فاتق الله
انصح لك ممن يقول لك انتم اهل البيت مغفور لكم وانتم قرابة نبيكم صلى الله
عليه وسلم فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله حكاه ابن الجوزي وغيره
فايدة حكى ابن السبكي في طبقاته عن بعض الايمة انه طاف
بالبيت فخطر له طلب الدنيا ثم نام فسمع قايلا يقول وهو ينشد

اقسمت بالبيت العتيق وركنه ۞ والطايفين ومنزل الفرقان
ما العيش في المال الكثير وجمعه ۞ بل في الكفاف وصحة الابدان

وقال الامام اسماعيل ابن المقري طلبت من بعض اخواني شيا
من الدنيا فلم يكن عنده منها شي فتمنيت السعة ثم فكرت في الدنيا

وفتنتها

وفتنتها وما يحصل من الشح بعد حصولها فطلبت من الله تعالى عدمها
ثم تعارضت عندي هاتان الحالتان فبت متفكرا واذا انا اري
من يقول لي اسمع يا اسماعيل هذين البيتين

المال عون على التقوى فربتما ۞ شغلت عنها به فاقنع بما قسما
ثم اتق الله رزقك الا له بها ۞ من حيث لم تحتسب رزقا كما علما

تنبيه اعلم ان المراد بالدنيا المذمومة المامور باجتنابها
في هذه الاحاديث والآثار كل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة
ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة **نعم** ذلك كله ليس مذموما باطلاقه
بل هو اقسام ثلاثة **الاول** ما يبقى ثمرته بعد الموت وهو العلم والعمل
الخالصان اللذان ابتغت بهما وجه الله لا غير سوى علم الباطن وعلم الظاهر
وقد ياني العالم بالعلم والعابد بالعبادة حتى ينجر الى حين لذة ذكر كل
شهوة ولذة فلا يعد هذا من الدنيا المذمومة وان صار حظا عاجلا فيهما
وان سميا من الدنيا لاخذهما من الدنو وهو القرب بل هما من الآخرة
بل هي ليست غيرهما **الثاني** ما لا ثمرة له بعد الموت كالتلذذ
بالمعاصي والرعونات المباحة التي لا تقصد الآخرة بها وهي المشار اليها
بقوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الاية وهذا عين الدنيا
المذمومة **الثالث** ما فيه حظ من الطرفين وهو كل حظ عاجل يعين على
اعمال الآخرة ويقصد لاجلها كما لا بد منه في بقاء الانسان وصحته من ماكل
ومشرب وملبس ومسكن بقدر الحاجة يستعين بها على الصحة والتفرغ

للعلم والعمل النافعين فتنافر هذه الاشيا كلها بذلك القصد لا بعد به
من ابناء الدنيا المذمومة اصلا كيف وهي وصلة الى ما يبقى بعد الموت
ونعم نافعه غيره من صفا القلب وطهارته عن ادناس الدنيا وشهواتها
وانسه بالله تعالى لا داعية لذكره ومحبته له لغنائه عن غيره وهذه الثلاثة
هي الباقيات الصالحات على الحقيقة **وقول ابن عباس رضي الله عنهما**
انها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مراده ان مراد من هذه
ودوام مجمعها تخلق بغاياتها وهي تلك الصفات الثلاثة فتامل

والحاصل ان المعاصي والتلذذات والكف عن الشهوات
ان قصد بها الله وحده فعين الاخرة والا كان قصد بالفكر حصول علم
مذموم وبالذكر الاشتهار بالصلاح وبترك الشهوات حفظ المال
والاشتهار بالزهد فهي من الدنيا المذمومة ايضا وان نحو الاكل والزكاة
ان قصد به حظ النفس فهو من الدنيا المذمومة او التقوي على الطاعة
فهو من الاخرة وتامل قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو نعيم
والبيهقي بسند ضعيف من طلب الدنيا تكاثرا او تفاخرا لقي الله
وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه
جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فتعلم ان الكمال
والنقص تابعان للقصد وان الدنيا المذمومة هي كل حظ عاجل
لا تعلق له بالاخرة وهو المراد بالهوى في قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى وقد بين الله تعالى مجامع الهوى بقوله

انما

انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد وبين تعالى ايضا ان الاعيان التي تحصل بها هذه الخمسة
سبعة فقال عز وعلا زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب وقد عرفت مما قررنا
ان كل ما كان بطريق الوضع كالعلم والعمل الخالصين او القصد كما
قررنا هذه الامور بالنيات الصالحة ليس من الدنيا المذمومة وعلى هذا
التفصيل يحمل ما ورد في مدح الدنيا ومدحها نحو الدنيا مزرعة للاخرة
نعم الدنيا مزرعة لمن تزود منها لاخرته حتى يرضا ربه وبئست الدار
الدنيا لمن صدته عن آخرته وقصرت به عن ربه واذا قال العبد قبح الله
الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا للرب لا تسبوا الدنيا فنعم المطية للعبد
المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر يقول الله تعالى استقرضت عبدي
فلم يقرضني وشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وادهراه وادهراه وانا
الدهر اي خالق الدهر كما في رواية قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يقول يا خيبة
الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وذم
رجل الدنيا عند علي فقال علي كرم الله وجهه الدنيا دار صدق لمن صدقها
ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مهبط وحي الله ومصلى
ملائكته ومسجد انبيائه ومتجر اوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا
فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها واشبهت سرورها

السرور وبلاؤها البلاء ترغيبا وترهيبا اي ان سرورها يشبه سرور الآخرة
ترغيبا لطالبي الآخرة ليرغبوا فيها ويتركوا الدنيا وبلاؤها يشبه بلاء الآخرة
وعذابها ترهيبا للطاغين فيها المعرضين عن الله ومما ورد في المتاع المحمود
نعم العون على تقوى الله المال الدراهم والدنانير خواتيم الله في ارضه فمن جاء
بخاتم مولاه قضيت حاجته ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته
لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ولا تكونوا كلا
على الناس الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقد يكون للانسان
من الزوجات والاموال والاولاد ما لا يحصى وهو من اهل الآخرة وقد
لا يكون له شيء من ذلك وهو من اهل الدنيا المتعلق قلبه بطلبها لحظه
وشهوته كما هو اكثر الناس فتفطن لئلا تشتبه عليك الحالات والمقامات
ومدارها على المحبة والقصد فمن احب الآخرة فقط بان لم يأكل لقمة او
يخط خطوة الا بقصد صالح فليس من الدنيا في شيء ومن احب الدنيا فقط
فلا حظ له في الاسلام ومن احب الآخرة اكثر الحق بالاول في اصل الفضل
وعلامته ان لا يرتكب في تحصيل الدنيا محرما ومن احب الدنيا اكثر فهو
كالثاني في مطلق النقص ومن اعتدل فيه حبهما اعتدل كماله ونقصه فسمي
كاملا من وجه ناقصا من وجه ومما ينتظم في سلك ذلك ان من الناس
من هو ملك الدنيا والآخرة ومنهم ذو المال والولاية العادل وهؤلاء سعداء
ومن هو فقير الدنيا والآخرة وهو الفقير الصابر وهو السعيد ومن هو
فقير بهما وهو الفقير الكافر وهو الاخسر ومن هو فقير الآخرة فقط وهو

ذو المال

ذو المال والولاية المنافق والظالم وهو الخاسر ومما يشير الى ذلك
ما ورد انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه
ويصل رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل وعبد رزقه الله علما
ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان
فهو بنيته فاجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله
بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل رحمه ولا يعلم فيه حقا فهذا باخبث المنازل
وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان
فهو في نيته فوزرهما سواء ثانيهما البخل ومحبة المال واكثر ما يجد
مما يوقع في الشحناء والعداوة بين الناس لاسيما الاب والابن هذان
الامران الناشئان عن محبة الدنيا والاستيناس بها فلهذا اطلت
الكلام على هذه وساطيله على هذين لعل من طالعه وفهمه ان ينكف
عن هذه الاشياء الحقيرة ويرجع الى ما هو المتعين عليه من صلة الارحام
وترك الخصام والتساهل في جمع الحطام والرجوع الى الله تعالى عن قبائح
الاخلاق والآثام وذلك وان كان عزيزا الا انه يسير على من سهله الله
تعالى عليه واعلم انه ورد في ذم البخل ومحبة المال آيات واحاديث
كثيرة منها قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
وقال تعالى ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم
من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء

وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم والاحاديث
في ذلك كثيرة منها الحديث الصحيح ما ذئبان جائعان ارسلا
في غنم بافسد لها من حب المال والشرف لدين الرجل المسلم
وصح هلك المكثرون انهم الاخسرون فقال ابو ذر من هم يا رسول الله
قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا الى الا من انفقها
في وجوه الخيرات وصح يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك
الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
وجاء بسند جيد اخلاء ابن آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه
والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض
روحه ماله والذي يتبعه الى قبره اهله والذي يتبعه الى محشره عمله
ومثله حديث من اكرم الناس واكيسهم قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم
له استعدادا وصح خبر لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا
وصح نعم المال الصالح للمرء الصالح وصح اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا
وصح اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا وصح تعس
عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس في رواية واذا
شيك فلا انتقش وصح لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما
ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وصح عن ابي واقد الليثي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه فعلمنا مما اوحي اليه فجئت ذات يوم

فقال

فقال ان الله يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن
آدم واديا من ذهب لاحب ان يكون له الثاني ولو كان له الثاني لاحب ان يكون
اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على
من تاب وصح يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل وحب المال وصح طوبى
لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وفي رواية قد افلح من اسلم
ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وصح ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى
غنى النفس وصح الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن
يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وصح انه اعرابيا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واختصر واوجز فقال اذا
صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واقطع الياس
مما في ايدي الناس وصح انه صلى الله عليه وسلم بايع نفرا من اصحابه فقال من
جملة ما بايعهم عليه ولا تسألون الناس شيئا فكان احدهم يسقط سوطه
فلا يسأل ان يناوله اياه وصح ان الله يحب الرفق في الامور كلها وجاء بسند
حسن الاقتصاد اي التوسط في المعيشة وحسن السمت والتؤدة وروي
والهدي الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة ومثله التدبير نصف
المعيشة وصح عز المرء استغناؤه عن الناس وصح اذا نظر احدكم الى من
فضله الله تعالى عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل
عليه وصح اي الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وحسن الخلق وصح اياكم
والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالقطيعة فقطعوا

المتد بيوم

كان صح

وامرهم بالفجور ففجروا وصح اياكم والشح فانه دعا من قبلكم فسفكوا دماهم وعامد واستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وفي رواية ارحامهم وفي رواية اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وجاء بسند حسن لا يدخل الجنة بخيل ولا خب اي لئيم وهو بمعجمة مكسورة فموحدة ولا خاين ولا منان ولا سيء الملكة اي الذي يسوء عشرة مماليكه بغير حق وجاء بسند جيد شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وصح من سيدكم يا بني سلمة وفي رواية يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل وقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوأ من البخل ولكن سيدكم بشر ابن البراء وفي رواية عاتسود ونه قالوا الكن يا مالا وانا على ذلك لنزننه بالبخل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال عمرو بن الجموح وصح الولد مبخلة مجبنة محزنة اي انه حبه يودي اباه ان يبخل لاجله وان يجبن عن القتال خوفا عليه من يتمه وان يحزن اذا تذكر انقطاعه وحاجته بعد موته وصح ان فقرا المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة باربعين خريفا وفي رواية سندها حسن بخمسماية عام وفي رواية اخرى يدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا بخمسماية عام وجاء بسند ضعيف شرار امتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به ياكلون من الطعام الوانا وفي رواية غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم ومثله سيكون رجال من امتي ياكلون الوان الطعام ويشربون

الوان الشراب ويلبسون الوان الثياب يتشدقون في الكلام اولئك شرار امتي ومثله دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر ومثله كتب ابو الدردا الى سلمان يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تودي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجا بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفى به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجا بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفى به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله فيما زال كذلك حتى يدعوا بالويل والثبور ومثله منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنا والفقر والعدل في الرضا والغضب ومثله التدبير نصف المعيشة ومثله من اقتصد اغناه الله ومن ذكر الله احبه الله ومثله اذا اردت امرا فعليك بالتوده حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا واوصاني خليلي ان انظر الى من هو دوني ولا انظر الى من فوقي ومثله ان الله يبغض ثلاثا الشيخ الزاني والبخيل المنان والفقير المختال ومثله خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ومثله لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ومثله ايما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له ومثله قال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه اما انك اول من يدخل الجنة من اغنيا امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا وتصحيح الحاكم خبر يا ابن عوف انك من الاغنيا ولن تدخل الجنة الا زحفا معترض بان في سنده من ضعفه الجمهور وروى الطبراني والبيهقي وابن ابي حاتم والطبري وابن مردويه والباوردي وابن السكن وابن

جد بن قيس هذا منافق فقاله

اي بتيمه

ابو

امض فقد اديت حق الله فيها ثم يجا بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله معه اصل

الله

قصة مطلب لكثرة مال ثعلبة وكفر التي نافق بسببها

شاهين والعسكري وآخرون قال الحافظ السخاوي بسند ضعيف
جدا قصة كثرة مال ثعلبة ابن ابي حاتم التي نافق وكفر بسببها بعد
ان كان من مشاهير الصحابة وليس هو البدري بان هذا قتل باحد
واسمه ابن حاطب بدل ابي وحاصلها انه سأل رسول الله صلى
الله عليه ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تؤدي حقه او قال لا تطيقه فاعاد السؤال
فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله
اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت
فقال والذي بعثك بالحق نبيا لان دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي
حق حقه ولافعلن ولافعلن فقال اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت
الى ان ضاقت بها المدينة فتنحى بها فكان يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم
صلاة النهار فقط ثم نمت حتى انقطع عن الجماعة والجمعة فسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبر بحاله فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا ثم ارسل صلى الله عليه وسلم عاملين على جباية
الزكوات وقال مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فاتيا ثعلبة وقرآ عليه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السلمي
فاعطاهما خيار ماله ثم رجعا لثعلبة فقال هذه الجزية انطلقا حتى ارى رأيي
فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حين رآهما من بعيد يا ويح ثعلبة
فاخبراه بما صنع فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن

ولنكونن

ولنكونن من الصالحين الاية فاخبره قريب له بذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل صدقتك فجعل يحثو
التراب على وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني
فرجع فلما قبض صلى الله عليه وسلم جاء بها لابي بكر فلم يقبلها ثم لعمر فلم يقبلها ثم لعثمان
فلم يقبلها وهلك في زمنه فانظر طغيان المال وما يتولد عنه من الآفات اعاذنا
الله تعالى منها بمنه وكرمه امين ومن الاحاديث الواردة في فضل السخا
الحديث الصحيح سئل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال الصبر والسماحة
وحسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي
تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رضائي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني
جعلت فيهم سخطي وصححه الحاكم واعترض بانه ضعيف وصح ان الله كريم يحب الكريم
ويحب معالي الامور والاخلاق وفي رواية مرسلة ان الله جواد يحب الجواد ويحب
معالي الامور ويكره سفسافها وصح طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وصح
ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله
ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة
فيحييها ويحيي بها اهلها وصح كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله زاد ابو يعلى
والله يحب اغاثة اللهفان وروى الطبراني وغيره تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ
بيده كلما عثر وفي رواية اقيلوا السخي زلته ورواه ابن الجوزي في الموضوعات
والحق انه ضعيف ومثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل قال الله تعالى
هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم

فجعل

فعاله وجعله

وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه ومثله ما جبل الله وليا له الا علي السخا
وحسن الخلق ومثله خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما عز وجل
فاما اللذان يبغضهما عز وجل فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا
حوايج الناس اليه وفي رواية استعمله علي قضاء حوايج الناس ومثله
لكنه ضعيف جدا السخا شجرة في الجنة من كان سخيا اخذ بغصن من
اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتي يدخله الجنة والشح شجرة في النار
فمن كان بخيلا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار
ومثله الرزق وفي رواية الخير الى مطعم الطعام وفي رواية
الي البيت الذي يغشى وفي اخرى الي البيت الذي يوكل فيه
من السكين الي سنام البعير وان الله تعالي ليباهي بمطعم الطعام
الملايكة ومثله ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد
فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عز وجل عنه وحولها الي غيره
ومثله الجنة دار الاسخيا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ورد بان له طريقا اخر
ضعيفا ومثله من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك
المؤنة عرض تلك النعمة الي الزوال وقال بعض الحفاظ انه باطل وبعضهم منقطع
وابن عدي يروي من وجوه كلها محفوظه ومثله اصنع المعروف
الي من هو اهله والي من ليس اهله فان اصبت اهله وان لم تصب اهله
فانت من اهله ومثله ان بدلا امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام
ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين

اصنع

ومثله حديث جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس
ابن سعد ابن عبادة سيد الانصار فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركايب فحدثوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت
فوايد تتعلق بهذه الاحاديث الاولى منها في الجمع بين ما جا
في مدح المال وما جا في ذمه اعلم ان الله تعالى سمى المال خيرا في مواضع من كتابه
ومن حديث نعم المال الصالح وكما جا في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان
والحج ونحوها فهو ثنا على المال لانه وصلة البر وفي حديث عند البيهقي
وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثنا على المال ووجه الجمع ان المال
ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف في
يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا اخرى او كالحية في يد انسان فيها
سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفوس واذهب وكل ما هو ذو وجهين
كذلك لا يطلق مدحه على ما كان وصلة الى رضى الله تعالى وامتثال اوامره
فيه الواجبة والمندوبة وذمه على ضد ذلك وانما كثر ذمه لان الغالب انه
يطغي صاحبه ويوذيه ويعميه ويصمه ويحجزه عن فعل الخير فيه بل يتخذه كنزا
او يتوصل به الى ما يغضب الله تعالى عليه من التكبر به على الناس واستقامهم
واستذلالهم وقطع رحمهم وصلتهم والاعراض عن حاجاتهم ومواساتهم بل
كثيرا ما يكون لكثرة المال سببا لمزيدها حتى يأخذ اموال الناس بالمنكر والمحارم والحيل
والمكر والخديعة اخرى فتنبه يا من خول مالا ان يعطفك الى ان تصير كثعلبة
المانع المتقدمة قصته قريبا فراجعها واعتبر واستحضر ان صحبته للنبي

لعله يطغيه

صلى الله عليه وسلم ونسبه لم يعطه شيئا بل كان دعا النبي صلى الله عليه وسلم له
بكثرة المال عين الدعا عليه بالبوار والهلاك واذا لم يعطه شيئا فاولى انت
وابنك واحوالك فاستعذ بالله من شر المال وطغيانه وشدد على نفسك
ما قدرت ان لا ترفع عما امرها الله تعالى فيه فانها الهلاك من غير ان تشعر
وتقع في ورطة النقايص وعدم التدبير حفظنا الله واياك بمنه وكرمه
امين **وما احسن قول** علي كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها
فانها لا تفنى واذا ادبرت فانفق منها فانها لا تبقى واذا اردت جمع المال
فعليك ان تنوي به نية صالحة حتى يزول عنك عقابه ويكتب لك ثوابه
ويخفف عليك حسابه فقد سبق ان حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب
ومع ذلك ينبغي ان تجمل في الطلب لما مر في ذلك من الاحاديث المعلمة لك انه ليس
لك من الرزق والمال الا ما كتب انه يصل اليك وانك لو جهدت ما جهدت يصل
ما وصلت لغير ذلك ولو تركت الجهد ما تركت ما اخطاك ذلك والناس وان
امروا بالاكتساب بكل امر ومع ذلك ان يتحفظوا ما امكنهم من غوايلها وان امروا
وما تؤدي اليه لو تحمل عليه من الاستغراق فيها المودي الى ترك الواجبات فضلا
عن الكمالات فانتبه وتيقظ فانه لا احد محاسب عنك ولا انت معفول
عنك وكيف بك وانت تقول يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة اي من جميع الاقوال والافعال والاحوال من لدن تكليفك الى موتك
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وما يبعدك عن كل
صلاح دينوي واخروي ان تستاصل اخراج مواد الطمع من نفسك بلغ

و

وتستفرغ جهدك في ياسها من كل ما في ايدي الناس وعدم تطلعها اليه
بوجه وحينئذ تنتفي عنك غوايل القواطع لدينك والموانع لكمالك من
من الحسد والعداوة والبغضا والتكالب على الدنيا ومنازعة اهلها ومحاكاة
احوالهم والتطلع الى نعيمهم وغير ذلك مما لا يحتاج في التحذير عنه الى بيان
ولا في بيان قبحه وشومه ومنعه لكل خير وجلبه لكل محنة وضير الى اقامة
دليل او برهان فقد لمثلي الى العقول تلك الادلة والبراهين وكل الامثال
متوقف على فهم النفس وفطمها عن اخلاق الناقصين وفقنا الله تعالى لذلك
امين **الثانية** في اثار عن السلف توافق ما مر وضع علي كرم الله
وجهه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني ويوافقه
الحديث السابق ليس لك من مالك الى اخره **ولما** جا ام المؤمنين زينب
بنت جحش عطاها من عمر رضي الله تعالى عنهما قسمته في رحمها ثم دعت
ان لا تدرك عطاه الاتي فماتت قبله **والحاصل** لها على ذلك البعد
من اقتنا المال ودخوله في اليد ما امكن لان الكامل كلما ازداد كمالا
ازداد خوفه على نفسه **وقيل** لامير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنهما في مرض موته تركت لاولادك وهم ثلاثة عشر ليس لهم
درهم ولا دينار فقال لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما
ولدي احد رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يكافيه والله يتولى الصالحين
واما عاص لله فلا ابالي بما وقع **وقيل** لمحمد بن كعب القرظي وقد اصاب
مالا كثيرا لو ادخرته لولدك فقال ادخره لنفسي عند ربي وادخر

دنيّ لولدي وقال يحيى ابن معاذ مصيبتان لم تسمع الاولون والآخرون بمثلهما
مال الانسان عند موته يوخذ منه كله ويسئل عنه كله ودفع رجل الى الحسن بن علي
كرم الله وجهه رقعة فقال له قبل قراءتها قضيت حاجتك فقيل له كيف ولم
تقراها قال خشيت ان يسالني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا
رقعته وقال ليس السخي من يبذل ماله للطالب انما السخي من يبتدي باعطاء
حقوق الله تعالى في اهل طاعته غير طالب منهم ثناء او شكرا وكانه رضي الله تعالى
عنه انتزع هذا من قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
وكتب الى اخيه الحسين رضي الله تعالى عنهما يعيب عليه اعطاء الشعرا
فكتب اليه خير المال ما وقى العرض فتامل هذه الكلمة العظيمة القدر من
هذا الامام الجليل تعلم انه ينبغي للعاقل ان يقي عرضه ويصون مروته ان يخاصم
اجنبيا فضلا عن رحم فضلا عن اخ فضلا عن اب في شيء من الحطام الفاني
بل ينبغي له ان يحلم عليه ما امكنه ويسامحه ما قدر عليه لئلا تنخرم مروته
ويهتك عرضه وتشتهر مسبته على السنة الخاص والعام قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لما خلق الله تعالى جنة عدن امرها ان تتزين ثم قال وعزتي
لا اسكنك بخيلا وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما الشح اشد من البخل لان الشحيح
يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل يبخل بما في
يده وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا ارى ان اعدل بخيلا [illegible]
لان بخله يحمله على الاستقصا فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن ومن كان
هكذا لا يكون مامونا وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط

قال

قال تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال يحيى ابن معاذ لا يزداد
القلب للاسخيا الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلا الا بغضا ولو كانوا ابرارا
اي في صورة الابرار والا فلا بر مع البخل الثالثة في بيان حد البخل والسخا
اما البخل فاختلفت فيه عباراتهم والحق انه على قسمين شرعي وعرفي يجب
اعتقاد تعقلهما فحده شرعا ترك الواجب فكل من ادى الواجبات عليه
في ماله فليس بخيلا وان بلغ ماله من الكثرة ما بلغ ولو اشتهر امساكه وشحه عند
الناس ما اشتهر فلا عبرة بذلك لان الامور الشرعية لا تؤثر فيها الامور العرفية
وحده عرفا فعل كل معروف مما ندب اليه الشارع ومما يليق بالمروات المتعارفة
عند عقلاء الناس بالنسبة لحال المودي يسارا او غيره والمودى اليه قرابة وصلاحا
وحاجة وغيرها وعلى هذا القسم يحمل قول الغزالي لا يكون حد البخل ما به ترك الواجب
بل من يرد ما اشتراه لنحو حبة يعد بخيلا وكذا من عنده رغيف ياكله فحضر
من يظن انه يشاركه فاخفاه عنه ثم قال فالامساك حيث يجب البذل شرعا
او مروة كالمضايقة في محقر وذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص
والازمنة والامكنة بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير والشح اشر من البخل
كما علم مما مر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما واما الجود فاختلفت فيه عباراتهم
ايضا واصحها انه حالة محمودة متوسطة بين وجوب البذل ووجوب
الامساك وهي المشار اليها بقوله عز قائلا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا او بقوله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فهو ان يبذل ما فوق واجب البذل

الى ان لا يصير الى المبذر ويعتبر رفع ذلك في السخا وهو اشد الجود
ان يكون نفسه راضية بالبذل مطمئنة اليه غير ناظرة لمنة او ثنا او شكر
واكمل من ذلك اذا لا يعلق قلبه بالمال الا من الحيثية التي جرادتها المال شرعا
للصرف فيها فاعلم من التقرير **الرابعة في حكايات الاسخيا والبخلا**
منها جا عايشة رضي الله تعالى عنها من معاوية رضي الله تعالى عنه مايه الف
وثمانون الف درهم فقسمتها قبل الغروب ثم افطرت على خبز وزيت فقالت
لها جاريتها هلا اشتريت لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني
لفعلت واقبل رجل على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاخبر وجوه قريش انه
يغرمهم فجاوا اليه فاخبر الخبر فاشغلهم بالفاكهة ثم امر بطبخ وخبز فما فرغوا الا وا
طعمة بين يديه ثم قال لوكلائه اموجود كل ما اردت مثل هذا قالوا نعم قال
فلتعد هؤلاء في كل يوم وسال رجل الحسن ابن علي كرم الله وجهيهما فاطال
في الاعتذار اليه ليرضى بقبول ما عنده لقلته ثم حاسب وكلاءه عليه فاذا هو
خمسماية الف درهم وخمسماية دينار ثم قال لما بقي شي عنده اعطاه رداه ليبيعه
في كرا الحمال لهذا المال سال الحسن معاوية رضي الله عنهما في دين عليه فاعطاه ثمانين
الف دينار ومدح ابو هريرة بعض اكرما فقال لما مدحه ما عندي ما اعطيك
ولكن ادع علي بعشرة الاف واحبسني فان اهلي لا يتركوني فيصل فما امسى الا وهي
معه وقدم رجل الى معن ابن زايدة فلم يظفر به فكتب اذ علم انه في بستان على
خشبة يا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع
ثم ارسل الخشبة مع الما فظفر بها معن فطلبه واعطاه عشرة بدر وجعل
الخشبة

الخشبة تحت بساطه ثم اخرجها ثاني يوم واعطاه الفا ثم ثالث يوم ليعطيه ذلك
فلم يوجد فقال معن علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار
وخرج الحسنان وعبد الله ابن جعفر رضي الله تعالى عنهم حجاجا ففاتتهم اثقالهم
فجاعوا وعطشوا فمروا بخبا عجوز بها شاة فسالوها فسقتهم لبنها ثم ذبحتها لهم
فامروها اذا رجعوا ان تاتي اليهم فلم تجتمع بهم فدخلت المدينة فراها الحسن فعرفها
فاعطاها الف شاة والف دينار ثم ارسلها للحسين فاعطاها مثله ثم لعبد الله ابن
جعفر فاعطاها مثلهما وقال لو بدت لي لاتعبتهما فرجعت باربعة الاف شاة واربعة
الاف دينار ومر قرشي بغلام في الطريق فقال ادعو علي الدهر فقال الغلام
ادفع اليه ما بقي من النفقة فصب في حجره اربعة الاف درهم فبكى فقال لعلك
استقللتها فقال لا ولكن تذكرت ما تاكل الارض من كرمك واشترى بعضهم
دار انسان بسبعين الفا فسمع بكا اهله فوهبهم الدار والدراهم وكان دخل الليث
ابن سعد كل يوم الف دينار ومن ثم لما ارسل الرشيد لمالك ابن انس خمسماية
دينار ارسل اليه الليث الفا فعتبه الرشيد فقال يا امير المؤمنين مدخلي
كل يوم الف دينار واستحييت ان اعطي مثله اقل من مدخلي يوم وسالته
اعني الليث امراة قليل عسل فاكثر لها فقيل له فقال لتسال على قدرها
ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثماية
وستين مسكينا ومرضت شاة الاعمش التي ياكل اولاده لبنها
فكان بعض اصحابه ياتي اليه في صورة عايدها ويحط تحت فراشه شيا فما
شفيت حتى وصل اليه منه ثلاثماية دينار حتى قال الاعمش تمنيت ان الشاة

لم تبرأ وعرض قيس ابن سعد ابن عبادة رضي الله تعالى عنهما فاستبطأ
اخوانه عن عيادته فقيل له انك كل عليهم ديونا وانهم يستحيون منك فأمر
مناديا بابراءة كل من عليه حق وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ان الجود
لمن شيم اهل ذلك البيت وولد لفقير ولد فجاء الانسان يعتاد ان يجمع
للفقير الشيء به على جماعة فلم يعطوه شيئا فذهب لقبر بعض اصحابه
وشكى عليه حاله ثم اعطى الفقير نصف دينار قرضا ثم نام فرأى صاحب
القبر يقول له سمعت جميع ما قلت ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا
مكان الكانون يجدوا خمسمائة دينار اعطها لذلك الرجل فذهب لاولاده
واخبرهم فحفروا فوجدوها فقالوا له خذها فأبى فقالوا هو يستحي وهو ميت
ولا نستحي ونحن احياء فحملها الى المولود فاعطى نصف الدينار الذي له
قال بعضهم لا ادري اي هؤلاء اسخى وقيل لما مرض امامنا الشافعي رضي الله
تعالى عنه مرض موته اوصى بان فلانا يغسله فلما حضر امر باحضار تذكرته
فاذا فيها سبعون الف دينار على الشافعي رضي الله عنه فقضاها ذلك
الرجل وقال هذا غسلي اياه واخذ شخص بركاب الشافعي فامر ان
يعطى اربعة دنانير ويعتذر اليه وقدم من صنعا الى مكة بعشرة الاف
دينار فضرب خباه خارجها وجعل كل يوم من دخل عليه قبض له قبضة حتى
نفدت قبل ان يصلي الظهر وقال ابو ثور اراد الشافعي الخروج الى مكة
ومعه مال وكان قل ما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري
بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم عاد الينا فسألته

عن ذلك

عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها
وقد وقف اكثرها ولكنني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا
فيها وانشد لنفسه شعرا

اري نفسي تتوق الى امور ... يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

ووصل المامون عباد المهلبي بمائة الف فتصدق بها فلما عاد اليه
عاتبه فقال يا امير المومنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فاعطاه مائتي الف
وسأل رجل سعيد ابن العاص فامر له بمائة الف درهم فبكى فساله فقال ابكي على
الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى وروي انه كان لعثمان على
طلحة رضي الله تعالى عنهما خمسون الف درهم فلقيه فقال قد تهيا مالك فاقبضه
فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروءتك اي لانه في يوم واحد فرق في
قومه اربعمائة الف وبكى علي كرم الله وجهه فسئل فقال لم ياتني ضيف منذ
سبعة ايام اخاف ان يكون الله تعالى قد اهانني ومن حكايات البخلاء
ان بعضهم دعي لطعام لذيذ فاكثر منه حتى اغمي عليه فجيء له بالطبيب فقال
تقيئوا والا هلكت فقال لا ان هلكت وكان للاعمش جار يعزم عليه
مدة ليدخل عليه فلم يزده على كسرة وملح فجاء سائل والاعمش ياكل فقال له
هب والا خرجت اليك بالعصا وخرج بعضهم للخليفة فقالت له امرأته من اهله
ان جئت بالجائزة ما لي عليك فقال ان اعطيت مائة الف لك درهم فاعطي ستين
فاعطاها ثلثي درهم واشترى من الحمام بدرهم فدعاه صاحب له فرده

على القصاب تنقص دانق وقال اكره الاسراف واضاف بعضهم صديقا له
فمكث الى العصر فاشتد جوعه فجاء له بالعود فقال اي صوت تشتهي ان
اسمعك قال صوت المقلاة ومن عجيب بخل بعض فضلاء الشيعة ممن اعترف له
الجاحظ بالبراعة والتقدم في علوم الادب انه كان عنده جماعة فطال تعودهم
حتى كادوا يموتوا جوعا فطلبوا الغدا فاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ فتامله
فقال اين الراس يا غلام فقال رميت به فقال اني لامقت من يرمي برجله
فكيف براسه وذكر ما فيه من معاني لكونه رئيس الاعضا ويصرح منه وفيه
عرفه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل في الصفا فيقال شراب
كعين الديك فلم ير عظم اهشى تحت الاسنان منه ثم قال وما علمت انه من خير
طرف الجناح ومن العنق انظر الا اين هو فقال والله ما ادري اين رميت به
قال رميت به في بطنك قاتلك الله فائدة قال اسحق الموصلي
دخلت على الرشيد فانشدته هذه الابيات

اري الناس خلان الجواد ولا ارى ∴ بخيلا له في العالمين خليل
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ∴ فذلك شيء ما اليه سبيل
واني رايت البخل يزري باهله ∴ فاكرمت نفسي ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته ∴ اذا قال شيئا ان يكون ينيل
عطائي عطاء المكثرين تكرما ∴ ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف اخاف الفقر واحرم الغنى ∴ وراي امير المؤمنين جميل

فقال هرون لا كيف ان شاء الله تعالى يا فضل اعطه مائة الف درهم

لله در

لله در ابيات تاتينا بها ما اجود اصولها واحسن فصولها فقلت يا امير المؤمنين
كلامك احسن من شعري فقال يا فضل اعطه مائة الف اخرى خاتمة لهذا
المبحث فيها بسط مهم يتعلق بالفائدة الاولى اعلم انه ورد في مدح المال
وذمه احاديث مشكلة الظاهر يكثر السوال عن اسانيدها ومعانيها
منها قوله صلى الله عليه وسلم اللهم من آمن بي وصدقني وعلم
ان ما جئت به هو الحق من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك و
عجل له القضا ومن لم يومن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به هو
الحق من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه انس
رضي الله تعالى عنه بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان وكذا قال صلى الله
عليه وسلم لنهد قبيلة من اليمن اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها في الدثر وفجر له الثمد وبارك له في المال والولد اما الحديث الاول فاخرجه
ابن ماجة وائمة كثيرون حفاظ اخرون وسنده حسن كما قاله الحافظ السخاوي
وقول الداوردي المالكي ان حديث انس المتفق عليه الاتي يدل على بطلان
هذا الحديث اذ كيف يصح وهو صلى الله عليه وسلم يحض على النكاح والتماس
الولد ليس في محله لما ياتي من الجمع الواضح بين الحديثين وحضه صلى الله عليه وسلم
على ذلك لا يقتضي ان كلا من المال والولد ليس فتنة كيف وقد نص الله تعالى في كتابه
العزيز على ذلك في آيات كثيرة وسياتي ايضاح ما فيها من الفتنة وقول ابن عبد
البر ليس اسناد هذا الحديث بالقوي وغايته ما فيه ارساله ينجبر بشاهد
وهذا له شواهد منها ما اخرجه الطبراني باسناد حسن وجيد

نسخة الداوودي

مردود

وصححه ابن حبان بلفظ اللهم من آمن بك وشهد أني رسولك فحبب
إليه لقاءك وسهل عليه قضاءك وأقلل له من الدنيا ومن لم يؤمن بك
ولم يشهد أني رسولك فلا تحبب إليه لقاءك ولا تسهل عليه قضاءك وكثر له من
الدنيا وما أخرجه الطبراني أيضا بلفظ اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن
ما جئت به هو الحق فأقلل ماله وولده وعجل قبضه اللهم ومن لم يؤمن بي
ولم يصدقني ويعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل
عمره وما أخرجه الدينوري من أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني
فأكثر ماله وولده وما جاء بسند حسن عن نقادة الأسدي رضي الله تعالى عنه
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل يستمنحه ناقة ثم بعثني إلى
رجل آخر فأرسل إليه بناقة فلما أبصرها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم
بارك فيها وفيمن بعثها فقال نقادة فقلت يا رسول الله وفيمن جاء بها فقال وفيمن
جاء بها ثم أمر بها فحلبت فدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أكثر
مال فلان وولده للمانع الأول واجعل رزق فلان يوما بيوم للذي بعث
الناقة وروى الترمذي في جامعه وقال غريب قال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك قال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث
مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني
من السيل إلى منتهاه وروى أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي
الله تعالى عنه أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فقال اصبر يا أبا سعيد فإن الفقر إلى
من يحبني لأسرع من السيل من أعلى الوادي أو من أعلى الجبل إلى أسفله وروى البزار عن أنس

بلغ

قوله تجفافا أي

رضي الله تعالى عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أحبك فقال استعد
للفاقة والحاكم عن أبي ذر أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أحبكم أهل
البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله فقال الله قال فأعد للفقر تجفافا
فإن الفقر أسرع إلى من يحبنا من السيل من أعلى الأكمة إلى أسفلها وقال إنه على
شرطهما وفي الإحياء مرفوعا إذا أحب الله تعالى العبد ابتلاه فإذا أحبه الحب
البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وروى
ابن المبارك وغيره قيل لأبي الدرداء ما يجب لمن تحب قال الموت قيل فإن لم
يمت قال يقلل الله ماله وولده والدينوري أن عمار بن ياسر دعا على من كذب
عليه فقال إن كنت كذبت علي فأسأل الله أن لا يميتك حتى يوطأ عقبك
ويكثر مالك وولدك وفي رواية أنه وشي به إلى عمر فقال إن كنت كاذبا فأكثر
الله مالك وولدك وجعلك موطأ العقبين وشكى رجل إلى أبي الدرداء
أخاه فقال سينصرك الله عليه فوفد المشتكى منه إلى معاوية فأجازه بمائة
ألف دينار فقال أبو الدرداء للمشتكي هل علمت أن الله قد نصرك على أخيك وفد
على معاوية فأجازه بمائة ألف دينار وولد له غلام وفي الفردوس ومسنده لكن بلا
إسناد عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق
من أبغضني وأهل بيتي كثرة المال والعيال كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول
حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم وأخرج الدينوري عن ابن عمر رضي الله
تعالى عنهما أنه مر على رجل فسلم عليه فلما جاز قيل له إنه كافر فرجع إليه فقال
رد علي السلام فرد عليه فقال أكثر الله مالك وولدك ثم التفت فقال

هذا الكثر للجزية **وروي البخاري** في الادب المفرد عن عقبة
ابن عامر الجهني رضي الله عنه انه رد على من سلم عليه وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته فعلم انه نصراني فتبعه فقال ان رحمة الله وبركاته على
المؤمنين لكن اطال الله حياتك واكثر مالك وولدك وفي التنزيل ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان
كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين اي لولا ان تميل
الدنيا بالناس لتصير الخلق كفارا بعلمه ان الغالب على الناس حب العاجلة لاعطى
الله الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى منها لا يقال كيف دعا صلى الله عليه وسلم على
باغضه بكثرة المال والولد ونحن نشاهد كثيرا من الكفار لا مال له ولا ولد لانا
نقول انما قصد صلى الله عليه وسلم ان الغالب فيمن يكثر ماله وولده ان يغتر
بذلك واما الكافر الذي لا مال له ولا ولد فهو الذي خسر الدنيا والاخرة
ذلك هو الخسران المبين على انه صلى الله عليه وسلم دعا على جميع الكفار وتخلف
دعاؤه في غالبهم قالوا وسببه انه لم يرد بذلك اهلاكهم وانما اراد
ردعهم ليتوبوا وقد قالوا في عقرى حلقى وويل امه ولا ابا له وتربت يداه
وقاتله الله وذلك انها من الالفاظ التي اعتادت العرب اجراها على السنتهم
غير قاصدين بها موضوعها من الدعا وقيل يحتمل ارادة قوم مخصوصين في
زمنه او ان يفرق بين من عينه في الدعا ومن دخل في العموم لا سيما
بعد نزول قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم

فانهم ظالمون **وصح انه صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدعوا على احد** كان ص
او يدعو لاحد قنت بعد الركوع فربما قال اللهم العن فلانا وفلانا لاحيا
من العرب حتى نزل قوله ليس لك من الامر شيء الاية **قيل ويستانس بقوله** له ص
شيخ الاسلام ابن حجر في حديث ايما مؤمن سببته او لعنته فاجعل ذلك كفارة
له يوم القيمة ما لفظه يشمل ما وقع منه بطريق التعيين لغير معين حتى يتناول
من يدرك زمنه صلى الله عليه وسلم وقال ايضا في قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل فنا امتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون اذا استشكل بان
اكثر الامة انما يموتون بغير الطعن اجيب بانه يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم والمطاعون صح
دعا للامة بطريق التعميم فاستجاب الله في بعضهم فيكون من العام المخصوص
ويحتمل انه اراد بامتي طائفة مخصوصة فيكون من العام الذي اريد به
الخصوص وقريب من الاول دعاؤه صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بالمغفرة مع
انه ثبت بالادلة القطعية عند اهل السنة ان طائفة منهم يعذبون ويخرجون
من النار بالشفاعة ونحو ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم ان لا يهلك
امته بالغرق وان يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الارض ∴
واخبر صلى الله عليه وسلم انه اجيب الى اثنتين ومنع بعد فدل ذلك على ان
المراد بنفي ذلك في الامة نفيه عن الجميع وان وقوعه لبعضهم لا يقدح في صحة
الحديث بصلاحية اللفظ لارادة الكل والبعض وكذا يقال في حديث الطاعون
ونحوه اللفظ صالح للامرين فدل الواقع على ان المراد البعض كما دل في حديث
الغرق ونحوه على ان المراد الكل ثم ليس المراد بالكل جميع الامة بل اهل عصره ممن على

وجه الارض من الامة المحمدية التي هي امة الاجابة وهذا انما يقع بعد موت
عيسى نبي الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم وخروج الدابة حتى تقبض المومن
حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله وممن روى الحديث مسلم
ولفظه فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال
سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالت ربي ان لا يهلك
امتي بالسنة فاعطانيها وسالت ربي ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها
وسالت ربي ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وبهذا رد قول بعضهم
جميع دعوات الانبيا عليهم الصلوة والسلام مستجابة ويوافق ذلك
قول بعضهم في حديث لكل نبي دعوة مستجابة المراد مقطوع باجابتها وما
عداها من دعواتهم هم فيها بين الرجا والخوف ومن قال المراد دعوة عامة
مستجابة في امته بخلاف الخاصة منها ما يجاب ومنها ما لا يجاب قبل
وبالجملة فالمقام خطر واذا ورد في حق المسلم قوله صلى الله عليه وسلم ما من
رجل مسلم دعى الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه بها
احدى خصال ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما ان يؤخر الى الاخرة
واما ان يدفع عنه من السوء مثلها وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله
لعبد في الدعا حتى اذن له في الاجابة فكيف بالانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم واذا انتهى الكلام على هذا الحديث وتوابعه فالجمع بينه وبين
الدعا لانس رضي الله عنه بان الله تعالى يكثر ماله وولده علم مما مر ان
المال لا يطلق القول بمدحه ولا بذمه لانه يكون وصلة للخير ووصلة

للشر

مطلب دعوات الانبياء منها مستجاب ومنها ما هو بين الرجاء والخوف

مطلب الحديث ما اذن الله لعبد في الدعاء حتى اذن له في الاجابة فكيف بالانبياء صلاة الله وسلامه عليهم

للشر وكذا الولد فالمدعو به لانس هو الماخوذ من وجه حل المصروف في
الخيرات وهذا هو مراد من قال يحتمل ان يكون مع دعائه له ذلك قرينة مان
لا يناله من قبل ذلك ضرر لان المعنى في كراهية اجتماع كثرة المال والولد انما هو
لما يخشى في ذلك من الفتنة بهما والفتنة بهما لا يؤمن معها الهلكة انتهى والمذموم
ان يجيء صلى الله عليه وسلم هو الماخوذ من وجه حرام او المنفق في حرام او المكتنز
الذي لا يودي حق الله تعالى منه والمعنى الاول هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم
لا خير فيمن لم يحب المال ليصل به رحمه ويودي به عن امانته ويستغني به عن خلق
ربه اي لا خير فيمن يحبه لغير هذه الخصال وانما الخير فيمن يحبه لها ومن ثم قال ابن
المسيب لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي به دينه ويصل به رحمه ويكف به وجهه
واخرج احمد وابن منيع في مسنديهما عن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك في جيش يغنمك الله ويسلمك
فارغب لك منه المال الصالح رغبة يا عمرو نعما بالمال الصالح للمرء وفي لفظ عند مسلم
وغيره نعم المال للرجل الصالح وفي حديث عند الديلمي نعم العون على تقوى الله
المال واخرج الطبراني قيل يا رسول الله ما في امتك من سيد قال بلى رجل
اعطي مالا حلالا ورزق سماحة الحديث وصح ذهب اهل الدثور اي الاموال بالدرجات
العلى وفي اخره ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعلم ان الخير كل الخير في مال يملك
من حل ثم توفق للقيام فيه بجميع حقوق الله تعالى وحقوق العباد الواجبة
والمندوبة ولم يسلم بذلك ذرة من كبر او تفاخر او تعاظم على الغير وتعويل
على ما في يدك او انفاق في باطل وكم من غني متصف بذلك واكثر منه كثير من

من الانبيا الا ترى ما صح من قول نبينا صلى الله عليه وسلم ثناء على ايوب صلى الله عليه وسلم بينما ايوب عليه السلام يغتسل عريانا فخر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى ولكن لا غنى لي عن بركتك وفي لفظ من يشبع من رحمتك او قال من فضلك وكثير من الصحابة كعثمان وابن عوف وابن الزبير وطلحة الفياض رضي الله تعالى عنهم ومن الاولياء الصالحين والعلما العاملين ومما يدل على سعة مال ابن عوف ان ربع ثمن تركته ثمانون الف دينار وقيل اخذت كل واحدة ولكن اربع مائة الف درهم واوصى بخمسين الف دينار وبالف فرس في سبيل الله ولامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة الف ولمن بقي من اهل بدر لكل رجل اربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذ وها حتى عثمان مع غناه وذلك كله بعد صدقاته التي لا تنضبط في حياته لا سيما العتق حتى قيل ان جملة ما اعتقه ثلاثون الف عبد وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء يحتاج اليه فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها كل ذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له بالبركة وممن دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة فكان عنده غرائب الاموال المقداد رضي الله تعالى عنه وكذلك عروة ابن ابي الجعد فكان يقوم بمحل من الكوفة فما يرجع حتى يربح الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى ترابا ربح فيه وفي حديث عند ابن عبد البر من رزق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة مات والله عنه راض

مطلب سعة مال ابن عوف رضي الله تعالى عنه

وقال

وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لو كان عندي احد ذهبا اعلم عدده واخرج زكاته ما كرهت ذلك وما خشيت ان يضرني وجاء ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ترك سبعين الف درهم واعظم من ذلك كله ان خراج الارض حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين فاخذوه ووضعوها في مواضعها وما هم الا بمنزلة استواء الحجر والذهب عندهم ولنظرهم الى انهم خلفاء الله في تقسيم الارزاق كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا قاسم والله يعطي وكذا كان عمر رضي الله تعالى عنه يقول من اراد ان يسال عن المال فليأتنا فان الله جعلني خازنا وكان من السلف الصالح من يتجر بقصد القيام بمؤنة العلما والمحدثين كابن المبارك فانه كان يقول للفضيل لولا انت واصحابك اي السفيانان وابن عليه وابن السماك ما اتجرت وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة الف درهم فلما بلغه ان ابن عليه ولي القضا قطع صلته فكتب اليه قد كنت منتظر البرك فقطعته عني فارتيمني فاجابه بقوله شعرا

يا جاعل العلم له بازيا ⁂ يصطاد اموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها ⁂ بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعد ما ⁂ كنت دواء للمجانين
اين رواياتك فيما مضى ⁂ عن ابن عوف وابن سيرين
اين رواياتك في سردها ⁂ في ترك ابواب السلاطين
ان قلت اكرهت فذا باطل ⁂ زل حمار العلم في الطين

فلما وصلت اليه هذه الأبيات قام من مجلس قضائه الى الرشيد فقال
له الله الله ارحم شيبتي فاني لا اصبر على القضا فاعفاه فجهز له ابن المبارك
الصلة رضي الله تعالى عنهما وفي الحديث من كانت الآخرة همه جعل الله
غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله
فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له تنبيه
لم يقتصر صلى الله عليه وسلم في الدعا لانس وغيره على طلب الاكثار فقط بل ضم
الى طلب ذلك طلب البركة فيه المتضمنة منه صلى الله عليه وسلم طلب عدم الافتتان
به والركون اليه وادخار شيء منه عما يطلب صرفه فيه وكون الاموال والاولاد
فتنة اي فتنة منصوص عليه في القران في عدة آيات وكذا في الاحاديث
الالهية منها يقول الله عز وجل ابن ادم ما خلقت هذه الدنيا الا محنة
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف
تعملون وقال ان الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم وانهما مهلكاكم
فانظروا كيف تعملون وقال ايضا لكل امة فتنة وفتنة امتي المال وقال ايضا
ما ذئبان جائعان ارسلا في حظيرة غنم بافسد لها من حب المال والشرف
وقال عمر رضي الله تعالى عنه ما فتح الله الدينار والدرهم والذهب والفضة على قوم
الا سفكوا دماهم وقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لجرير رضي الله
تعالى عنه يا جرير اني احذرك الدنيا وحلاوة رضاعها ومرارة فطامها والمعنى
الثاني هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم ورب متخوض في مال الله عز وجل
ورسوله صلى الله عليه وسلم له النار يوم القيمة ومن قوله صلى الله عليه وسلم

لوكانت

لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء
وقوله ان الله يحمي عبده المؤمن كما يحمي احدكم مريضه الطعام
والشراب ومن بقية الاحاديث الواردة في ذم المال ومن جملة منها
والحاصل ان خيرية المال وشره ليست لذاته بل بحسب ما يتعلق به وقد
اشار صلى الله عليه وسلم الى الفرق بين المال المحمود والمال المذموم بقوله ان
المكثرين هم الاقلون يوم القيمة وفي رواية الاخسرون وفي
اخرى هلك المكثرون الا من قال بالمال هكذا وهكذا وحثى بين يديه وعن
يمينه وعن شماله وقليل ما هم ويوافق ما تقرر من الفرق ما في شفاء
القاضي عياض من ان صاحب المال معظم عند العامة لاعتقاد
ما يوصله به الى ما يريد والا فليس فضيلة في نفسه بل في صاحبه اهل
الدنيا ان انفقه في مهماته الدنيوية كالكرم للمدح والثنا وعند الكل ان انفقه في سبيل
البر ووجوه الخير لله تعالى والدار الاخرة فان امسكه عن الامرين كان نقيصة
لصاحبه لانه اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فهو
غير غني بالحقيقة ولا ممدوح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا وخازن
مال الغير قال وانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال
تجده قد اوتي خزاين الارض وجبيت له الاموال من كل جهة
من جزيرة العرب وما داناها من الشام والعراق ما لا يجبى للملوك
الا بعضه ثم ما استاثر بشيء ولا امسك منه درهما بل صرفه في مصارفه
واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا

دينار

يبيت عندي منه دينار الا ارصده لديني وقال ابن عبد البر وجملة
ان كل ما ورد في ذم المال ونقصه محله عند اهل العلم والفهم ان اكتسب
من حرام او انفق فيه او لم يؤد ما وجب عليه فيه حكم فهذا هو المال المذموم والكسب
المشوم واما اذا اكتسب بوجه حل وصرف في مصارفه الشرعية فهذا هو
المال المحمود الممدوح كاسبه ومنفقه لا خلاف بين العلما في ذلك ولا نجادل فيه
الا من جهل امر الله تعالى وقد اكثر الله سبحانه وتعالى الثنا في كتابه العزيز على
المنفقين لاموالهم في سبيل الخيرات وكذلك السنن الصحاح ناطقة بهذا
المعنى متواترة جدا وهو الثابت عن الصحابة والتابعين وفقها المسلمين
وقد قال ابو بكر لعائشة رضي الله تعالى عنهما ما احد من خلق الله تعالى احب الي غنا
بعدي منك ولا اعز علي فقرا بعدي منك واعلم ان الناس مختلفون فمنهم من
تصلحه الدنيا ويصلح عليها فلا يزداد بها الا فضلا وتواضعا كما يشاهد افراد
الناس وقد كان انس رضي الله عنه يقول اللهم اجعلني من عبادك الذين
لا يصلحهم الا الغنا وقيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما يقول اللهم
ارزقني مالا وفعالا فانه لا يصلح المال الا بالفعال والفعال الا بالمال اللهم
انه لا يصلحني القليل ولا اصلح عليه وقد مر ان قيسا هذا هو الذي قال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم ان الجود من شيمة اهل ذلك البيت وقال الحسنان
لابن عمهما عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم انك قد اسرفت في بذل
المال فقال بابي انتما وامي ان الله قد عودني ان يتفضل علي وعودته ان افضل
على عباده فاخاف ان اقطع العادة فيقطع عني ومنهم دني الاصل

ردي

ردي الطباع والنفس بما في يديه فهذا لا يصلحه المال ولا يصلح عليه وبين هذا
الاختلاف ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله ان من عبادي من لا
يصلح ايمانه الا بالغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح
ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك ومن هذا الباب حديث
الابرص والاقرع والاعمى الذين ابتلاهم الله تعالى بعد شدة فقرهم
في مجيء الملك اليهم يسالهم شيئا فابى الاولان واعطاه الاعمى وشكر نعمة الله تعالى عليه
فقال له الملك امسك فانما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك وجا
عن الحسن ان الرجل كان يدع المال الحلال وهو الى جنبه مع شدة جهده خشية
فساد قلبه وعمله فيتركه حتى يموت بجهده وروي انه صلى الله عليه وسلم كان
يقول اللهم اني اعوذ بك من غنا مبطر مطغ وفقر منس قيل وهذا يؤيد احاديث
ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا ونحوها من الاحاديث التي في التنفير عنها وصح
والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضا الا كان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن
اذا اصابته سرا شكر فكان خيرا له وان اصابته ضرا صبر فكان خيرا له وقيل
في قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه الاية فالمعنى انه ليس كل من كرمت عليه
الدنيا اكون قد اكرمته ولا كل من ضيقتها عليه اكون قد اهنته بل قد اوسعها على
اعدائي ابتلاء واستدراجا وقد اقدرها على اوليائي صيانة وحماية وحفظا اقدر
وفي الحديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم وارزاقكم وان الله يعطي الدنيا من احب
ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من احبه وقد يوسعها على اوليائه ويقدرها
على بعض اعدائه لكن الاغلب ما سبق ان المؤمن اذا ابتلي بالسرا شكر وبالضرا صبر

بخلاف غيره كما قال تعالى تدعوا اي النار من ادبر اي عن الحق فتقول الي
يا كافر يا فاسق وجمع فاوعى امسك في الوعا فلا يخرج شيئا منه
في جهة خير ان الانسان خلق هلوعا اي حصورا شحيحا من الهلع
وهو شدة الحرص وقلة الصبر وقال كثير من المفسرين الهلوع مفسر
بما بعده في الاية وهو انه اذا اصابه الفقر لا يصبر واذا اصابه الغنى
فتر وامسك الا المصلين الى اخره بين تعالى به ان شان الانسان الشح
والجزع الا من قهر نفسه على القيام بالواجبات البدنية والمالية فهم الذين
ان اعطوا اعطوا وشكروا وان منعوا صبروا وهولاء الذين قال الله فيهم
وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون اي امتحناهم بالنعم والمصائب
ليرجعوا الى رضانا في الحالين والفاجر ان اصيب جزع وان قدر ظلم
ومن الاجوبة عن دعائه صلى الله عليه وسلم لانس بكثرة المال والولد انه
ليس المراد كثرة ماله في البلد لاحتمال ان يريد ان يتجدد له كل يوم ما يكفيه و
ينفقه اولا فاولا ومن ثم روى احمد ان امه قالت للنبي صلى الله عليه وسلم وزار
عندها يا كل تمرا وسمنا خادمك انس ادع له وبشره انه ما ترك خير اخرة ولا
دنيا الا دعى له به وقال اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له فيه قال انس فانا
الانصار انسان اكثر مالا مني وذكر انس انه لا يملك ذهبا ولا فضة غير
خاتمه وحينئذ فلا ينافي هذا ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل
رزق ال محمد قوتا لان المخرج اذا كان بقدر المدخل الخبيث او يتخلف منه شي
فهو قوت بمعنى انه بقدر الكفاية وليس فيه زيادة عليها وصح قوله صلى الله عليه وسلم

من

بلغ

يا عائشة

يا عائشة ان اردت اللحوق بي فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنيا
ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه واخرج الترمذي وغيره ان اغبط اوليائي عندي
لمؤمن خفيف الحاذ اي الظهر كناية عن التجرد عن المال وغيره ذو حظ
من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار
اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته
قلت بواكيه قل تراثه وهكذا كان حال اكثر السلف وقد مر عن عائشة رض
انها جاءها مائة الف فتصدقت بها من يومها وهي صائمة ولم تترك لها منها
لحما بدرهم تتعشى به وكان للزبير رضي الله عنه الف مملوك يؤدون اليه
الخراج كل يوم فيخرج الكل ولا يدخل بيته منها درهما ومر انه يدخل
الليث في السنة ثمانون الف دينار وما لزمته زكاة قط لكونه كان
ينفقها اولا فاولا حتى كان يعطي الالف في مرة واحدة ومر ايضا ان
امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه قدم مرة من اليمن الى مكة ومعه عشرون
الف دينار فلم يصل الظهر حتى فرقها كلها وارسل اليه هرون مرة بخمسة الاف دينار
فاعطى شخصا حلق راسه خمسين دينارا ثم فرق الباقي في القرشيين ولم
يرجع الى بيته الا باقل من مائة دينار ومر في الحديث الصحيح يقول العبد
مالي مالي وانما له من ماله ما اكل فافنى او لبس فابلى او اعطى فامضى وما سوى
ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس ومن الاجوبة عن حديث انس ايضا
انه يحتمل ان الكثرة المدعو له بها في المواشي او الزرع او في الغرس لان ذلك
من اكثر اموال الانصار الذي قال رضي الله تعالى عنه وعنهم انه من اكثرهم مالا

تتخلقي

الرشيد

ويؤتيه ما امر عنه انه لا يملك ذهبا ولا فضة غير خاتمه وورد انه كان
له بستان يحمل في السنة مرتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك وروى
البخاري في الادب المفرد عنه انه قال ان امي لما قالت خويدمك
انس الا تدعو له قال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر له فدعى لي
بثلاث فدفنت مائة وثلاثين وان ثمرتي لتطعم في السنة مرتين وطالت
حياتي حتى استحييت من الناس وارجو المغفرة وجاء قيمه في ارضه فقال
يا ابا حمزة عطشت ارضك فخرج الى البرية ثم صلى ما قضى ثم دعا فثارت
سحابة فغشيت ارضه وامطرت حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف
فارسل بعض اهله فقال انظر ما ذا بلغت فاذا هي لم تعد ارضه ونظيره
قوله صلى الله عليه وسلم المروي في مسلم بينما رجل بفلاة سمع صوتا في سحابة
اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه في حرة فاذا شرجة
من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قائم في حديقته
يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ~~لم تسئلني عن اسمي~~ ما اسمك قال فلان
سمع م للاسم الذي في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسئلني عن اسمي فقال اني سمعت
صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها
قال اما اذ قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها واتصدق بثلثه واكل انا وعيالي
ثلثا وارد فيه ثلثا ولا يرد على ما سبق ان المال قد يكون خيرا كله وقد يكون شرا كله
وقد يكون خيرا من وجه وشرا من وجه لكراهة كثيرين له وان كان حلالا وذلك
لانهم خافوا من فتنته فانه قل من بسطت له الدنيا فسلم منها ولو لم يكن فيه الا

الا

الا الحساب عليه لما صح في الحديث انه لا يزول قدما صاحب المال يوم القيمة
حتى يسأل عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه ولذا جاء عن ابن عباس رض
مرفوعا يا ابن آدم ما تصنع بالدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب
وجاء ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة
عام وروى ابو نعيم عن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال بعث
النبي صلى الله عليه وسلم وانا تاجر فاردت ان تجتمع لي التجارة والعبادة
فلم يجتمعا فرفضت التجارة واقبلت على العبادة والذي نفس ابي الدرداء بيده
ما احب ان لي اليوم حانوتا على باب المسجد ولا تخطيني فيه صلاة اربح
فيه كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها كلها في سبيل الله عز وجل قيل له
يا ابا الدرداء وما تكره من ذلك قال شدة الحساب وعكس هذا قوم منهم سفيان
الثوري رض فانه كان يقول لان اخلف عشرة الاف درهم يحاسبني الله عليها
احب الي من ان احتاج الى الناس وكانه اخذ هذا من قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انك ان تذر ورثتك
اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وانك لن تنفق نفقة الا
اجرت عليها الحديث ومن قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك حين استشاره
في الخروج من ماله امسك عليك بعض مالك فهو خير لك وقال قيس بن عاصم لبنيه
حين حضرته الوفاة يا بني عليكم بالمال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم
وقال الثوري مرة لمن عاتبه في تقليب الدنانير دعنا عنك فانه لولا
هذه لتمندل بنا الناس تمندلا وقال مرة لولا هذه لتمندل بي بنو العباس

وجاء عنه ايضا المال في هذا الزمان سلاح المؤمن وجاء عن سفيان بن عيينة
رضي الله تعالى عنه من كان له مال فليصلحه وفي رواية عنه فليثمره وليكتسب
فانكم في زمان من احتاج فيه للناس كان اول من يبذل دينه قال الحافظ
السخاوي بعد ذكره ما مر وكان السفيانين رحمهما الله تعالى اشارا الى ما يروى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان آخر الزمان لابد للناس من الدراهم والدنانير
يقيم الرجل بها دينه ودنياه وبخبر يأتي على الناس زمان من لم يكن معه
اصفر ولا ابيض لم يتهن بالعيش والدنانير والدراهم خواتيم الله في ارضه
من جاء منها قضيت حاجته ومن لم يجئ بها لم تقض حاجته بل يروى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال انما يخشى المؤمن الفقر مخافة الآفات على دينه وكان
سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه يقول اللهم انك تعلم اني لم اجمع المال الا
لاصون به حسبي وديني وعن ابي الزناد وقيل له لم تحب الدراهم وهي تدنيك
من الدنيا فقال هي وان ادنتني منها فقد صانتني عنها وعن ابي قلابة انه قال
لا يضركم دنيا اذا شكرتموها الله وكان يقول لايوب السختياني يا ايوب
الزم سوقك فان الغنى من العافية وعن عبد الرحمن بن ابزى قال نعم
العون على الدين اليسار وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال يا معشر القراء
استبقوا الخيرات وابتغوا من فضل الله ولا تكونوا عيالا على الناس
وقال ابو الدرداء من فقه الرجل استصلاحه معيشته ولاجل ذلك كله
ذهب كثيرون من العلماء الى تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وبه
صرح الحديث المشهور السابق بعضه ذهب اهل الدثور بالدرجات العلا

ثالثها

ثالثها الغضب والحقد والحسد وهما اقبح نتايج الغضب فاحتيج
الى معرفة حقيقة كل من الثلاثة وقبحه وذمه ودوائه اعلم انما وقع
بين الاقارب من العداوة والبغضاء والتقاطع فانما ينشأ اولا عن محبة الدنيا
والبخل بها وثانيا عن الغضب لاجل فقدها المترتب عليه الحقد وثالثا
عن الحسد فيها فاحتجنا اولا الى بيان ذم الدنيا والبخل بها وما يتعلق بهما
لتخف مادة الغضب او تنعدم اذ لا تجد الغضب يقع غالبا الا من التزاحم على الدنيا
ومحبة الاستيثار بها والبخل بشيء منها ثم اذا وقع الغضب اثمر الحقد والحسد
وهما المهلكات المفسدات اذ اول ذنب عصي الله تعالى به الحسد والحقد لان ابليس
اللعين لما رأى ما انعم الله تعالى به على آدم صلى الله على نبينا وعليه وسلم حقد
عليه وابغضه ثم حسده حتى خالف امر ربه له بالسجود له فامتنع ولم يبال
ما حق عليه من العذاب الابدي واللعن السرمدي وغضب الله الاعظم
وعقابه الاكبر الافخم وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان
ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين ليستفزه نار الغضب الى ان تقوى فيه
بجلبه بما يتحلى به الشيطان حتى قال خلقتني من نار وخلقته من طين فقلب
الباطل حقا وافتخر بما هو عين النقص اذ الطين افضل العناصر واس فيها
لان من شانه الانبات والصلاح والانماش والحياة والثمرة الطيبة
والخضروات العجيبة المختلفة والرزانة والسكون ومن شان النار
الاستعار والخفة والطيش والاهلاك والاعدام فعلم ان الغضب ونتيجته
المذكورتين كل منهما يخرج الانسان عن حسن الاعتدال الى قبيح

الانحراف المؤدي الى عطبه وهلاكه فاشتدت الحاجة الى معرفتهما ونه
ليحذر الانسان وينفيه ويميطه عن قلبه الذي اذا صلح صلح الجسد كله واذا
فسد فسد الجسد كله فاما الغضب فقد روي في ذمه ما هو مشهور عند اكثر
الناس فلا يحتاج الى استقصا ما فيه لان العقول اجمعت على قبحه من حيث هو
ومع ذلك فلا باس بذكر شي من ذمه لتستحضر النفس بعد غفلتها عنه
فتنجلي عنه فمن ذلك قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ففي هذه الاية من قبح
ذم الغضب ومدح الرضا ما لا يخفى عظيم وقعه على من عنده ادنى تامل فلفظ
الحمية الماخوذ من الحمو المنبي عن شدة نار الغضب وعظم استعارها المؤدية الى
الهلاك لصاحبها وللمغضوب عليه ولاضافتها للجاهلية ولزوم الكفار عليها
المؤذن بان هذه الحمية الغضبية الجاهلية من شان الكفار دون المؤمنين
فمن قويت عليه واستحكمت فيه خرج عن كمال المؤمنين الى نقص الكافرين
واتصف بما هو لصيق ومختص بهم فتامل ذلك فانك لا تجد لنفسك رادع
عن غضبها من ذلك ثم ما ياتي بعضه ولفظ السكينة الماخوذ من السكون
والهدو المنبيين عن غاية الرضا والحلم والانعلم والاحسان والوصلة والرآفة
ولاضافتها الى الله تعالى ولانه المنزل لها في مقابلة اضافة الحمية للجاهلية وكونه
الذين كفروا هم الجاعلين لهذه الحمية الجاهلية الذميمة في قلوبهم وشتان
ما بين مضاف الى الله ومنزل من عنده ومضاف للجاهلية مجعول من الكافرين وهذه
الاشارة من هذه الاية الى اعظم قبح الغضب واعظم مدح ضده ظاهرة جلية

وان

وان لم يتنبهوا عليها فيما علمت ولو لم يكن من ذم الغضب ومدح ضده الا
هذه الاية لكفى فكيف وقد جاء في ذمهما لا يحصى كثرة منه وصح ان رجلا قال
يا رسول الله مرني واقلل قال لا تغضب فاعاد فقال لا تغضب وانه صلى
الله عليه وسلم قال ما تدعون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال فقال
ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وانه قال ليس الشديد بالصرعة
اي الذي يصرع غيره انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وان عايشة
غضبت فقال لها صلى الله عليه وسلم ما لك جاء شيطانك وجا بسند حسن ان ابن
عمر قال قل لي قولا واقلل لعلي اعقله قال لا تغضب فاعاد فاعاد عليه ذلك
واخذ منه ابن المبارك قوله لمن طلب منه ان يجمع له حسن الخلق في كلمة هو ترك
الغضب وانه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله وفي
رواية قال رجل اي شي اشد علي قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله
قال لا تغضب وان ابا الدردا قال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال
لا تغضب وجاء بسند ضعيف الغضب من النار وحديث ان الغضب من
الشيطان وان الشيطان خلق من النار وعن ذي القرنين جاءني ملك
من الملائكة فقال علمني علما ازدد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان
الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه
بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا
للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وجاء في اثر عن ابليس انه
قال اعظم ما يعينه على ان يلعب بالانسان لعب الصبي بالكرة اي الحدة

التي هي مبادى الغضب وكيف بالغضب نفسه وقال جعفر الصادق الغضب
مفتاح كل شر وقال حكيم راس الحمق الحدة وقايد الغضب والحلم
زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جواب
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه انظروا الى حلم الرجل عند غضبه
والى امانته عند طمعه وما علمكم بحلمه اذا لم يغضب ولا بامانته اذا لم يطمع
واغلظ قرشي على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فاطرق ثم قال اردت
ان يستفزني الشيطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا واذا علم ذم بعز السلطان
الغضب فحقيقته قوة في القلب خلقت من نار كامنة يغلي بها دمه لطلب
الانتقام ممن يوذيه اذا لحقه غرضه ثم قبل الوقوع يكون دفعا للموذي
وبعده يكون تشفيا من فاعله ولكون شان النار الارتفاع علت الى اعالي البدن
فاحمر منه الوجه والعينان وانتفخت الاوداج واضطرب البدن فلا يسكن
الا بالانتقام فان صدر الغضب على من يتعذر الانتقام منه تولد منه انقباض
الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب فاصفر اللون وفترت الاعضاء وصار
ذلك حزنا او على من يشك في الانتقام منه تردد الدم بين الانقباض والانبساط
فاحمر واضطرب وسكن اخرى ثم الناس في هذه القوة على ثلاث
مراتب اما تفريط بان تفقد او تضعف هذه القوة فتنعدم الغيرة
وتفقد الحمية لله وذلك مذموم واي مذموم لمنافاته للكمال بالكلية
ومن ثم قال الشافعي رضي الله تعالى عنه من استغضب ولم يغضب
فهو حمار ولولا الغضب لله لم يؤمر احد بجهاد ولا بامر بمعروف ونهي عن منكر

ودفع

ودفع صايل واعماء عين ناظر الى الحرام وحد وتعزير لمرتكب من يفعل ما يوجب ذلك
واما افراط بان تغلب هذه القوة حتى تخرج عن كمال سياسة العقل والدين
واختيار الاهتدى ليفوت نور البصيرة والفكر واليقين ويضطره [illegible] اضيق
مضايق الغدر والافتراس لكل من قرب منه حتى يصير كسبع ضار وكلب عقور
وهذا في الناس اكثر من الاول واما اعتدال وهو الامر الوسط بين تينك
المرتبتين بان ينتظر تلك القوة اشارة العقل والدين فينبعث لله حيث تجب الحمية
وتنطفي به حيث تحسن الحلم وحفظ هذه القوة على حد هذا الاعتدال هو الاستقامة
التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي جاء في الحديث المرسل عن البيهقي
خير الامور اوساطها فعلى من مال غضبه الى الضعف فاحس من نفسه
الخسة وضعف الغيرة واحتمال الذل والضيم في غير محله ان يعالج
الى ان ترتقي عن ذلك وعلى من افرط غضبه حتى جره الى التهور واقتحام
الفواحش ان يجاهد نفسه حتى يخف عنه سورة الغضب ويقرب
كالاعتدال الذي هو كالصراط المستقيم ولعزته وخفائه كان ادق من الشعرة
واحد من السيف واحذر ان يزين لك الشيطان انك عاجز عن الوسط
المذكور حتى تترك المجاهدة في الوصول اليه بل اعرض عنه قائلا له لئن لم
يكن ذلك فبعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض
ولا ينبغي لمن عجز عن الخير كله ان ياتي بالشر كله ومما يوبل ويبصر
عليه استحضار لقول الشاعر قالوا فلان يملو كل البلا بعد قوله

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا الاية وزعم من زعم ان الغضب
لا يمكن علاجه اصلا باطل فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا ولنفسه
وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله وصح عنه انه كان اذا خطب وذكر
الساعة غضب فيشتد غضبه حتى تحمر عيناه ويعلو صوته وكان مع
شدة غضبه لا يجاوز حد الاعتدال ولا يقول الا حقا ومن ثم روى ابو داود
عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما انه قال يا رسول الله اكتب عنك كلما قلت
في الغضب والرضى فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق
واشار الى لسانه وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انما انا وفي رواية
انما محمد بشر يرضى كما يرضى البشر ويغضب كما يغضب البشر وروى
ابو الشيخ كان يعرف رضاه وغضبه بوجهه وجا بسند حسن كان اذا غضب
وجده اكثر من مس لحيته وروى ابو داود والترمذي لا يبلغني احد منكم
عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر وجا
عنه ايضا صلى الله عليه وسلم ادوية لازالة الغضب منها التعوذ بالله من
الشيطان الرجيم متفق عليه والجلوس للقايم ثم الاضطجاع مع سند جيد وجا
بسند حسن الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه
وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض لان من اعظم
ادوية الغضب التواضع لله تعالى والخوف من انتقامه وروى البيهقي
ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه

فاذا وجد

فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم فان
لم يزل بذلك فليتوضا بالما البارد وليغتسل فان النار لا يطفئها الا الما وفي
حديث عن احمد وغيره اذا غضبت فاسكت ومما يزيل الغضب ايضا ان
يتفكر في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقد غضب عمر
رضي الله تعالى عنه على رجل وامر بضربه فقرئت عليه الاية فوقف وتدبرها
لانه كان وقافا عند كتاب الله كثير التدبر فيه ثم اطلقه وفي ان الله
اقدر على اهلاكه وتعذيبه من قدرته على المغضوب عليه وان غضب الله عليه
بسبب ذلك اعظم من غضبه هو وفي ان الشيطان هو الذي يحمله على الغضب
حتى يسخر ويلعب به لانه لا يضبط نفسه حينئذ وان يتامل ما جا في ثواب
فضايل كظم الغيظ قال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس الى ان الجنة اعدت
للمتقين الموصوفين بذلك واخرج الطبراني والبيهقي حديث من كف غضبه
كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله
عورته وجا بسند جيد اشدكم من ملك نفسه عند الغضب وابو داود ومن كظم
غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة امنا وايمانا وابن
ماجة ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغا وجه الله
وما جا في ثواب وفضايل الحلم وهو افضل من كظم الغيظ لان كظمه يحتاج لشدة
مجاهدة في اطفا ما اشتعل في قلبه من نار الغضب والحلم يمنع الاشتعال من اصله
وجا بسند ضعيف انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه
ومن يتوق الشر يوقه اطلبوا العلم واطلبوا معه السكينة والحلم لينوا لمن

ويستحضر
واللّه يحب المحسنين

ب

خ
معذرته

قلب
ت

تعلمون ولمن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم ان الرجل
المعلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك
الا اهل بيته وان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض الفاحش البذي الحديث
ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن من عمله تقوى تحجزه عن
معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس اذا جمع الخلائق
يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس يسير فينطلقون وهم م
سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقول ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا
ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا
الجنة فنعم اجر العاملين وروى ابو داود متصلا او مرسلا وقال البخاري لكن م
المرسل اصح ان ابا بكر انتصر ممن شتمه فقام صلى الله عليه وسلم من المجلس فقال
ابو بكر يا رسول الله شتمني فسكت فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك
فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان
واخرج الحاكم والبيهقي ابتغوا الرفعة عند الله تعالى قالوا وما هي قال
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم على من جهل عليك واخرج مسلم
يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون
علي واحلم عنهم فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان كما تقول فكانما تسفهم
المل الرماد الحار ولا يزال معك ظهير من الله ما دمت على ذلك واخرج
ابن المبارك ان ابن مسعود سمع لغوا فاعرض عنه فقال صلى الله عليه وسلم
اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلى حديث روانه واذا مروا باللغو مروا كراما

ومن ثم

ومن ثم قال مجاهد في الاية اي اذا اصفحوا او روى الشيخان لاشج
ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناة وما احسن قول علي كرم الله
وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك
وقال انس رضي الله عنه في قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الايتين هو الرجل
يشتمه اخاه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله
لي وشتم رجل علي ابن الحسين رضي الله تعالى عنهما فرمى عليه خميصة كانت عليه
وامر له بالف درهم فقيل جمع خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى
وتخليص الرجل مما يبعده من الله وحمله على الندم والتوبة وعوده الى المدح بعد الذم
وقال معاوية لم يساد قومه ثم سد ثم قال احلم على جاهلهم واعطي كنت م
سائلهم واسعى في حوائجهم وقيل الحلم ارفع من العقل لان الله تسمى به ولم
يتسم بالعقل ومر عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم بيهود فقالوا له شرا فقال
لهم خيرا فقيل له فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان لا يعرف الحليم
الا عند الغضب ولا الاخ الا عند الحاجة ولا الشجاع الا عند الحرب
تنبيه قال حجة الاسلام كل ظلم صدر من شخص لا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز
مقابلة غيبة بغيبة ولا سب بسب وكذا سائر المعاصي ثم نقل عن قوم انه يجوز
مقابلته بما لا يكذب فيه كقول من انت وهل انت الا من بني فلان ويا احمق اذ ان احد
لا يخلو عن حمق فيما بينه وبين ربه ويا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل ويا سيء
الخلق ويا صفيق الوجه يا سلاب الاعراض وكان ذلك فيه وكذا لو كان فيك حيا
ما تكلمت وما احقرك في عيني مما فعلت واخزاك الله وانتقم منك ثم استدل

بجواز ما ليس بكذب ولا فيه نسبة لحرام كزنا وسب ولا فحش لحديث
الشيخين ان امهات المؤمنين ارسلن فاطمة رضي الله عنها وعنهن الى
النبي صلى الله عليه وسلم العدل في عائشة فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم
قال فاحبي هذه فارسلن زينب بنت جحش وهي التي كانت تسامي عائشة في الحب
فجاءت وقالت بنت ابي بكر بنت ابي بكر فسكتت عائشة تنتظر الاذن لها
في الجواب قالت فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كلا انها بنت ابي بكر يعني انك لا تقاوميها في الكلام وقولها فسببتها
ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق واما الحقد
فقد مر انه من نتائج الغضب وبيانه ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي حالا
احتقن في القلب وحصل منه اشد البغضا والنفرة فيتمنى زوال النعمة ويسر
بمصيبته ويتشمت ببلائه ويديم هجره وان اقبل هو عليه ويتكلم فيه بما لا يحل
ويستهزئ به ويسخر منه ويمنعه حقه من صلة رحم ورد مظلمة وكل ذلك
حرام شديد التحريم **وتأمل** قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود تعلم
ان بين الايمان اي الكامل والحقد غاية المنافاة والبعد وانهما لا يجتمعان
فليحذر ان ينسلب منك اسم الايمان واسع في ازالة الحقد من اصله واقل
من درجاته ان يزول عنك نتايجه الذي ذكرناها بقولنا وحصل منه اشد البغضا
الى اخره واكمل من ذلك ان يعود حالك معه بعد الغضب الى مثل حالك معه قبل
الغضب بان لم تمنع عنه برا وبشاشة او مجالسة او مساعدة كان ذلك منك
قبل غضبك عليه وتأمل ما وقع للصديق رضي الله تعالى عنه مع قريبه

مسطح

مسطح رضي الله تعالى عنه كما رواه الشيخان فان مسطحا كان من جملة
من خاض في الافك مع كون الصديق يقوم به وينفق عليه لفقره ولم ينظر
لهذا الاحسان الواسع بل مشى مع من مشى في الافك ولم يراع حق القرابة
ولا حق احسان ابي بكر وانفاقه عليه ورفقه به ولا فضله الباهر على جميع
الصحابة بل ترك هذه الامور كلها نسيا منسيا وخاض في افك عائشة
الطاهرة المنزهة المبرأة مع من خاض ممن اكثرهم منافقون مارقون
من الدين فعند ذلك حلف ابو بكر رضي الله تعالى عنه انه ما بقي ينفق على مسطح
لما اضطره من كثرة ما فعله معه مسطح مما لا تحتمله الجبلة البشرية ومع
ذلك كله عتب الله تعالى على الصديق في حقه وامره بعوده الى فضله
وانفاقه عليه واشار له الى انه لا ينبغي لاهل الفضل ان يتركوا فضلهم وصلتهم
وان فعل معهم من القطيعة وسوء الادب والايذاء القبيح ما فعل فقال تعالى
عز قائلا ولا يأتل اي ولا يحلف اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله
لكم والله غفور رحيم **فتامل** هذه الاية وما اشتملت عليه من مدح
الصديق باعتبار تاديبه بهذا التاديب اللطيف وتسميته اهل الفضل والسعة
الظاهرة والباطنة في العلوم والمعارف ومن مدح مسطح وان جنايته لم تزل
فضله وقربه وهجرته الى الله ورسوله ومن امر ابي بكر بالعفو بالباطن والصفح
بالظاهر عن مسطح وان اتى ما اتى من تلك الجناية العظيمة **وفي** ملاطفة
ابي بكر الملاطفة العظيمة الدالة على عظيم قدره بقوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله
لكم فقال رضي الله تعالى عنه بلى احب ان يغفر الله لي واعاد الى مسطح نفقته

وتأمل ايضا قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم فان فيه الاشارة الى ان الانسان
من شانه انه طبع على الذنب والجناية والتقصير والنقص المقتضي لطلبه
المغفرة من الله تعالى له في كل احواله وان وصل من المراتب الرفيعة ما
وصل ولذا كان صلى الله عليه وسلم يستغفر في المجلس الواحد مائة مرة واذا
كان هذا من شان الانسان فينبغي له ان يعامل الناس معه بما يطلبه من ربه
تعالى فكما انه يجني ويطلب من ربه العفو فكذلك اذا جني عليه ينبغي العفو
العفو عن الجاني ليعفو الله عن جنايته جزاء وفاقا ومن تأمل ما اشتملت
عليه هذه الآية ووفق الى امتثال ما فيها من الاشارات والآداب التي اشرت
الى نزر يسير منها لم يبق في قلبه ادنى ذرة من حقد لاحد وان اوصل له
الاذاية والقطيعة ما اوصله فتيقظ لذلك واستحضره واسأل الله التوفيق
للعمل فان فيه من الخير والبركة وعموم النفع والهداية والارشاد ما لا يحصى بل
ينبغي للانسان ان يزيد في الاحسان الى مؤذيه وقاطعه مجاهدة لنفسه
وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال
المقربين وهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي
الرحم الكاشح اي العدو ولان فيه زيادة في الصلة والاحسان وكسر النفس
ومنعها عن حظوظها والحاصل ان من استوفى حقه من غير زيادة
ولا نقص فقد سلك طريق العدل ومن زاد بالاحسان بالعفو والصلة
فقد سلك طريق الفضل وهو اختيار الصديقين واما من استوفى
ما لا يستحق فهو الجور وهو اختيار الاراذل الاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

ومما يخفف عنك الحسد او يزيله ان تتعقل او تتذكر وتلاحظ
بقلبك ان الله تعالى عالم باحوال الخلق حكيم فيما يعطيهم
قادر على ان يجعل الغني فقيرا والفقير غنيا منزه عن العجز والسهو
والنسيان وخلف الوعد خزائنه ملأى فما امسكه منها عن خلقه فلحكمة
وما اعطاهم منها فلحكمة فاحذر ان تتهم الحكيم فان ذلك ربما سلخك عن
الايمان بالكلية واردك الى اقبح دركات الخذلان الردية ولو تأملت
ما انعم الله به عليك مما غيرك يحسدك فيه ايضا لتبت عن الحسد مطلقا
جاء فقير الى عارف يشكو فقره فقال يا هذا عندك جواهر ثمينة وتشكو
الفقر فقال لا والله فقال بع عينك بكذا وسمعك بكذا ونطقك بكذا وعقلك بكذا
فقال لا والله اضعاف ذلك فقال اذا انت بفقير واستيقظ الفقير
واستغفر وجاء آخر الى عارف يشكو كثرة عياله فقال ايتني بمن لم
يكتب اسمه منهم في ديوان الرزق وانا اقوم به عنك فانتبه ورضي وجاء آخر
لعارف يطلب منه دعوة ان الله يزيل فقره فقال لا اقدر على دعاء
مخالف لما استجاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال
اللهم من آمن بك ويشهد اني رسولك فحبب اليه لقاءك وسهل عليه قضاءك
واقلل له من الدنيا ومن لم يؤمن بك ولا يشهد اني رسولك فلا تحبب اليه لقاءك
ولا تسهل عليه قضاءك واكثر له من الدنيا وسبق هذا الحديث وما يتعلق به
مبسوطا ومر عمر برجل مبتلى اجذم اعمى اصم ابكم فقال لمن معه هل ترون على
هذا من نعم الله تعالى شيئا قالوا لا قال بلى الا ترونه يبول ولا يعصر ولا يلتوي

بل يخرج بوله سهلا فهذه نعمة من الله عز وجل ومر عيسى صلى الله على نبينا وعليه
وسلم برجل اعمى مقعد مجذوم قطعه الجذام السما من فوقه والوادي من تحته
والثلج عن يمينه والبرد عن يساره وهو يقول الحمد لله رب العالمين ثلاثا فقال له عيسى
يا عبد الله على ما تحمد وانت في هذا الحال فقال احمد الله الذي لم اكن الساعة ممن
يقول انك الها وثالث ثلاثة واعلم ان تفاصيل النعم على العبد لا يمكن عدها
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانما الذي يمكن ملاحظتها اجمالا وقد قيل لو
اردت ان تشكر على نعمة النفس وحده لما احصيت شكرها اذ جملة الانفاس
في اليوم والليلة اربعة وعشرون الفا وكل منها يقتضي شكرين مستقلين اذ لو لم
يخرج لهلك ولو لم يدخل لهلك فكيف لو تاملت نعمة الوجود ثم النعمة البينة
ثم الانسانية ثم نعمة العقل ثم نعمة الاسلام ثم نعمة العافية فهذه جلايل
النعم فلو اردت شكر واحدة منها لم تطقه فدم على الشكر فانك اذا لا تحسد احدا
قط اذ لا يقع الحسد الا من قلب ساه غافل عن الله تعالى وصفاته واياته
عدم عقله ولبه ورضي الشيطان وسبيله حتى لم يؤثر فيه وعظ واعظ ولا زجر زاجر فهو
من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا خرج صالح للمسجد فراى مشركا ذاهبا الى معبدهم فوقف طويلا
ثم ذهب الى المسجد فقال له خادمه ما هذه الوقفة قال الكافر قال في اي سبب
وجهني للمسجد والمشرك الى الكنيسة فما وجدته الا محض الاراده والفضل على والعدل
عليه فتاملا اي الحاسد واخش سطوة الفعال لما يريد اذ ورد ان المرصاد
ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة الحديث فضايل العفو اعلم ان العفو اخص من الحلم
وكظم

وكظم الغيظ لانه يزيد عليهما اذ هو اسقاط الحق والابرا منه كان قودا
او غرامة ولاجل زيادة فضله قال تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقد مدح على المقامين لعلك اعلاما بذكره
وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا
ولا عفى رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله تعالى عزا يوم القيمة
ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله تعالى عليه باب فقر وصح والله يحب العفو
العفو وجاء بسند ضعيف التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد
المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله ومثله انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عقبة
فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ومثله قال صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي
عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفى ومثله لما فتح صلى الله عليه وسلم مكة
طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة واخذ بعضادتي الباب فقال اما تقولون
ما تظنون فقالوا ابن اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم
اقول كما قال يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فخرجوا كانما نشروا من
القبور ومثله اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل
الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا
وكذا الف يدخلونها بغير حساب ومثله ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل
من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا

وقراءته دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفى عن قاتله اي عمن جنى عليه فان ابا بكر واحد لهن يا رسول الله قال او احداهن وقال ابراهيم التيمي ان العبد ليظلمني فارحمه اي بالعفو لخشيتي عليه ان الله سائله فلا يجد له جوابا ووقع مظلوم في ظالمه بحضرة عمر بن عبد العزيز فقال انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقى الله وقد انتقصتها وقال مسلم بن يسار للداعي على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان حقيق ان لا يفعل وامر ابو جعفر المنصور بقتل رجل وعنده سوار بن عبد الله ومبارك بن فضالة فقال مبارك حدثنا الحسن انه قال اذا جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد من له يد عند الله تبارك وتعالى فليقم فلا يقوم الا من عفى فقال والله سمعته منه فقال خلينا عنه

فضايل الرفق واللين

اعلم ان مما يلحق بالعفو الرفق في الامور ولين الجانب اذ هو محمود اي محمود ويضاده العنف والحدة المنتجان عن الغضب والفظاظة كما ان الرفق واللين نتيجتان لحسن الخلق والسلامة وقد تتولد الحدة عن غير الغضب من شدة الحرص واستيلائه بحيث يدهش الفكر ويمنع التثبت في الامور وقد بالغ صلى الله عليه وسلم في الثناء على الرفق ففي الصحيحين يا عايشة ان الله يحب الرفق في الامر كله وعند احمد وغيره يا عايشة من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وروى ايضا اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وروى الطبراني ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا

عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا ومسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على الخرق وابو داود يا عايشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق ومسلم من يحرم الرفق يحرم الخير زاد ابو داود يحرم الخير كله والترمذي تحرم النار على كل هين لين سهل قريب والطبراني والبيهقي الرفق يمن والخرق شوم وابو يعلى التاني من الله والعجلة من الشيطان وابن المبارك مع ارساله وشدة ضعفه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت متوص مرتين او ثلاثا فقال نعم فقال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته ان كان رشدا فاصنعه وان كان سوى ذلك فانته ولانه الحكيم اذا همت كان جلس فتدبر عاقبته وروى مسلم يا عايشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه وفي حديث ضعيف العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده وارسل عمرو بن العاص الى معاوية رضي الله عنهما يعاتبه في التاني فكتب اليه اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لم ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لم ينفعه التجارب لا يدرك المعالي واعلم ان الرفق ليس محمودا في كل الاحوال قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده الحديث وانما المحمود الوسط المعتدل بين اللين

والعنف كسائر الاخلاق لكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل احتيج
الى الترغيب في جانب الرفق واللين اكثر فلذلك كثر ثناؤه صلى الله عليه وسلم
وسائر العلماء بعده على الرفق واللين دون الحدة والغضب **والحاصل**
ان الرفق محمود ومفيد في اكثر الاحوال وان الحاجة قد تقع الى العنف ولكنها
النادرة منها الى الرفق وان الكامل من ميز مراتب الرفق من مراتب العنف
فيعطي كل منهما حقه ولا يتم ذلك الا بمراعاة ميزان الشرع المستقيم والاخلاق
النبوية التي قال تعالى لنبيه بسببها وانك لعلى خلق عظيم **واما الحسد**
فيستدعي الكلام عليه بيان ذمه وحقيقته واسبابه **وعلاجه**
الاول انه من نتايج الحقد وان الحقد من نتايج الغضب وقد اوضحت
هذه الثلاثة وما يتعلق بها وبسطت الكلام عليها بما لا يستغنى عنه فيما جمعته
في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر والمذكور هنا انما هو قطرة من بحر
فمن ذلك روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال لا تحاسدوا ولا تقاطعوا
ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا واحمد عن انس
رضي الله تعالى عنه قال كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل الجنة فطلع رجل من
الانصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما
كان بالغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك القول فطلع ذلك الرجل وقاله
في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله
بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه **ثلاثا**
فان

فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت قال نعم فبات عنده ثلاث الليالي
فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم
يقم حتى يقوم لصلاة الفجر غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت وكدت
ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكن
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك
فلم تعمل كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد في نفسي
على احد من المسلمين غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي
بلغت بك وهي التي لا نطيق **والطبراني** ثلاث لا ينجو منهن احد الظن
والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا
تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ **وفي رواية** قل من ينجو منهن
والترمذي دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا اقول
حالقة الشعر لكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا
ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم والبيهقي
وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر والطبراني كادت الحاجة
ان تكون كفرا والطبراني باسناد جيد انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم
قال الاشر والبطر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج
اي القتل والترمذي وقال حسن غريب لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك
والبزار لا تفتح الدنيا على احد الا القى الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
والشيخان ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا الحديث ومسلم

اذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون **والطبراني** بسند ضعيف استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود والطبراني ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم وفي حديث عن الديلمي بسند ضعيف ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة وذكر العلما بالحسد والتجار بالخيانة **وعن** نبي الله زكريا صلى الله على نبينا وعليه وسلم قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي ساخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي **واختلف** السلف في اول ذنب عصي الله تعالى به فقيل الحسد لان ابليس ترك السجود لادم حسدا له وقيل الكبر لانه تركه تكبرا عليه والاية نص في الثاني ومع ذلك لا مانع من انه حسده ثم تكبر عليه فالحسد دخل في سائر ما حصل للعين من المقت واللعن والطرد والكفر ودوام العذاب واليم الحجاب فاحذر من الحسد وغوايله وشومه ورذايله لئلا يصيبك منه ما اصاب اللعين والعياذ بالله تعالى ان تكون من الجاهلين **او ما اصاب** قابيل حين قتل اخاه هابيل حسدا له على ان تقبل الله منه قربانه دونه وعلى ان رزقه زوجة حسنة ورزق قابيل زوجة ليست كذلك فاداه حسده على ذلك الى ان اباح دمه وهتك حرمته وعصى ربه فاصبح من الخاسرين وقال له اخوه حين اراد قتله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين **وكان** رجل يقف بحذاء ملك ينادي احسن الى المحسن باحسانه والمسيء ستكفيه اساءته فحسده رجل فقال للملك انه يقول انك ابخر

فقال

فقال له انظر في امره فتعلم ان الملك سيدعوه فيسأله فعزم عليه واطعمه ثوما فدعاه الملك ليحدثه فوضع يده على فيه وانفه خشية ان يتاذى منه الملك فظن انه انما وضعها للبخر فصدق فيه وكتب لعامله اذا جاءك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واملا جلده تبنا وارسل به الي فخرج بالكتاب فلقيه صاحبه فاخبره بالانعام للملك عليه فسأله ان ينعم عليه به فاعطاه الكتاب فذهب به لمن هو باسمه فقال ليس فيه قتلك فقال ما هو لي راجع الملك فقال لكتاب الملك مراجعة فذبحه وارسل به فجاء الرجل ينادي كعادته فتعجب الملك فقال له الملك انه قال انك تقول لي اني ابخر قال ما قلت قال فلم وضعت يدك على فمك وانفك قال اطعمني طعاما فيه ثوم قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء اساءته **وقال ابن سيرين** ما حسدت احدا على دنيا لانه ان كان من اهل الجنة فامامه اعظم واجل او من اهل النار فكيف احسده على الدنيا وهو يصير الى النار وقال معاوية رضي الله تعالى عنه كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها **وقال** بعضهم ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه **التنبيه** حقيقته ان تحب زوال النعمة عن اخيك من حيث كونها نعمة وانتقالها اليك وخرج بقولنا من حيث كونها نعمة ما لو احببت زوالها من حيث كونها الة فساد كنعمة فاجر يستعين بها على ايذاء الخلق فلا يضرك محبتك لزوالها من هذه الحيثية ووجه تحريم الحسد المجمع عليه بل هو كبيرة لما فيه من الوعيد الشديد في الكتاب والسنة ان فيه تسخطا بقضاء الله تعالى وقسمته

وفيه ايضا نسبة الله تعالى الى الجور وعدم العدل تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وهذا يؤدي كثيرا الى الكفر والعياذ بالله تعالى وخرج بما ذكر في
الحد ما لو احببت زوالها عنه وكرهت بقاها له من جهة تنعمه بها فلا يسمى
حسدا بل عداوة وهي مذمومة كالحسد **وهذه** المحبة تسمى شماتة وما
لم تحب زوالها عنه وانما احببت ان يحصل لك عينها بل يكون مطلوبك
هي لا زوالها عنه ومكروهك فقدها لا تنعم غيرك بها وهذا مذموم ايضا
اما اذا احببت ان يحصل لك مثلها مع بقائها له فلا يسمى ذلك حسدا
حقيقة بل غبطة وقد يطلق عليه اسم الحسد تجوزا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح لا حسد اي لا غبطة محمودة الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا
فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه **واخرج**
ابن ماجه حديث مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل مثله صح
بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول ربي لو ان لي مال
فلان لكنت اعمل فيه مثل عمله فهو في الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق
في معاصي الله تعالى ورجل لم يؤته مالا فيقول لو ان لي مال فلان
لكنت اعمل فيه مثل عمله فهما في الوزر سواء **ثم هذه** الغبطة قد تجب كان
راى من انعم عليه بفعل الواجبات فيجب عليه ان يحب كونه مثله والا كان راضيا
بالمعصية والرضا بها حرام وقد تندب كان راى من انعم عليه بالفضائل كانفاق
العلوم او الاموال في الخيرات فيندب ان يحب كونه مثله وقد يباح فيما
عدا ذلك من المباحات **وهنا دقيقة** يغفل عنها اكثر الناس وهي ان الانسان
قل ان ينفك عن ان يرى آخر فوقه في نعمة وذلك الرائي آيس من حصول
مثلها

مثلها او بالعكس وذلك ان الانسان يكره تخلفه عن غيره ويحب زوال ما به تخلفه
عنه وهو تلك النعمة فيكاد القلب ان لا ينفك عن محبة ذلك وشهوة زوال النعمة التي
يزول بها تخلفه لكن يغلب تقواه ويقوي ايمانه ويزداد ضعفا نفسه وطهارة قصد
نفسه ويمنعها عن اصرارها عليه فهذا معفو عنه كما يرشد اليه الحديث السابق
ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن وله منهن مخرج ثم قال واذا حسدت فلا تبغ اي لا تقدم
على بغيك وحسدك بل ارجع عنه وانته عن استرسال نفسك فيه وتارة يسترسل
معها حتى يصير الى حالة لو فوض اليه سلب نعمة المسلم لاعنه فهذا من انواع الحسد
المذموم فعليه التخلي عنه بكل طريق امكنه والله تعالى المعين على ذلك **تنبيه**
قد يشكل على ما مر في الغبطة قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس في الآية قال لا يتمنى الرجل فيقول ليت ان
لي مال فلان واهله فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك ولكن يسال الله تعالى
من فضله **واخرج** ابن جرير عن الحسن قال لا تمنى مال فلان ولا مال فلان
وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال **واخرج** عبد بن حميد وابن جرير وابن
المنذر عن محمد بن سيرين انه كان اذا سمع الرجل يتمنى في الدنيا قال قد نهاكم الله
عن هذا لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ودلكم على خير منه واسألوا
الله من فضله **واخرج** عن مجاهد في واسألوا الله من فضله قال ليس
لعرض الدنيا والجواب ان هذه الآية لا تنافي ما مر لانها في تمني نعمة الغير بعينها
والذي سبق مدحه انما هو تمني مثلها مع بقائها لصاحبها فتامل **الثالث**
اسبابه كثيرة منها العداوة والبغضاء وهي اشد اسبابه ومنها ان يخاف بسبب انه

نعمة يستند له ويتكبر عليه لاسيما ان كان المحسود حقيرا عنده ومنها ان يخاف
ان نعمة المحسود تفوت مقاصد الحاسد كوجاهته عند الناس وغير ذلك ومنها
محبة الانفراد وعدم النظير الرابع مما ينبغي ان تعالج به داء الحسد عن نفسك
الخبيثة تتيقظ ان لا انه ضرر عليك في الدين والدنيا اما الاول فلانك بالحسد
سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته وقسمته التي قسم بها بين عباده قال
تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وكرهت عدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته
واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين
الايمان وناهيك بها جناية على الدين وكيف لا وهي ربما جرتك من غير ما تشعر الى
الكفر الحقيقي فان النفس اذا طغت تجاوزت ما حد الله لها لا تقف على غاية
بل لا يزال الشيطان يعاديها في ذلك ويزين اليها ان يسلبها حسن الايمان كما تسل الشعرة
من العجين ويرشدك الى ذلك ما هو مقرر ان من تشبه بقوم فهو منهم والحاسد
جانب طريق اولياء الله تعالى وانبيائه عليهم الصلوة والسلام في محبتهم للخير
وساير من هم على طريقته في محبة البلايا والمحن للمؤمنين وذلك زيغ وخبث
في القلب فلذلك اكل الحسنات كما تاكل النار الحطب كما جاء في الحديث واما
الثاني فهو انك بحسدك تدخل على قلبك ونفسك من دوام الكمد والهم والغم والغيظ
ما لا تطيقه جبلتك فان الله تعالى لا يخلي اعداءك من تراد في نعمه عليهم فلا
تزال تتعذب بكل نعمة تراها بهم وبلية انصرفت عنهم فتبقى مغموما
مزحوما متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهي لاعدائك والمحسود في غاية

التلذذ

٥٣

التلذذ والتنعم والفرح والسرور بما آتاه مولاه بل بفضل الله تعالى وبرحمته فبذلك
فليفرحوا فشتان ما بين حالك وحال محسودك فتنبه لعقلك فانك لو خليت
انت وعقلك لقضى بقبح الحسد اذ كل عاقل ينفر من المولمات والموذيات وان كان
غافلا عن الآخرة وما يقع له فيها من اليم العذاب وشديد الحجاب على ان حسدك لو
فرض ان له اثر في زوال النعمة لكان في ذلك بعض تخفيف عليك لكن لا اثر له
في ذلك اصلا بل الغالب المعلوم من عادة الله بالاستقراء ان الحاسد لا يزداد الا
فقرا وذلا وعقابا وبلاء ومحنة والمحسود بضد ذلك فتيقظ من غفلتك لنعم
الله سبحانه بحقايق عباده اعلم واعلم ان من جملة ما يؤدي الى الحسد
والبغض التكبر اما بالجاه واما بالمال وقد مر بيان ما يتعلق بالمال ذما ومدحا
ونحن بعون الله وتوفيقه نبين الآن ما يتعلق بالكبر من حيث هو كبر ثم ما يتعلق
بالتواضع اذ المتواضع لا يبغض الاباعد فكيف بالاقارب اما الكبر فالكلام
عليه من وجوه الاول في ذمه اعلم انه ورد فيه من الكتاب
والسنة ما فيه مقنع فمن ذلك قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وخاب كل جبار عنيد ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وصح انه
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني
واحدا منهما القيته في جهنم وفي رواية قصمته وفي اخرى قذفته في النار وفي
اخرى عذبته لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر الحديث
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه لا يزال الرجل يذهب

رابعها التكبر صح

بهم
بنفسه اي يطيعها في تيهها وكبرها حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصا
من العذاب يخرج من النار عنق له اذنان يسمعان وعينان يبصران
ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله
آخر وبالمصورين تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين الا اخبركم باهل النار كل عتل جواض مستكبر وفي رواية
اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع يحشر المتكبرون يوم القيامة
ذر في صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم
يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار
وفي رواية اسنادها حسن ايضا يحشر المتكبرون يوم القيمة في صور الذر
تطاهم الناس لهوانهم على الله ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان
يسكنه كل جبار ولا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وفي رواية صحيحة ايضا
خيلا هذا كله لفظ النبي فتامله فهو في الرواية الصحيحة والذروة
العليا الفصيحة وابذل وسعك في العمل بقضيته لتسلم من ورطة الكبر
المهلكة وجا بسند ضعيف ان في النار توابيت يجعل فيها المتكبرون
وتقفل عليهم وقال الصديق رضي الله تعالى عنه لا يحقرن احدا من المسلمين
فان صغيرهم عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله تعالى جنة عدن قال
انت حرام على كل متكبر وقال الحسن عجبت لابن آدم يغسل الخرء كل يوم بيده مرتين
ثم يتكبر يعارض جبار السموات والارض وما احسن ما قاله بعض الاكابر
ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله قدر ما دخل في ذلك قل او كثر
وقال

الحجر طرفه ضعيف متصف [illegible]

اي الذل

وقال بعضهم المسيئة التي لا تنفع معها حسنة الكبر ورأى مطرف المهلب يتبختر
فقال له مشية يبغضها الله تعالى ورسوله فقال له المهلب ما تعرفني فقال بلى
اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت تحمل بين ذلك العذرة فترك
المهلب مشيته تلك الثاني فيما يتعلق بحقيقته هي ما اشار
اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الكبر من بطر الحق وفي
رواية من سفه الحق اي امتنع من قبوله وغمص الناس اي انتقصهم ان ترى نفسك فوق
غيرك في صفات الكمال فتستهزئ بحقه وتنتقص من قدره وتعامله بما لا تستحقه
لعزة نفسك عليك وهوان غيرك عندك وباعتقاد ذلك يحصل في القلب
اعتقاد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في النفس لسبب ذلك فتلك العزة
والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ
اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه والمراد بنفثه الشعر وبنفخه الكبر
وبهمزه الجنون واستاذن رجل عمر رضي الله عنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فقال
اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اشار الى ان الانسان مهما راى نفسه بعين
الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز على غيره فحقره وازدراه وترفع عن مكالمته او مجالسته
او مواكلته او عن استخدامه او ارتفع عليه في المحافل وتقدم عليه في المضايق
او امتنع من المباحثة معه او من ابتداه بالسلام او من قبول قوله وان كان حقا
او استحقر عاميا لجهله فهذه وامثالها التي لا تحصى ثمرات الكبر وآفاته التي يهلك
بها اكثر الناس وقل ما ينفك ذلك عن خواصهم فضلا عن عوامهم الا من عصمه الله
وحفظه وتولاه الثالث في بيان اسبابه منها العلم وهو سريع الى حمله

اسم رجل

العلم لان اكثرهم يتعززون بعزه وجماله وكماله فيستحقرون الناس وينظرون اليهم
نظره الى البهايم وهذا محبط لنور العلم وعظيم نفعه وجدواه في الدنيا والاخرة
فليحذر اهله من ذلك كل الحذر وان لا يغتر بشيء منه فان بلعام ومن على طريقته
القبيحة ادت بهم علومهم الى الهلاك الابدي والعذاب السرمدي نسأل الله تعالى
العافية والسلامة والتوفيق الى اتباع المخلصين المتواضعين والاندراج
في سلك الاولياء والصالحين آمين ومنها العبادة والزهد وكثيرا ما يدس الكبر
الى قلوب العباد فيرون انهم احق الناس بالتردد اليهم والخضوع لهم
والسعي في قضاء مآربهم لرؤيتهم انهم الناجون دون غيرهم فينبغي لهم تجنب ذلك فانه
السم القاتل والداء المهلك اعاذنا الله تعالى من ذلك آمين ومنها الحسب والنسب
فاكثر من نسبه شريف يستحقر الخالي ليس كذلك غافلا عن قوله تعالى يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان
اكرمكم عند الله اتقاكم وصح انه صلى الله عليه وسلم قال الكرم التقوى اي فلا
تتفاخر بحسب ولا نسب فان ذلك بانه غير نافع شيئا الا ترى الى بعد ابي طالب وابي
لهب وامثالهما منه صلى الله عليه وسلم والى قرب سلمان الفارسي وبلال الحبشي
منه صلى الله عليه وسلم وحيازتهم به الكمال الاعظم والنعيم الابدي لما تحلوا
بامتثال اوامره واجتناب مناهيه على الوجه الاكمل ومن ثم قالوا لا تغتر بنسب
فانك قد علمت ما وقع لابن نوح وابي ابراهيم واقارب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذين لم يؤمنوا به ومنها المال واكثر اهله سلبهم الله تعالى الكمال بل العقول
فاغتروا بالحياة الدنيا ولهوها وزينتها ولعبها وتفاخرها فاستحقروا

ذلك

والكبر واعليهم واستقلوهم ولم يفوا بشيء من حقوقهم غافلين عن تصرمها
وانقضائها باعدامها من ايديهم تارة والموت عنهما اخرى وانتقالها الى من يضيعها
غالبا في المعاصي فكن على تيقظ وبصيرة وجاهد نفسك في الله ليهديك الى
سبيله ويجعلك من خير حزبه وقبيله واما التواضع وهو ان لا ترى لنفسك عظمة
ولا فخرا ولا تعتقد ما على احد بشيء من تلك الاسباب ومن ثم فسر الفضيل بالخضوع
للحق والانقياد له وان سمع من صبي او جاهل وفسره الحسن بان تخرج من منزلك
فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وورد في مدحه احاديث كثيرة منها صح انه
صلى الله عليه وسلم قال ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله
وجاء بسند ضعيف تارة وغريب اخرى ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانها
فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه حبذ بجيم وبا موحده
طوبى لمن تواضع في غير معصية وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل
والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة من تواضع لله رفعه ومن تكبر على الله وضعه ومن الفقه
اقتصد اغناه ومن اكثر ذكر الله احبه الله خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا
او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملايكة جبرئيل فرفعت راسي
فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا الشرف التواضع واليقين الغنا اذ هداه الله
للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع اي نسب غير شاين له ورزقه مع ذلك
تواضعا فذلك من صفوة الله اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو
اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا اذا تواضع العبد
رفع الله راسه الى السماء السابعة ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا

يرحمكم الله انه ليعجبني الرجل الشي في يده فيكون مهنته لاهله يدفع الكبر عن نفسه
مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقالت
عايشة رضي الله عنها افضل العباده التواضع وقال ابن المبارك راس التواضع
ان تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه
فضلا وقال ابن السماك لهارون الرشيد يا امير المومنين ان تواضعك في شرفك اشرف
لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المومنين ان امرا اتاه الله جمالا
في خلقته وكمالا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله
وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص عباد الله فدعا هرون بدواة
وقرطاس وكتبه بيده وصح عن الشعبي قال ذهب زيد بن ثابت ليركب فامسك
ابن عباس بركابه فقال تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لا هكذا
نفعل بالعلما والكبرا وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال من لبس الصوف وحلب
الشاة وركب الاتن فليس في جوفه من الكبر شي وفي رواية براءة من الكبر لباس
الصوف ومجالسة فقرا المومنين وركوب الحمار واعتقال العنز واكل احدكم
مع عياله وما احسن ما قال بعضهم ارفع ما يكون المومن عند الله اوضع
ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال الشيخ
ذلي عطل ذل اليهود وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه
فهو متكبر اي لان الخواتيم منطوع علمها فرب من هو خير يكون شرا وبالعكس
وقيل له متى يكون العبد متواضعا قال ان لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا وقال
يحيى ابن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع وقال

بعضهم

بعضهم النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه
منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به
خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله
تعالى واذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله تعالى
واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله عز وجل وقال بعضهم
كنت بالمسعى المعظم فرايت انسانا على بغلته وحوله من يدفع الناس عنه ثم صرت
لبغداد فرايته على ذلك الحال وارث هيئة فقلت ما انت الذي رايتك بمكة بعينه
كذا وكذا فقال نعم فقلت ما فعل الله بك قال اني ترفعت في مواضع يتواضع فيها الناس
فوضعني الله حيث يترفع الناس وكان ابراهيم النخعي مع جلالته
يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سو ومما يسعى فيه اعداء من يود
ان يقع بينهما البغضا والتقاطع كالزوجة ومن ينتمي الى كل منهما ويتقرب لسيه
بالكذب والبهت فيوسوس الى كل من الاخوين مثلا حتى يقع بينهما التقاطع والتدابر
والتحاسد والتباغض واعظم ذلك واقبحه انما ينشا عن زوجات الاقارب
لانهن يتحاسدن ويتباغضن فكل تدس الى زوجها وتوح اليه ما يكرهه
في اهله واقاربه ظنا منها ان خيره وبره يتوفر لها اذا قاطعهم وبانهم وعاداهم
ثم يقوى هذا الظن عندها فتبالغ في اعمال الحيلة الى ان توقع بينهما غاية
المنافرة والمباعدة واكثر من رايناه بينهم العداوة والبغضا من الاقارب لم يخلو
من تسبب دخل للنسا في ذلك فعلى العاقل ان لا يلتفت لكلام احد لما او لا قاله
تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة

ومجالسة فقراء المؤمنين براءة من الكبر لباس الصوف

ابي خلق ذل اليهود

عنا

فاصبحوا على ما فعلتم نادمين صح ان سبب نزولها ان بني المصطلق اسلموا وحسن
اسلامهم فارسل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن ابي معيط
لياخذ منهم الزكوة وكان بينه وبينهم شيء في الجاهلية فلما قرب من ديارهم
رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره انهم امتنعوا وارادوا قتله فهم النبي صلى الله
عليه وسلم بقتالهم فجاؤا يعتذرون له وينفوا كذب الوليد عليهم
فنزلت الاية مصدقة لهم واخرج عبد بن حميد عن الحسن ان رجلا قال
يا رسول الله ان بني فلان ارتدوا وكان في نفس ذلك الرجل عليهم شيء
فارسل صلى الله عليه وسلم جيشا اليهم وعليه خالد بن الوليد فراى الخبر كذبا
فرجع هو والجيش عنهم قال الحسن فوالله لئن نزلت في هؤلاء القوم خاصة
انها لمرسلة الى يوم القيامة ما نسخها شيء واخرج عبد بن حميد
وابن جرير عن قتادة نحو ذلك وان خالدا لما رجع واخبر النبي صلى الله عليه
وسلم الخبر كان يقول التثبت من الله والعجلة من الشيطان فتامل الكذب
وشوم عاقبته وما يترتب عليه من ان المخبر به قد يصدق الخبر ويرتب
عليه مقتضاه فيتبين له انه كذب فيشتد ندمه على ما فعله فعليه ان
يتثبت ويتبين ما امكنه امتثالا لامر الله تعالى ولا يعجل فان العجلة
من الشيطان كما في الحديث واما ثانيا فلما سياتي من الاحاديث ان قريبه نفسه
لو شافهه وواجهه بسوء وقطيعة وعلم تاكد عليه احتماله وصلته والعفو
عنه فاذا كان هذا حاله والقريب قد شافهه فما بالك بمن يشافهه وانما
نقل عنه اشيا يحتمل صدقها وكذبها ولنتامل الانسان قوله صلى الله عليه وسلم

في الحديث

في الحديث الصحيح في البخاري وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ان
فارسا ولوا ملك كسرى لابنته قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة وفي
رواية اسندوا امرهم الى امراة وفي اخرى هلكت الرجال اذا اسندوا
امرهم الى امراة وفي اخرى ما ابرم قوم قط امرا يصدروا فيه عن راي
امراة الا بتروا اي قطعوا عن الفلاح والرشد وفي رواية خاب قوم ولوا
امرهم امراة وفي رواية صحيحة ايضا ان ابا بكرة امتنع من ان يسير
مع عايشة ايام الجمل وقال عصمني الله عن ذلك بشيء سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما بلغه ان ملك ذي يزن توفي فامروا عليهم امراة فقال
صلى الله عليه وسلم ذلك وتامل ما ياتي في قصة هابيل وقابيل
ابني آدم ان اول فتنة وقتل على وجه الارض انما هو من النسا واخرج
الطبراني ان الزبير وعليا رضي الله عنهما تلاقيا في السوق بعد قتل عثمان فتعاتبا
في شيء من امر عثمان ثم اغلظ عبد الله ابن الزبير على علي فقال للزبير الا
تسمع ما يقول ابنك لي فضرب الزبير ابنه حتى رجع فتامل حفظهم للرحم
وتجلة الخليل وان صدر منهم ما صدر فان الزبير مع ضربه لابنه على ذلك
الضرب الشديد كان بعد ذلك ممن قاتل عليا يوم الجمل حتى ذكره علي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال للزبير انك ستقاتل عليا وانت له ظالم فتذكر الزبير ذلك
ورجع عن قتال علي فقتل في الطريق وهو راجع انتهى سادسها
ظنك السوء باهلك فتبني على ظنك ما يوقعك في القطيعة والقبائح
وكثير مما يقع به التقاطع بين الارحام انما هو بظن سوء وقع فيما بينهم

فاحذر ان تسترسل مع ظنك بل كف نفسك عنه ما استطعت ولا تضع
في اسهامك بل وغيرهم لظن اصلا قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم الآية اخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا
ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يخطب الرجل على
خطبة اخيه حتى ينكح او يترك واخرج ابن مردويه انه صلى الله عليه
وسلم قال من اساء باخيه الظن فقد اساء بربه ان الله يقول اجتنبوا كثيرا
من الظن واخرج ايضا حديث الظن يخطئ ويصيب واخرج ابن ماجه
عن ابن عمر قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما
اطيبك واطيب ريحك ما اعظمك واعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة
المؤمن اعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وان يظن به الا خيرا واخرج
احمد في الزهد عن عمر رضي الله عنه قال لا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا
وانت تجد لها في الخير محملا واخرج جماعة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
في الآية قال نهى الله المؤمن ان يظن بالمؤمن سوءا واخرج البيهقي
عن ابن المسيب قال كتب الي بعض اخواني من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ضع امر اخيك على احسنه ما لم ياتيك ما يغلبك ولا تظنن
بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وانت تجد لها في الخير محملا ومن عرض نفسه
للتهم فلا يلومن الا نفسه ومن كتم سره كانت الخيرة في يده وما كافيت
من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه وعليك باخوان الصدق فيكرم

والك

خ ولا تجسسوا بالحاء المهملة

خ واكتس

واكثر في اكتسابهم فانهم زينة في الرخاء وعدة عند عظيم البلاء ولا تهاون بالحلف
فيهينك الله ولا تسال عما لم يكن حتى يكون ولا تضع حديثك الا عند من
يشتهيه وعليك بالصدق وان قتلك الصدق واعتزل عدوك
واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من خشي الله وشاور في امرك الذين
يخشون ربهم بالغيب واخرج الزبير ابن بكار عن عمر رضي الله
تعالى عنه قال من تعرض للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومن
كتم سره كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه وضع امر اخيك
على احسنه حتى ياتيك منه ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا
وانت تجد لها في الخير محملا واكثر في اكتساب الاخوان فانهم جنة عند الرخاء
وعدة عند البلاء واخ الاخوان على قدر التقوى وشاور في امرك
الذين يخافون الله واخرج الدارمي في الادب عن ابي العالية
قال كنا نومر ان نختم على الخادم ونكتال ونعدها كراهية ان يتعودوا خلق
سوء ويظن احد فاظن سوءا واخرج الطبراني في حديث ثلاث لازمات
الطيرة والحسد وسوء الظن فقال رجل وما يذهبهن يا رسول الله
ممن هن فيه قال اذا حسدت فاستغفر الله واذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واخرج ابن النجار حديث من اساء باخيه الظن فقد اساء بربه
عز وجل ان الله تعالى يقول اجتنبوا كثيرا من الظن تنبيه لا يعارض
هذا الحديث وما قبله من الاحاديث حديث ان من الحزم سوء الظن لان
هذا محمول على ما اشار اليه عمر بقوله السابق من تعرض للتهم فلا يلومن من اساء

به الظن فالحاصل انه متى قامت قرينة ظاهرة على ما يقتضي سوء ظن
كان الحزم حينئذ بمعنى انه يجتنب معاشرة ذلك المظنون به السوء لئلا
تجر معاشرته الى سوء ولكن ينبغي مع ذلك لباطنه ان يكون سليما لاحتمال
كذب او عذر له واخرج ابو الدرداء خبره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا معاشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين
فانه من تتبع عورات المسلمين فضحه في قعر بيته **وفي رواية**
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في الخدر ينادي باعلى
صوته يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع
الله عورته فضحه في قعر بيته **وفي اخرى** صلينا الظهر خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انفتل اقبل علينا غضبانا فنادى بصوت اسمع
العواتق في جوف الخدر يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه
لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله
عورته حتى يخرقها عليه في بطن بيته **وفي اخرى** صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما بالناس صلاة الصبح فلما فرغ اقبل بوجهه على الناس رافعا صوته
حتى كاد يسمع من في الخدور وهو يقول يا معشر الذين اسلموا بالسنتهم ولم يدخل
الايمان في قلوبهم لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عثراتهم فانه من تتبع عثرة
اخيه المسلم تتبع الله عثرته ومن تتبع الله عثرته يفضحه وهو في قعر بيته فقال
قائل يا رسول الله وهل على المسلمين من ستر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستر الله

نسخة لا تتبعوا عورات المسلمين ولا تغتابوهم

ستر الله على المؤمن اكثر من ان تحصى ان المؤمن ليعمل بالذنوب فتهتك عنه
سترا سترا حتى لا يبقى عليه منها شيء فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة
استروا على عبدي من الناس فان الناس يعيرون ولا يغيرون فتحف به
الملائكة باجنحتها يسترونه من الناس فان تاب قبل الله منه ورد عليه ستوره
ومع كل ستر تسعة استار فان تتابع في الذنوب قالت الملائكة يا ربنا انه قد غلبنا
واقذرنا فيقول الله للملائكة استروا عبدي من الناس فان الناس يعيرون ولا
يغيرون فتحف به الملائكة باجنحتها يسترونه من الناس فان تاب قبل الله
منه وان عاد قالت الملائكة يا ربنا انه قد غلبنا واقذرنا فيقول الله للملائكة
تخلوا عنه فلو عمل ذنبا في بيت مظلم في ليلة مظلمة في جحر ابدى الله عنه وعن عورته

ستر في الناس

اي الظهر

الباب الثاني في جملة من الايات والاحاديث الناصة

على ما في قطيعة الرحم من الوبال والنكال والوعيد الشديد والتحذير
الاكيد ففرغ لسماعها اذنك وصف لفهمها ذهنك واحذر ان تكون ممن
يدخل الكلام من احدى اذنيه ويخرج من الاخرى فان امثال هؤلاء لا يتوجه
اليهم خطاب ولا يرجى لهم صلاح ولا حسن مآب وانما هم على خطر التقطيع
ودوام الاحوال الشنيعة ومن له ادنى عقل يربأ بنفسه عن هذا السفساف
ويسعى في صلة ارحامه بكل نوع من انواع البر والايتلاف ليسلم من هذا الخطر
وليقضي له من الله تعالى جميع الوطر وهاك من تلك الاحاديث جملة مستكثرة
لعلك ان تقتدي بها فتكون ممن قال الله تعالى في حقهم وجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة ولنقدم عليها بعض الايات تيمنا بذكرها

خ يرلي نفسه

والرينا دالمتأملها قال تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
للمستفاد من العطف بالواو الدال على عظيم فضل صلة الرحم ووبال قطعها كيف والله
تعالى يامر بان تتقا قطعه كما امر بان تتقا عذابه وغضبه وقال الله تعالى واتقوا
ويحذركم الله نفسه فتامل ايضا ختم الآيه بقوله مؤكدا للامر بالتقوا
عذابه وقطع الرحم ان الله كان عليكم رقيبا فانك اذا علمت ان الله تعالى
رقيب على اعمالك حافظ لها مكافئ مجازي عليها رجعت اليه وامتثلت امره
وكنت على غاية الخوف من اليم عقابه وعظيم حجابه وقال تعالى فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها هذه اشتملت
الآيه على تاكيد قطع عجيبه واشارات غريبه في الرحم وذلك لانه تعالى جعل
الارحام عديلا للفساد في الارض كما جعل في الاولى قطعها عديلا لقطع التقوى الله
تعالى ثم جعل عقاب اولئك المفسدين في الارض القاطعين للارحام انه لعنهم
وابعدهم عن مواطن الخير والرحمه فلا يقبلون خيرا قط ولا يرجى لهم فلاح
بوجه ومن ثم فرع على تلك اللعنه قوله فاصمهم واعمى ابصارهم
كنايه عن كونهم سلبوا اسباب الهدايه بفقد امهات حواسهم الظاهره
ولا عقاب اشد من ذلك ثم اشار الى ان سبب الوقوع في هذه اللعنه
المؤذنه بذلك الوعيد المشديد والمقت الذي ليس على قبحه مزيد عدم
تدبر آيات القران وما اشتملت عليه من ابلغ الزجر عن الفساد في الارض
وتقطيع الارحام والى ان سبب عدم هذا التدبر ما جعل على قلوبهم من تلك

الا

الاثقال المثقله عليها حتى منعها من فعل ما ينفعها وترك ما يضرها
وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنه ولهم سوء الدار في هذه
الآيه ايضا تشديدات كثيره على قاطعي الرحم بانهم من جملة من قطع ما امر الله به ان
يوصل واذا دخلوا في جملة اولئك من غير شك ولا ريب لحقهم ذلك الوعيد الشديد
الذي تضمنه قوله تعالى اولئك لهم اللعنه ولهم سوء الدار ومن كان له
ادنى تبصر وفهم ولم يرجع عن قطيعة الرحم بادنى ما دلت عليه آيه من هذه
الآيات الثلاث فكيف وقد اشتملت هذه الثلاثه على ما اشتملت عليه مما نبهناك
على نزر يسير منه ولو فتحت عين بصيرتك وطهرت من النقائص سريرتك
لفهمت من هذه الآيات الثلاثه ما يحملك على افراغ كل وسعك في صلة الارحام
بما امكنك وقال تعالى وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون
اشتملت هذه الآيه على ابلغ النكال لقاطعي الرحم لما تقرر انهم داخلون قطعا
في الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل الموصوفين بالفسق ونقض ما اخذه الله
تعالى عليهم من مواثيقه الاكيده وبالفساد في الارض وبالخسار الخسار فيهم
فتامل ذلك كله فانك متى قطعت احدا من ارحامك كنت ممن وصفوا بهذه
الاوصاف القبيحه وعذبوا بهذه الانواع الشنيعه التي في هذه الآيات الكريمه
وفقنا الله تعالى لفهمها وللعمل بها بمنه وكرمه آمين ولنعد الى اشرنا

تك الى هذا الذي اجراه الحق وله المنه على لسان القلم وحفظه من الزلل
الموجب للندم فلنذكره بعض ما ذكره المفسرون في هذه الايات اما الآية
الاولى فاخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
تساءلون واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذي تعاطون به
والارحام قال قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى صلوا
ارحامكم فانه ابقى لكم في الحياة الدنيا وخير لكم في آخرتكم واخرج عبد بن حميد
وابن جرير عن قتاده في الآية قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله
وصلوا ارحامكم فانه ابقى لكم في الدنيا وخير لكم في الاخرة واخرج عبد الرزاق
وابن جرير عن قتاده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اتقوا الله وصلوا الارحام واخرج ابن جرير عن الضحاك ان
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يقول الارحام اي يقرأها
بالنصب يقول اتقوا الله لا تقطعوها واخرج ابن جرير من طريق
ابن جريج قال قال ابن عباس اتقوا الارحام واخرج عبد
ابن حميد وابن جرير عن مجاهد الذي تساءلون به والارحام
بنصب الارحام قال اتقوا الله واتقوا الارحام ان لا تقطعوها واخرج ابن جرير
وابن المنذر وابن ابى حاتم عن عكرمه في قوله والارحام
قال اتقوا الله واتقوا الارحام ان تقطعوها واخرج ابن جرير
وابن ابي حاتم عن مجاهد ان الله كان عليكم رقيبا
اي حفيظا واخرج ابن جرير وابن زيد قال رقيبا
على

وصلوها واخرج عبد بن حميد عن عكرمة في قوله الذي تساءلون به والارحام

على اعمالكم يعلمها ويعرفها واعلم ان قراءة جر الارحام فيها دلالة واضحة
على تاكد شان الرحم والاعتناء به فيما وجدناه حيث كانوا يتناشدون
ويتساءلون في حوائجهم المهمه بالله وبالرحم واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابى
حاتم عن مجاهد تساءلون به والارحام قال يقول اسالك بالله وبالرحم واخرج
ابن ابى حاتم عن الحسن انه تلى هذه الآيه فقال اذا سالك بالله فاعطه واذا
سالك بالرحم فاعطه واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ابراهيم تساءلون به
والارحام خفض بالرحم هو قول الرجل اسالك بالله وبالرحم واخرج ابن جرير
عن الحسن في الآيه قال هو قول الرجل اسالك بالله وبالرحم فعلم من هذه
بهذه الآثار ان الرحم لاكد من حقها عندهم حيث كانوا يقرنون السؤال بالله
الحال ثم بالسؤال بها واذا كانت الرحم على هذه الاكيدة في العظمه والرعاية جاهلية
واسلاما فكيف يسوغ لاحد ان يستهين بشيء من حقوقها او ان يرتكب شيئا
من قطعها او عقوقها ومما يدل على تاكد الرحم ايضا قوله تعالى
واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
الكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا قال كثيرون انها محكمة وآخرون انها
منسوخه باية المواريث اي فالمنسوخ الوجوب فيبقى الندب المستفاد منه ما
قلناه من تاكد حق الرحم وقال مجاهد بل الوجوب باق الى الآن فيجب على اهل
المواريث للارحام واليتامى والمساكين اذا حضروا القسمه ما يطيب به خاطرهم
وعليه الحسن والزهري وصح عن ابن عباس واذا حضر القسمة اولوا القربى فان
يرضخ لهم فان كان في المال تقصير اعتذر اليهم فهو قولا معروف ومما يدل على تاكيد حق الرحم

تعالى صح
ايضاً قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم
فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الآية قال يعني الرجل يحضره الموت
فيقال له تصدق من مالك واعتق واعط منه في سبيل الله ولكن يأمره
ان يبين ماله وما عليه من دين ويوصي من ماله لذوي قرابته الذين
لا يرثون بالخمس او الربع يقول اليس احدكم اذا مات وله ولد ضعاف يعني
صغار ان يتركهم بغير مال فيكونوا عيالاً على الناس ولا ينبغي لكم ان تأمروا
بما لا ترضونه لانفسكم ولا لاولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك فتأمل
هذا التأكيد الذي للارحام وهذا الحث على صلتهم في الحياة وبعد الموت
وانظر قول ابن عباس ترجمان القرآن فلا يأمره ان ينفق ماله في العتق
وفي الصدقة او في سبيل الله ولكن يأمره ان يبين ماله وما عليه من دين ويوصي
لذوي قرابته الذين لا يرثون بالربع او الخمس فجعل رضي الله تعالى عنه الوصية
للاقارب اعظم من العتق والصدقة والانفاق في سبيل الله تعالى ويؤيد
ذلك ما يأتي انه صلى الله عليه وسلم قال لام المؤمنين وقد اعتقت وليدة
لها لو بعثت بها الى اخوالك لكان خيراً لك منك واذا قدم حق الارحام على
العتق والانفاق في سبيل الله تعالى فما بالك لا تسكتون من صلة الرحم
التي فيها هذا الثواب العظيم والبر الجسيم واما الآية الثانية فاخرج
عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة انه قال فهل عسيتم ان توليتم الآية كيف
رأيتم القوم حتى تولوا عن كتاب الله تعالى وسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام

وعصوا الرحمن واخرج ابن المنذر والحاكم وصححه عن بريدة قال كنت
جالساً عند عمر رضي الله تعالى عنه اذ سمع صائحاً فقال يا يرفا انظر
هذا الصوت فنظر ثم جاء فقال جارية من قريش تباع امها فقال عمر ادع
لي المهاجرين والانصار فلم يمكث الا ساعة حتى امتلأت الدار والحجرة فحمد الله
تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل تعلمون فيما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم القطيعة قالوا لا قال فانها قد اصبحت فيكم فاشية ثم قرأ فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ثم قال واي قطيعة اقطع من ان
تباع ام امرئ فيكم وقد اوسع الله لكم قالوا فاصنع ما بدا لك فكتب في الآفاق
ان لا تباع ام حر فانها قطيعة رحم وانها لا تحل واخرج الطبراني والخرائطي
في مساوي الاخلاق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا العاق ولا المنان قال ابن عباس فشق ذلك على المسلمين
يصيبون ذنوباً حتى وجدت ذلك في كتاب الله تعالى في العاق فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم وقال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى وقال انما الخمر والميسر الآية واخرج احمد في الزهد وعبد بن حميد وابن
ابي حاتم عن سلمان موقوفاً والحسن بن سفيان والطبراني وابن عساكر عن سلمان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الالسن واختلفت
القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم
واخرج ابن ابي الدنيا في كتاب العلم عن الحسن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا الناس اظهروا العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب

وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم واخرج
اسحاق ابن راهويه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عروة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل عليها اقفالها حتى يكون الله يفتحها
او يفرجها فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت فما زال ذلك الشاب في نفس
عمر حتى ولي فاستعان به واخرج ابن مردويه وابن المنذر عن خالد
ابن معدان قال ما من عبد الا له اربع اعين عينان في وجهه يبصر بهما دنياه وعينان
في قلبه يبصر بهما دينه وما وعد الله بالغيب فاذا اراد الله بعبد خيرا فتح
عينيه اللذين في قلبه فابصر بهما ما وعد بالغيب واذا اراد الله بعبد سوءا
ترك القلب على ما فيه وقرا ام على قلوب اقفالها وما من عبد الا وله شيطان
متبطن فقار ظهره لاوي عنقه على عنقه فاغر فاه على قلبه واخرجه الديلمي
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم الى قوله اقفالها واما الآية
الثالثة فاخرج ابو الشيخ عن ميمون بن مهران قال قال لي عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنه لا تواخين قاطع رحم فاني سمعت الله تعالى يلعنهم
في سورتين من القرآن سورة الرعد وسورة محمد واخرج ابن ابي حاتم عن
ابن عباس ولهم سوء الدار قال سوء العاقبة واخرج ابن جرير وابن المنذر
وابو الشيخ عن ابن جريج في قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا لم تمش الى ذي رحمك برجلك ولم
تعطه من مالك فقد قطعته **واما الاحاديث فاخرج البخاري**

ومسلم واخرون عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال
مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك
واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا
ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك
الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها وصح قوله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اجدر اي احق من ان يعجل
الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم
والخيانة والكذب وان اعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونوا
فجرة فتنموا اموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا وما من اهل بيت يتواصلون
فيحتاجون وقوله لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعني قاطع رحم وقوله ان اعمال
بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم وقوله ثلاثة
لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر وقوله الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وقوله صلى الله عليه
وسلم انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها
وصلته ومن قطعها قطعته وقوله ان الرحم شجنة آخذة بحجزة الرحمن
عز وجل يصل من وصلها ويقطع من قطعها وقوله من اربى الربا الاستطالة
في عرض المسلم بغير حق وان هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله
عليه الجنة وقوله ان الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب اني قطعت

حـ ابي نبهاف

قال الله تعالى حم

يارب اني اسيء الي يارب اني ظلمت تقطعني يارب يارب فيجيبها الا ترضين
ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وفي رواية عند الطبراني وغيره
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى الرحم شجنة
مني فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي اخرى عنده ايضا الرحم
شجنة آخذة بحجزة الرحمن تناشده حقها فيقول الا ترضين ان اصل
من وصلك واقطع من قطعك من وصلك فقد وصلني ومن قطعك قطعني
وفي اخرى رجالها ثقات انا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي
فمن وصلها اوصله ومن قطعها اقطعه فابتته والشجنة بكسر
اوله المعجم القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ومعنى من الرحمن اي مشتق
لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما ياتي في الحديث على الاثر وقوله انها
حجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم اوصل من وصلني
واقطع من قطعني فيقول الله انا الرحمن الرحيم شققت للرحم من اسمي فمن
وصلها وصلته ومن بتكها بتكته الحجنة بفتح الحاء المهملة والجيم
وتخفيف النون سنارة المغزل اي حديدته العقفاء التي يعلق بها
الخيط ثم يفتل المغزل والبتك القطع وفي رواية صحيحة ايضا توضع
دلق صح الرحم يوم القيامة لها حجنة كحجنة المغزل تتكلم بلسان طلق فتصل
من وصلها وتقطع من قطعها وفي اخرى سندها متين وكذا ان الله كتب
في ام الكتاب قبل ان يخلق السموات والارض اني انا الرحمن الرحيم خلقت
الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته
وفي رواية

وفي رواية لابن ابي شيبة يقول الله انا الرحمن وهي الرحم جعلت لها شجنة
مني من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته لها يوم القيمة لسان ذلق تقول به
ما شاءت وفي اخرى له ايضا الرحم شجنة آخذة بحجزة الرحمن تناشده حقها
فيقول الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك من وصلك وصلني
ومن قطعك قطعني وفي اخرى ان الرحم شعبة من الرحمن تجيء يوم القيمة
طلق صح لها حجنة تحت العرش تكلم بلسان ذلق طلق فمن اشارت اليه بوصل وصله الله
ومن اشارت اليه بقطع قطعه الله والخرائطي في مساوي الاخلاق اذا
ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الالسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذي
رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله واصمهم واعمى ابصارهم واخرج البيهقي
انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرئيل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من
شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك
ولا الى منافق ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل اي جار ازاره خيلاء ولا الى عاق
لوالديه ولا الى مدمن خمر الحديث واحمد مختصرا وابن ابي الدنيا والبيهقي انه صلى
الله عليه وسلم قال ليبيتن قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب
فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس
فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن
عليهم حجارة من السماء كما ارسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن
عليهم الريح العقيم التي اهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور ولبسهم الخمر ولبسهم
الحرير واتخاذهم القينات واكلهم الربا وقطعهم الرحم والطبراني في الاوسط

بسند ضعيف عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا ارحامكم وانه ليس
من ثواب اسرع من صلة الرحم واياكم والبغي فانه ليس من عقوبة اسرع من عقوبة
البغي واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام والله
لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين
والكذب كله اثم الا ما نفعت به مؤمنا ودفعت به عن دين وان في الجنة
لسوقا ما يباع فيها ولا يشترى ليس فيها الا الصور فمن احب صورة من رجل
او امرأة دخل فيها والخرائطي في مساوي الاخلاق لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مصدق دخل صح
بسحر ولا قاطع رحم والاصبهاني كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لا يجالسنا قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فاتى خالة له قد كان بينهما بعض الشيء
فاستغفر لها واستغفرت له ثم عاد الى المجلس فقال صلى الله عليه وسلم ان الرحمة
لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبراني ان الملائكة لا تنزل على قوم فيهم
قاطع رحم وهذا يؤيد لما روى ان ابا هريرة رضي الله تعالى عنه
كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احرج على كل قاطع رحم
لما قام من عندنا فقام شاب الى عمة له صارمها منذ سنين فصالحها فسألته عن
السبب فذكره لها فقالت ارجع واساله لم ذلك فرجع وساله فقال اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم
واخرج ابن ابي شيبة واحمد بن منيع والبخاري في الادب المفرد والاصبهاني
لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم فقال رجل من جلسائه يا رسول الله اني خالة

لم اكلمها

لم اكلمها فقال قم اليها فكلمها واخرج البيهقي عن عبد الله ابن ابي اوفى
قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في حلقة فقال
اني لا احل لرجل امسى قاطع رحم الا قام عنا فلم يقم الا فتى كان في اقصى الحلقة فاتى
خالة له فقالت ما جاء بك فاخبرها بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع
فجلس في مجلسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما لي لم ار احدا قام من الحلقة غيرك
فاخبره بما قال لخالته وما قالت له فقال اجلس فقد احسنت الا انها لا تنزل الرحمة على قوم على صح
فيهم قاطع رحم فتأمل وفقك الله لطاعته وطاعة رسوله ما افاده صلى الله
عليه وسلم في هذه الاحاديث من ان شؤم قطيعة الرحم مجاوز فاعلها الى جلسائه
فمنعهم من شمول الرحمة لهم كما منعه من شمولها له فاذا كان هذا شؤمها في القوم المجالسين
للقاطع فما بالك بالقاطع نفسه فتيقظ لنفسك فان امر قطيعة الرحم وشؤمها خطير
واي خطير واسال الله تعالى ان يوفقك الى صلتها وان كان في قلبك ما كان فانه على
كل شيء قدير والطبراني بسند صحيح عن الاعمش قال كان ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه جالسا بعد الصبح في حلقة فقال انشد الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد ان
ندعو ربنا وان ابواب السماء مرتجة اي بضم ففتح والجيم مخففة دون قاطع رحم والاعمش لم يدرك اي مغلقة صح
زمن ابن مسعود والبزار بسند فيه متروك لكن قال ابن عدي ارجو انه لا باس به ثلاث
معلقات بالعرش الرحم تقول اللهم اني بك فلا اقطع والامانة تقول اللهم
اني بك فلا اخان والنعمة تقول اللهم اني بك فلا اكفر والبزار واللفظ
له والبيهقي الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحمة وعمل بالمعاصي
واجترئ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا والطبراني

ان الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم واخرج الحاكم وصححه
عن عمرو بن عبسة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم اول ما بعث وهو بمكة
فقلت ما انت قال نبي قلت بم ارسلت قال بان تعبد الله وتكسر الاوثان وتصل الارحام
بالبر والصلة واخرج ابن ابي شيبة وابو داود والترمذي والحاكم وصححاه
البيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا اهل الارض يرحمكم اهل السماء الرحم شجنة من
الرحمن فمن وصلها وصله ومن قطعها قطعه واخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود
قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من ادم حمراء في نحو من اربعين رجلا فقال
انه مفتوح لكم وانكم منصورون ومصيبون فمن ادرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر
بالمعروف ولينه عن المنكر وليصل رحمه ومثل الذي يعين على قومه على غير
الحق كمثل البعير يتردى فهو يمد بذنبه واخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس
قال قلت يا رسول الله اوصني قال اقم الصلوة وات الزكاة وصم رمضان وحج البيت
واعتمر وبر والديك وصل رحمك واقر الضيف وامر بالمعروف وانه عن المنكر
وزل مع الحق حيث زال واخرج ابن ابي شيبة والحاكم وصححه عن عبد الله
بن سلام رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام واطعموا
الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام والديلمي و
الحاكم في تاريخه كفى بالمرء من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دينه بفسق او في دنياه ان
يعطيه الامن عصمه الله ما لا لا يصل به رحما ولا يعطي حقا واخرج الحكيم الترمذي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل

بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وتامل ما صح ان خالد بن الوليد
وسعد بن ابي وقاص وبينهما رحم قريب كان بينهما كلام فذكر خالد عند سعد
فقال مه كان ما بيننا لم يبلغ ديننا فنا مل هذا نعلم به انه ينبغي لمن وقع بينه وبين
رحمه شيء ان يثابر على حفظ دينه من القطيعة والايذاء رحمه بل يسعى في ازالة
الذين ما امكنه واخرج الطبراني بسند فيه مجاهيل ان عليا وعثمان
رضي الله عنهما وقع بينهما تنافس حتى علا عثمان الدرة على علي وعلا علي عصاه
على عثمان فجعل العباس يسكنهما ويقول لعلي امير المؤمنين ويقول لعثمان ابن عمك فلم
يزل حتى سكتا قال ابن المسيب فلما كان الغد رايتهما وكل واحد منهما آخذ بيد صاحبه
وهما يتحدثان واخرج ابن لال عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس يعجلن لصاحبهن العقوبة البغي والغدر
وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر واخرج الديلمي عن علي
كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين
فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم
ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله عز وجل واخرج الخرائطي
في مكارم الاخلاق انه صلى الله عليه وسلم قال ابغض خليقة الله الى الله يوم القيمة
الكذابون المستكبرون الذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا
لقوهم تملقوا الحديث واخرج ابن مردويه والديلمي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة سوء الجوار
وقطيعة الارحام الحديث وصح عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يؤمن احدكم حتى يأمن جاره بوائقه

وسلم قال ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة
حتى يظهر الفحش والتفحش وسوء الجوار وقطيعة الارحام الحديث واخرج
ابو نعيم عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة
اثنان وسبعون خصلة اذا رايتم الناس اماتوا الصلاة واضاعوا الامانة
واكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفوا بالدما واستعلوا البنا وباعوا الدين بالدنيا
وتقطعت الارحام ويكون الحكم جورا والكذب صدقا والحرير لباسا وظهر الجور
وكثر الطلاق وموت الفجاة وايتمن الخاين وخون الامين وصدق الكاذب
وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيضا والولد غيظا وفاض اللئام
فيضا وغاض الكرام غيظا اي نقصوا وذهبوا وكان الامرا والوزرا كذبة والامنا
خونة والعرفا ظلمة والقرا فسقة قلوبهم انتن من الجيف وامر من الصبر
يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة وتظهر الصفرا يعني الدنانير
وتطلب البيضا وتكثر الخطايا وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر
وخربت القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود وولدت الامة ربتها وترى الحفاة
العراة وقد صاروا ملوكا وشاركت المراة في وجهاق التجارة وتشبه الرجال بالنسا والنسا
بالرجال وحلف بغير الله وشهد المؤمن من غير ان يستشهد وتفقه لغير الله
وطلب الدنيا بعمل الاخرة واتخذ المغنم دولا والامانة مغرما وكان زعيم القوم ارذلهم وعق
الرجل اباه وجفا امه واقصى صديقه واطاع امراته وعلت اصوات الفسقة بالمساجد وضرص
واتخذت القينات والمعازف وشربت الخمور في الطرق واتخذ
الظلم فخرا ومنع الحكم واتخذ القران مزامير ولعن آخر هذه الامة اولها

الحديث

الحديث وفيه فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمرا ومسخا وخسفا وقذفا وآيات
واخرج ابن ابي شيبة عن علي كرم الله تعالى وجهه انهم سألوه متى
الساعة فقال لقد سألتموني عن امر ما يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولكن ان شئتم
انباتكم باشيا اذا كانت لم يكن للساعة كبير لبث وذكر من جملة ذلك ان يرغب
الناس وان يظهر البنا على وجه الارض وان يباع حكم الله بيعا وان تختلف
الاخوان فيصير هواهما فاشيا اي يكثر اختلافهما وتباغضهما وتحاسدهما حتى تتفرق
مناصرهما وتعظم مصايبهما وتتوالى نعم الله تعالى عليهما وناهيك بذلك زاجرا عن هذا
الفعل القبيح فاحذره لتغنم واسلك سبيل التواصل للرحم والبر للاقارب لتنبل و
اخرج ابن ابي شيبة عن سلمان الفارسي قال ان من اقتراب الساعة ان يظهر البنا
على وجه الارض وان تقطع الارحام وان يوذي الجار جاره واخرج احمد
والبخاري في الادب والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بين يدي الساعة تفشو التجارة حتى تعين المراة زوجها
على التجارة وغيرها وقطع الارحام وتظهر الشهادة بالزور وكتمان شهادة
الحق

الباب الثالث في بيان حقيقة قطع الرحم وانه كبيرة

ب

اعلم ان كون قطع الرحم كبيرة هو صريح هذه الاحاديث الكثيرة
الصحيحة بل المتفق على صحة كثير منها وبهذا يرد توقف امام المذهب
ابي القاسم الرافعي في قول صاحب الشامل على انه من الكبائر وكذا تقرير امام المذهب
ايضا ابي زكريا يحيى النووي للرافعي على توقفه هذا فانه اعترض عليه توقفه في
غير هذا ولم يعترض عليه في توقفه في هذا وتوقفه في هذا اجدر واحق بالرد

وكيف يتوقف في ذلك مع تصريح هذه الاحاديث السابقة في الباب الذي قبل هذا
على قطيعة الله تعالى لقاطع الرحم ومع قوله صلى الله عليه وسلم القاطع لا يدخل الجنة
وانه ما من ذنب اجدر ان تعجل عقوبته من ذنب قاطع الرحم وان الله لا يقبل
عمله وغير ذلك مما مر فحينئذ لا مساغ للتوقف في انه كبيرة بل كونه كبيرة بل من
اعظم الكبائر هو الحق الموافق لصرايح تلك الاحاديث ومن ثم قال بعض
ايمتنا لا ينبغي التوقف في ذلك مع النص في القرآن على لعنة فاعله ثم روي
عن محمد بن الباقر ان اباه عليا زين العابدين رضي الله تعالى عنهما قال لا تصاحب
قاطع رحم فانه وجدته ملعونا في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع وذكر
الايات الثلاثة السابقة اية القتال واللعن فيها صريح وآية الرعد واللعن
فيها بطريق العموم لان ما امر الله تعالى به ان يوصل يشمل الارحام وغيرها
وآية البقرة واللعن فيها بطريق الاستلزام اذ هي من لوازم الخسران وقد نقل القرطبي
في تفسيره اتفاق الامة على وجوب صلة الرحم وحرمة قطعها ثم المراد بقطيعة الرحم
التي هي الكبيرة وفسق على الاصح ماذا فيه اختلاف فقال الامام ابو زرعة الولي
بن العراقي ينبغي ان يختص بالاساءة وقال غيره لا ينبغي ان يختص بذلك بل ينبغي
ان يتعدى الى ترك الاحسان لان الاحاديث آمرة بالصلة ناهية عن القطيعة
ولا واسطة بينهما والصلة ايصال نوع من انواع الاحسان كما فسرها بذلك غير
واحد فالقطيعة ضدها وهي ترك الاحسان انتهى ولك ان تقول في كل من
هذين البحثين نظر اما الاول فلانه ان اريد بالاساءة ما يشمل فعل المكروه
والمحرم او ما يختص بالمحرم ولو صغيرة نافى ما قاله عن البلقيني وغيره في ضابط

العقوق

العقوق من انه ان يفعل مع احد والديه ما لو فعله مع اجنبي كان محرما صغيرة
فينتقل بالنسبة الى احدهما كبيرة فاذا كان هذا هو ضابط العقوق ومعلوم
ان حق الوالدين اكد من حق بقية الاقارب وان العقوق غير قطيعة الرحم
كما صرحوا به وجب ان يكون المراد بقطع الرحم المحكوم عليه بانه كبيرة
ما هو اشد في الايذاء من العقوق ليظهر مزية الوالدين وما قاله ابو زرعة يلزم منه
اتحادهما بل ان القطيعة يراعى فيها ما هو ادنى في الايذاء من العقوق بناء على ان
الاساءة في كلامه تشمل فيتميز بقية الاقارب على الابوين حيث جعل مطلق الايذاء
في حقهم كبيرة واذا كان الايذاء في حقهم كبيرة والابوان لم يجعل الايذاء في حقهم
كبيرة كذلك وهذا مناف لصريح كلامهم فوجب رد كلام ابي زرعة
لئلا يلزم عليه ما ذكر واذا علم ان كلامهم في العقوق يرد ما ذكره مما ذكره
غيره من ان قطع الرحم عدم فعل الاحسان كلامهم يرده بالاولى وحينئذ
فالذي يتجه لتوافق كلامهم وفرقهم بين العقوق وقطع الرحم ان يفعل
مع احدهما ما يتاذى به تاذيا ليس بالهين وبان يقطع ما الف القريب منه من
سابق الوصلة والاحسان لغير عذر شرعي لان قطع ذلك بعد وجوده يؤدي
الى ايحاش القلوب ونفرتها وتاذيها ويصدق عليه حينئذ انه قطع وصلة
رحمه وما ينبغي لها من عظيم الرعاية فلو فرض ان قريبه لم يصل اليه منه احسان
ولا اساءة قط لم يفسق بذلك لان الابوين اذا فرض ذلك في حقهما من غير ان
يفعل معهما ما يقتضي التاذي العظيم لغناهما مثلا لم يكن كبيرة فاولى
بقية الاقارب ولو فرض ان الانسان لم يقطع عن قريبه ما الفه

منه من الاحسان لكنه فعل معه محرماً صغيره او قطب في وجهه او لم يقم اليه
في ملأ او لم يعبا به لم يكن ذلك فسقا بخلافه مع احد الابوين لان تاكد
حقهما اقتضى ان يتميزا على بقية الاقارب بما لا يوجد نظيره فيهم وعلى ضبط
الثاني مما ذكرته فلا فرق بين ان يكون الاحسان الذى الفه منه قريبه مالا او
مكاتبة او مراسلة او زيارة او غير ذلك فقطع شئ من ذلك كله بعد فعله لغير عذر
كبيرة وبقي لذلك زيادة ذكرتها في كتاب الزواجر عن اقتراف الكباير وقلت
في اخرها فتامل جميع ما قررته واستفده فاني لم ار من نبه على شئ منه مع
عموم البلوا به وكثرة الاحتياج الى ضبطه وظاهر ان الاولاد والاعمام من الارحام
وكذا الخالة فيتاتى فيهم وفيهما ما تقرر من الفرق بين قطعهم وعقوق الوالدين
واما قول الزركشي صح في الحديث ان الخالة بمنزلة الام وان عم الرجل صنو
ابيه وقضيتهما انهما مثل الاب والام حتى في العقوق فبعيد جدا وليس
قضيتهما ذلك اذ لا عموم فيهما والتعرض لخصوص العقوق بهما فيكفي تشبيههما
في امر ما كالحضانة تثبت للخالة كما تثبت للام وكذا المحرمية وتاكد الرعاية وكالاكرام في العم
والمحرمية وغيرهما واما الحاقهما بهما في ان عقوقهما كعقوقهما فهو مع كونه غير مما ذكره
مصرح به في الحديث مناف لكلام ايمتنا فلا معول عليه بل الذي دلت عليه
الايات والاحاديث ان الوالدين وان علوا اختصا من الرعاية والاحترام والتلطف
والاحسان بامر عظيم جدا وغاية رفيعة لم يصل اليها احد من بقية الاقارب ويلزم
من ذلك انه يكفي في عقوقهما وكونه فسقا مما لا يكتفى به في عقوق غيرهما
والحاصل انه ينبغي للموفق ان يحتاط في صلة رحمه بكل طريق امكنه

فقد

فقد قال بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع اي قاطع رحم
فمن قطع اقاربه الضعفا وتكبر عليهم وهجرهم ولم يصلهم ببره واحسانه وكان
غنيا وهم فقرا فهو داخل في هذا الوعيد محروم دخول الجنة الا ان يتوب الى
الله عز وجل ويحسن اليهم واما من يصرف صدقته الى غيرهم لم يقبل الله تعالى
صدقته ولا ينظر اليه يوم القيمة وان كان فقيرا وصلهم بزيارتهم والتفقد
لاحوالهم لقوله صلى الله عليه وسلم صلوا ارحامكم ولو بالسلام انتهى والله
اعلم فينبغي للكامل ان يراعي هذا القول وان يبالغ فيما قدر عليه من
الاحسان الى اقاربه كلهم لما ياتي قريبا من الاحاديث الكثيرة المؤكدة في ذلك المشهورة
والدالة على عظيم فضله ورفعة محله وقد حكي ان رجلا غنيا حج فاودع اخر
موسوما بالامانة والصلاح الف دينار حتى يعود من عرفة فلما عاد وجده قد مات
فسال ورثته عن المال فلم يكن لهم به علم فسال علما مكة عن قضيته فقالوا
له اذا كان نصف الليل فات زمزم واتطلع فيها وناد يا فلان باسمه فان كان
من اهل الخير فسيجيبك من اول مرة فذهب ونادى فيها فلم يجبه احد
فاخبرهم فقالوا انا لله وانا اليه راجعون نخشى ان يكون صاحبك من اهل
النار اذهب الى ارض اليمن ففيها بير تسمى برهوت يقال انه على فم جهنم فانظر
فيه بالليل وناد فيه يا فلان فسيجيبك منها فمضى الى اليمن وسال عن البير فدل عليها فذهب
اليها ليلا ونادى فيها يا فلان فاجابه فقال له اين ذهبي فقال دفنته في الموضع الفلاني
من داري ولم امن عليه ولدي فاتهم واحفر هناك تجده فقال له ما الذي انزلك
هاهنا وقد كنت نظن بك الخير فقال كانت لي اخت فقيرة هجرتها وكنت لا احنو عليها

فعاقبني الله تعالى بسببها وانزلني هذا المنزل الذي رايتني فيه يا اخي هنا فبالله عليك
اذا رجعت الى اولادي واخذت حقك تذهب الى اختي وتعملها جميلا وتسالها
بان ترضى عني فذهب الى اولاده وذكر لهم امانته فاجابوه الى ذلك فاخذها وامرهم
بان يتوجهوا الى عمتهم ويأخذوا بخاطرها وتجعل اخاها في حل فذهبوا اليها وسالوا
عنها فاخبروا بانها تسال الناس فعادوا الاولاد واخبروا الرجل بذلك فذهب
الرجل اليها فاجتمع بها وسالها ما كان نحا الامر اخيها فابت وقالت لا تذكره لي فا
لذلك فاخذ الرجل بخاطرها واعطاها صلة فعفت عن اخيها ودعت له بالرحمة
فعاد الرجل بعد ذلك الى مكة ووقف بجانب زمزم ونادى يا فلان فاجابه وقال
جزاك الله عني خيرا فقد رضي الله تعالى عني برضاها واعادني الى هنا والحمد لله وتصديق
ذلك في الحديث الصحيح السابق لا يدخل الجنة قاطع اي الرحمه واقاربه فتامل ذلك

الباب الرابع في ذكر شيء من الايات والاحاديث التي فيها الحث

الاكيد والتاكيد الشديد على صلة الرحم اما الايات فمنها قوله تعالى الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون
ربهم ويخافون سوء الحساب اعلم ان في هذه الاية من تاكيد الحث على ايصال
الارحام ما يحمل الموفق ان يبذل في ذلك وسعه حتى يتحلى بهذه الاوصاف على م
المذكورة في هذه الاية كالوفا بعهد الله وهو ما اكده الله علينا من امتثال اوا
مره واجتناب نواهيه وعدم نقض الميثاق ووصل ما امر الله به ان
يوصل وخشية الله وخوف سوء الحساب وهو ان لا يتجاوز له عن زلة فرطت منه
وهو المعنى بما في الخبر الصحيح من نوقش الحساب عذب واخرج ابن جرير

وابن

وبن ابى حاتم وابو الشيخ عن قتادة في قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله
ولا ينقضون الميثاق فعليكم بالوفا بالعهد ولا تنقضوا الميثاق فان الله قد نهى
عنه وقدم فيه اشد التقدمه وذكره في بضع وعشرين اية نصيحة لكم وتقدمة
اليكم وحجة عليكم وانما تعظيم الامور بما عظمها الله تعالى عند اهل الفهم واهل العقل
واهل العلم بالله وذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته لا ايمان لمن لا امانة
ولا دين لمن لا عهد له واخرج الخطيب وبن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان البر والصلة ليخففان سوء الحساب
يوم القيمة ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب واخرج ابن ابى حاتم وابو
الشيخ عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه في قوله والذين يصلون ما امر
الله به ان يوصل يعني من ايمان بالنبيين وبالكتب كلها ويخشون ربهم يعني يخافون
من قطيعة ما امر الله به ان يوصل اي كالرحم ويخافون سوء الحساب يعني شدة الحساب
واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن قتادة في قوله تعالى والذين يصلون ما امر
الله به ان يوصل قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله وصلوا
الارحام فانه ابقى لكم في الدنيا وخير لكم في الاخرة ذكر لنا ان رجلا من خثعم اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقال انت الذي تزعم انك رسول الله قال نعم قال
فاي الاعمال احب الى الله قال الايمان بالله قال ثم مه قال صلة الرحم وكان عبد الله بن عمر
رضي الله تعالى عنهما يقول ليس الحليم من يكلم فحلم حتى اذا هيجه قومه اهتاج ولكن الحليم
من قدر ثم عفى وان الوصول ليس من وصل ثم وصل مجازاة ولكن الوصول من قطع ثم وصل وعطف على

من لم يصله وقال تعالى وآت ذا القربى حقه يعني من الصلة والبر وذو القربى هو كل
من بينك وبينه قرابة وتأمل قوله تعالى حقه فجعل تعالى له حقا عليك يجب عليك
ان تخرج اليه منه وان تؤديه اليه والا كنت عاصيا آثما بل فاسقا ظالما لما مر ان
قطيعة الرحم كبيرة وقال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى يعني صلة
الرحم وتامل قرنه تعالى الامر بصلة الرحم بالامر بالعدل والاحسان تعلم ما في الامر
كونه يصل الرحم من التاكيد وانه لا يتم من احد عدل ولا احسان الا ان وصل رحمه
والا كان جائرا مسيئا قاطعا ومما اخرج الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليصل
رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت واخرجا ايضا انه صلى الله
عليه وسلم قال من احب ان ينسأ اي يؤخر وهو بضم اوله وتشديد ثالثه المهملة
بالهمز له في اثره اي اجله فليصل رحمه والترمذي وقال غريب والطبراني باسناد
لا باس به تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل
مثراة في المال منساة الاثر اي بها الزيادة في المال والاجل وناهيك بهاتين العا
يدتين والبزار وعبد الله بن الامام احمد في زوائد المسند والحاكم من سره ان
يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل
رحمه والبزار باسناد لا باس به والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال
مكتوب في التورية من احب ان يزاد في عمره وان يزاد في رزقه فليصل رحمه
وابو يعلى بسند ضعيف ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر و
يدفع بهما ميتة السوء وفي رواية ويذهب بهما ميتة السوء ويدفع الله بهما المكروه

والمحذور

والمحذور ورواه الترمذي مختصرا وحسنه ابن حبان في صحيحه والطبراني بسند
ضعيف عن ابي الدرداء قال ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الارحام
فقلنا من وصل رحمه انسئ في اجله قال انه ليس يزاد في عمره قال الله تعالى
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ولكن الرجل يكون له
الذرية الصالحة فيدعون له من بعده فذلك الذي ينسئ في اجله وبهذه الرواية
اخذ جماعة فقالوا ان الزيادة في العمر المذكورة في الاحاديث زيادة البركة والذرية
الصالحة لتدعوا له من بعد موته وقال اخرون لا مانع ان يكون زيادة حقيقية
لقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب اي فما في اللوح المحفوظ
يقبل الزيادة والنقص لكون الاقضية فيه معلقة بنحو فلان عمره عشرون ان لم
يصل رحمه وعشرون ان وصل والذي في ام الكتاب ليس الا احدهما باعتبار
ما يعلم الله وقوعه لا غير ويدل لذلك ما صح عن ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت
قال من احد الكتابين هما كتابان يمحو الله ما يشاء من احدهما ويثبت وعنده
ام الكتاب وصح عنه ايضا لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو ما يشاء بالدعاء
من القدر وابو يعلى باسناد جيد عن رجل من خثعم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وهو في نفر من اصحابه فقلت انت الذي تزعم انك رسول الله قال نعم قلت يا رسول
الله اي الاعمال احب الى الله قال الايمان بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم
صلة الرحم قلت يا رسول الله اي الاعمال ابغض الى الله قال الاشراك بالله قلت يا رسول الله
ثم مه قال ثم قطيعة الرحم والبخاري ومسلم واللفظ له ان اعرابيا عرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فاخذ بخطام ناقته او بزمامها ثم قال يا رسول الله

مطلب جواب
عن الزيادة في العمر بصلة
الرحم زيادة البركة
والذرية الصالحة

او يا محمد اخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم ثم نظر في اصحابه ثم قال لقد وفق هذا ولقد هدي قال كيف قلت
فاعادها فقال النبي صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة
وتوتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة وفي رواية وتصل ذا رحمك فلما ادبر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما امرته به دخل الجنة والطبراني باسناد
حسن ان الله ليعمر بالقوم الديار وينمي لهم الاموال وما نظر اليهم منذ خلقهم
بغضا لهم قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال بصلتهم ارحامهم وفي رواية
ما من اهل بيت واصلوا الا اجرى الله عليهم الرزق وكانوا في كنف الله وفي
اخرى ان اعجل الطاعة صلة الرحم وان اهل البيت ليكونوا فجارا فتنمو اموالهم
ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وفي اخرى صححها الحاكم ان الله ليعمر بالقوم الزمان
ويكثر لهم الاموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال
بصلتهم ارحامهم والحكيم الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى للرحم خلقتك بيدي وشققت لك
من اسمي وقربت مكانك مني وعزتي وجلالي لاصلن من وصلك ولاقطعن من قطعك
ولا ارضى حتى ترضين واخرج ايضا عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تحت العرش القرآن له ظهر وبطن بلغ
اي واضح ومشكل لا ما تقوله الباطنية لعنهم الله يحاج العباد والرحم تنادي
صل من وصلني واقطع من قطعني والامانة والطبراني بسند رجاله ثقات
ما عدا شيخه فمجهول ما من ذنب اجدر ان يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما

يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وان اعجل البر ثوابا
لصلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو اموالهم ويكثر عددهم
اذا تواصلوا والبزار بسند ضعيف صلوا ارحامكم ولو برد السلام ورواه
الطبراني بلفظ بلوا ارحامكم بالسلام واحمد بسند رواته ثقات الا ان
فيه انقطاعا من اعطي الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة
الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وابو الشيخ
بن حبان والبيهقي يا رسول الله من خير الناس قال اتقاهم للرب واوصلهم للرحم
وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر والطبراني وبن حبان في صحيحه واللفظ
له عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم
بخصال من الخير ان لا انظر الا من هو فوقي اي في الدنيا وان انظر الى من هو
دوني واوصاني بحب المساكين والدنو منهم واوصاني ان اصل رحمي وان
ادبرت واوصاني ان لا اخاف في الله لومة لائم واوصاني ان اقول الحق
ولو على نفسي وان كان مرا واوصاني ان اكثر من قول لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم فانها كنز من كنوز الجنة والشيخان وغيرهما عن ميمونة
رضي الله تعالى عنها انها اعتقت وليدة لها ولم تستاذن النبي صلى الله
عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيه قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال او فعلت
قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك وصح ان جويرية
ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اني اريد

ان اعتق هذا الغلام قال اعط خالك الذي في الاعراب يرعى عليه فانه اعظم لاجرك
وابن حبان والحاكم اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني اذنبت ذنبا
عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من ام قال لا قال هل لك من خالة قال نعم
قال فبرها و البخاري وغيره ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا
قطعت رحمه وصلها والترمذي وقال حسن لا تكونوا امعة تقولون ان احسن الناس احسنا
وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساؤا ان لا تظلموا والامعة
بكسر ففتح وتشديد ومهملة هو الذي لا راي له فهو يتبع كل احد على رايه و مسلم
يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي واحلم
عليهم ويجهلون علي فقال ان كنت كما قلت فكانما تسفهم المل اي بفتح
فتشديد الرماد الحار وسيأتي لهذا الحديث طرق اخرى فيها زيادة فليكن منك على
ذكر الطبراني وابن عساكر ايها الناس لا نبي بعدي ولا امة بعدكم الا فاعبدوا
ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وصلوا ارحامكم وادوا زكاة اموالكم طيبة
بها انفسكم واطيعوا ولاة امركم تدخلوا جنة ربكم وصح ان الله ليعمر بالقوم
الديار ويكثر لهم الاموال ولم ينظر اليهم منذ خلقهم بصلتهم ارحامهم واخرج
الخرايطي مرسلا ان الله متع بني مدلج بصلتهم ارحامهم وابن عساكر
ان الرحم شجنة اخذة بحجزة الرحمن تناشده حقها فيقول اما ترضي
ان اصل من وصلك واقطع من قطعك ومن وصلك فقد وصلني
ومن قطعك فقد قطعني وابن النجار ان الرحم تتعلق بالعرش يوم القيمة
فتقول يا رب اقطع من قطعني وصل من وصلني والطبراني ان الرحم شجنة

اخذة

اخذة بحجزة الرحمن عز وجل يصل من وصلها ويقطع من قطعها وابن زنجويه
الرحم شجنة كما ينبت العود في العود فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه
الله وتبعث يوم القيمة بلسان فصيح ذلق تقول اللهم فلان وصلني ادخله الجنة
وتقول ان فلانا قطعني فادخله النار وسعيد بن منصور وغيره الرحم شجنة
من الرحمن تبارك وتعالى فتقول هذا مقام العائذ بك فيقول مماذا وهو اعلم
فتقول من القطيعة فيقول من قطعك قطعته ومن وصلك وصلته وصح خبر
الرحم شجنة من الرحمن معلقة بالعرش تقول يا رب اني قطعت يا رب اسيء
الي يا رب فيجيبها ربها فيقول اما ترضين ان اصل من وصلك وان اقطع من قطعك
وصح ايضا الرحم شجنة من الرحمن وانها تجيء يوم القيمة تتكلم بلسان طلق ذلق
لمن اشارت اليه بوصل وصله الله ومن اشارت بقطع قطعه الله والطبراني
تجيء الرحم يوم القيمة لها حجنة كحجنة المغزل فتتكلم بلسان ذلق طلق فتصل
من وصلها وتقطع من قطعها ومر كثير من هذه الاحاديث في باب
قطيعة الرحم مع بيان معانيها والحكيم الترمذي يقول الله تعالى انا الرحمن
وهي الرحم جعلت لها شجنة يعني من وصلها وصلته ومن قطعها بتته
لها يوم القيمة لسان ذلق وجماعة ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى
ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنموا اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا
ارحامهم ورواه ابن حبان بلفظ اذا تواصلوا وزاد فيه وما من اهل بيت
يتواصلون فيحتاجون والخطيب ما من عمل اطيع الله تعالى به اعجل ثوابا من صلة الرحم
الحديث وابن جرير والطبراني من سره ان تطول ايام حياته ويزاد في رزقه

فليصل رحمه وصح ايضا من سره ان يمد الله له في عمره ويوسع له في رزقه
ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه وصح ايضا من
احب ان يمد له في عمره ويبسط له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء ويستجاب
دعاه فليصل رحمه و صح ان الرحم شجنة من الرحمن فاذا كان يوم القيمة تقول
اي رب اني ظلمت اني قطعت فيجيبها ربها الا ترضين ان اقطع من قطعك واصل
من وصلك و الطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط
مسلم افضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح اي الذي يضمر عداوته في كشحه
اي خصره كناية عن باطنه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم وتصل من قطعك
والبزار و الطبراني والحاكم وصححه واعترض بان فيه واهيا ثلاث من كن فيه
حاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته قالوا وما هن يا رسول الله قال
تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن ظلمك فاذا فعلت ذلك يدخلك الله
الجنة و احمد باسنادين احدهما رواته ثقات عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه
لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بيده فقلت يا رسول الله اخبرني
بفواضل الاعمال فقال يا عقبة صل من قطعك واعط من حرمك واعف و في رواية
واعرض عن ظلمك زاد الحاكم الا ومن اراد ان يمد في عمره ويبسط في رزقه
فليصل رحمه واخرج البيهقي ما من شي عصي الله به هو اعجل عقوبة من البغي وما
من شي اطيع الله به اسرع ثوابا من الصلة الرحم واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع
واخرج الطبراني والحاكم اصحاب الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق ورجل
رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ورجل عفيف فقير متصدق والحديث

والطبراني

والطبراني بسند صحيح بدل الا ادلك على اكرم اخلاق الدنيا والاخرة ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك والبزار الا ادلكم
على ما يرفع به الدرجات و في رواية للطبراني الا انبيكم بما يشرف الله به البنيان
ويرفع الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن
ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ولابن ماجة اسرع الخير ثوابا صلة
الرحم واسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم و الطبراني ما من ذنب احرى
من ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الاخرة من قطيعة
الرحم والخيانة والكذب وان اعجل البر ثوابا لصلة الرحم حتى ان اهل
البيت ليكونون فجرة فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا و الطبراني
بسند فيه متروك جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
لي اهلا واما وابا فايهم احق بصلتي قال امك واباك واختك واخاك ثم ادناك
ادناك و اخرج احمد من طريق عبد الله بن عميرة زوج درة بنت ابي لهب
قالت قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله
اي الناس خير فقال خير الناس اقرؤهم واتقاهم لله عز وجل وامرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واوصلهم للرحم و روى البخاري و مسلم من حديث قيس بن ابي
حازم عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
جهارا غير سر يقول ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المومنين
زاد البخاري تعليقا ولكن لهم رحم سابلها ببلالها اي بنا صلها
بصلتها التي ينبغي لها ولهذه الجملة ترجم البخاري في البر والصلة من صحيحه

فقال باب تبل الرحم ببلالها ووصلها في بر الوالدين وكذا وصلها ابو نعيم
والاسماعيلي واخرون و اقتصر الطبراني في معجمه الكبير على ايرادها بلفظ ان
لبني ابي طالب عندي رحما سابلها ببلالها ولذا وقعت الزيادة عند مسلم
في صحيحه قال بعض العلما ومعنى الحديث اني لا اوالي احدا بالقرابة من غير ايمان وانما
اوالي من اوالي بالايمان والصلاح سوا كانوا من ذوي رحمي ام لا ولكن ارعى لذوي
رحمي حقوقهم واصل رحمهم فتامل ايها الموفق زاد الله تعالى توفيقك
حيث راعى صلى الله عليه وسلم ارحامه وان كانوا كفارا فكيف انت لا تراعي
ارحامك المسلمين وتصلهم نحو رحمهم ويؤيد ذلك قوله تعالى في الوالدين
وان جاهداك على ان تشرك بي الى قوله فلا تطعهما وصاحبهما في
الدنيا معروفا فاوجب عليك في الكافرين الذين يريدان اخراجك عن الاسلام
وبذلا في ذلك جهدهما ان تصل رحمهما اذ المصاحبة بالمعروف هي صلة الرحم
وبقية الارحام كالوالدين في ذلك واذا طلب منك صلة الرحم الكافر فما بالك بالمؤمن
فتيقظ من سنة غفلتك فان الامر خطير والحساب عسير و صح عن اسامة بن شريك
قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقول امك
واباك واختك واخاك ثم ادناك ادناك و الطبراني بسند فيه ضعف سماهم
الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والامهات والابنا كما ان لوالديك عليك
حقا كذلك لولدك و الطبراني بسند فيه مجهول اعينوا اولادكم على البر
من شاء استخرج العقوق من ولده اي ان العقوق غالبا انما ينشا من تقصير الوالد في حق
الولد و الطبراني بسند حسن خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على

صلة

٧٥

صلة الرحم و روى البزار بسند فيه مجهولون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال
اصاب قريشا ازمة شديدة حتى اكلوا الرم ولم يكن من قريش احد ايسر من رسول
الله صلى الله عليه وسلم والعباس بن عبد المطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس
يا عم ان اخاك ابا طالب قد علمت كثرة عياله وقد اصاب قريشا ما ترى فاذهب
بنا اليه حتى نحمل عنه بعض عياله فانطلقا اليه فقالا يا ابا طالب ان حال قومك
ما قد ترى ونحن نعلم انك رجل وقد جينا لنحمل عنك بعض عيالك فقال ابو طالب
دعا لي عقيلا وافعلا ما احببتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا واخذ العباس
جعفرا فلم يزالا معهما قال سليمان ولم يزل جعفر مع العباس حتى خرج مهاجرا
الى الحبشة فتامل هذه الصلة منه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها تزداد
جمالا وكمالا اذا كانت في احوال الضرورات واما احوال السعة فالامر فيها
اوسع و ضح احمد بسند رجاله ثقات جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم رواته
فقال يا رسول الله ان لي ذوي ارحام اصل ويقطعوني واعفو ويظلموني واحسن
ويسيئون فاكافيهم قال اذا تتركون جميعا ولكن خذ بالفضل وصلهم فانه
لن يزال معك ظهير من الله عز وجل و الظاهر ان معنى قوله اذا يتركونك
جميعا ان الغالب الاغلب في الاقارب التنافس والحسد والعداوة
فكانه صلى الله عليه وسلم يقول لمن هو نادر منهم على صلة باقيهم ان كافاتهم بافعالهم هي
تركتهم جميعا وعطلت هذه الفضيلة العظيمة التي هي صلة الرحم لان
اقاربك الخلون غالبا عن ان يقابلوك بالافعال الذميمة وتعطيل صلة
الارحام ولا ينبغي ان يقع من كامل فاحوج الاضطرار الى صلة الارحام

ان لا يكافيهم بما يصدر منهم وان يعرض الانسان عن مقابلتهم بسوء افعالهم
بل يحتسب اجرهم على الله تعالى ويبالغ في الاحسان اليهم ليكتسب له اجران عظيمان
اجر كسر نفسه بالاحسان الى من اساء عليه واجر صلة الرحم وهذا هو سر قوله
صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح اي العدو ثم
رايت مسددا روى الحديث بلفظ قال رجل يا رسول الله ان لي قرابة
اصلهم ويقطعوني واحسن ويسيئون افاكافيهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا يترككم الله جميعا ولكن ان وصلت وقطعوا واحسنت واساؤا
كان لك عليهم من الله ظهير وهذا يؤيد المعنى الذي قررته في الرواية الاولى
الغالب في الاقارب العداوة كما تقرر فاذا قابل كل الاخر باساءته ترك الله
الجميع من ثواب صلة الرحم فتامل ورواه ابو بكر ابن ابي شيبة بلفظ ان النبي صلى الله
عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ان لي قرابة احسن اليهم ويسيئون واصلهم ويقطعون
واعفو ويظلمون افاكافيهم بما يصنعون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
تتركوا جميعا ولكن جد عليهم بالفضل فانه لن يزال لك عليهم من الله ظهير وروى
ابن ماجة ان اعرابيا عرض للنبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بزمام ناقته فقال يا رسول الله
اخبرني بعمل يدخلني الجنة وينجيني من النار فنظر الى وجوه اصحابه وقال
لقد وفق او هدي لا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكوة وتصل
الرحم دع الناقة واخرج ابن عساكر ان اخوف ما اخاف على امتي طول الامل
واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وان
الدنيا مدبرة والاخرة مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا من منهما

ٮرى

بني الاخرة ولا تكونوا من بني الدنيا اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل فرحم الله من تكلم بخير او سكت وروى القرابة مقبلة كانت او مدبرة
واخرج بسند رواته ثقات بل اكثرهم من رجال الصحيح عن ابي ذر رضي الله
تعالى عنه قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان لا ياخذني في الله لومة لايم واوصاني
بصلة الرحم وان ادبرت فذكر الحديث. واخرج البزار والطبراني بسند فيه
متروك ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته قالوا
وما هن يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا
فعلت ذلك تدخل الجنة برحمته وروى الطبراني بسند جيد ما من ذي رحم ياتي
ذا رحمه فيسأله فضلا اعطاه الله اياه فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيمة من جهنم
حية يقال لها شجاع تتطوق به ورواه ابن ابي شيبة بلفظ ما من ذي
رحم ياتي رحمه فيسأله من فضل ما اعطاه اياه فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيمة
شجاع يتلمظ فيطوقه وقرأوا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
الاية وفي رواية عند الطبراني ايما رجل اتاه ابن عمه يسأله من فضله
فمنعه منعه الله يوم القيمة فتامل رحمك الله تعالى هذا الوعيد الشديد
واحذر ان تقع فيه بل اذا سألك قريبك شيئا انت قادر عليه فبادر با
عطائه صدقة عليه وصلة لرحمه واعانة له على الخير من قوت نفسه
ونفقة عياله بل الكمال الاعظم انك لا تحوجه الى ان ياتي ويسألك بل اذا ظننت
ادنى وقوع خلة به فبادر بجبره واعطائه ما يسدها فانك لن تعدم عظيم ثواب ذلك
عند من لا يخيب عنده الودايع فيجزيك باحسن من ذلك واخرج عبد ابن حميد

ذر رضي

تستطام

خ
ايما

وابن عدي والطبراني والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر رضي الله
عنه اوصيك بتقوى الله فانه زين لامرك كله انظر الى من تحتك ولا تنظر
الى من فوقك اي من الدنيا فانه اجدر ان لا تزدري نعمة الله عندك صل
قرابتك وان قطعوك قل الحق وان كان مرا لا تخف في الله لومة لائم يا ابا ذر
لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق واخرج ابن ابي الدنيا من بسط
رضاه وكف غضبه وبذل معروفه وادى امانته ووصل رحمه كان في نور
الله الاعظم واخرج احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لعقبة ابن عامر يا عقبة
الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا واهل الاخرة تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك الا ومن اراد ان يبسط له في رزقه ويمد له
في عمره فليتق الله وليصل رحمه واخرج البزار بسند فيه ضعيف متروك
ان لكل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد لا يرحم من لا يرحم ولده والذي نفسي بيده
لا يدخل الجنة الا رحيم قلنا قالوا يا رسول الله كلنا نرحم قال ليس رحمة ان يرحم
احدكم صاحبه انما الرحمة ان يرحم الناس والبزار بسند ضعيف الولد
ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة محزنة اي ان محبته تورث الجبن خوفا ان
يترك ابنه يتيما ومنع الانفاق من المال من ان يبقى فقيرا والحزن على فراقه
واحمد بسند رجاله رجال الصحيح الا واحدا فانه وثق ان فيهم اي الاولاد
قرة عين واجرا اذا قبضوا انهم لمجبنة محزنة والبزار بسند رجاله ثقات انه
صلى الله عليه وسلم اخذ الحسن فقبله ثم اقبل عليهم فقال ان الولد مبخلة مجبنة
وكان معنى كونه مبخلا ان محبته تغطي العقل فلا يبصر طرق

الهدى

الهدى فيمسك عن الانفاق وصرف المال في وجوه الخير وروى احمد والطبراني
بسند فيه ضعيف عن المطلب المخزومي قال دخلت على ام سلمة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يا بني الا احدثك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت بلى يا امه قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انفق
على ابنتين او اختين او ذواتي قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما
او يكفيهما كانتا له سترا من النار واحمد بسند جيد وابو يعلى بسند صحيح
عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاث بنات يؤويهن
ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة قيل يا رسول الله فان كانتا اثنتين
قال وان كانتا اثنتين وفي رواية للطبراني قلنا وواحدة قال وواحدة وابو
يعلى وابن حبان في صحيحه من عال ابنتين او ثلاثا او اختين او ثلاثا حتى يبن
او يموت عنهن كنت انا وهو في الجنة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى واحمد
بسند رجاله ثقات الا واحدا فوثقه ابن حبان من كانت له اختان فاحسن صحبتهما
دخل بهما الجنة والبزار بسند فيه مدلس من كفل يتيما ذا قرابة او لا قرابة له
فانا وهو في الجنة كهاتين وضم اصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة و
كان له كاجر مجاهد في سبيل الله صائما قائما وروى الطبراني بسند صحيح ما من
امتي من احد يكون له ثلاث بنات او ثلاث اخوات يعولهن الا كان معي في الجنة
هكذا وضم اصبعيه السبابة والوسطى والطبراني بسند فيه ضعيف من عال
ابنتين او اختين او خالتين او عمتين او جدتين فهو معي في الجنة كهاتين وضم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبعيه السبابة والتي تليها الحديث

ح وجمع بين اصبعيه

جيبها

واحمد بسند صحيح شكى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال امسح
راس اليتيم واطعم المسكين شامل للقريب وغيره فالقريب احق
وافضل واولى فاذا له قسا وة القلب با طعامه ابلغ واسرع فهذه فايده
عظيمة في صلة الرحم واي فايده فتنبه اليها وفي رواية اخرى زيادة فايده اخرى عظيمه
جدا ايضا وهي اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يشكو قسوة قلبه قال اتحب ان يلين
قلبك وتدرك حاجتك و الطبراني بسند فيه متروك من كفل يتيما له اي
اي بينه وبينه قرابة او لغيره حتى يغنيه الله تعالى عنه وجبت له الجنه
وفي رواية وجبت له الجنة الا ان يكون عمل عملا لا يغفر اي وهو الشرك وفي رواية
كافل اليتيم له او لغيره معي في الجنة كهاتين يعني المسبحة والوسطى وفي رواية
رجالها ثقات من كفل يتيما له او لغيره من الناس كنت انا وهو في الجنة كهاتين
و الطيالسي عن سعيد ابن المسيب قال كنت عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
فاتاه رجل فقال من انت فمت له برحم بعيدة فالان له القول وقال قال صلى الله عليه
اعرفوا انسابكم تصلوا ارحامكم فانه لا قرب بالرحم اذا قطعت وان كانت قريبة
ولا بعيدة اذا وصلت وان كانت بعيدة اي فالمدار على صلة الرحم بعدت او قربت
لا قربها فانه مع عدم الصلة لا عبرة به فادخل بعض الحفاظ في هذا الباب حديث
ابي بكر ورواته ثقات وهو ان رجلا كان يشتم ابا بكر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم جالس فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ويتبسم فلما اكثر رد عليه
ابو بكر رضي الله تعالى عنه قوله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام فلحقه ابو بكر فقال يا رسول الله يشتمني وانت تتبسم فلما

رددت عليه بعض قوله قمت فقال انه كان معك ملك يرد عنك
فلما رددت عليه قوله حضر الشيطان ولم اكن لاقعد
مع الشيطان ثم قال اعلمك يا ابا بكر ثلاث كلهن حق ما من
عبد ظلم مظلمة فيغض عنها لله عز وجل الا اعز بها نصره ولا يفتح
رجل باب مسئلة يريد بها كثرة الا زاده الله بها قلة وما فتح رجل باب
عطية يريد بها صلة الا زاده الله بها كثرة وهذا موافق لما مر في الحديث ان صلة
الرحم تزيد في الرزق وفيه مناسبة اخرى وهي انه سبق امر من يحسن
لاقاربه ويسيئون اليه مانه لا يكافيهم وانه حينيذ لا يزال منصورا ظاهرا
عليهم وقوله في هذا الحديث ما من عبد ظلم مظلمة الى اخره يؤيد ذلك ويؤكد العمل
به واخرج محمد ابن يحيى بن ابي عمر بسند ضعيف عن جبير ابن مطعم رضي الله
تعالى عنه قال وجدت قريش حجرا في الجاهلية في مقام ابراهيم فيه كتاب فحملوا
يخرجونه الى من اتاهم من اهل الكتب فلا يعلمون ما فيه حتى اتاهم حبر من اليمن
فقراه عليهم فاذا فيه انا الله ذو بكة صنعتها حين صنعت
الشمس والقمر وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الصحف الاخر انا الله
ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
قطعته او بتته وفي الصحف الاخر انا الله ذو بكة خلقت الخير
والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه
وتامل قول الفضيل رضي الله عنه اتريد ان تسكن الفردوس وتكون
مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باي عمل عملته

باي شهوة تركتها باي غيظ كتمته باي رحم قاطع وصلته باي زلة
لاخيك غفرتها باي قريب باعدته في الله باي بعيد قاربته في الله وادخل
بعض الحفاظ في هذا الباب حديث سعة عطائه صلى الله عليه وسلم لا
حامه ليتاسى به وهو ما رواه ابو بكر ابن ابي شيبه وابو داود في سننه
مختصرا عن علي كرم الله وجهه قال اجتمعت انا والعباس وفاطمه بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس يا رسول الله كبرت سني ورق عظمي وكثرت مؤنتي
فان رايت ان تامر لي بكذا وكذا وسقا من الطعام فافعل قال فافعل ذلك ثم قالت
فاطمه يا رسول الله انا منك بالمنزل الذي قد علمت فان رايت ان تامر لي كما امرت
لعمك فافعل قال فافعل ذلك فقال زيد ابن حارثه يا رسول الله كنت اعطيتني
ارضا اعيش فيها ثم قبضتها مني وان رايت ان تردها علي فافعل قال
افعل ذلك فقلت انا يا رسول الله اني رايت ان توليني حقنا من الخمس في الخمس
في كتاب الله اي حال كونه مندرجا في الاصناف الخمسه المذكوره في قوله
تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل فاقسمه في حياتك كيلا ينازعنيه احد
بعدك فافعل قال افعل ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت الى العباس
فقال يا ابا الفضل الا تسالني الذي سالنيه ابن اخيك فقال يا رسول الله انتهت مسالتي التي سا
لتك قال فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمته في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ولانيه عمر فقسمته في حياة عمر حتى كان اخر سنة من سني عمر فانه اتى عمر مالا كثيرا فعزل
حقنا ثم ارسل الي فقال هذا حقكم فخذه فاقسمه حيث كنت تقسمه فقلت يا امير المؤمنين

بنا عنه

بنا عنه الآن غنى وبالمسلمين اليه حاجه فرده عليهم تلك السنه ثم لم يدع
عنا اليه احد بعد عمر حتى قمت مقامي هذا فلقيت العباس بعد ما خرجت من عند
عمر فقال يا علي حرمتنا الغداة شيئا لا يرد علينا ابدا الى يوم القيمه وكان رجلا
داهيا واخرج ابن ابي شيبه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه لما نزلت وآت
ذا القربى حقه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمه واعطاها فدكا واخرج
ابن ابي شيبه بسند رواته ثقات واحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا رايتك
طابت نفسي وقرت عيني فانبئني عن كل شيء خلق قال كل شيء خلق من الماء قال قلت فانبئني
قال م بشيء اذا اخذت به دخلت الجنه قال افش السلام واطعم الطعام وصل الارحام وقم بالليل والناس
نيام تدخل الجنه بسلام واخرج ابن ابي شيبه وابو يعلى وابو الشيخ في كتاب الثواب
والبيهقي في الزهد عن درة بنت ابي لهب قالت قلت يا رسول الله من خير الناس قال اتقاهم
للرب واوصلهم لرحمهم وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واخرج ابن ابي شيبه عن كعب قال
والذي فلق البحر لبني اسرائيل ان في التوراة مكتوبا يا ابن ادم اتق ربك وبر والديك
وصل رحمك امد لك في عمرك وايسر لك يسرك واصرف عنك عسرك ونقل بعض العلما
ان الرجل ليصل رحمه وما بقي من عمره الا ثلاثة ايام فيزيد الله في عمره ثلاثين سنه
وان الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنه فيحطها الى ثلاثة ايام
ومن الاحاديث المصرح بذكرها الكلام عليها قال بعضهم واعلم ان في صلة الرحم
خصالا محموده رضا الله تعالى والزيادة في العمر والبركة في الرزق والزيادة في
المودة والزيادة في الاجر بعد الموت لانهم كلما ذكروا احسانه اليهم دعوا له اي ودعاؤهم

اقرب الى الاجابة من غيرهم كما صرح به الفقها وانا الواصل الرحم في ظل العرش
يوم القيمة **تنبيه** قد سبق في الاحاديث ان صلة الرحم تزيد في العمر وان
للعلما فيه قولين احدهما انها زيادة حقيقية والثاني انها زيادة مجازية
والمراد زيادة الاعمال بالبركة والاثار الصالحة التي يدوم له ثوابها
بعد الموت وسبق الاستدلال بقوله تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب
مع الاشارة الى شي من معناه وبقي منه اشيا منها **اخرج** ابن ابي شيبة وابن جرير
وابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد قال قالت قريش حين نزل ما كان لرسول
ان ياتي باية الا باذن الله ما نراك يا محمد تملك من شي ولقد فرغ من الامر فانزلت
هذه الاية تخويفا ووعيدا لهم يمحو الله ما يشا ويثبت انا ان شينا احدثنا
له من امرنا ما شينا ويحدث الله في كل رمضان فيمحو ما يشا ويثبت من ارزاق
ومصايبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم **واخرج** عبد الرزاق والفريابي وابن
نصر وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما في قوله تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت قال ينزل الله
امره في كل شهر رمضان الى سما الدنيا فيدبر امر السنة الى السنة فيمحو
ما يشا ويثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة والممات وجا هذا حديثا
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه عن ابن عمر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يمحو الله ما يشا ويثبت الا الشقاوة والسعادة
والحيات والممات **واخرجه** ابن مردويه عن ابن عباس ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم سيل عن قوله تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت قال

ذلك

ذلك كل ليلة القدر يرفع ويخفض ويرزق غير الحياة والممات والشقاوة والسعادة
فان ذلك لا يبدل **واخرج** ابن جرير عن مجاهد في الاية قال ينزل الله كل شي
يكون في السنة في ليلة القدر فيمحو ما يشا ويثبت من الاجال والارزاق
والمقادير الا الشقاوة والسعادة فانهما لا يتغيران ويعارض ذلك كله ما
اخرجه ابن ابي شيبة وابن جرير والطبراني عن ابن مسعود انه كان يقول اللهم
ان كنت كتبتني في الاشقيا فامحني من الاشقيا واثبتني في السعدا فانك تمحو ما
تشا وتثبت وسياتي كثير مما يؤيده **واخرج** ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس
يمحو الله ما يشاء ويثبت هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت
على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد سبق له خير حتى
يموت على طاعة الله الذي جعله الكتاب **واخرج** ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسماية سنة من درة بيضا لها دفتان
من ياقوت والدفتان لوحان لله كل يوم ثلاثة وستون نظرة يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده
ام الكتاب **واخرج** ابن سعد وابن جرير وابن مردويه عن الكلبي في الاية قال يمحو من الرزق
ويزيد فيه ويمحو من الاجل ويزيد فيه فقيل له من حدثك بهذا قال ابو صالح عن جابر عن
النبي صلى الله عليه وسلم **واخرج** ابن مردويه وابن عساكر عن علي كرم الله وجهه
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال له لاقرن عينك
بتفسيرها ولاقرن عين امتي بعدك بتفسيرها الصدقة على وجهها وبر الوالدين
واصطناع المعروف يحول الشقا سعادة ويزيد في العمر ويقي مصارع السو **واخرج**
ابن جرير عن قيس ابن عباد قال العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه ما يشا

واخرج عنه ايضا ابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي في الشعب عن السائب بن مهجان
من اهل الشام وكان قد ادرك الصحابة قال لما دخل عمر رضي الله تعالى عنه الشام حمد الله
واثنى عليه ووعظ وذكر وامر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام فينا خطيبا كقيامي فيكم وامر بتقوى الله وصلة
الرحم وصلاح ذات البين وقال عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة وان
الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين ابعد لا يخلون رجل بامراة الا كان
الشيطان ثالثهما ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو من امارة المسلم
وامارة المنافق انه لا تسوؤه سيئته ولا تسره حسنته ان عمل خيرا لم يرج
من الله ثوابا وان عمل شرا لم يخف من الله ذلك الشر عقوبة واجملوا في طلب الدنيا
فان الله قد تكفل بارزاقكم وكل ميسر لعمله الذي كان عاملا استعينوا الله على اعمالكم
فان الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب صلى الله على نبينا محمد واله وعليه السلام
ورحمة الله وبركاته عليكم قال البيهقي هذه خطبة عمر ابن الخطاب على اهل الشام
اثرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج ابن مردويه والديلمي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال كان ابو رومي من شر اهل زمانه وكان لم يدع شيئا من
المحارم الا ركبه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لئن رأيت ابا رومي في بعض
ازقة المدينة لاضربن عنقه وان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتاه
ضيف له فقال لزوجته اذهبي الى ابي رومي يخبز لنا منه بدرهم طعاما حتى
ييسر الله تعالى فقالت له انك لتبعثني الى ابي رومي وهو من افسق اهل المدينة
فقال اذهبي فليس عليك منه بأس ان شاء الله تعالى فانطلقت اليه فضربت

عليه

عليه الباب فقال من هذا فقالت فلانة قال ما كنت لنا بزوارة ففتح لها الباب فاخذها
بكلام رفث ومد يده اليها فاخذتها رعدة شديدة فقال لها ما شانك قالت ان
هذا عمل ما عملته قط قال ابو رومي ثكلت ابا رومي امه هذا عمل عمله منذ هو صغير لا
عليا حذر رعدة ولا يبالي علي ابو رومي عهد الله ان عاد لشيء من هذا ابدا فلما اصبح
غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابي رومي واخذ يوسع له المكان فقال
له يا ابا رومي ما عملت البارحة قال ما عسى ان اعمل يا نبي الله انا شر اهل الارض فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد حول مكتبك الى الجنة فقال يمحو الله ما يشاء ويثبت وفي
رواية انه لما راه من بعيد قال له مرحبا بابي رومي وانه قال له ان الله قد حول
مكتبك الى الجنة فقال يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب واخرج ابن
جرير عن كعب انه قال لعمر يا امير المومنين لولا اية في كتاب الله تعالى لانباتك بما
هو كائن الى يوم القيمة قال وما هي قال قول الله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب واخرج ابن جرير عن الضحاك في الاية قال يقول انسخ ما شئت واصنع
الاجال ما شئت وزدة فيها وان شئت نقصت وعنده ام الكتاب قال جملة
كتاب الله وعلمه يعني بذلك ما ينسخ منه وما يثبت وفي رواية عن ابن عباس ان المراد
من الاية ما ينسخ من القران وما يبقى وعنده ام الكتاب والناسخ والمنسوخ عنده في
ام الكتاب وجاء عن قتادة وابن زيد وغيرهما نحو ذلك واخرج ابن جرير وابن
ابي حاتم عن الحسن في قوله تعالى لكل اجل كتاب قال اجل بني ادم في كتاب يمحو الله
ما يشاء والمراد اجله ويثبت قال من لم يجئ اجله وفي رواية عنه عن جماعة يمحو
رزق هذا الميت ويثبت رزق هذا المخلوق الحي واخرج ابن جرير عن سعيد

ابن جبير في الاية قال يثبت في البطن الشقا والسعادة وكل شيء هو كاين
فيقدم منه ما يشا ويؤخر ما يشا واخرج عبد الرزاق وابن جرير عن يسار
عن ابن عباس انه سال كعبا رضي الله تعالى عنهم عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق
وما خلقه قال العلم كن كتابا فكان كتابا واخرج ابن ابي حاتم عن السدي وعنده ام
الكتاب يقول علمه الذي لا يبدل تنبيه قد سبق ان سبب تاليف هذا الكتاب
ما وقع من تقاطع شديد بين اخوين شقيقين احدهما اكبر من الاخر ووقع مني تاكيد شديد لاصغرهما ان يسامح ما امكنه ان فرض لهما ولا
ثم هما اخوة لكنه ادون من الاول وانما نقلت ذكر لقوله صلى الله عليه وسلم حق كبير
الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده رواه ابو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب
من رواية ابي هريرة ورواه ابو داود من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلا
ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص
عن ابيه عن جده سعيد بن العاص وسياتي في حقوق الوالد على ولده وهي كثيرة
لا تحصى فاذا علمت تميز مرتبة كبير الاخوة على صغيرهم وان
حقه كحق الوالدين فعلى الصغير ان يبالغ في اكرام الكبير وارضايه وبره
والتادب معه والعفو والصفح عنه ما امكنه وسياتي ايضا قوله صلى الله عليه
وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره وحينئذ فيتعين على الكبير الذي هو
بمنزلة والده على بره بان يتحمل كله وجميع ما صدر منه ويبالغ في الاحسان
اليه حتى يمحه وده ويحبه جهده ويكون خادما فضلا عن لخ ومن ثم
قال الاحنف ان طلبوا فاعطهم وان سخطوا فارضهم يمحوك وده‍م

آخرهم

ان يعينه ظ

ويحبوك جهدهم ولا تكون عليهم قفلا فيملوا حياتك ويحبوا فناك ويكرهوا
قربك فعلم ان كبير الاخوة مطلوب منه اشيا وان الاول بنص رحم الله والدا
اعان ولده على بره والثاني بنص حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على الولد
فليتامل ذلك كل من الكبير والصغير لعلهما ينجيان من مهلكات التدابر والتقا
طع والتحاسد والتخاصم والتمانع والله الموفق للصواب بمنه وكرمه تنبيه اخر
من الادوية التي اشار اليها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم النافعة لازالة التقا
طع بين الاخوين والاقارب التاذين في الاذن اخرج ابو منصور الديلمي في مسند الفر
دوس من حديث الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا استعصب على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليوذن
في اذنه اي اليمنى كما هو القياس وكان حكمة ذلك ان اساة الخلق انما تحصل من
الشيطان وقد صح عن الصادق صلى الله عليه وسلم ان الشيطان اذا سمع الاذان
ادبر وله ضراط بل في رواية اذا سمعه يبعد قدر بضع وثلاثين ميلا فلما
كان للاذان في الشيطان هذا التاثير العجيب المخرج عن حيز العقلا الى حيز البهايم
والابعاد المفرط بالكلية فعلم ان اساة خلق كل احد ممن ذكر لان الشيطان
يتخلى عنه وهو المسي الخلق واذا تخلى عنه رجع لاصل خلقته من صفا الباطن من كل كدر
وسلامة الناس منه من كل ضرر فتامل ذلك وافعل به وبما في هذا الكتاب لتسلم
وتكمل وتنعم والله سبحانه وتعالى اعلم تنبيه اخر من الادوية النافعة بل الانفع
منها ما اشار اليه تعالى بقوله عز قايلا ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو

طمع م

٤

حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فتأمل هذه الاية الكريمة وافتح بصر بصيرتك لتأملها وتأمل معناها تجد فيها قد اشتملت على انفع الادوية واجداها في ازالة العداوة بل وتبديلها صداقة وهي الدفع بالتي هي احسن وجماعها ان تحصل اليه ما قدرت عليه من خير وتودد وتحمل ما يصدر عنه في حقك فاذا فعلت ذلك لم يبق لك عدو من اهل ولا من غيرهم **وفي الحديث** رحم الله والدا اعان ولده على بره وذكر الولد الظاهر انه مثال والا فكل قريب اعان قريبه على صلته فهو مرحوم واي مرحوم وبعد ان علمت هذا الدوا الذي لا انفع منه فلا عذر لك في مقاطعة قريب ولا بعيد ولا يقبل منك التعليل بان قريبك عاملك بالقطيعة والجفا والاساءة والاذى لانه ان فرض منه ذلك فهو احمق سيء الخلق فلا تفعل كفعله فانك تكون مثله احمق سيء الخلق وما احسن ما قيل

ولم ار في عيوب الناس عيبا ۞ كعيب القادرين على الكمال

فحيث رزقك الله تعالى فطنة وعقلا معيشا ودراية ولطفا وحسن خلق فلا تضيع ذلك كله بوقوفك مع نفسك وحظك وهواك وغرضك بل المطلوب منك ان تقهر نفسك على التواضع للقريب والبعيد ما امكنك وان توصل اليه من الخير والتودد ما يقلب بغضه محبة وعداوته صداقة فان يئست من ذلك كله منه فكن انت الرابح السالم وان كان هو الخاسر الهالك وتأمل قوله تعالى وما يلقاها اي هذه الخصلة وهي الدفع بالتي هي احسن الا الذين صبروا اي على الاذى وتحمل المشاق فقهروا انفسهم ما امكنهم وحملوها على الخير بما استطاعوه وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اي وما يفعل الدفع بالتي هي احسن الا من له نصيب

بما امكنكم

عظيم

عظيم ومرتبة علية عند الله تعالى حيث وفقه لهذه المكرمة العلية ثم عقب الله تعالى ذلك بالتنبيه على ما يكون سببا لعدم الدفع بالتي هي احسن وهو تسويل الشيطان للنفوس ما يوافق هواها من محبة الانتصار للنفس والهوى ومقابلة السيئة بمثلها وقطع القاطع وعداوة العدو ثم امر الله تعالى بدفع هذه الوسوسة بتوفيق الله تعالى وهدايته **وتأمل** قوله تعالى انه هو السميع العليم تعلم ان الله يراك ويسمع وانك اذا التجأت اليه في دفع كيد الشيطان ووسوسته ومكره وحيله اجابك ونصرك عليه ووفقك للدفع بالتي هي احسن كما امرك فاحتفظ بهذه الاداب فانك بها تسلم وتغنم والله سبحانه وتعالى جار عباده ادرى واعلم **تنبيه آخر** مما يسهل عليك تحمل ما ابتليت به من اذى ارحامك وغيرهم ما في المصابيح حديث ابي داود وغيره وليس في سنده مجهول لان ابن شاهين بينه وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان للعبد عند الله درجة لم ينلها ابتلاه في الدنيا ثم صبره على البلا لينال تلك الدرجة **تنبيه آخر** ما زالت الحاذرة على صلة الرحم والمبالغة في المنع من قطعها سنة عباد الله الصالحين والعلما العاملين الا ترى ان زيد ابن عمرو ابن نفيل العدوي والد سعيد بن زيد احد العشرة وابن عم عمر بن الخطاب لما ايقظه الله تعالى الى الخروج من عبادة الاوثان الى الحق وهو دين ابراهيم واسماعيل خرج عن قريش قومه وماله وعبيده ثم خاف من قطيعتهم فرحمهم لقتلهم لبناتهم فكان ينهاهم عن ذلك فاذا راى احدا يريد قتل بنته قال لا تقتلها وانا اكفيك مؤنتها فيتركها ابوها ويصير زيد ينفق عليها فلاجل ذلك كانوا يسمونه محيي الموؤدة **وزيد هذا** مات قبل البعثة بخمس سنين

الدين

وهو اسما ... البيت ... الشيطان ... الله ... عليه

بلغه مخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالشام فخرج راجعا اليه فقتل بالطريق وجاء
انه قال لعامر بن ربيعة انا انتظر نبيا من ولد اسماعيل ثم من ولد عبد المطلب
وما اراني ادركه وانا اومن به واصدقه واشهد انه نبي فان طالت بك مدة ورايته
فاقره مني السلام فلما اسلم اقرا النبي صلى الله عليه وسلم منه السلام فرد عليه وترحم
عليه وقال سعيد ولده للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابي كان كما رايت وكما بلغك فا
ستغفر له قال نعم فانه يبعث يوم القيمة امة وحده **تنبيه آخر** كثير ممن غلب
عليهم الحقد وسوء الخلق واضمار العداوة والبغضاء يكلم رحمه ويضاحكه ويوا
سيه بظاهره وهو يضمر البغضاء باطنه ويسبه فيه ويصفه بكل صفة قبيحة
ومن هذا كان ابغض خليقة الله الى الله يوم القيمة بنص الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي قدمته وهو قوله صلى الله عليه وسلم ابغض
خليقة الله الى الله الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء
لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله
كانوا ابطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا رواه الخرايطي في مساوي
الاخلاق فتامل هذا وازل ما في صدرك لاخيك وجاهد نفسك على اخرا
جه منها ما استطعت وحذرها ان تكون ابغض خليقة الله الى الله فان هذا و
عيد شديد وتحذير غليظ اكيد فان بقيت عليه بعد علمك بهذا الحديث وهذا
الوعيد فلا تلومن الا نفسك ولا تتهمن الا اياك وفقنا الله تعالى واياك امين
تنبيه آخر اعلم ان قطيعة الرحم تؤول بالانسان الى قبايح شديدة منها
ان يصير يكرهه الناس ويكرهونه وانه لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا

ومنها

مطلب حديث الامر ثلاث
تقتل الحية والعقرب
وان كان في الصلوة

ومنها ان الناس ييأسون من خيره وقد اشار لذلك كله
الحديث الذي رواه جماعة وصححه الحاكم لكن تعقب وهو قوله صلى الله
عليه وسلم ان لكل شيء شرفا وان اشرف المجالس ما استقبل به القبلة وانما
تجالسون بالامانة فلا تصلوا خلف النايم والمحدث واقتلوا الحية والعقرب
وان كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر في كتاب اخيه بغير اذن
اخيه فكانما نظر في النار ومن احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب
ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن
بما في يد الله عز وجل اوثق منه بما في ايدي الناس الا انبئكم بشراركم من نزل
وحده ومنع رفده وجلد عبده افلا انبئكم بشر من هذا من يبغض الناس و
يبغضونه الا انبئكم بشر من هذا من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ان عيسى ابن مريم
قام في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها
اهلها فتظلموهم ولا تظالموا ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم يا بني اسرائيل انما
الامر ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلف فيه
فردوه الى الله عز وجل **تنبيه آخر** ينبغي لك ان تتامل قول خديجة رضي الله تعالى عنها
للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال اثر تبدى جبريل عليه بحراء وغطه له المرات المتعددة
لقد خشيت على نفسي كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانك اذا تاملته منها قالته رضي الله تعالى عنها
ان فيه دليلا على ان من طبع على صلة الرحم وغيرها مما ذكر معها
كذا من طبع على ذلك لا يصيبه مكروه ابدا بل يكون دايما امنا على نفسه وماله واتباعه

منصورًا على اعدائه موصولًا من اقاربه واصدقائه الا ترى انه صلى الله
عليه وسلم لما طبع على ذلك حكمت خديجة رضي الله تعالى عنها بحسب ما كان مستقرًا
عندهم في الجاهلية تكيف بما بعد الاسلام بانه لا يصيبه مكروه ابدًا للخصال
التي اجراها الله تعالى لمن كان هذا حاله ويبدل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
صنائع المعروف تقي مصارع السوء ولا صنائع للمعروف ابلغ من صنائعه مع
الارحام والاقارب فعلم ان معنى كلام خديجة رضي الله تعالى عنها فما لا
يصيبك الله بمكروه ابدًا لما جمع فيك من الخصال الحميدة والصفات الجميلة
والاخلاق المرضية من السخا والعفة والكرم والجود والشجاعة وحسن الخلق وغير
ذلك من متعلقات الكمال التي لم تجتمع كمالها لمخلوق غيره صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم تنبيه اخر انما اطلت الكلام في هذا المقام اعني الحث على صلة
الرحم والزجر عن قطعها لاني رايت في زماننا من فتور همم الناس عن الصلة ما
حملني على ذلك بل بالغوا في القطيعة الى افعال تنفر من سماعها فضلا عن ارتكابها
الاسماع وتمجها الطباع لما اشتملت عليه من قبائح لا تحصى ومساوي وقط
يعات لا تستقصى من ذلك ان اخوين اعرابيين من اعراب
الحجاز جاءا الى مكة المشرفة ليبيعا شيئًا فباع احدهما ما كان معه بنحو عشرين
درهمًا ثم خرجا متوجهين لمحلهما فلما توسطا الطريق حسد من لا دراهم معه
اخاه على تلك الدراهم فجاء من خلفه وضربه بسكين معه كان فيه حتفه
ثم ستره وذهب فلما وصل لاهله سئل عنه فانكر انه فقده فشهد عليه جماعة انه
ابوا في بيانه فقصوا طريقهما حتى انقطع اثر الاخر ففتشوا ثم وجدوه قتيلا

مثل

مثل اخوه واقر انه قتله لياخذ تلك العشرين الدرهم التي معه فاخذوه وقتلوه
ثم حرقوه فتامل كيف وصل الناس في القطيعة الى ما ذا يقتل الانسان اخاه شقيقه
على هذا الشيء الحقير جدًا لكن قد ابقى الله في الناس بقايا من الخير فلقد اخبرني
رجل من اهل الصلاح والكرم انه اضاف جماعة من العربان وكان هذا القاتل قد
سبقهم الى محل الضيافة وكان المضيف جاهلا بحاله فلما وصلوا وراوه رجعوا
كلهم فقال لهم المضيف ما شانكم قالوا لا ندخل الى محلك وفيه قاتل اخيه على شيء
تافه ولا نجالسه ولا ناكل معه فقال لهم كما انتم امهلوني قليلا وانا اخرجه فذهب
اليه واخرجه الى محل بحيث لا يرونه ثم ادخلهم فاطمأنوا حينئذ واكلوا فتامل نفرة
هؤلاء وهم من اجلاف العرب والبوادي عن قاطع الرحم هذه النفرة العظيمة تعلم
ان قبح قطيعة الرحم امر مستقر في نفوس العامة فضلا عن الخاصة واحذر ان كان
لك على نفسك ادنى غيرة وخوف ان تكون ممن خذله الله تعالى فاصمه واعماه الى ان حكم
عليه هواه بقطع رحم اقاربه حتى خرج عن دائرة من يتبع الله ويخشاه وانتظم في
سلك من ابعده واشقاه ومن نوع التهافت المؤدي الى القطيعة
ما وقع بمجلسي فان انسانا ممن نعرفه مات عن اولاد ذكور ثلاثة وبنات ثلاثة كلهم
اشقاء عن تركة واسعة وكلهم كاملون فوقع بينهم شنآن في كيفية قسمة اعيان
التركة ثم استقر امرهم على ان يكون ذلك بحضوري فحضروا الى بيتي فاقتسموا
مع شدة مخاصمة وتبرم من كل على البقية فلم تزل بهم الى ان اقتسموا الكل الا ستة
من الفلوس الجدد تساوي تلك الستة ثلاثة اخماس عشر ثلث درهم فضة فلم
تنقسم تلك الستة عليهم لان مسالتهم من تسعة كما علمت فخص كلا من الذكور فلسين وثلاثة

اتساع فلس ومن الاموات ستة اتساع فلس فاعلمناهم ان هذه الستة اتسقم عليكم صحيحة اصلاً فلا باس ان يسمح بعضكم بحصته فيها فابوا الا المشاحة ولم يسامح احد منهم بشي اصلا فقلنا لهم اشتروا بها شيا يمكن قسمته علي روسكم فابوا وعجزت الحيلة فيهم فقلنا لهم اتركوا هذه الستة فلوس حتي تصطلحوا فيها علي شي فخرجت من عندهم والامر علي ذلك فتامل هذه المشاحة بين الاخوة الا شقايق وصلت الا ماذا ولقد حدث بحضوري لهذه الواقعة كراهته بامرة لايمتنا الفقها والفرضيين فاني كنت في مبادي الطلب اذا رايت ما يبالغون فيه من تد قيق الكسور الي احد غير معقول القول في نفسي وهل يتصور ان احدا يشاح في مثل ذلك فاراني الله تعالي هذه المشاحة المبالغة عيانا حتي علمت انهم رضوان الله تعالي عليهم اخبر الناس وعلم امام عليه من المشاحة التي قد تصل الي نحو ما ذكرناه في هذه الواقعة الغريبة العجيبة ولقد رايت من المعاداة والمقاطعة الواقعة بين الاخوة المتوسمين برسوم الفقها والصلحا والصوفية والخطبا والايمة ما لا يسع الكلام عليه ديوان حافل فالاجل ذلك اطلت النفس في هذا التاليف لعل الله تعالي ان ينفع به وان يوصل الكثيرين من الاقارب والارحام الخيرات بسببه امين **تنبيه اخر** قد يقع للانسان من الغيرة لله ولرسوله ما يقتضي ان يقتل رحمه وعيدها الله ورسوله علي ذلك اذ مع رعاية جانب الله تعالي لا راعي قريب ولا غيره الا تري الي ان ابا عبيدة عامر بن الجراح احد العشرة المشهود لهم بالجنة في يوم بدر تصدي له والده فاعرض عنه فلما اكثر عليه ذلك تصدي له فاعرض عنه فلما اكثر عليه ذلك تصدي هو اليه ايضا فضربه فقتله فانزل الله تعالي مدحا له علي ذلك قوله عز قايلا لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله

ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم الاية وبها يعلم ان بغض الرحم في الله لكفره او فسقه المتيقن من تمام الايمان وانه يطلب مع ذلك الرفق بهم والاتيان القول له والاحسان اليه الا تري الي قول ائمتنا يسن لذي الرحم عيادة قريبه الذمي ويقاس بالعيادة غيرها من كل ما فيه رفق وبالذمي الفاسق الي قولهم يكره له في حرب الكفار قتل رحمه الا ان سمعه يسب الله او رسوله او الاسلام وروي ابن عساكر في تاريخه انه صلى الله عليه وسلم قال اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وزولوا مع القران اينما زال واقبلوا الحق ممن جاء به من صغير او كبير وان كان بغيضا بعيدا واردوا الباطل علي من جاء به من صغير او كبير وان كان حبيبا قريبا **تنبيه اخر** مما يعلمك نفع تعظيم الاقارب في الحياة وبعد الممات الموجب للمبالغة في صلتهم وبرهم والاحسان اليهم الحديث الذي رواه احمد والحكيم الترمذي وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض علي اقاربكم وعشايركم من الاموات فان كان خيرا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتي تهديهم كما هديتنا فتامل هذا النفع العظيم لاقاربك عليك وهم في البرزخ بدعائهم لك بالهداية وباستبشارهم بما انت فيه من الخير تجد ذلك حاملا لك علي الاحسان اليهم وصلتهم في الحياة وبالتصدق عنهم بعد الممات قال تعالي هل جزاء الاحسان الا الاحسان وصح انه صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس اي بمقابلة فعلهم الجميل معه بفعل جميل مثله **تنبيه اخر** مما يحملك علي تحري صلة الرحم ويحذرك عن قطعها وتحريك بكر العلم بان صلة الرحم تزيد في العمر وقطعها ينقص العمر رواه ابو الحسن بن معروف والخطيب وابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرايل ملكان اخوان علي مدينتين وكان احدهما بارا برحمه عادلا في رعيته وكان في عصرهما نبي فاوحي الله تعالي الي ذلك النبي انه قد بقي من عمر البار ثلاث سنين وبقي من عمر العاق ثلاثون سنة فاخبر ذلك النبي رعية هذا

عندكم

ورعية هذا فاحزن ذكر رعية العادل واحزن رعية الجاير ففزعوا بالاطفال والامهات
وتركوا الطعام والشراب وخرجوا الى الصحرا يدعون الله عز وجل ان يمتعهم بالعادل ويزيل
الجاير فاقاموا ثلاثا فاوحى الله تعالى الى ذلك النبي ان اخبر عبادي اني قد رحمتهم واجبت دعاهم
فجعلت باقي من عمر البار لذلك الجاير وما بقي من عمر الجاير لهذا البار فرجعوا الى بيوتهم ومات العاق لتمام
ثلاث سنين وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعمر من معمر
ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير تنبيه اخوان التصل الرحم وان قطعوا
صلة الانبيا والاوليا فعليك ان تتاسى بهم في ذلك فانه الحق الاعظم والكمال الاتم موسى لعله سنة
يا رب متعت فرعون اربعمائة سنة لم يصدع له فيها راس فقال يا موسى انه كان حسن الخلق فا
حببت ان اكافيه فاذا علمت ان حسن الخلق ينفع حتى كافرا ادعى الالوهية وتكبر على الله
تعالى وتجبر الم تتحيره غيره فما بالك بحسن الخلق من مسلم من امة محمد صلى الله عليه
وسلم انه يوجب من سعادة الدارين ما يتحقق به الامنية وتقر به العين ولذا
الكمل في التحلي بهم ما امكنهم نعم ان داموا على قطيعة الرحم واستمروا على اغضابهم لله لعله به حتم
وجل اليس منهم ان استحقوا القطيعة ايضا فعوملوا بمثل ما يدل على ان صلة الرحم وان
قطعوا سنة الانبيا ما لم يتمادوا وييأسوا منهم فيسعون في هلاكهم ما اخرجه ابن اسحق صاحب
السيرة ان الله بعث ارميا من بني اسرائيل وبعثه الى ملكهم ليسدده ويخبره عن الله تعالى
ما يصلح ملكه جريا على عادة بني اسرائيل ان كل ملك لا بد له من نبي كذلك واكثروا
المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم فقام خطيبا فيهم فلم
يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة قال في اخرها عن الله عز وجل
واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا عنيدا

فاسبا الباسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم
اوحى الله تعالى الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل فصاح وبكى ومزق ثيابه ونبذ التراب على
راسه فاوحى الله تعالى اليه اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اري
اسرائيل ما لا اسر به فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون
الامر في ذلك من قبلك ففرح بذلك ارميا وقال لا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلا
ك بني اسرائيل ابدا ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال
ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يعف عنا فبرحمته فلبثوا ثلاث سنين لم يزدادوا الا
تمردا فقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في
ستمائة الف راية يريد بيت المقدس فبلغ الملك فقال لارميا اين ما وعدك به ربك
فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد فارسل لارميا ملكا في صورة رجل من بني اسرائيل
فقال له ارميا من انت فقال رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت
ارحامهم ولم ات اليهم الا احسانا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا فافتني فيهم
فقال احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك ثم بعد ايام جاءه
في صورة ذلك الرجل واعلمه انه الذي جاءه ولا يستفتيه في رحمه اهل رحمه فقال
لدما طهرت اخلاقهم لك بعد قال يا نبي الله ما اعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمه
الا اتيتها اليهم وافضل فقال له ارميا ارجع فاحسن اليهم اسال الله الذي يصلح عباده
الصالحين ان يصلحهم لك فانصرف ومكث اياما ونزل بختنصر بيت المقدس اكثر من الجراد
المنتشر ففزع منهم بنو اسرائيل وقال ملكهم لارميا اين ما وعدك ربك فقال ارميا اني
واثق بموعد ربي ثم اقبل الملك الى ارميا وهو جالس على جدار بيت المقدس يضحك و

وبينتبشر بوعد ربه فجلس بين يديه فقال له من انت قال انا الذي اتيتك في شان اهلي مرتين
فقال ارميا الم يان لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال يا نبي الله كل شي كان يصيبني منهم قبل
اليوم كنت اصبر عليهم واليوم رايتهم في عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارميا على اي عمل رايتهم قال رايتهم
على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لله تعالى واتيتك وانا اسالك بالله الذي
بعثك بالحق الا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق
وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت منه هذه الكلمة ارسل الله صاعقة
من السما في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف سبعة ابواب من ابوابها فلما راى ذلك
ارميا صاح وشق ثيابه وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه لم
يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك فعلم انه بفتياه وان ذلك السايل كان رسولا من الله تعالى
اليه فطار ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطئ
الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس ثم امر كلا من جنده
ان يملا ترسه ترابا ويضعه فيه حتى ملؤه **تنبيه** اخر ينبغي لك ان تقف
على حدك وان تاخذ بيدهم اذا عثروا ما امكنك تاسيا بالعلما
العاملين والايمة العارفين فانهم اذا فعلوا ذلك في اهل زمانهم من حيث الملة
والطريقة فما بالك برحم القرابة الذي هو اولى بالرعاية عند اهل الشريعة والحقيقة
وشاهد ذلك انتصار الغزالي وعبد القادر الجيلي للحسين ابن منصور الحلاج
في واقعة قتله المشهورة وخلاصتها انه تكلم بكلام في مجلس وزير المقتدر بالله الخليفة
العباسي فافتى العلما والقضاة باباحة دمه لسبب زعم المقتدر تسليمه الى [illegible]
[illegible] فقتل بعد العشا [illegible] ثم اخرج [illegible] سنة تسع [illegible]

مطلب انتصار الغزالي والشيخ عبد القادر في حق الحلاج رحمه الله تعالى

جدثنه

الطارق وامر به فضرب الف سوط ثم قطعت اطرافه الاربع وهو
لا يتكلم ولم يضطرب ثم حز راسه واحرقت جثته ونصب
راسه ببغداد ثم طيف به البلاد كذا ذكره ابن خلكان و
قال غيره صلب وانه لما جيء به لذلك اكثر من الضحك ثم قال
للشبلي يا ابا بكر اوشي سجادتك ففرشها له فصلى عليها
ركعتين قرا في الاولى ولنبلونكم بشيء من الخوف وفي
الثانية كل نفس ذائقة الموت ثم تقدم السياف فلطمه
فهشم وجهه وانفه فصاح الشبلي واغشي على ابي الحسن الواسطي
وجماعة من المشايخ المشهورين ومن كلام الحلاج
ان الله اباح لكم دمي فاقتلوني ليس للمسلمين اليوم شغل
اهم من قتلي فقتلي قيام بالحدود ووقوف بالشريعة من
تجاوز الحدود واقيمت عليه الحدود واعلم انا رايت اراءهم
فيه فمنهم المنكر عليه بالكفر له وانه زنديق ملحد وهم كثيرون
من المحدثين والفقها ومنهم المتوقف في امره كالباز الاشهب
الامام ابن سريج فانه كان اذا سئل عنه يقول هذا رجل خفي
على حاله ونظيره قول عمر ابن عبد العزيز لما سئل عن علي و
معاوية رضي الله تعالى عنهم دما طهر الله منها سيوفنا افلا
نطهر من الخوض فيها السنتنا قال الكمال الدميري وهكذا
ينبغي لمن خاف الله ان لا يكفر احدا من اهل القبلة بكلام

يتصدر منه يحتمل التأويل على الحق والباطل فإن الخروج من الإسلام
عظيم ولا يبادر به إلا جاهل ومنهم المعظم له ولكلامه
كالإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي فقد ذكر في كتابه
مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار فصلا طويلا في أمره واعتذر
عنه عن طاماته كقوله أنا الحق وما في الجبة إلا الله وحملها
كلها على محامل حسنة وقال هذا من فرط المحبة وشدة
الوجد وهو مثل قول القائل شعرا

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... فإذا أبصرتني أبصرتنا

قال الكمال الدميري وحسبك هذا مدحة وتزكية قال
ويحكى عن شيخ العارفين قطب الزمان عبد القادر الكيلاني
قدس الله تعالى روحه أنه قال عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ
بيده ولو أدركته لأخذت بيده وهذا وما سبق
عن الغزالي في أمره كاف لمن له أدنى فهم وبصيرة انتهى ولا ينافي
ذلك أن أبا القاسم الجنيد سيد الطائفة كان من المفتين
بقتله مع كونه من أصحابه وذلك لأنه لما سئل عن ذلك قال
فتح بابا في الشريعة لا يسده إلا رأسه فأشار الجنيد رضي الله
تعالى عنه إلى أن قتله إنما هو بظاهر الشريعة دون باطن
الحقيقة فإنه محق بالنسبة إليه والجنيد كان شافعيا يفتي
على مذهب شيخه أبي ثور صاحب الشافعي ومن قال إنه كان يفتي

على

على مذهب سفيان الثوري فقد غلط لاشتباه أبي ثور عليه با
لثوري وسمي الحلاج لأنه استقضى حلاجا حاجة فقال له إنا
مشغول بالحلج فقال أنا أحلج عنك فذهب وعاد فرأى جميع قطنه
محلوجا وكان لا يحلجه عشرة رجال تنبيه آخر قد تعاقب في قطعك
لرحمك وإن كان لك نوع شبهة ألا ترى ابن محمد بن أبي بكر رضي
الله تعالى عنهما لما حضر قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وأعان عليه
جوزي بذلك وذلك أن عليا كرم الله تعالى وجهه ولاه مصر
فدخلها سنة سبع وثلاثين وأقام بها إلى أن بعث معاوية عمرو
ابن العاص في جيوش أهل الشام ومعهم معاوية بن حديج بضم
ففتح للمهملتين ومن جعله بفتح المعجمة وكسر المهملة فقد وهم
فاقتتلوا فانهزم محمد واختبأ في بيت مجنونة فدلتهم عليه فربطوه
وجروه بالأرض وأتي به إلى ابن حديج فقال له احفظني لأبي بكر
فقال قتلت من قومي في قصة عثمان ثمانين رجلا فقتله في
صفر سنة ثمان وثلاثين وأمر به أن يجر في الطريق وأن يمر به
على عمرو لكراهته لذلك وأن يحرق بالنار في جيفة حمار
وقيل وضعه حيا في جيفة حمار وأحرقه وسبب خصوص
الإحراق أنه يوم الجمل أدخل يده في هودج أخته عائشة رضي الله
تعالى عنها فمسكته فظننته أجنبيا فقالت من هذا الذي يتعرض
لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرقه الله بالنار فقال لها

يا اختاه قولي بنار الدنيا فقالت بنار الدنيا ولما سمعت امه
اسما بنت عميس رضي الله تعالى عنها بخبره كتمت الغيظ حتى شخت
قدماها دما وحدت عليه على زوجها بعد ابي بكر وجدا عظيما
وقال كان لي حبيبا وكنت اعده ولدا ولبني اخا تنبيه
اخو صلة الرحم والميل للاقارب وحفظ عهدهم والاخذ
بثارهم امر معروف مستقر حتى عند الحيوانات الضواري
فقد ذكر المسعودي عن الزبير ابن بكار ان اخوين في الجاهلية
نزلا في ظل شجرة بجنب صفاة فلما دنا الرواح خرجت لهما من
تحت الصفاة حية تحمل دينارا فالقته اليهما فقالا ان هذا
من كنز هنا فاستمرت معهما كذلك ثلاثة ايام فقال احدهما
متى ننتظرها اما نقتلها ونحفر عن هذه الكنز فنهاه عنه
اخوه وحذره العطب فابى الا قتلها فضربها فجرحها وبادر
البئر فقتلته فدفنه اخوه وقام للغد فخرجت اليه بلا شيء
معصوبة الراس فقال لها تنبيه فابى فهل تعاهديني على ان
لا تضريني ولا اضرك وترجعين الى ما كنت عليه فقالت لا
فقال ولم قالت لاني اعلم ان نفسك لا تطيب الي ابدا وانت
ترى قبر اخيك ونفسي لا تطيب ابدا وانا ارى هذه الشجة انتهى
تنبيه لخراجته ان تزدري بحمك او تبخل عليه وقد وسع
الله تعالى عليك واحوجه اليك فان عاقبته ذلك وخيمة جدا

فقد

فقد يخشى عليك ان الله تعالى يسلب نعمتك ويسبغها عليه عليه
ويحولها اليه كما وقع ان غنيا كان ياكل دجاجا مشويا وعنده
زوجته فمر به مسكين فسال شيئا فابى فنقص ماله الى ان فارق
زوجته ثم تزوجت اخر مثريا فجلس ياكل دجاجا مشويا فمر به
مسكين فامر زوجته ان تعطيه الدجاجة بكمالها فحين ان
اعطته له اذا هو زوجها الاول فاخبرت الثاني بالقصة فاذا
هو ذلك المسكين سلب نعمة الاول ماله وزوجته وجعل
الاول مسكينا يتكفف الناس لعدم شكره لما انعم الله تعالى به
عليه فتامل هذه القصة العجيبة واحذر انك اذا فعلت
مثل فعل الاول خشي عليك سلب النعم وتوالي المحن والنقم
فكن على بصيرة من امرك وادم الى الله تعالى افتقارك وحقائق
شكرك فانه لا نقمة اقوى من نقمة السلب ولا استدراج
ابلغ من استدراج الرب قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ومن استدراج الله تعالى
للعبد انه كلما احدث خطيئة جدد له نعمة وانساه التوبة والا
ستغفار ثم ياخذه قليلا قليلا ولا يباغته روى احمد
في الزهد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله تعالى
يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج
ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل

شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قال
بعض الائمة رحمه الله امر بتدبر هذه الاية وقال الحسن والله
ما احد يبسط له في الدنيا فلم يخف ان يكون قد مكر به فيها
الا كان نقصا في عمله وعجزا في رايه وما امسكها الله تعالى عن عبد
فلم يظن انه خير له الا كان نقصا وعجزا في رايه تنبيه لو
كثيرا ما يفرح الانسان على رحمه بكثرة ماله فيزدريه ويقطع رحمه
بسبب ذلك ويغفل عن ان الدنيا اهون عند الله من كل هين
وقد روى الامام احمد في الزهد عن نوف البكالي قال
انطلق مومن وكافر يتصيدان السمك فالقى الكافر شبكته على
اسم الهته فامتلأت سمكا والقى المومن شبكته على اسم الله فلم
يحصل له الا سمكة فاخذها بيده فوقعت في البحر ورجع بلا
شيء فقال الملك المومن يا رب هذا عبدك المومن ذكرك فرجع بلا
شيء والكافر ذكر الهته فامتلأت شبكته فقال له تعالى
انظر الى مسكن عبدي المومن في الجنة فانه لا يضره ما اصابه بعد
ان يصير الى هذا والى مسكن الكافر في النار فلا يغني انتهى
تنبيه اخر ينبغي لك ان تبالغ في نصح رحمك وتوصيه
بما ينفعه في دينه ودنياه فانه الصق الناس بك واحقهم بنصحك
وترك الاذى الى لقمان الحكيم وكان عبدا نوبيا من اهل
ايلة

ايلة لكن يخص الله تعالى برحمته من يشاء وصى ابنه واسمه باران
على خلاف فيه بوصايا منها يا بني كن على حذر من الكريم اذا
اهنته ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا مازحته
ومن الجاهل اذا صاحبته ومن الفاجر اذا خاصمته وتمام
هيجته ح
المعروف تعجيله عليك باحتمال الاخوان وقلة الملل للصديق
واول الغضب جنون واخره ندم ثلاثة فيها الرشد
مشاورة الناصح ومداراة العدو والحاسد والتحبب
لكل احد واحذر الحسد فانه يفسد الدين ويضعف النفس
ويعقب الندم اذا خدمت كبيرا فلا تنم عليه لاحد فانه
اذا سمع منك نقره وسمع فيك ويخشى ان تنم عليه كما نممت له
فيحترس منك وكن اقرب الناس اليه عند فرحه وابعدهم منه
عند غضبه وان ائتمنك فلا تخنه واقبل قليله فانه
يفضي بك الى كثيره وغض طرفك في مجلسه وقصر في حديثه
واكتم سره ولا تامن غضبه فان وثبته كوثبة الاسد
يا بني ان اردت ان تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء
فان المراة حرب ليس فيها صلح وهي ان احبتك اكلتك و
ان ابغضتك قتلتك تنبيه اخر لان صلة الرحم
عادة انبياء الله تعالى ورسله وصالحي عباده المتمولين
بعظيم فضلها من ذلك ما رواه احمد باسناد جيد انه

صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام فيه غيرة
شديدة فكان اذا خرج اغلقت الابواب فلم يدخل احد
على اهله حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الابواب
فاقبلت امرأة تطلع على الدار فاذا رجل قائم وسط الدار فقالت
لمن في الدار من اين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله
لتفتضحن فجاء داود فاذا الرجل قائم وسط الدار فقال
له داود من انت فقال انا الذي لا اهاب الملوك ولا
يمتنع مني الحجاب فقال داود انت اذا والله ملك الموت
مرحبا بامر الله ثم مكث مكانه حتى قبضت روحه فلما غسل
وفرغ من شانه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير اظلي
على داود فاظلت عليه الارض فقال سليمان للطير اقبضي جناحا
جناحا قال ابو هريرة فطفق رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرينا كيف دخلت الطير وقبض بيده وغلبت عليه
المضرحية اي غلبت على تظليله الطيور الطوال الاجنحة
فتامل شفقة سليمان حيث لم يسمح بان الشمس تصيب
جثة والده داود صلى الله على نبينا وعليهما وسلم بل بادر
الى امر الطير بالتظليل عليها مبالغة في الشفقة عليها لما
تقرر ان الميت يتاذى مما يتاذى منه الحي وجاء عن وهب
ان سليمان لما امر الطيور تراصت حتى استمسكت الريح وكاد

امرأته

لعله عليه

الناس

الناس يهلكون فصاحوا بسليمان وامرها ان تظل الناس من
ناحية الشمس لا الريح وكان ذلك اول ما راوه من ملك سليمان
تنبيه اخر ينبغي عليك صلة رحمك وان نزلت بك
النوايب وضاقت عليك الحيل والمذاهب الا ترى الى ما
وقع للفضل ابن يحيى البرمكي مع ابيه في محنتهما التي اصابتهما
من هرون الرشيد فانه لما حبسهما وشدد عليهما كان يحيى
لا يستطيع استعمال الماء البارد في زمن الشتاء ولا يجدان الا ماء
باردا لا يقدر على تسخينه فكان الفضل ياخذ اناء الماء
ويكشف بطنه ثم يلصقه اليها حتى يزول برده من شدة حرارة
البطن ومما ينبيك لشدة ما كانا فيه بعد ما كانا فيه
من نعيم الدنيا لم يصل غيرهما اليه انهما اشتهيا سكباجا في
الحبس فاحتالا الا في شراء قدر ولحم وخل ونحو ذلك فلما فرغا
من طبخه بانفسهما ذهب الفضل لينزل القدر فسقط قعرها
وتلف ما فيها فغلبهما الضحك وارتفعت اصواتهما حتى
سمعهما المتوكل بهما فاخبر الرشيد فارسل اليهما يقول لهما يقول
لكما امير المؤمنين ما هذا الاستخفاف بغضبي فقالا لا والله
ما هو الا اشتهينا سكباجا وقصا له القصة فبكى الرشيد
وامر لهما كل يوم بمائدة وارسل رجلا مما يستانسان به ان
يتغدى معهما كل يوم تنبيه اخر احذر شهادة الزور

عليك فانها كما مر في الحديث تبعث يوم القيمة بلسان فصيح
ذلق تقول اللهم فلان وصلني ادخله الجنة وتقول لمن
فلانا قطعني فادخله النار تنبيه آخر لا تظنن ان الرحم هم
اقاربك الادنون بل منهم الابعدون ايضا ففي حديث الديلمي
عن انس دخل علي خليلي مبتسما فقلت ما لي اراك مبتسما قال رايت
عجبا ان الرحم متعلقة بالعرش تنادي في كل يوم ثلاث
مرات الامر وصلني وصلته ومن قطعني بتته فنظرنا في ذلك
الرحم فاذا هي في خمسة عشر ابا فتامل من ينسب الى جدك
الخامس عشر من جملة رحمك تعلم ان المراد بالارحام كل قريب
اليكم من جهة الاب والام وان بعد تنبيه آخر مما ينبيك بعظيم
فضل صلة الرحم انه صلى الله عليه وسلم جعلها افضل من العتق
ففي حديث الطبراني ان ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها ميمونة
الهلالية قالت يا رسول الله اني اردت ان اعتق وليدتي هذه
فقال صلى الله عليه وسلم افلا تفدين بها بنت اختك او بنت
اختك من عاية الغنم ولم رواه الشيخان بلفظ انها اعتقت
وليدة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لو اعطيتها اخوالك كان اعظم
لاجرك فجعل صلى الله عليه وسلم اعطاها اباها لاختها او
اختها التي ترعى غنمه او غنمها او لاخوالها وتخلص بنيته او بنتها

من عاية

من عاية الغنم خيرا من العتق واولى وافضل تنبيه آخر من
صلة الرحم انك تدافع عنه ما ظلم به ما امكنك حتى لو اهين
عندك ولو بكلمة او اغتيب او بغي عليه تعين عليك المدافعة
قدر جهدك وقوتك وقد اخرج كثيرون منهم الطبراني والبيهقي
وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال خيركم المدافع عن قومه ما
لم ياثم تنبيه آخر احذر اذا سالك رحمك شيئا هو محتاج
اليه وانت قادر عليه ان ترده خائبا بالكلية فان عذاب
ذلك شديد كما في حديث الطبراني انه صلى الله عليه وسلم
قال ما من رحم يأتي يوم القيمة ذا رحمه فيسأله فضلا اعطاه
تعالى اياه فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيمة حية من جهنم يقال
لها شجاع يتلمظ فيطوق به وفي رواية له ايضا ايما رجل اتاه
ابن عمه فسأله من فضله فمنعه منعه الله يوم القيمة تنبيه
آخر ينبغي لك اذا سالك رحمك شيئا لست قادرا عليه ان تعلمه
شيئا ينفعه او تدعو له فقد اخرج الطبراني ان عليا اصابته
فاقة فقال لفاطمة رضي الله تعالى عنها لو اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فاتته في بيت ام ايمن فقال لها يا فاطمة لقد اتيتنا
لساعة ما عودتنا ان تاتينا في مثلها فقالت رضي الله تعالى
عنها يا رسول الله هذه ملائكة الله طعامها التسبيح والتحميد
فما طعامنا فقال صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق ما

اقتبس آل محمد نارا منذ ثلاثين يوما ولقد أتتنا أعنز فإن
شئت أمرت لك بخمس أعنز وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن
جبريل عليه الصلاة والسلام آنفا قالت فاطمة بل علمني الخمس
الكلمات فقال صلى الله عليه وسلم قولي يا أول الأولين ويا آخر
الآخرين ويا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم
الراحمين فعادت إلى علي رضي الله عنه وعنها فقالت ذهبت
من عندك بالدنيا وأتيتك بالآخرة وذكرت له ذلك فقال خير
أيامك تنبيه آخر ينبغي لك أن تحسن الحجة قاصدا بذلك (خير أيامك)
رحمة الله وصلة الرحم وإن اتهمت بسبب ذلك فإن الله تعالى لا بد
أن يبريك ألا ترى إلى ما وقع لمارية سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأم ولده إبراهيم وقريبها مابور رضي الله تعالى عنهم وذلك أن
المقوقس ملك مصر من قبل هرقل أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هدية فيها فرس وبغلة وهي الدلدل وحمار وهو يعفور
ومارية وأختها سيرين ومابور وهو خصي وقدح من قوارير كان
صلى الله عليه وسلم يشرب فيه وثياب من قباطي مصر وألف مثقال
ذهب وعسل من عسل مصر فدعا صلى الله عليه وسلم في عسلها
فتسرى صلى الله عليه وسلم بمارية فحملت بإبراهيم فدخل عليها فرأى (عنده) (بالبركة)
ابن عمها مابور فوقع في نفسه فرجع متغير اللون فرأى عمر
فأخبره فأخذ سيفه ثم دخل على مارية فرأى ابن عمها عندها

فاهوى

فأهوى إليه ليقتله فكشف عن سوأته فإذا هو ممسوح فرجع عمر
وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له إن جبريل أتاني وأخبرني أن
الله عز وجل قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي منهما وبشرني أن
في بطنها غلاما وأنه أشبه الخلق بي وأمرني أن أسميه إبراهيم
وزعم ابن منده وأبو نعيم أن المقوقس أسلم وغلط في ذلك لأنه ثبت
موته على نصرانيته في ولاية عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه
تنبيه آخر صح للحاكم أن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما
كتب بيده بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما حدثنا به عبد الله
ابن عمرو عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يحب الفاحش
ولا المتفحش ولا سوء الجوار ولا قطيعة الرحم ثم قال إنما مثل المؤمن
كمثل النحلة وقعت فأكلت طيبا ثم سقطت ولم تفسد ولم تكسر
كمثل القطعة الذهب الأحمر أدخلت النار فنفخ عليها ولم تتغير
ووزنت فلم تنقص فذلك مثل المؤمن وفي رواية لأحمد وغيره المؤمن
كالنحلة تأكل طيبا وتضع طيبا وقعت فلم تكسر ولم تفسد وفي
رواية للبيهقي مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبته نفعك وإن
شاورته نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع قال ابن الأثير
ووجه المشابهة حذق النحل وفطنته وقلة أذاه وحقارته
ومنفعته وقنوعه وسعيه في النهار وتنزهه عن الأقذار و
طيب أكله فإنه لا يأكل من كسب غيره ونحوله وطاعته لأميره وللنحل

آفاق تقطعه عن عمله كالظلمة والغيم والدخان والماء والنار و
كذلك للمؤمن آفات تعيره عن عمله كظلمة الغفلة وغيم الشك وريح
الغيبة **تنبيه اخر** مما يسليك ان كنت كاملا فتقصر اقاربك
في حقك ويتهمل عليك فقطيعتهم علمك بان هذه سنة الله في
الاقارب كما يدل عليه ما اخرجه ابن مردويه وابن عساكر والديلمي
عن عبد الواحد الدمشقي قال رايت ابا الدرداء يحدث الناس
ويفتيهم وولده واهل بيته جلوس يتحدثون في جانب فقيل له يا
ابا الدرداء ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم واهل بيتك
جلوس لاهين قال اني سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
ازهد الناس في الانبياء واشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما انزل
الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الى اخر الاية ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ازهد الناس في العالم اهله حتى يفارقهم وانه
ليشفع في اهل داره وجيرانه فاذا مات خلا عنهم من مردة الشياطين
اكثر من عدد ربيعة ومضر قد كانوا مشتغلين به فاكثروا التعوذ
منهم **واخرج** ابن عساكر عن محمد بن جحادة ان كعبا لقي ابا مسلم
الخولاني فقال كيف كرامتك على قومك قال اني عليهم لكريم قال اني اجد
في التوراة غير ما تقول قال وما هو قال وجدت في التوراة انه لم يكن حكيم
في قوم الا كان ازهدهم فيه قومه ثم الاقربون فالاقربون فان كان
في حسبه شيء عيروه به وان كان ابتز هنة من دهره دنيا عيروه به ٥٥

واخرج

واخرج البيهقي في المدخل عن كعب انه قال لابي مسلم كيف تجد
قومك فيك فقال مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التوراة
اذن ما كان من رجل حكيم في قوم الا بغوا عليه وحسدوه
فتامل قوله صلى الله عليه وسلم ان ازهد الناس في العالم اهله
الى آخره الموافق لقول التوراة الذي لم يغير ولم يبدل فان كعب
الاحبار رضي الله تعالى عنه كان اعلم الناس بالتوراة ما بدل منها
وما لم يبدل **وقد نقل** هذا عنها فدل صريحا على انه مما لم يبدل
سيما وقد شهد له ما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق
المصدوق انه لم يكن حكيم في قوم الا كان ازهدهم فيه قومه ثم
الاقرب فالاقرب ويقويها ايضا ما كان رجل حكيم في قوم
الا بغوا عليه وحسدوه فانك اذا تاملت ذلك علمت انه
سنة الله في خلقه **و**انك ايها الكامل في قومك المعرضين
عنك الباغين عليك الحاسدين لك الزاهدين فيك لم تنفرد
بذلك ولا قومك انفردوا بذلك بل هذه سنة الله التي قد خلت
في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا **واذا** كانت سنة الله هذه م
تخفف عليك وقابل اعراضهم وبغيهم وحسدهم بصبر ذلك
لينصرك الله عليهم ويظفرك بهم فان لك الاسوة الحسنى في
نبيك صلى الله عليه وسلم **و**سيأتي من فعل قريش معه صلى الله
عليه وسلم من الاذية والقطيعة ما يبهر العقل وهو صلى الله عليه

وسلم لا يقابل افعالهم الا بمزيد الرضى والتسليم والتلطف بهم
والرفق عليهم حتى قال يوم احد وقد شجوا وجهه وكسروا شجوا
رباعيته اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولما اكثروا عليه
الاذية بمكة ونواحيها ارسل اليه ملك الجبال ليامره فيطبق
عليهم اخشبي مكة فلم يفعل صلى الله عليه وسلم وقال اني ارجوا
ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله وقد حقق الله تعالى رجاءه
فاخرج الله تعالى من اصلابهم من المسلمين العلماء الصلحاء ما لا
يحصى فكذلك انت ينبغي لك ان توسع خلقك ولا تطيع هواك
ونفسك اذا قصروا في حقك واذوك بل قابلهم بغاية النعم و
نهاية الكرم ليبدلهم الله تعالى لك كما ابدل قريشا لنبيك محمد
صلى الله عليه وسلم الذي اقتديت به في ذلك وتسلى عليك
من اخباره صلى الله عليه وسلم مع قومه الدالة على مبالغتهم في
قطيعة الرحم وما لقيه في صلتها ما يكون ان شاء الله تعالى
سببا لتاسيك به صلى الله عليه وسلم مع قومك ليظفرك الله تعالى
بهم وينصرك ويرفعك عليهم فعليك بتجرع مرارة غصصهم و
حرارة كيدهم وبهتهم وحقدهم وحسدهم واحذر ان تقابل
احدا منهم بمثل فعله فانك حينئذ تكون قد استوفيت
لنفسك فيكلك الله تعالى الى نفسك ويمنع عنك خوارق نصره ونظره
اليك بعين الاسعاف والاسعاد والانجاف والامداد حققه الله

تعالى لنا

٩٦

تعالى لنا ولك ذلك بمنه وكرمه آمين **تنبيه آخر** لا تظنن كغيره
من جهلة العوام انك اذا سالك رحمك في شيء فابيت الا ثمن مثله او
في تزويج بنته فابيت الا بمهر مثلها او نحو ذلك من الامور التي لا يجبر عليهما
صاحبها لقريب ولا لغيره يكون ذلك قطعا للرحم معاذ الله بل
لو امتنع من تزويجك بالكلية لم تعد بذلك قاطعا لانه قد يرى بذلك
لموليته الحظ في غيرك دونك وان غيرك احظ لها وكما انه مامور بصلة
رحمه هو مامور امرا مؤكدا اكد واعلا بالاحتياط لموليته وبذل
الجهد لها في الحظ الاحظ ما امكنه فاذا وقع لك ذلك مع
رحمك فاللائق بك ان تحمله على المحمل الحسن ولا تعد ذلك منه
قطيعة رحم كيف والمترتب عليه من كسر الخاطر وقطع رقة القرابة
وصلة الرحم امور لا ينبغي الا ترك فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا جاءكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوا تكن
فتنة في الارض وفساد فتامل قوله صلى الله عليه وسلم
من ترضون دينه وامانته تعلم انه من منعك لانه قد لا يعلم
دينك وقد لا يعلم امانتك على ان ذكر هذين الظاهر انه للتمثيل لا للحصر
والا فلو علم دينك وامانتك لكن علم منك سوء خلق او عشرة او تشح
وبخل كان معذورا ايضا كما هو واضح وتامل ايضا قوله الا
تفعلوا الى آخره تعلم ان المنع من غير علة يترتب عليه مفاسد
وفتن لا تحصى سيما بين الارحام والاقارب ومما يدل لما ذكرته

لكان طلب القريب ممن المثل منك لمولبيته لابوته في صلة الرحم
وان كنت فقيرا معدما ما رواه ابو حاتم عن انس ولاحمد في المناقب
مثله انه قال جاء ابو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة رضي الله تعالى عنها من
النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيئا فانطلقا الى علي
كرم الله وجهه يامرانه بطلب ذلك قال علي فنبهاني لامر فقمت اجر
ردائي حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت زوجني فاطمة قال
وعندك شيء قلت فرسي وبدني قال اما فرسك فلا بد لك منها واما
بدنك فبعها فبعتها باربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعتها
في حجره فقبض منها قبضة فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم
ان يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من ادم حشوها
ليف وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث شيئا حتى اتيك فجاءت مع
ام ايمن فقعدت في جانب البيت وانا في جانب وجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هنا اخي فقالت ام ايمن اخوك وقد
زوجته ابنتك ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ايتيني قال نعم م
بماء فقامت الى قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه
ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى راسها
وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال
لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي رضي
الله تعالى عنه ثم قال ادخل باهلك بسم الله والبركة وفي رواية

انه قال

٩٧

انه قال لعلي بعد العقد جمع شملكما واعز جدكما اي غناكما وحفظكما
وبارك عليكما واخرج منكما طيبا قال انس فوالله لقد اخرج الله
منهما الكثير الطيب وهذه القصة ثم في كتابي الصواعق المحرقة فتامل
قول سيد الواصلين ومقتدي المشرعين لعلي لما خطب منه فاطمة خ بدنه
اعندك شيء وامره ببيع ابله وقد كان محتاجا اليها غاية الحاجة
تعلم صحة جميع ما ذكرته لك وانه الحق الواضح فاياك ان تعدل عنه كيفه
ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتدا بجميع ما جا عنه
الاسوة الحسنى اذ لا اقرب للنبي من علي رحما وولاء ومحبة واخوة كما
في هذه القصة ومع ذلك لم يجبه حتى قال الك معك شيء اي امعك
شيء تمهرها به فدل على ان طلب ذلك لا ينافي البلوغ في صلة الرحم
الى الغاية لانه صلى الله عليه وسلم لا اوصل منه مع صدقه فهذه الكلمة
منه ومع امره باخراج ما يحتاج او يضطر اليه تنبيه اخر
ينبغي لك ان تفرغ ذهنك الى فضيلة الرحم وما لها من الفخر والجلالة صلته م
والعلو والنهاية والمدح والرعاية وذلك بان تتامل جميع ما مر
وتضم الى ذلك قصة حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه عم
النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه قتله قام يفتش عليه في القتلى فلما
راه وقد مثل به فجدع انفه واذناه وشق بطنه عن كبده فشقته هند حتى بطنه
اخذته ولاكته فلم تستطع بلعه لكونه قتل ابيها واحد اقاربها
فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى شيء لم ينظر الى شيء غيره اوجع لقلبه منه

فقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولاً للخير وصولاً للرحم أم والله
لافعلن بسبعين منهم مكانك تتمة وصفه صلى الله عليه وسلم
لعمه القتيل في سبيل الله الذي فعل في الإسلام وإبادة الشرك وأهله
من المآثر لم يفعله غيره ومع ذلك لم يمدحه صلى الله عليه وسلم إلا بقوله
فعولاً للخير وصولاً للرحم تعلم عظم فضيلة صلة الرحم وجلالة فخرها
وعلو التبجح بها وأنها يتبجح بها من دون بقية الأوصاف الجليلة وإن
بلغت في الكمال إلى الغاية فعليك بهذه الخصلة الغريزية التي تعادل
الأوصاف الكثيرة فلعل ذلك يحملك على مراعاة صلة الرحم ما أمكنك
لما علمت من باهر فضلها وجلالتها تنبيه آخر مما يؤكد عليك هذا
الذي قررته في التنبيه الذي قبل هذا قضية خديجة رضي الله تعالى
عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها البخاري في صحيحه من حديث
عائشة رضي الله تعالى عنها وهو أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت
مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو
وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة
رضي الله تعالى عنها فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء
فجاءه الملك فيه أي جبريل فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ فأخذني
فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ
فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت

ما انا

ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها ترجف
بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى
ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي وأخبرها الخبر ثم قال قد خشيت
على نفسي فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم
وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فتأمل
قول خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لتصل الرحم إلى آخره جعلت حيثم
صلة الرحم رأس الأمور في الوقاية من كل خزي وشر وخوف وفي
الثناء بكل خير وفرح وسرور وحيث قدمتها على هذه الصفات
التي ذكرتها بعدها بقولها وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري
الضيف وتعين على نوائب الحق تعلم شرف صلة الرحم وعلوها
وأنها تدل على جميع الأخلاق الحسنة وتدفع جميع الفتن والمحن
فاستمسك بهديها وبادر واجتهد في تخلقك بها فإن الله تعالى ببركتها
يدفع عنك كل خزي وندامة في الدنيا والآخرة كما أشارت إليه خديجة
بقولها كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم فجعلت صلة
الرحم علة لما نفته من خزي الله تعالى وغضبه وتسليطه الفتن و
المحن على المكلف وإذا تقرر هذا فلا عذر لك حينئذ في التخلف عن
صلتك لأرحامك بكل ما قدرت عليه فإن من شرف أوصاف الرجل أن يقال
في حقه فلان وصول للرحم أو إنك لتصل الرحم وأيضاً فإن الله

تعالى يقيك ببركة صلتك للرحم من كل خزي وندامة وخوف على نفسك و
غيرها وهذه فوايد جليلة ينبغي لكل عاقل ان ينتسب في تحصيلها
لنفسه واياك ثم اياك ان ياتيك ابليس اللعين فيقول لك ان هذه
صفة الانبيا واكابر الاوليا ولست منهم ولا قدرة لك على ذلك فانك
ان اصغيت له اهلكك هلاكا لا هلاك بعده وقوله لك ما ذكر
خيال باطل كيف مؤكدا وما احسن ما قيل شعرا

ولم ار في عيوب الناس عيبا ؛ كعيب القادرين على الكمال

ويلزم من سماعك للعين ثم سماعك له في سائر صفات الكمال فتظل في هذا لم
ضالا لا مبينا وتخسر خسرانا ابديا فاحذر العدو وممتثلا قول ربك
محذرا لك منه يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير واختلف العلما في
معنى قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى عنها قد خشيت
على نفسي فقيل خشي على نفسه الجنون من هذا الذي جاءه وغطه هذا
الغط المنكر وذلك قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الملك ان
ما جاء به القران وكان اشق شيء عليه صلى الله عليه وسلم ان يقال
عنه انه مجنون وقيل انما خشي ان يقتله قومه ولا غرو فانه بشر
يخشى من القتل والاذية كما يخشى من البشر تنبيه آخر ينبغي ان يكون
لك الاسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما امرك الله تعالى بذلك

بقوله

بقوله عز قايلا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وذلك
في الطريق يوم انه صلى الله عليه وسلم لما سار بجموع العسكر الى فتح مكة لقيه
ابن عمه في الطريق ابو سفيان بن الحارث وولده جعفر وابن
عمته عاتكة عبد الله ابن ابي امية فاعرض صلى الله عليه وسلم
عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الاذى والهجو وكان ابو
سفيان المذكور اخاه صلى الله عليه وسلم من رضاع حليمة وكان
يالف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث لما كثر ما بينهما
من الاخوة والرحم فلما بعث اذاه الاذى الشديد وهجاه
وعاداه فهذا هو سبب اعراضه صلى الله عليه وسلم فقالت
له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك وقال علي
لابي سفيان ايت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه
فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان
كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه
قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال صلى الله عليه وسلم لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وقيل انه ما
رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء منه
وكان اسلامهما قبل دخول مكة فتامل عظيم حلمه صلى الله عليه
منه وسلم ورافته ورقته للرحم فانه بادنى تذكر لام سلمة رجع الى
غاية صلتهما والعفو والشفقة عليهما ثم ان ذكرته قول اخوة

يوسف المتضمن للاعتراف بالذنب والتقصير في حفظ الرحم والتفريط
بتضييع صلته اجاب بما يتضمن العفو والرضا وعدم المواخذة والدعا
بالمغفرة فكن ان اردت هذه التاسي الاعظم بحبيبك وشفيعك
ووسيلتك الى ربك مع رحمك فاذا فعلوا معك ما فعلوا من الايذا كذلكم
والشتم والعداوة والهجران جاوز معذرتهم فاقبلهم واعف عنهم
وسامحهم فيما وقع منهم وقابلهم باسط وجه واوسع رحب واعطف
عليهم وقربهم اليك فانك حينئذ تكون من افضل الواصلين واكمل المقتدين
حقق الله تعالى لنا ولك هيئته وكرمه امين تنبيه اخر صح في
البخاري وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوما على بيت ابنته
فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال لها اين ابن عمك قالت يا رسول الله كان
بيني وبينه شي فغاضبني ولم يقل عندي فخرج من عندها صلى الله
عليه وسلم وامر من يلتمسه له فذهب ثم جاء اليه فقال يا رسول الله
انه راقد في المسجد فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فراه راقدا وقد
سقط رداوه عن كتفه وعليه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينفض التراب ويقول قم ابا تراب قال العلما انما قال لها عندهم
ابن عمك ولم يقل زوجك تذكيرا لها بالقرابة والرحم لتنجلي
ما عندها من عظيم وداد القرابة وصلة الرحم الى المزيد من صلة
علي والحنو والشفقة عليه لان الانسان كلما ذكر في
منهم بالرحم تذكر وبذل وسعه في العمل بمقتضى ذلك التذكير

من غاية

من غاية صلة الرحم والاحسان اليها ولقد ارشد صلى الله عليه وسلم
هذا المقام الذي هو مقام التوفية ما يوكده ويدعو الى فعله
بقوله ابن عمك ولم يقل ابن عم ابيك لان الاول اقرب وكلما
ازداد القرب ازداد الاحسان وتاكدت الصلة فعدل صلى الله عليه
وسلم عن الحقيقة الى المجاز لاجل هذه النكتة فتامل
خطر قدر الرحم وجلالتها وشهرة تاكد حقها حيث دعا صلى
الله عليه وسلم فاطمة بمجرد ذكرها الى ان لا تعود لمغاضبة ابن
عمها حفظا للرحم وان تتوصى به وتخضع له وتحمل كل غاية لقرا بته
ودم تعلم ما لها من الحقوق الواجبة الرعاية والاداب الكاملة
النهاية فلعلك تمتثل ذلك وتعول عليه وتدعو نفسك واخوانك
وكل احد اليه فانه الخير الدائم نفعه العظيم وقعه العلي بجدواه
الصعب مرقاه وفقنا الله تعالى واياك لذلك امين تنبيه اخر
ينبغي لك ان لا توثر رحمك على حقوق الله تعالى بل يتعين عليك ان
تجاهدهم في الله سبحانه بيدك ولسانك لانه غاية جانب الله
تعالى اولى واخو الازري الى ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله
بن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
راى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف فاخذتهم
سنة حصت كل شيء حتى اكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر احدهم
الى السماء فيرى الدخان من الجوع فاتاه ابو سفيان فقال يا محمد انك

انك تامر بطاعة الله تعالى وصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع
الله تعالى لهم فقال الله عز وجل فارتقب يوم تاتي السماء بدخان
مبين الى قوله عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى والبطشة يوم
بدر فقد مضى الدخان واللزام وآية الروم وفي رواية للبخاري
ايضا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا رفع راسه من الركعة الاخيرة يقول اللهم انج عياش بن ابي كان م
ربيعة اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج الوليد اللهم انج المستضعفين
من المومنين اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها سنين
كسني يوسف **فتامل** ان مضر لما قطعوا رحمه صلى الله عليه وسلم
ورحم اصحابه حيث عذبوا منهم هولاء المذكورين مع كونهم
ارحامهم استحقوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم
لعلهم ينكفوا عن قطع رحمهم بهذا الدعا الذي كاد ان يهلكهم عن
آخرهم لولا انهم تداركوا انفسهم وسالوه ان يدعو برفع ذلك عنهم نعم
انه حمد اذا قطعوا وصلتك ولم يرعوا فيك حقوق الله تعالى فلك
ان تدعو عليهم بما يكون سببا لرجوعهم عن قطيعتهم ومن ثم جاء
عن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ان ولدهما عبد الرحمن كان مع ورحمته م
المشركين يوم بدر فكان اذا حمل على المسلمين دعا له بالتوبة **فتامل**
هذا الصنيع من الصديق كرم الله تعالى وجهه الماخوذ مما ذكر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عند الاضطرار الى الدعا عليه

لكونه

لكونه حمل على المسلمين واراد اهلاكهم دعا بنظير فعله وعند عدم
الاضطرار الى الدعا عليه وهذا اذا عرض عنهم دعا عليه بالتوبة
نعلم انه ينبغي لك ان لا تعامل رحمك الا بما اضطررت اليه وعند
ذلك لا تدعوا ولا تقابل الا بما يكفي شره عنك لا غير **شرح غريب
هذا الحديث** مضر بضم الميم وفتح المعجمة هو بن نزار والمراد القبيلة
وسلمة بفتح اللام هو اخو ابي جهل اسلامه قديم وعذب في الله
ومنع من الهجرة للمدينة استشهد سنة اربع عشرة في اول خلافة
عمر وعياش بمهملة مفتوحة فتحتية مشددة ثم معجمة ابن ابي
ربيعة هو عمر اخو ابي جهل اسلم قديما واوثقه ابو جهل بمكة
والوليد بفتح فكسر اخو خالد بن الوليد اسر يوم بدر كافرا فلما
افدى اسلم فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدي قال كرهت ان
يظنوا بي اني اسلمت جزعا فحبس بمكة ثم افلت من اسرهم فدعا له صلى
الله عليه وسلم ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم والوطاة بفتح الواو
وسكون المهملة وبالهمزة البأس والعقوبة من الوطي الذي هو
شدة الاعتماد بالرجل واجعلها اي الوطاة والتشبيه بسني
يوسف في القحط وامتداد زمان المحنة والبلا وغاية الشدة
والناس المراد بهم قريش فاللام للعهد والادبار اي عن الاسلام
والسنة القحط وحصت بمهملتين اي ذهبت بقال سنة حصا لا
خير فيها والجيف جمع جيفة وهي جثة الميتة اذا انتنت واللزام

القتل وقبل الاسر فاسر يوم بدر منهم سبعين كما اسر سبعون قال
الشراح في الحديث جواز الدعا على الكفار بالجوع وانما دعا
عليهم بذلك ليضعفهم عن طغيانهم فان نفس الجايع اخشى واقرب
للانقياد فاجاب الله تعالى دعوته واعلم انهم سيعودون لما
كانوا عليه **تنبيه اخر** ينبغي لك اذا انتقمت ممن رحمك الله
تعالى ثم رايت منهم فيئة ورجوعا الى الله تعالى ان تبادر الى صلتهم و
تبالغ في رفع مضرتهم الاترى الى ما وقع في يوم فتح مكة من سعد
ابن عبادة سيد الخزرج وكان حامل راية الانصار انه لما راى
ابا سفيان وقد ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم وامر من هو موكل
عليه ان يقف به على الطريق ليرى قبايل الاسلام وما هم عليه من
القوة الباهرة والابهة القاهرة فقال له يا ابا سفيان اليوم
يوم الملحمة اي القتل اي تستحل الكعبة **وفي رواية** الحرمة فتاوه
ابو سفيان من هذه الكلمة وخشي على نفسه وتمنى الهلاك وترفق الى
سعد في ان يحمي وتمنى ان تكون له قوة يحمي بها قومه ثم لما مر
عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال له امرت بقتل قومك قال لا قال
ان سعدا قال كذا ثم ناشده الله والرحم فقال يا ابا سفيان
اليوم يوم المرحمة يعز الله قريشا وعارضته صلى الله عليه وسلم
امراة من قريش فقالت

يا نبي الهدى اليك لجاء ... في قريش ولات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الا ... رض وعاداهم اله السماء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر ... باهل الحجون والبطحاء

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم شعرها دخلته الرافة بقريش
والرحمة لهم وحينئذ ارسل عليا الى سعد فاخذ الراية منه خوفا
ان يكون له في قريش صولة وبان يدفعها الى ولد سعد وهو
قيس رضي الله تعالى عنهما **فتامل** هذه الواقعة العجيبة الشان
بعين التدبر والتامل لتتاسى باخلاق نبيك محمد صلى الله
عليه وسلم فانه مع ما بالغت قريش في قطيعة رحمه ووصلة
قرابته وتفريطهم في اذايته وايذا رحامهم من المهاجرين لما سمع
منهم ادنى رقة وتعطف عطف عليهم وعاقب سعدا في قوله تلك
الكلمة باخذ الراية منه فكذلك ينبغي لك ايها الموفق ان تكون
كذلك فاذا بالغ رحمك في قطع الرحم وزاد في الايذا الى الحد
الاعلى ثم جاءك وترفق اليك وسالك العفو والصفح فاجبه
لذلك واحمده واشكره عليه ولا تنظر لما مضى منه بوجه من الوجوه
فان من شان الكرام العفو عن زلات اللئام والحمد لله والسلام
تنبيه اخر ينبغي ان تصبر على اذى رحامك فضلا عن غيرهم
فلعل لك درجة عند الله تعالى لكنها موقوفة على صبرك وفي
الحديث الذي رواه البخاري في تاريخه وابو داود في سننه
وابن شاهين انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان للعبد عند الله

خ انه

عليهم

بلغ

درجة لم يبلغها باسلاه في الدنيا ثم صبره على البلاء ليبلغ تلك
الدرجة **تنبيه آخر** قد تطلب منك محبة استاذك ومعلمك
ومرشدك اكثر من جميع اهلك لانه لا رابطة يعتد بها الا رابطة
الدين ولا قرب الا قربه **فتأمل** ما وقع لزيد ابن حارثة الكلبي
وامه من بني معن ابن طي فاغارت عليهم خيل فاحتملوه وباعوه
بسوق عكاظ فاشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة ام المؤمنين
رضي الله تعالى عنهم فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم وهبته له
ثم علم به ابوه وعمه فجاءا ليفدياه فدخلا على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بالمسجد فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه انتم اهل
حرم الله تفكون العاني وتطعمون الاسير جئناك في ولدنا
عندك فامنن علينا واحسن في فدائه قال وما ذاك قالوا زيد
ابن حارثة فقال او غير ذلك ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم
بغير فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني
فدا قالوا زدتنا على النصفة فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال
نعم هذا ابي وهذا عمي قال وانا من قد علمت ورايت صحبتي لك
فاخترني او اخترهما فقال زيد ما انا بالذي اختار عليك
احدا انت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار
العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم اني
قد رايت من هذا الرجل شيئا ما انا بالذي اختار عليه احدا فلما

راي

راي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اخرجه الى الحجر فقال
اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه **فلما** راي ذلك ابوه وعمه طابت
انفسهما وانصرفا
~~انفسهما~~ فدعا زيد ابن محمد حتى جاء الاسلام وانزل الله تعالى
ادعوهم لابائهم ما كان محمد ابا احد من رجالكم ذكر ذلك ابن سعد
وابن اسحق بنحوه **زوجه** النبي صلى الله عليه وسلم مولاته ام ايمن
فكان اسامة
فولدت له اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه
ثم زوجه صلى الله عليه وسلم قرشيات اخر ولم يذكر صحابي في
القران باسم العلم الا زيد هذا **وجاء** باسناد قوي عن عائشة
رضي الله تعالى عنها ما بعثه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة
في سرية الا امره عليهم ولو بقي لاستخلفه اي لكنه مات في حياته
في غزوة مؤتة بارض الشام وصح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه
فرض عمر لاسامة اكثر مما فرض لي فسالته فقال انه كان احب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم منك وان اباه كان احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ابيك **تنبيه آخر** قد يكثر ايذا القريب
لقريبه الى ان ييأس من صلاحه فيتمادى عليه فيستجاب له وقد
صحح الحاكم انه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة ابن ابي لهب
لعنهما الله تعالى وقبحهما فقال اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك فافترسه الاسد بالزرقا من ارض الشام **وروى**
الحافظ ابو نعيم بسنده الى الاسود ابن هبار قال تجهز ابو لهب

وابن عتبة نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا السراة فرأينا صومعة
راهب فقال الراهب ما انزلكم ههنا هنا سباع فقال ابو لهب
انتم عرفتم سني وحقي قلنا اجل قال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا
متاعكم على هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه وناموا حوله
ففعلنا ذلك وجمعنا المتاع حتى ارتفع ورقدنا حوله وبات
عتبة فوق المتاع وجاء الاسد فشم وجوهنا ثم وثب فاذا هو
فوق المتاع فقطع راسه فقال سيفي يا كلب لم ينفذ الى غير ذلك
وفي رواية فضربه الاسد بيده ضربة واحدة فخدشه فقال
قتلني فمات لساعته فطلبنا الاسد فلم نجده وسمى صلى الله عليه
وسلم الاسد كلبا لانه يشبهه في رفع رجله عند البول وتامل
هذا مع ما وقع للاسد مع سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه اخطأ الجيش واسر بارض الروم فانطلق هاربا فاذا هو
بالاسد فقال له يا ابا الحارث انا سفينة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان من امري كيت وكيت فاقبل يبصبص حتى
قام الى جانبه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش فرجع الاسد وراه
اليه **وفي رواية** فقلت انا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا تائه فجعل يغمز بي بمنكبه حتى اقامني على الطريق ثم
همهم فظننت انه السلام **تنبيه اخر** احذر ان تبعد قريبك
اتكالا على قرابته وان تدني عدوك ثقة بالغالة فانا لا اولى بصرك

ضررا

ضررا بينا والثاني لا ينفعك **الاترى** انه قيل لابي مسلم الخراساني
وهو المميت لدولة بني امية والمحيي لدولة بني العباس ما كان
سبب خروج الدولة عن بني امية قال لانهم ابعدوا اولياءهم ثقة
بهم وادنوا اعداءهم تالفا لهم فلم يصر العدو صديقا بدنوه و
صار الصديق عدوا بابعاده **تنبيه اخر** ينبغي لك ان تساعد
اقاربك على ما ينوبهم لا سيما النساء لضعفهن وكثرة تطرق الفساد
اليهن فاذا وقع لهن امر مع ازواجهن مما يخشى منه عليهن الفساد
فاجتهد في ازالته ما امكنك **الاترى** ما حكاه بعض اهل
التواريخ ان ملكا دار في مملكته فعطش فوقف بباب وطلب ما
فخرجت له امراة جميلة فناولته كوزا ما فافتتن بها فراودها عن
نفسها فعلمت انه لا يمكنها الامتناع فاخرجت له كتابا وقالت
له انظر في هذا حتى اصلح في شاني فنظر فيه فاذا فيه الزجر عن
الزنا فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بها فناولها اياه ثم
ذهب فلما جاء زوجها اخبرته فخاف ان يكون للملك فيها غرض
فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك مدة فاعلمت اقاربها فرفعوا الى
الملك فقالوا ان هذا قد استاجر ارضا للزراعة فزرعها مدة فعطلها
فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنوجرها لمن يزرعها وقد حصل
الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا
لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المراة ما يمنعك من زرع ارضك

فقال بلغني ان الاسد دخلها وقد هبته فلم اقدر على الدنو منها
لعلمي اني لا طاقة لي به فتبسم الملك من القصة فقال يا هذا ان ارضك
طيبة صالحة للزرع فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد
لن يعود اليها وامر لها ولزوجها بصلة طيبة **تنبيه آخر**
احذر ان تقطع رحمك ولو بادني قاطع فيقيض الله تعالى لهم من يشنو في
لهم منك وينصرهم ويعاملك بضد قصدك **انظر** الى ما وقع الى
هشام بن عبد الملك حج في ايام ابيه وهو امير المؤمنين فلما طاف
جهد ان يصل الى الحجر ليستلمه فمنع من الزحمة فنصب له كرسي وجلس
عليه ينظر الناس ومعه جماعة من اعيان اهل الشام فبينما اقبل
الامام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما وكان
من اجمل الناس وجها واطيبهم ريحا فطاف فلما انتهى الى الحجر تنحى له
الناس حتى استلمه فقال رجل من اهل الشام من هذا وكان الفرزدق حاضرا
فقال انا اعرفه وانشد قصيدته المشهورة منها

هذا ابن خير عباد الله كلهم ** هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ** والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا رأته قريش قال قائلها ** الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ** فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته ** كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ** بجده انبياء الله قد ختموا

وليس

وليس قولك من هذا بضائره ** العرب تعرف من انكرت والعجم
ما قال لا قط الا في تشهده ** لولا التشهد كانت لاؤه نعم
من معشر حبهم دين وبغضهم ** كفر وقربهم منجى ومعتصم

فغضب هشام على الفرزدق وامر بحبسه فانفذ زين العابدين
اثني عشر الف درهم فردها فقال مدحته لله لا للعطاء فارسل اليه
انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده والله تعالى يعلم نيتك
ويثيبك عليها فشكر الله تعالى سعيك فلما بلغته الرسالة قبلها
تنبيه آخر ينبغي لك اذا ظلمت فيما يتعلق بك لا سيما من رحمك
ان لا تنتصر لنفسك ابدا بل كل امرهم الى الله تعالى وادع ان يصلحهم
لك حتى يرجعوا عما هم عليه ومما يزيدك حرصا على هذا المقام
تاملك في قصة خبيب رضي الله تعالى عنه مع اهل مكة لما ارادوا
قتله وذلك ان جماعة من عضل بفتح المعجمة واللام والقارة
بالقاف قبيلتين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
احد فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك
يفقهوننا فبعث معهم ستة من اصحابه وامر عليهم عاصم بن ثابت
فخرجوا معهم حتى اتوا الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم ماء لهذيل بين مكة و
عسفان الى جهة الحجاز غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم
يشعروا الا وهم عليهم فارادوا قتالهم فخدعوهم **وفي** البخاري حتى
اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحي من هذيل فقال لهم بنو لحيان

فنفروا لهم بقريب من مائتي رجل وفي رواية فنزلوا بالرجيع سحرا
فاكلوا تمر عجوة فسقط نواه بالارض فراته راعية غنم من هذيل فعرفت
انه من تمر يثرب فصاحت في قومها اتيتم فجاوا يقتصون اثرهم حتى ادركوهم
كامنين في الجبل فاحاطوا بهم وعاهدوهم ان نزلوا ان لا يقتلوهم
فامتنع عاصم فرموه بالنبل حتى قتلوه ونزل اليهم زيد بن الدثنة بفتح
المهملة وكسر المثلثة وفتح النون المشددة وخبيب ابن عدي وآخر
فانطلقوا بالاولين حتى باعوهما بمكة فابتاع بنو الحارث ابن عامر خبيبا
فلبث عندهم اسيرا حتى اجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث
موسى ليستحلق بها عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل اليه الصبي
فاجلسه عنده فخشيت المراة ان يقتله ففزعت فقال خبيب ما
كنت لافعله فقالت والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته
ياكل قطفا من عنب مثل راس الرجل وانه لموثق بالحديد وما كان
بمكة من ثمرة يومئذ وما هو الا رزق رزقه الله تعالى ولما
خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين فصلاهما
في محل مسجد التنعيم وقال اللهم احصهم عددا ولا تبق منهم
احدا واقتلهم بددا اي متفرقين فلم يحل الحول واحد منهم حتى قتلوا
وقال ايضا اللهم لا احد يبلغ رسولك مني السلام فجا جبريل
فبلغه ثم انشا يقول

فلست ابالي حين اقتل مسلما * على اي شق كان لله مصرعي

وذلك

وذلك في ذات الاله وان يشا * يبارك على اوصال شلو ممزع
وممزع بالزاي والمهملة اي اعضا جسد مقطع وهو اول من سن
هاتين الركعتين لكل مسلم عند القتل اي فعلهما اجتهادا
واقره صلى الله عليه وسلم وقد فعلهما ايضا زيد مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء عن الليث ابن سعد بلغني ان زيد
اكترى بغلا بالطايف على ان ينزل حيث شا فمال به الى خربة بها
قتلى كثيرة ليقتله فقال دعني ان اصلي ركعتين قال قد صلاهما
قبلك هولاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا فلما صلى اتاه ليقتله
فقال يا ارحم الراحمين فسمع صوتا لا تقتله فهابه
فخرج يطلب فلم ير شيئا فعاد اليه فقال ذلك فسمع ذلك
الصوت فخرج فلم ير شيئا فعاد فقال ذلك فاذا بفارس على
فرس بيده حربة حديد في راسها شعلة نار فطعنه بها
فانفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا
ارحم الراحمين كنت في السما السابعة فلما دعوت
المرة الثانية يا ارحم الراحمين كنت في سما الدنيا
فلما دعوت المرة الثالثة اتيتك ولما وضعوا خبيب السلاح
وهو مصلوب نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا مكانك
قال لا والله ما احب ان يفديني بشوكة في قدمه وارسل
اهل مكة ليوتوا بشي من جسد عاصم لكونه قتل ابن ابي معيط

وكذلك ام ابنين قتلهما يوم احد نذرت لتشرب الخمر في
قحف رأسه وهو بكسر القاف ما انفلق من الجمجمة وجعلت لمن جاء به
مائة ناقة فمنعه منهم الدبر وهو بفتح المهملة وسكون الموحدة
الزنابير وذلك ابرار العهد ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك ولما
بلغ ذلك عمر قال يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه
في حياته وانما مكنوا من قتله اكراما له بالشهادة كما اكرم
بحمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وتوهم بعضهم ان هذه
السرية هي سرية القراء ببئر معونة وليس كذلك بل هي غيرها لكنها
قريبة منها اذ هما في شهر واحد ومحلاهما متقاربان وذلك
ان ابا براء المشهور بملاعب الاسنة عرض صلى الله عليه وسلم عليه
الاسلام فقرب منه ثم قال لو ارسلت جماعة من اصحابك الى اهل
نجد رجوت ان يستجيبوا لك فقال صلى الله عليه وسلم اني
اخشى من اهل نجد عليهم قال انا لهم جار فبعث صلى الله عليه وسلم
اصحابه القراء وكانوا سبعين يحتطبون بالنهار ويشترون به
الطعام لاهل الصفة ويصلون ويتدارسون القران بالليل
فساروا حتى نزلوا بئر معونة موضع ببلاد هذيل بين مكة و
عسفان فارسلوا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اللعين
عامر ابن الطفيل العامري واما الاسلمي فصحابي رضي الله تعالى عنه
فلم ينظر في الكتاب بل قتل حامله واستصرخ بني سليم عصية

لعله كتاب

ورعلان

ورعلان بكسر الراء وذكوان فاحاطوا بالقوم واخذوا واسروا فهم
وقتلوهم الا اثنين منهم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
لم يجد ما وجد عليهم وقال هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا
كارها واقام يدعو عليهم في قنوت الصبح شهرا واشرك معهم
بني لحيان لانهم قتلوا عاصما واصحابه كما مر واتاه الخبر عنهم كلهم
في وقت واحد تنبيه اخر مما ينبهك على تاكد صلة الرحم
الاقارب ما اخرجه البخاري في صحيحه عن انس رضي الله تعالى
عنه قال كان ابو طلحة رضي الله تعالى عنه اكثر الانصار
بالمدينة مالا من نخل وكان احب امواله اليه بيرحاء وكانت
مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب قال انس رضي الله تعالى عنه فلما
نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو
طلحة رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا رسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحاء وانها صدقة
لله تعالى ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول
حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت واني
ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول

الله فقسمها في اقاربه وبني عمه فتامل حرمة الاقارب
وانهم اولى الناس ببرك وصلتك وانك اذا تصدقت بصدقة
او وقفت وقفا فالاولى لك ان تجعله في اقاربك ورحمك و
صح انه صلى الله عليه وسلم لما حلق راسه بمنى فرق شقه
الايمن على اصحابه الشعرة والشعرتين واعطى ابو طلحة هذا
الشق الايسر كله لصفاته الجميلة التي منها مبالغته في صلة
الرحم وفي البخاري ايضا عن زينب زوجة ابن مسعود
رضي الله تعالى عنهما قالت كنت في المسجد فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم فقال تصدقن ولو من حليكن وكانت زينب تنفق
على زوجها عبد الله ابن مسعود وايتام في حجرها فقالت
لعبد الله سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ايجزي عني ان انفق
عليك وعلى ايتام في حجري من الصدقة فقال سلي انت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوجدت امراة من الانصار اي اسمها زينب ايضا على الباب
حاجتها مثل حاجتي فمر علينا بلال فقلنا سل النبي صلى الله عليه
وسلم ايجزي عني ان اتصدق على زوجي وايتام في حجري وقلنا
لا تخبر بنا فدخل فساله فقال من هما فقال زينب فقال اي الزيانب
قال امراة عبد الله فقال نعم لها اجران اجر القرابة واجر
الصدقة فتامل رحمك الله تعالى واجب القرابة وتاكد

حقهم

حقهم وانهم مقدمون على غيرهم ومن ثم اشتهر على الالسنة
الاقربون اولى بالمعروف وليس حديثا خلافا لمن عمه لكن يشهد
له ما تقرر في قضية ابي طلحة وقوله تعالى يسألونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الاية
ظ م الوالدين — فجعل الاقربين ثاني مرتبة بعد الاولاد **تنبيه آخر**
يجوز لك ان تجتنب رحمك لاجل بدعته كما يفيده ذلك عموم قوله
صلى الله عليه وسلم من اعرض عن صاحب بدعة بغضا له ملا الله
قلبه امنا وايمانا ومن لقيه بالبشر او استقبله بما يسره فقد
استخف بما انزل الله على محمد رواه الخطيب وقال تفرد به
ابو الحسن ابن خالد ابو الجنيد وغيره اوثق منه انتهى لكن يشهد
له حديث ابن عساكر من اعرض عن صاحب بدعة ملا الله قلبه
امنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة امنه الله من الفزع الاكبر
ومن اهان صاحب بدعة رفعه الله له درجة في الجنة ومن
لان له او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله على محمد
تنبيه آخر احذر ان تستعجل بشيء قبل اوانه فانك
تعاقب بحرمانه لا سيما اذا كان ذلك في الرحم **الا**
منهم ص — **ترى** الى ما وقع في بني اسرائيل ان رجلا كان منهم غنيا وله
ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله
ليرثه ثم حمله والقاه بفناء قرية اخرى ثم اصبح يطلب ثاره

وجاء ناس الى موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فادعى
عليهم القتل فجحدوا فاشتبه امر القتيل على موسى قال
الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التورية فسألوا موسى
ان يدعو الله ليبين لهم فاوحى الله تعالى اليه انهم يذبحون
بقرة فشددوا فشدد الله عليهم حتى اشتروها بملء جلدها
ذهبا ومن ثم ورد عن نبينا انه صلى الله عليه وسلم
قال لو اعترضوا اي بقرة كانت فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا
فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم ولما عينت
لهم ذبحوها ثم ضربوا القتيل ببعضها او لسانها او عجزه
على الخلاف فيه فقام القتيل حيا باذن الله تعالى و
اوداجه تشخب دما وقال قتلني ابن عمي فلان ثم
سقط ومات مكانه فحرم الميراث ثم تامل شوم
قطيعة الرحم فان تلك البقرة كانت لفقير بار بامه — في هذه القصة اظهر فضل صلة الرحم
فقيض الله تعالى له ببركة بره لامه وصلته لرحمه فشتان
ما بين الاول القاطع وهذا البار الواصل تنبيه اخر
احذر دعاء الرحم فانه مستجاب غالبا ومن ثم حكى ابن خلكان
وغيره من المورخين ان الزمخشري كان مقطوع الرجل فسئل
عن ذلك فقال دعاء الوالدة وذلك اني في صباي كنت
امسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله فافلت من يدي

فادركته

فادركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله
في الخيط فتالمت والدتي بذلك وقالت قطع الله رجلك
كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلب للعلم رحلت
الى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي
وعملت عملا اوجب قطعها تنبيه اخر من شوم قطيعة
الرحم ان الله تعالى يحرم القاطع فضله في اوقات تفضله
على عباده وشاهد ذلك حديث الطبراني تعرض الاعمال
على الله تعالى يوم الاثنين والخميس الا ما كانا متشاحنين — فيغفر الله
او قاطع رحم وحديث احمد وابي داود والترمذي تفتح
ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر فيهما لكل عبد لا
يشرك بالله شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحنا
فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا والخطيب وابن عساكر ان
اعمال العباد تعرض على الله في كل اثنين وخميس فيغفر لكل عبد
لا يشرك بالله شيئا الا عبدا بينه وبين اخيه شحنا و
الطبراني والخرايطي تعرض الاعمال على الله يوم الاثنين و يوم
الخميس فيغفر الله الذنوب الا ما كان من متشاحنين او
قاطع رحم والشيخان وغيرهما تفتح ابواب الجنة يوم
الاثنين والخميس فيغفر الله فيهما لكل عبد لا يشرك بالله
شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحنا وجاء من طرق

إن الله تعالى يطلع على خلقه في ليلة النصف من شعبان
فيغفر لعباده إلا لجماعة منهم المشاحن وقاطع الرحم **تنبيه**
آخر أخرج الصولي عن عبد الله بن البواب قال كان المأمون يحلم
حتى يغيضنا وجلس مرة بشباك على دجلة من وراء ستر ونحن
قيام بين يديه فمر ملاح وهو يقول أتظنون أن هذا المأمون
ينبل في عيني وقد قتل أخاه قال فوالله ما زاد المأمون على
أن تبسم وقال لنا ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا
الرجل الجليل انتهى **فتأمل** رحمك الله تعالى كلام هذا الملاح
فإنه في الحكمة والجزالة والصحة وإن كان المأمون اشتهر بحلمه
لما غلب عليه من محبة الخلافة التي آثرها على قطع رحمه حتى تسبب
في قتل أخيه محمد الأمين فقتل فتولى الخلافة بعده ولو
كشفت بصيرة المأمون لعلم أن سعيه في قتل أخيه مانع من
أن ينبل أي يكمل في عين جليل ولا حقير ومعاذ الله أن قاطع
الرحم لا سيما بالقتل يصل إلى أدنى مرتبة من مراتب الكمال بل لا
يزال في دحيض البوار والخسار والنكال صاننا الله تعالى وأجارنا
عن هذا الشقاء المبين وكرمه إنه الكبير المتعال آمين **تنبيه آخر**
لا تظنن أنك إذا بغيت على رحمك أن الله تعالى يهملك بل لا بد أن
يقيض لك من ينتصف منك ويعاقبك بسوء بغيك **الأمير**
إبراهيم الواثق المتأخر العباسي ابن المستمسك ابن الحاكم لما بغى على

عمه

عمه سليمان المستكفي بالله ابن الحاكم ونم عليه بالباطل و
رماه بما هو بريء منه عند السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون
حتى عزله من الخلافة وولي إبراهيم المذكور فبعث الله تعالى العلماء والعامة
فراجعوا السلطان في إبراهيم هذا ورموه بكل سوء وقبيح وشنعوا
عليه ولم يبقوا شيئا من قبائح الفواحش إلا نسبوه إليه كل ذلك
والسلطان متماد على غلطه فيه إلى أن حضره الموت فأوصى الأمراء
ووجوه الدولة أنهم يعزلون إبراهيم هذا ويعيدون الأمر إلى عمه
الحاكم ففعلوا وباء إبراهيم من الله بالمقت ومن الناس بالهوان والشناعة
والقبح ولقد أطال ابن فضل الله في مسالكه في الحط عليه والإ شارة م
إلى قبيح مساويه وليس ذلك إلا لبغيه على عمه وقطيعته لرحمه و
تكلمه فيه عند السلطان بسوء وكذبا ظنا أن ذلك ينتج صرف الدولة له
التولية والخلافة بالباطل وكان ذلك عليه من النكال ما
وصفنا بعضه **فتأمل** قضية الله تعالى وانتقامه للأرحام
الذين بغي عليهم أرحامهم ونصرته لمن بغي عليه بعوده إلى وظيفته
وثناء الناس عليه وجعله ذلك الذنب وهذان الأمران
مشهوران باقيان في كتب العلماء إلى يوم القيامة فاحذر أن
تبغي على رحمك فيقيض الله تعالى لك من يظهر مساويك وبديع
قبائحك ومثالبك ويجعلها أمرا باقيا في عقبك إلى يوم
القيامة وهذه نذارة للباغي أي نذارة وبشارة لمن بغي عليه

اي بشارة فتاملها بقلب سليم لتغنم وتسلم والله سبحانه وتعالى
اعلم **تنبيه آخر** مما يؤيد ما ذكرته في التنبيه الذي قبل
هذا ما وقع لهشام بن عبد الملك حيث قطع رحم زيد بن علي
بقتل قومه الذين ارسلهم اليه وحرقوه بالنار فسلط
الله عليه من اخرجه من قبره واحرقه بالنار جزاء له
وفاقا وشرح ذلك ان زيد بن علي زين العابدين بن الحسين
رضي الله تعالى عنهم كان يدخل على هشام ابن عبد الملك
بن مروان من فجار بني امية وظلمتهم فكان يقع بينهما محاورات
فيفحمه زيد حتى يخجله من بين جنده وفي عز مملكته ومن ذلك
انه قال انت زيد المؤمل للخلافة وما انت وذاك وانت ابن امة
فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما
بعث الله نبيا هو ابن امة وجعله ابو العرب وابو خير النبيين
وهو اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم فكانت امه مع
ام اسحق كامي مع امك وما تقصر برجل ابوه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجده علي ابن ابي طالب فلما خرج قال هشام
لجلسائه الستم زعمتم ان هذا البيت قد انقرض الا لعمري والله
ما انقرض قوم هذا خلفهم ودخل عليه مرة اخرى فراى عنده
يهوديا يسب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له فانتهره زيد وقال
يا كافر اما والله لئن تمكنت منك لاختطفن روحك فقال

هشام

هشام مه يا زيد لا تؤذي جليسنا فخرج فابدا من استشعر حب
البقا احد الا ذل الى العنا وهاج حينئذ على الخروج على هشام
فاطاعه من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه
جماعة من الائمة قيل منهم ابو حنيفة رضي الله عنه وامده
بمال عظيم فخرج اواخر المحرم سنة اثنين وعشرين ومائة وخرج
معه من القرا والفقها واهل البصائر خمسة الاف فجزى لم يرى
الناس مثله ثم خذل الذين بايعوه وتاخروا عنه فقال
اين الناس فقيل له احتبسوا في المسجد فقال لا يسعهم عند الله
تعالى خذلانهم لنا فعاد اليهم وامرهم بالخروج فابوا فقيل
يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز والى خير الدنيا و
الآخرة فابوا فاقبلت جنود هشام فحمل عليهم زيد رضي الله
تعالى عنه فقتل منهم مقتلة عظيمة فلم يفجعه ذلك فيهم شيئا و
دخل الكوفة فتفرقت اصحابه عنه فلم يثن زيد ذلك وحاربهم يوم
الاربعا والخميس وحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فاصيب آخر
يوم الجمعة بنشابة في جبينه فجيء له بطبيب فنزعها فمات من
ساعته ودفن في قناة واجري عليه الما لئلا يعرفوا
قبره ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت
على عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من كراماته
الباهرة **ثم انزلوه** وحرقوه حتى صار رمادا فذروه في

الهوى فلما كان من السفاح اول خلفا بني العباس وهو عبد الله
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس امر بامراة هشام
المذكور فشدخ راسها بالعمد وامر بقطع ثدييها وقتلها
قصاصا في ام ولد او زوجة كانت لزيد رضي الله تعالى عنه
فقتلوها ثم امر بهشام فنبش من قبره فوجد بحاله لانه كان
طلي بالصبر لئلا يتغير فاقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم
حرقوه بالنار فعلوا به كما فعل بزيد رضي الله تعالى عنه جزاء
وفاقا فتامل نصرة الله لمن بغي عليه من الارحام حتى على الاعدا
فان غالب بني العباس كانوا يكرهون ذرية الحسنين
لانهم ينازعونهم الملك ويخرجون عليهم كثيرا وبعد
ذلك اظهر الله تعالى الانتقام من هشام لزيد على يد
من يكره بني زيد وبني عمه فاعتبر بذلك لتنزجر
ومن يضلل الله فما له من هاد تنبيه اخر اخرج اماما
الشافعي رضي الله تعالى عنه انه لا يقطع رحمه الا
سفل لا همة له ولا مروة وظالم لا دين له ولا
نخوة ظلم نفسه وعدم عقله وحسن نسبه حيث
قال اظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع فانه جفا
يجفوا اقاربه وينكر معارفه ويستخف بالاشراف ويتكبر على ذوي
الفضل

فاحذر

فاحذر ان تكون لئيما غير كريم وسفلا غير رؤوف رحيم تنبيه
اخر ينبغي لك ان تعمل ذكرى وتصدق بامالك فيما جاء عن سادس
الخلفا الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي تعالى عنه وهو قوله
لميمون بن مهران احفظ عني اربعا لا تصحبن سلطانا وان
امرته بمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامراة
وان اقرئتها القران ولا تصلن من قطع رحمه فانه لك
اقطع ولا تتكلمن بكلام اليوم تعتذر منه غدا فتامل
قوله رضي الله تعالى عنه فانه لك اقطع تعلم ان قاطع الرحم
لا تؤمل فيه صلة لاحد وقد بين رضي الله تعالى عنه سبب
ذلك بدليله الواضح وهو قوله فانه لك اقطع وايضا
فانه اذا استهتر بالرحم وقطع وصلتها التي امر الله
تعالى ورسوله بها واجمع المسلمون على تاكد حفظها
والوفا بحقوقها على الوجه الاكمل والحال الافضل كان بغيرها
مستهترا اكثر ومفرطا في حقوقها على حال اقطع واظهر
فحينئذ ينقطع من صلته امال المؤملين وييأس الناس
من خير فيه على توالي الايام وتعاقب
السنين حرسنا الله تعالى واياكم من هذا حاله
لا ان تصحبه فانه ربما اعداه فقلبه الى طبعه
اللئيم وعدل عن الصراط المستقيم وقد قال من قال

عدوي البليد الي الجليد سريعة والجمر توضع في الرماد فتخمد
تنبيه آخر ينبغي ان تغتنم دعا ارحامك بمزيد صلتهم وبر
هم والاحسان اليهم فان الدعا بظهر الغيب من الاجانب
لا يرد فكيف وهو من الاقارب ومن ثم وقع لبعض الخلفا
العباسيين انه اراد ان يحدث مظلمة فقال له اهل بغداد ان
فعلت هذا حاربناك فقال لهم وهل لكم قدرة علي محاربتي
قالوا نعم قال بماذا قالوا بسهام الليل فقال اذا لا قدرة لي بسهام
علي محاربتكم ومن ذلك ان نظام الملك لما وزر
للملك التركي ابا الفتح بن الب ارسلان وكان قد وزر لابيه
من قبله فقام بدولتهما احسن قيام حتي ذل لهما الملوك فضلا
عن غيرهم وكان مما مهد له ذلك انه اقبل بكليته علي
مراعاة جملة الدين من العلما والصلحا بني المدارس للعلما
والفقها والربط للصلحا والزهاد ثم اجري عليهم من الارزاق
ما غمرهم وعمهم حتي لم يبق في مملكته احد الا وهو مغمور
بنواله واحسانه فلم يكن من اوايل مملكته وهي من بيت
المقدس الي ساير الشام الاعلي وديار بكر والعراقين وخراسان
باقطارها وسمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة نحو ماية يوم
حامل علم او طالبه ومتعبد وزاهد في زاويته الا وكرامته
واصلة اليه وكان جملة ما يصل اليهم ستماية الف دينار

في كل سنة فوشي به لابي الفتح الملك وغير واصدره عليه
وقالوا انما ينفق المال علي جيوش ياخذ بها قسطنطينية فقال له
الملك يا ابه بلغني انك تخرج هذا المال الي من لا ينفعنا فبكي
نظام الملك وقال له يا بني انا شيخ اعجمي لا اساوي خمسة دنانير وانت
غلام تركي لا تساوي ثلاثين دينارا وانت مشتغل في لذاتك و
منهمك في شهواتك واكثر ما يصعد الي الله تعالي معاصيك وكذلك
لك جيوش فاقمت لك جيشا يسمي جيش الليل اذا نامت جيوشك
ليلا قامت جيوش الليل صفوفا علي اقدامهم بين يدي ربهم فا
رسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم ومدوا الي الله تعالي اكفهم ابا
الدعا لك ولجيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون و
بدعائهم تثبتون وببركتهم تمطرون وترزقون تخرق
سهامهم الي السماء السابعة بالدعا والتضرع فبكي الملك ثم قال
شاباش يا ابت شاباش كثر لي من هذا الجيش تنبيه آخر
اعلم ان صلة الرحم معروفة بالمدح في الاسلام وانها
سبب النجاة من كل فتنة ومحنة ووصلة لصاحبها اذا اشتدت
كربه الرزية والاحنة ولقد جاء عن الربيع بن زياد الحا
رثي انه قال كنت عاملا لابي موسى الاشعري علي البحرين فكتب
اليه عمر ابن الخطاب رضي الله تعالي عنه يامره بالخروج هو وعماله
وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت يرفا بواب عمر

فقلت يا يرقا مسترشد وابن سبيل اي الهيات احب الى امير المومنين
ان يركب فيهما عمالة قال وما الى الخشونة فاتخذت خفين ولبست جبة
صوف وجعلت عمامتي على راسي على غير استواء فدخلنا على عمر
[..]نا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم يأخذ في عينه غيري فدعا وصففنا
بي وقال من انت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من اعمالنا
قلت البحرين قال وكم ترزق قلت الفا قال كثير فما تصنع بها قلت اتقوت
ببعضها واعود على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا باس
ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم
يقع عينه الا علي فدعاني فقال كم سنك قلت خمس واربعون
سنة قال الآن استحكمت فتامل استكثار عمر رضي الله عنه عليه
الالف ورضاه بها لما قال له انه ينفق منها على اقاربه تعلم ان الاحسان
الى الاقارب ومواساتهم امر ممدوح معروف في النفوس وانه مستغرب
سبب لتفريج الكرب وان فاعله لا يستكثر عليه عطا لانه يصرفه
لبعضه في اقاربه ولبعضه في فقراء المسلمين يكون من اهل الكرم والموا
ساة ومن هو كذلك يستحق ان يضاعف له في التوسعة في رزقه الا
المضاعفة على ما يستحقه تنبيه آخر مهم اعلم ان من قطع رحمه
كان ظالما لها فيدخل في جميع ما اعده الله تعالى للظالمين في الدنيا
والآخرة و قد قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظا
لمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية قال ميمون

ابن مهران

ابن مهران كفى بهذه الاية وعيدا للظالم وتسلية للمظلوم و قال
كعب لابي هريرة رضي الله تعالى عنهما في التوراة من يظلم يخرب
بيته فقال ابو هريرة ذلك في القرآن قال تعالى فتلك بيوتهم خا
وية بما ظلموا فالظلم ادعى شيء الى سلب النعم وحلول النقم وفي حديث
مسلم القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا
تظالموا و في الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة اتقوا دعوة المظلوم
فانه ليس بينها وبين الله حجاب من كانت لاخيه عنده مظلمة من
عرضه او ماله فليتحلل منه بعد مظلمته قبل ان لا يكون درهم ولا
دينار ان كان له عمل صالح اخذ ما عليه بقدر مظلمته وان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ان الله تعالى يملي للظالم
حتى اذا اخذه لم يفلته وقرا صلى الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك اذا
اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد و مما يصرح بان
قطيعة الرحم ظلم انها كبيرة وفسق والظلم اعم من الفسق و قد
حذر الله تعالى من ذلك بقوله عز قائلا واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا اي امرناهم بالطاعة فخرجوا عنها و سمع ابو هريرة
رضي الله تعالى عنه رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال
لا والله حتى ان الحبارى لتموت هزالا في وكرها بظلم الظالم
و جا ان بذنوب الخلق يمتنع المطر فتهلك الحشرات والدواب

ويقول هذا من اجل عصاة بني ادم فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون وما احسن قول بعض الحكما اذكر عند الظلم عدل الله فيك وفي عند القدرة قدرة الله عليك وقال بعضهم ماهبت رجلا قط هيبتي رجلا ظلمته وانا اعلم ان لا ناصر له غير الله فيقول لي حسبك الله الله بيني وبينك فاتقوا الله فيمن لا ناصر له الا الله وورد انه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيري وفي بعض كتب الله تعالى يا معشر الظلمة لا تجالسوا اهل الذكر فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي واذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي وليحذر المظلوم من سب الظالم فان رجلا شتم الحجاج مع غاية شقاوته عند عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فقال لا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسبه حتى يستوفي حقه ويكون للظالم فضل عليه وكان رجل ينادي من راني فلا يظلمن احدا فيقال له لماذا فيقول اخذت من صياد سمكة ظلما فعضت السمكة ابهامي فوقع فيها الاكلة فقطعتها فسرت الى الكف فالذراع فقطعته فسرت الى العضد فخرجت سايحا الفقعه فنمت فرايت قايلا لي لم تقطع اعضاءك رد الحق لاهله فعدت الى الصياد فذكرت له ذنبي فحللني منه فتناثر الدود من عضدي وسكن الوجع فقلت بماذا دعوت علي قال نظرت الى السماء باكيا قايلا يارب اشهد انك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وحق تحب

الحق وهذا منك حق وخلقتني وخلقته وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا فاسالك كما خلقتني وخلقته ان تجعله عبرة لخلقك وقال بعضهم من الظلم ما لا يغفر وهو الشرك وما لا يتركه الله سبحانه وهو مظالم العباد وما لا يعبأ الله تعالى به وهو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين الله مات حواري لعيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فسأل الله تعالى ان يحييه له فاحياه فوجد في رجليه نعلين من نار فسأله عنهما فقال ما عصيت الله قط الا اني مررت بمظلوم فلم انصره ومما يرجى تخفيفه عن الظالم استغفاره لمن ظلمه كما يومي الى ذلك ان موسى لما اخذ براس هارون صلى الله على نبينا وعليهما وسلم ولحيته لتخلفه عنه حين عبد قومه العجل ظنا منه انه مقصر بذلك ثم تبين له براءته قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين وقال سليمان بن عبد الملك الى حازم ادع الله تعالى لي فقال ادعو لك هنا ومظلوم بالباب يدعو عليك فاي الدعوتين احق بالاجابة فايدة سبق حديث البخاري من كانت لاخيه عنده مظلمة فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان تؤخذ من حسناته لاخيه فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فزيدت عليه واستشكل بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس اثم نفس

اخري وورد بان معنى الآية ان احدا لا يعاقب بذنب احد ابتدآء اما
في مسيلتنا فهو لا يعاقب الا على مظلمة بقيت عنده لم يجد لها وفاء
بوضع سيئة المظلوم عليه انما نشأ عن فعله لا غير فلم يعاقب
بفعل غيره وهذا معنى قوله تعالى وليحملوا اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
على احد التفاسير وروى مسلم اتدرون من المفلس
قالوا من لا مال له فقال المفلس من امتي من يأتي يوم القيمة بصلاة
وزكاة وصيام وقد شتم هذا وقذف هذا وضرب هذا
فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل
ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم القي في النار فا
يدة اخرى اختلفوا في حشر البهائم وجريان القصاص بينها فقال
بن عباس حشرها موتها وقال الجمهور بل تحشر ويقتص للمظلوم منها
من ظالمه اي بيانا واظهارا للعدل في ذلك اليوم ومن ثم جاء انه
يقتص في ذلك اليوم حتى للجمادات بعضها من بعض ويؤيد ذلك قوله
تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الي ربهم يحشرون وقوله واذا
الوحوش حشرت وخبر مسلم لتؤدن الحقوق الى اهلها
يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء فالمراد
اظهار العدل في ذلك اليوم لا حقيقة القصاص لعدم التكليف
فقول الاشعري لا قصاص بينها اي حقيقة وقال الاستاد ابو

اسحق يقع بينهما القصاص اي صورة فلا خلاف في المعني خلافا لمن زعمه
على ان الله تعالي ان يتصرف في ملكه كما يشآء فكما جاز ان يولمهما ابتداء
جاز ان يولمها جنايتها وقوله تعالي وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا المراد منه التعذيب على عدم امتثال الامر والنهي وتعذيب
البهايم لا من حيث المعصية بل من حيث التصرف في الملك بما اقتضته
الحكمة الالهية وصح في الحديث اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ النار على
ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم فهذه عجماء عوقبت بسوء صنيع
جنسها وصح ايضا ان موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم ضرب
الحجر الذي فر بثوبه التي وضعها عليه ليغتسل وتركه عريانا فنظر
بنو اسرائيل عورته ويعلموا برائته مما اتهموه به من الادرة اي
كبر الخصيتين لكونه كان يغتسل في خلوة عنهم تنبيه آخر اذا بالغ
رحمك في قطيعتك واذا ئك فاصبر وتحمل اذاه مهما استطعت
فان الله تعالى لا بد ان ينصرك عليه نصرا عزيزا الا ترى الي نصرة الله
تعالي لهاجر وابنها اسمعيل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وذلك ان
سارة ام اسحق غارة من هاجر مستولدة ابراهيم لما ولدت اسماعيل
فاراد ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم ان يبعدها عنه فامر
بحملها الي مكة فوضعها عند البيت وعنده دوحة عند زمزم وليس
ثم احد ولا ماء ووضع عند هاجر باقية تمر وسقا فيه ماء
ثم ولى راجعا فتبعته قايلة الي من تدعنا هنا وكررت ذلك

وهو لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا
ورجعت فاستقبل ابراهيم الكعبه ودعا بما حكاه الله تعالى عنه
في اخر سورة ابراهيم ثم نفذ ما فيها فاشتد بها وبولدها العطش
فذهبت الي الصفا لتنظر احدًا فلم ترى احدًا فنزلت يشتد عدوها
الى المروه لتنظر احدًا فلم ترى احدًا ثم كررت ذلك سبع مرات
فلم تنظر احدًا وفي حديث ان ذلك سبب لسعي الناس بين
الصفا والمروه ولما كانت آخر مرة بالمروة سمعت صوتًا
فانكرته ثم سمعته فاذا هو الملك عند زمزم فضرب بعقبه
او بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوض عليه وتقول زم زم
فلذلك سميت زمزم وجا في حديث يرحم الله ام اسماعيل
لو تركت زمزم لكانت عينا معينا ولما شربت وارضعت
ولدها اسماعيل قال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت
الله يبنيه هذا الغلام وابوه ان الله تعالى لا يضيع اهله ثم
كان من شان بنا البيت على يد ابراهيم واسماعيل وكثرة
ذرية اسماعيل وكون العرب من ذريته وكون نبينا
صلى الله عليه وسلم منهم ما هو مشهور يعلمك بان هذا و
امثاله عاقبة المظلومين وشان المقطوعين فثق بالله تعالى وتوكل
عليه وفوض امرك اليه فانه لا بد ان ينصرك على من ظلمك وان
يعوضك ما يقهر من حرمك وقطعك تنبيه اخر اذا قطعك رحمك

فابتهل

فابتهل الي الله تعالي في ان يجبر كسرك ويصل قطيعتك فانه
يستجيب لك لان دعوة المظلوم ليس بين الله اي قبولها وبينها وبينهاحم
حجاب ومما يحملك على ذلك تاملك فيما وقع ليوسف مع اخوته
صلى الله على نبينا وعليهم وسلم لما رموه في الجب ثم باعوه و
بالغوا في قطع رحمه وذلك انه لما بيع يوسف ووصل مصر اشتد
حزنه وصار يبكي ليلا ونهارًا على فراق ابويه واخوته ووطنه
وابتلائه بالرق فاشتد دعاؤه الي الله تعالي في بعض الليالي
ان يجعل له فرجًا ومخرجًا ويحبب اليه هذه البلدة التي دخلها
وكذا كل من دخلها ويجمع بينه وبين ابويه واخوته فاعلمه في
نومه انه استجاب له جميع ذلك وانه سيملكه مصر واقليمها
ثم حقق الله له تعالى ذلك جزا لصبره على ما ابتلي به من قطيعة
رحمه وما رمي به مما هو مطهر منه صلى الله عليه وسلم فلكن كذ
لك ليبلك الله تعالى نظير هذه النعم ويدفع عنك ساير البلايا و
النقم فانه سبحانه وتعالى اكرم كريم وارحم رحيم قال الطرطوشي وبدعا
يوسف صلى الله على نبينا وعليه وسلم ان الله يحبب مصر لكل من دخلها
صارت محبوبة لكل من دخلها لا يكاد احد يحب بعد اذ دخلها
ان يخرج منها قال معاذ ما سكنها نبي قبل يوسف صلى الله علي
نبينا وعليه وسلم وظفر امير ليزيد بن عبد الملك على افريقيه
بعدوه وفي يده عنقود عنب فقال له والله لطال ما سالت

الله تعالى ان يمكنني منك بغير عهد ولا عقد فقال له الاخر والله لطالما
ما سالت الله تعالى ان يجيئني منك فقال له الامير والله لئن سا
بقني ملك الموت الي روحك لسبقته والله لا آكل هذه الحبة حتى
اقتلك فاقيمت الصلوة فوضع العنقود من يده وصلى فبينما هو
راكع اذ تواعد اهل افريقية على قتله فتقدم رجل منهم
وضربه بعمود على راسه فقتله وقيل لذلك الرجل اذهب حيث
شئت فسبحان من قتل الامير الباغي واحيا الاسير الداعي سنة الله
التي قد خلت في عباده انه يملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته و
مما يقرب من ذلك ان ملكا ارق ليلة ولم يدر سبب ذلك فقال
لعل بلدي اخذت فامر فورا بسير مركب اليها ثم اصبح
فراى المركب في موضعه لم يبرح فسال فقالوا ذهبنا اذ امرتنا
فلما توسطنا البحر سمعنا صوتا يكرر يا غياث المستغيثين
فاجبناه بلبيك وتوجهنا نحوه فاذا هو غريق على اخر رمق
من حياته فاخذناه وسالناه عن حاله فقال غرقت مركبنا
من منذ ايام وقد اشرفت على الموت فعلمنا ان ارق الملك
انما كان لاجل خلاص هذا الغريق و وقع بالقيروان ان جزارا
ذبح كبشا فتفلت منه قبل تمام ذبحه فتبعه والسكين ملطخة
بالدم في يده فدخل خربة لينظره فاذا فيها مقتول فادركه الناس
ولم يشكوا انه القاتل فرفعوه للسلطان فسئل فاقر بانه قتله فامر به

ليقتل

ليقتل فاجتمع الناس فلما قدم للقتل برز رجل وقال مظلوم والله
انا قاتله فحمل الي السلطان فقال له ما حملك على ذلك وقد كنت معافا
قال رايته يقتل ظلما فكرهت لقاء الله تعالى بدم رجلين فامر به
فقتل ثم قال للاول ما حملك على الاعتراف قال رايت الانكار والاعتذار
لا يفيدان ثم قال له انصرف مكرما و كان ناصر الدولة ابن حمدان به
قولنج اعيا بعلاجه الاطبا فعزم السلطان على قتله فارصد له رجلا
بسكين اذ مر بدهليز القصر فضربه بها فوصلت للغشا الذي فيه تلك
العلة اسفل الخاصرة فخرج ما فيه من الخلط ثم عولج فصح وبرا احسن
ما كان تنبيه آخر من فوائد صلة الرحم انها تنصر على الاعدا فقد
قال الائمه ان اول ما ينبغي لجيش المسلمين اذا ارادوا مصافة عدوهم
ان يقدموا بين يدي ذلك اللقاء عملا صالحا من صدقة وصلة رحم
ورد مظلمة ودعا مخلص وامر بمعروف ونهي عن منكر فقد كان عمر
بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يامر بذلك ويقول انما تقاتلون باعما لكم
تنبيه آخر من باهر نصرة الله تعالى للرحم ما وقع لموسى بن جعفر
الكاظم رضي الله تعالى عنهما لما حبسه هارون الرشيد فانه دعا صاحب
شرطته فقال له رايت حبشيا في منامي اتاني ومعه حربة فقال لي ان
لم تخل عن موسى بن جعفر والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه
واعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام عندنا فلك عندي
ما تحب وان احببت المضي الى المدينة فامض قال صاحب الشرطة فقلت

لموسى لقد رايت من امرك عجبًا قال انا اخبرك بينا انا نايم اتاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى حبست مظلومًا فقل هذه الكلمات
فانك لا تبيت هذه الليلة في السجن قل يا سامع كل صوت الدعا المذ
كور في حيات الحيوان في البعوض وكان الشافعي امامنا رضي الله عنه
يقول قبر موسى الكاظم الترياق المجرب تنبيه آخر ينبغي لك ان
تتاسى بالاكابر في حفظ الجوار فضلا عن القرابة والرحم وذلك انه
كان للامام الاعظم ابي حنيفه رضي الله تعالى عنه جار اسكافي يشرب
الخمر ليلًا فاذا اسكر غنى وقال

اضاعوني واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ويكرر ذلك وابو حنيفه رضي الله تعالى عنه يسمعه لانه كان
يقوم الليل كله او اكثره ففقد صوته فسال عنه فقيل اخذه
العسس منذ ليالي فركب بغلته واتى دار الامير فاذن له وامر ان
لا ينزل الا على بساطه فلما نزل وسع مجلسه وسال عن حاجته فشفع
في جاره فقال الامير اطلقوه وكل من اخذ نحوه من تلك الليلة الى الان
فخلوا الكل فركب ابو حنيفه رضي الله تعالى عنه بغلته فخرج
الاسكافي يمشي وراه فقال له ابو حنيفه هل اضعناك فقال لا
بل حفظت الجوار ورعيت فجزاك الله تعالى خيرا عن حرمة الجوار
ثم تاب الرجل توبة نصوحا فتامل رعاية حسن الجوار فضلا
عن الرحم وما يترتب على ذلك وفقنا الله واياكم لمرضاته امين فايده

هذا البيت

هذا البيت لابن ابي عثمان رضي الله تعالى عنهم وقد استدل النضر
بن شميل على المامون لما روي حديث اذا تزوج الرجل المراة لدينها وجما
لها كان فيها سداد من عوز بفتح السين فقال له النضر انما هي مكسورة
والفتح لحن فقال تلحنني يا نضر فقال انما اللحن هشام راويه ثم سا
له عن الفرق فقال هو بالفتح القصد في الدين وبالكسر البلغة وكلما
سددت به شيئا فهو سداد فقال او تعرف العرب ذلك فانشده
ذلك البيت فوقع له بخمسين الف درهم عند الفضل بن الربيع فساله
عن السبب فحكاه له فزاده ثلاثين الف درهم وجوز غير النضر
الكسر والفتح وهو ظاهر تنبيه آخر مما يحملك على الصبر على
اذى رحمك فضلا عن غيرهم تاسيك بالاكابر في ذلك كعلي
بن زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم اجمعين وعن
اهل بيتهم وارضاهم وذلك ان رجلا من اهل الشام المبالغين في
بغض اهل البيت رآه في المدينه راكبا بغلة بهيئة جميلة با
هرة فهش قلبه لبه فسال عنه فاخبر به فاشتد بغضه
له فاتي اليه فقال له انت بن ابي طالب قال بل ابن ابنه ثم بالغ
في سبه فلما فرغ قال له احسبك غريبا فاي اجل قال نعم الي
الدار فان احتجت الى منزل عندنا انزلناك او الى مال واسينا
ك او الى حاجة عاوناك على قضايها قال فانصرفت من عنده وما
على وجه الارض احب الي منه وام زين العابدين بن اخت ام سالم

بن عبد الله و ام القاسم بن محمد بن ابي بكر والثلاث بنات يزدجرد آخر
ملوك الفرس سبين زمن عمر فاصاب الحسين واحده ومحمد بن ابي بكر و
احدة وعبد الله بن عمر واحده فكان الناس يتشامون باولاد
السراري فلما نجب هولاي الثلاثة صار الناس يتمنون امثالهم من السراري
تنبيه اخر من وخيم قطيعة الرحم ان الله تعالى يعاجل القاطع بتقطيعه
ويرميه بهوانه وفضيحته الا ترى الى ان زياد بن ابيه لما جمع
الناس بالكوفة في امارته عليهم ليلعنوا عليا كرم الله تعالى وجهه و
يتبرؤا منه فملا منهم المسجد والرحبة والقصر وكان يوما عظيما
نفس بعض الحاضرين فراى اسدا في صورة من عجبه هوله حدا فقال
له اني قال بعثت الى صاحب هذا القصر فاستيقظ فزعا فاخبر اصحابه
فبينما هو يخبرهم اذ خرج عليهم صاحب زياد قائلا يا ايها الناس انصرفوا
فان الامير عنكم مشغول فاذا هو قد ضربه الله تعالى في تلك
الساعة بالفالج فاخش ايها القاطع لرحمه ان الله تعالى يحلي
عليك بقهره وسطوة عذابه وبادر الى الله تعالى بالتوبة من
القطيعة لتنجو من سخطه واليم عقابه ومما ينخرط في
سلك ذلك ان عبد الله بن مصعب الزبيري سعى الى الرشيد
بيحيى بن عبد الله بن حسن الطالبي فجمع الرشيد بينهما فقال
يحيى والله يا امير المؤمنين لقد قال في باطلا وانا مستحلفه
فقال عبد الله انا احلف فقال له يحيى قل برئت من حول الله وقوته ان تلاص

لم اكن صادقا فيما نميت به عليك فامتنع فغضب الرشيد وقال
لئن كنت صادقا فاحلف له كذلك فحلف كذلك فقال يحيى الله
اكبر لا يحلف احد بها الا عوجل فكان كذلك عوجل هذا الحالف
في يومه فضربه الله تعالى بالجذام وسود وجهه وبدنه قال
بعضهم دخلت عليه في ثالث يوم من بليته قبل وفاته بيوم
فوالله ما عرفته وجدته كالزنجي وقد تقطع جذاما تنبيه
اخر من صلة الرحم نصره اذا كان على الجور يجب عنقاده الا ترى
الى ما وقع لابن الزبير رضي الله تعالى عنهما في نصره لخالته عايشة
رضي الله تعالى عنها يوم الجمل قال ابن الاثير مالك بن الاشتر النخعي مترجم
وكان مشهورا مع علي كرم الله تعالى وجهه بعبد الله بن الزبير
يوم الجمل وكان مع عايشة رضي الله تعالى عنها وكان بطلا مشهورا
ايضا فتماسكا وصار كل منهما اذا قوي على صاحبه جعله تحته و
ركب على صدره كل ذلك وابن الزبير يصيح اقتلوني ومالكا واقتلوا
مالكا معي يريد الاشتر المذكور قال ابن الزبير اصبت يوم الجمل ابن
وبي سبع وثلاثون جراحة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف
ورمية بسهم قال ولا ينهزم من الفريقين احد وما احد اخذ
بخطام جمل عايشة الا قتل واخذ الخطام فقالت من انت قلت ابن
الزبير فقالت واثكل اسما ومر بي الاشتر فعرفته فاقتتلنا فوالله ما
ضربته ضربة الا ضربني ستا او سبعا فجعلت انادي اقتلوني ومالكا

واقتلا مالكا معي وضاع الخطام مني ثم اخذ مالك ابن الاشتر
برجلي فرماني في الخندق وقال لولا قرابتك من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو الى عضو ابدا **ونقل** انه
لما ضاع مني الخطام نادى علي اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فضربه
رجل فسقط فما سمعت قط اشد من عجيج الجمل ثم امر علي كرم الله
وجهه بحمل الهودج من بين القتلى فاحتمله محمد ابن ابي بكر وعمار
ابن ياسر رضي الله تعالى عنهم فادخل محمد يده في الهودج فقالت
من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم احرقه
الله بالنار فقال يا اختاه قولي بنار الدنيا فقالت بنار الدنيا
فكان كذلك قتل ثم احرق بمصر **وممن كان** معها طلحة احد العشرة
رضي الله تعالى عنهم قتل والزبير فقتل لكن بعد ان ولى لما ذكره علي
رضي الله تعالى عنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم للزبير ستقاتل
عليا وانت له ظالم فتبعه فاجر فقتله بوادي السباع وهو نائم
وعاد بسيفه الى علي فقال انه لسيف طالما جلا الكرب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم احتفظ بعائشة رضي الله عنها وجهزها
الى الحجاز واخرج اخاها محمدا معها وشيعها بنفسه اميالا
مع انها في هذه الوقعة خرجت لقتاله لتوهمها فيه ما هو بريء منه
انه يعرف قتلة عثمان ولا يسلمهم لورثته وامر بنيه ان يسافروا معها
يوما **قيل** عدد المقتولين ممن كان معها ثمانية الاف وقيل سبعة عشر

الفا

الفا من اصحاب علي الف وقطع على خطام جملها يومئذ نحو من ثمانين كفا
وكانت هذه الواقعة عاشر جمادى الاولى سنة ست وثلاثين من
الصبح الى قرب العصر قيل اعطت عائشة الذي بشرها بسلامة
ابن الزبير من الاشتر عشرة الاف درهم قيل دخل الاشتر عليها بعد
فقالت له انت الذي اردت قتل ابن اختي عبد الله ابن الزبير فا
نشدها انه لولا انه طوى عنه لقتله قيل كان منه ضربة في راس ابن
الزبير لو صب فيها قارورة دهن لاستقر **وروى** الحاكم وابن ابي
شيبة انه صلى الله عليه وسلم قال لنسائه ايتكن صاحبة الجمل الاداب
تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب وانكار ابن الزبير في كونه ردوه
العرني
بانه اشهر من فلق الصبح والحوأب نهر قرب البصرة والاداب كثير
وبر الوجه **تنبيه اخر** لم تزل صلة الارحام في الجاهلية
والاسلام معروفة بين الناس يمدح فاعلها ويذم قاطعها
وان فاعلها اجل الناس واعظمهم وقاطعها احقر الناس وانزهم
ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن ظفر في كتابه خير البشر بخير البشر ان
يزيد ابن عبد كلال غنم غنيمة عظيمة فوفد عليه زعماء العرب و
شعراؤها فاوسعهم عطاء فرأى رؤيا اخافته خوفا عظيما و
انسيها فانقلب سروره حزنا فجعل يستحضر الكهان ويسألهم
فلم ير عندهم علما فتضاعف قلقه فقالت له امه وقد تكهنت ان
الكواهن اهدى الى ما تسال عنه فجمعهن اليه فلم يجد شيئا فابس

ثم ذهب يتصيد فاشتد عليه الحر فدخل بيتاً فتلقته عجوز
ورحبت به فلما اشتد به الاثر واح وخففت نام فاستيقظ
فاذا فتاة بين يديه لم ير مثلها فقالت له ايها الملك هل
لك في الطعام فخاف على نفسه اذ عرفته فقالت له لا احذر
عليك فاكل وشرب وهي تنظر اليه فتاملها مقبلة ومدبرة
فملات عينه فقال لها من عرفك بي فقد كربت له حشرة للكواهن و
الكهان لرؤيا رآها فقال لها اتعلمينها قالت نعم ثم بينتها
له بانه رايت يا عظيمة منتا بعث فيها اهل تليع ودخان يسطع
وبر ينبع وعقبها نهر يجري ويسمع فيها صوتا عظيما هابلا اهلموا
الى هذا النهر فانه من شرب منه جهعز آمن فقال لها نعم هذه
رؤياي فما تاويلها فاولت له الرياح بانها ملوك التبابعة وهم
ملوك اليمن والنهر العلم الواسع والصوت بانه صوت نبي شافع
فقال لها اسلم هذا النبي ام حرب فاقسمت له انه حرب يريق
الدما ويسبي النسا فيسرحهن ويهبهن في الخدمة فقال لها الى ما وبيني
يدعوا فقالت الى صلوة وصيام ارغام وكسر اصنام وتعطيل ازلام
واجتناب اثام فقال من قومه فقالت مضر بن نزار بعثه وبينهم
وقايع يثور فيها الغبار ويذبح فيها الرجال فقال اذا ذبح قومه لها صح
فمن ينصاره فقالت سادة اجلا يخضعون اليه ويغزون بين يديه
فاطرق وامر نفيسه في خطبتها فاخبرته بان ناكحها حي غيور

لا يمكن

لا يمكن احد ان ينكحها معه فانطلق عنها وارسل اليها بمائة ناقة
كريمة فتامل صلة الارحام وتاكدها وان الجاهلية كانوا
يعرفونها بهذه المثابة العظيمة فانها لم تذكر من تميزه صلى الله
عليه وسلم الا الدعا اليها وما فيها فجعلها من اعظم صفاته
صلى الله عليه وسلم المعرفة لعظيم قدره في الجاهلية قبل وجوده
وبعثته بازمنة عديدة فعليك بالمبالغة في التخلي بهذه
الصلة التي قد تلي عليك من عظيم قدرها ما تلي وقص عليك
من دلائلها وفوائدها ما قص فان ذلك كله ان لم يؤثر فيك
باعثا يبعثك على المبالغة في التحلي بصلة الرحم والا كنت عبدا
محروما شقيا مشؤوما ايسا من فلاحك وصلاحك ونجا حك
فابك على نفسك فانه قد حق عليك موجب شقايك وتعسك و
فقنا الله تعالى واياك لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه انه اكرم
الاكرمين امين تنبيه اخر ينبغي لك ان تديم شكر نعمة
الله تعالى عليك بصلتك رحمك وغيرهم والا اوشك ان يزيلها
الله تعالى عنك في اسرع مدة فتصير ذليلا حقيرا لا يلتفت اليك
ولا يعبا بك الازدي الى قول محمد بن عبد الرحمن الهاشمي دخلت
على امي يوم عيد اضحى فرايت عندها امراة في اثواب دنسة فقالت لي
امي اتعرف هذه قلت لا فقالت هذه ام جعفر ابن يحيى البرمكي فسلمت
عليها وقلت حدثيني ببعض امركم فقالت اذكر لك جملة فيها عبرة لمن

اعتبر لقد مر علي مثل هذا اليوم يوم العيد وعلى راسي اربعمائة
وصيفة وانا ازعم ان ابني جعفر عاق لي وقد ابتليتم اسال
جلدي شاتين اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا قال فدفعت
اليها خمسمائة درهم ولم تزل تختلف الينا الى الموت **تنبيه اخر**
احذر ان تقطع رحمك فيقطعك الله تعالى مثله او اشد **الا ترى** الى
ولد كسرى انوشروان لما قتله فتح خزائنه فوجد فيها حقا
مختوما مكتوبا عليه نافع للجماع مجرب من اكل منه كذا انعظ لوقته
وجامع مرات فاكله فمات لوقته وذلك ان كسرى قال لما تحقق انه
يقتل فقال لا اقتل فاني بعد موتي فهيا حقا سما موجبا وكتب
عليه ما مر فاول ما فتح ولده خزائنه راه فلم يملك الصبر عنه
فكان فيه حتفه لبغيه وقطعه لرحمه ومما حمله على سرعة تناوله
انه كان لابيه ثلاثة الاف امراة كما في كامل ابن الاثير فظن انه يقوى
عليهم بمثل هذه الدواء **تنبيه اخر** ينبغي لك ان تعين رحمك
على برك امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده
على بره ومن ثم كان بعض العلما الصالحين يبالغ في اكرام ولده
فيسال فيقول امتثالا لهذا الحديث وممن كان يبالغ في اكرام
ولده من الصحابة سعد ابن عبادة سيد الخزرج رضي الله تعالى
عنه وذلك ان ابنه قيس رضي الله تعالى عنه كان من اهل سرية الخبط
وهي في رجب سنة ثمان من الهجرة امر صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة على

ثلثمائة

ثلثمائة من المهاجرين والانصار ليأخذوا عير قريش وزودهم
جراب تمر لم يوجد غيره فكان ابو عبيدة رضي الله تعالى عنه يقسم
عليهم تمرة تمرة يمصها الواحد ويشرب عليها الى الليل وكان
بعضهم يضرب الخبط ثم يبله بالما فياكله ولما مروا بساحل البحر
رفع لهم هيئة كثيب ضخم فاذا هو سمكة تسمى العنبر فشكوا في حلها — حلها
ثم قالوا ناكلها للاضطرار فاقاموا شهرا ياكلون منها حتى سمنوا
اي استقوا وزال عنهم ضعفهم وممن سعة عنها انه جلس فيها
ثلاثة عشر رجلا واقام ابو عبيدة ضلعا لها فمر تحته اعظم بعير
لهم عندهم وتزودوا من لحمه فلما قدموا المدينة ارسلوا منه شيئا
للنبي صلى الله عليه وسلم فاكل منه هذا ما في البخاري **زاد** في
الغيلانيات انه كان معهم عمر وان قيسا لما اشتد جوعهم نادى
قيس من يشتري مني تمرا بجزر يوفيني الجزر ههنا واوفيه التمر
بالمدينة فعرفه جهني فباعه خمس جزر فاغلظ عمر على قيس
في شرائه تلك الجزر ولا مال له يوفي ثمنه فلم يلتفت قيس لذلك
ونحرها في مواطن ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان الرابع اراد
الذبح فمنعه ابو عبيدة لالزام عمر لابي عبيدة بذلك ولما بلغ
سعدا مجاعة القوم قال ان يك قيس كما اعرف فينحر للقوم فلما
قدم قيس قال له ابوه ما صنعت في مجاعة القوم قال نحرت
قال اصبت ثم ماذا قال نحرت قال اصبت ثم ماذا قال نحرت ثم ما

ذا قال كنبيت قال ومن نهاك قال ابي قال ولم قال زعم انه لا
مال لي قال بل لك فقلت له ان ابي يقضي الديون عن الاباعد
ويحمل الكل ويطعم في المجاعة فقال له ذلك اربع جزر ولما
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل قيس قال انه قلب جود خاتمة
ذكر الائمة للصحبة حقوقا لا يتم كمال صلة الرحم المطلوبة المتأكدة
الا بها فلا باس بذكر بعضها اعلم ان اشرف ما يزين خلفاء
الحضرة المحمدية ووارثي المراتب العلية هو تأسيهم باخلاق نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم وشيمته الكريمة التي تادب فيها باداب ربه
على وفق امره بحسب الامكان حتى مدحه تعالى بقوله وانك لعلى
خلق عظيم وتولى تعالى تعليمه فقال فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله بعد قوله ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وسئلت عائشة رضي الله
تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران
قال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فالحمد
لله الذي اهلهم لهذه المراتب السنية واكرمهم بهذه
الاخلاق المحمدية وهداهم الى ادب صحبة الاخوان لاسيما الاقارب
الاصاغر منهم والاكابر وعراهم عن الادناس الذميمة والاخلاق
الدنية في الباطن والظاهر واخبر حبيبه صلى الله عليه وسلم
وصفيه بانه الذي من عليه بالتوفيق والهداية لهذه المعالي

فقاموا بها

المعالي فقاموا بها على ممر الايام والليالي بقوله تعالى عز قائلا لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فالالفة
سبب للاخوة والاخوة سبب لحسن العشرة وعظيم المودة والصحبة
والله تعالى هو الموفق لذلك من يشاء من عباده والمعين لهم بفضله و
رحمته ووداده فهو ولي ذلك والقادر عليه والامور كلها اليه
اعلم ان اداب الصحبة وحسن العشرة على وجوه ولكل فرقة في ذلك
وجوه منها تناسب طبقتهم فاحفظ ذلك ونزل ادابك مع اقاربك
على حسب ما يليق بكل منهم لتفوز بالاحسان الى جميعهم والقيام ببرهم
وصلتهم على الوجه الاكمل ولا تظنن ان ذلك خاص بهم بل يجري في
غيرهم الا انهم انما قصدوا بالذكر لان حقوقهم اكد من حقوق غيرهم
فقطيعتهم اقبح من قطيعة غيرهم وبرهم والصلة عليهم افضل من
غيرهم فمن تلك الاداب ان تعلم وتستحضر ان المؤمن اخو المؤمن فان
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وان المؤمنين كلهم كالجسد
الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله فكن كذلك مع اخوانك واحذر
ان تصاحب الا من ينفعك حاله او يدلك على الله تعالى مقاله وعمله و
افعاله واذا اراد الله تعالى بعبد خيرا وفقه لمصاحبة اهل السنة
والصلاح والدين وتزهد عن صحبة اهل الاهوا والبدع والمخالفة
وقد روي المؤمن على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ومنها
حسن الخلق لاسيما مع الاقارب والاصدقاء فاقتد بسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم التي مرت الاشارة اليها في المقدمات وفي
الحديث يا رسول الله خير ما اعطي الانسان قال الخلق حسن ومنها

كل م

تاويل عيوبه ما استطعت قال بعض الائمة المؤمن يطلب معاذير اخوانه والمنافق يطلب عثرات اخوانه وقال بعضهم اذا اتاك اخوك فاطلب له سبعين عذرا ومنها الصفح عن عثرته او تركنا تأنيبه عليها قال تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل في تفسيره هو الذي لا يكون فيه معاتبة ولا تقريع ولا تأنيب مع الرضا وزوال ما في الباطن وقال الفضيل الفتوة العفو عن عثرات الاخوان وقال غيره من تناسى مساوي اخوانه دام له ومن ثم قيل

ولست بمستبق اخا لا تلمه ؛ على شعث اي الرجال المهذب

ومنها موافقته فيما ابيح ومخالفته فيما حظر وحمده ان احسن نيته وان لم يساعده عمله ففي الحديث المشهور نية المؤمن خير من عمله وقال علي كرم الله تعالى وجهه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة ومنها ان لا يحسد اخاه على ما يراه عليه من اثار نعم الله تعالى بل يفرح بذلك ويحمد الله تعالى عليه كما يحمده على نعمته نفسه وقد مر في التنفير عن الحسد ما ان تامله الموفق لم يحسد احدا قط ومنها ان لا يواجهه بما يكره فان ذلك يورث الضغاين ويكدر الخاطر ومنها ان تضع امور اخيك واحواله على احسن الوجوه ما وجدت لذلك سبيلا وورد ضع امر اخيك على احسنه ما لم يأتك منه ما يغلبك ومنها مجانبة الحقد وملازمة الصفا والود له قال بعض الكاملين اخذت على نفسي ان لا اكافي احدا بسوء قط وما احسن ما قيل شعرا

لما عفوت ولم احقد على احد ؛ ارحت نفسي من هم العداوات

الي

اني احيي عدوي عند رؤيته ؛ لادفع الشر عني بالتحيات

ومما قيل ايضا

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ؛ وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ؛ يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

ومنها ان لا يمل اخوته واصدقاءه فقد قيل ليس لملول صديق ولا لحسود غنى والنظر في العواقب تلقيح للعقول ومنها الاغضاء عنه في المكاره ان لم يستطع في كلها فقد قيل كما ذكره ابو عبد الرحمن السلمي

صبرت على بعض الاذى خوف كله ؛ ودافعت عن نفسي بنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تجرعت ؛ ولو جملة جرعتها لاشمازت
فيارب عز ساق للنفس ذلة ؛ ويارب نفس بالتذلل عزت

ومما قيل ايضا

اغمض عيني عن صديقي تعمدا ؛ كأني بما يأتي من الامر جاهل
وما بي جهل غير ان خليقتي ؛ تطيق احتمال الكره فيما تحاول

وقال ايضا غيره

اذا كنت في كل الامور معاتبا ؛ صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه ؛ مقارف ذنب واحد ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ؛ ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

ومنها ان لا تستخف بهم بل تكرمهم على ما يليق بهم قال ابن المبارك من استخف بالعلماء ذهبت اخرته ومن استخف بالامراء ذهبت دنياه ومن استخف بالاخوان ذهبت مودته ومنها اذا ظفرت باخ او صديق فاحذر ان تضيعه فان الاخوة والصداقة عزيزة قال حكيم استوحش من لا

من قصر

اخ له او صديق وفرط في طلبه واشد تفريطا من وجد واحدا منهم
وضيعه بعد ان وجده ولوجدان الكبريت الاحمر ايسر من وجدان
صديق واخ واني لفي طلبهم منذ خمسين سنة فما ظفرت الا بنصف
اخ فتمرد علي وانقلب وكتب الاحنف الى صديق له اما بعد فاذا
قدم عليك اخ لك فليكن منك بمنزلة السمع والبصر فان الاخ الموافق
افضل من الولد المخالف ومنها ترك التنكر عليه لما تقدم مستوفا في
المقدمات ومنها حفظ المودة القديمة والقرابة المتاصلة والصداقة
الصادقة ولما في الحديث ان الله يحب حفظ الوداد القديم وان امراة
اتت النبي صلى الله عليه وسلم فادناها فقيل له في ذلك فقال انها
كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان وقد من
احبابنا ومن له المودة فليحفظ مودة احبته واخوانه القدما
ولبعضهم شعرا

ما ذاقت النفس على شهوة ... الذ من حب صديق امين
من فاته حب اخ صالح ... فذلك المغبون حق اليقين

وقال حكيم عاشروا الناس معاشرة ان غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا
عليكم ومما يحفظ تلك المودة ويديمها ولا يزيلها ما قاله بعض
الائمة لما قيل له كيف اصحب اخي على شريطة السلامة قال ان تعطيه
من مالك ولا تطمع في ماله وان تنصفه ولا تطلب منه الانصاف
وتستكثر قليل بره وتستصغر ما منك اليه ومنها ان يكرمه اكثر من
اكرامه لنفسه وسئل بعض الائمة عمن يعاشر الناس ولا يكرمهم فقال
ذلك لقلة رايه وعقله فانه يعادي صديقه ويكرم عدوه وهو نفسه

وشر

ومترم

حديث اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال اخر قد جعل الله
تعالى في الصديق البار عوضا عن الرحم المدبرة ومنها ملازمة
الادب والعشرة سئل سيد الطائفة الجنيد رضي الله تعالى عنه — حسن م
عن الادب فقال حسن العشرة ومنها حفظ سره ففي حديث استعينوا
على حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود ومن كلام بعض
الحكما قلوب الاحرار قبور الاسرار افشى صديق لصديقه سرا ثم قال له
حفظته قال لا بل نسيته ولبعضهم

ليس الكريم الذي ان زل صاحبه ... بث الذي كان من اسراره علما
ان الكريم الذي تبقى مودته ... ويحفظ الود ان صافا وان صرما

ومنها مشاورته فقد قال تعالى لاكمل خلقه وشاورهم في
الامر ليبين لك امتك في ذلك ومن ثم لما نزلت الاية قال صلى
الله عليه وسلم ان الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي
فمن شاور منهم لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة لم يعدم غيا ومنها
ايثاره على نفسك تاسيا بالصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن ثم اثنى
الله تعالى عليهم بقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وسعي بجماعة من اكابر الصوفية انهم زنادقة فامر بضرب اعناقهم وكان — الى الخليفة م
من جملتهم الامام العارف المكين ابو الحسن النوري فتقدم الى السياف
ليبدا بضرب عنقه فقال له ما لك بادرت من بين اصحابك فقال
احببت ان اوثر اصحابي بحياة تلك اللحظة فكان ذلك سببا في نجاتهم
ومنها ان يميز بين مراتبهم فقد قيل كمال الرجل في ثلاثة في
العز بنبذ لذ النفس وفي الصحبة بان يتخلق باخلاق الرجال

وفي العطية بان يميز بين مراتب الناس واوصافهم ويعامل كلا بما يستحقه
ومنها ان لا يخالفه في امر دنيوي فان الدنيا احقر من ان يتخالف
فيها اخوان ومن ثم قال يحيى بن معاذ الدنيا باجمعها لا تساوي
غم ساعة فكيف بغم طول عمرك في جمعها وقطع اخوانك بسببها
مع قلة نصيبك منها فانك عما قليل ذاهب وتاركها لمن لا يحمدك بل لمن
يسبك ومنها دوام صفائك وتفقدك في العشرة قال بعض الاخيار
تعامل اهل القرن الاول بالدين فيما بينهم زمانا طويلا حتى رق
الدين ثم الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا ثم الثالث بالمروة حتى ذهبت
ثم الرابع بالحيا حتى ذهب ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة
ومنها ترك المداهنة في الدين لانه لا يترتب عليها من المفاسد
وسلوك مسالك التهم ما لا يليق قال سهل بن عبد الله التستري
رضي الله تعالى عنه لا يشم رايحة الصدق عبد داهن نفسه او غيره
ومنها الذب والانتصار له ما امكنك قيل للجنيد ما بال
اصحابك يأكلون كثيرا قال لانهم لا يشربون الخمر فيكون جوعهم اكثر
قيل فما بالهم ليس لهم قوة شهوة قال لانهم لا يزنون قيل فما بالهم لا
يطربون اذا سمعوا القران قال ما في القران ما يوجب الطرب لانه كلام
الحق يقول بامر ونهي ووعد ووعيد فهو يذيب بقهره ومن ثم قال ائمتنا
يسن البكا عند سماع القراءة فان لم يجده سن له التباكي لحديث
بذلك قيل فما بالهم لا يطربون عند الرباعيات قال لانه كلام
العشاق والمجانين قيل فما بالهم محرومين بين الناس قال انا لا
اقول في هذا شيئا ولكن قال استاذنا حين سئل عن ذلك لثلاث

ومنها

ومنها دوام الرحمة والشفقة وطيب الكلام ودوام البر والصلة ففي
الحديث الصحيح من لا يرحم لا يرحم قال ابو عبد الرحمن السلمي البر
اخص من الصلة وكذلك خص الوالدين وهي بالاقارب وفي الحديث يا
رسول الله من ابر قال امك قلت ثم من قال امك قلت ثم من قال امك قلت
ثم من قال اباك ثم الاقرب فالاقرب ومنها طلاقة الوجه لان البشاشة
من اخلاق الصديقين ومنها توليه خدمة من نزل به قال
يحيى بن اكثم بت ليلة عند المامون فانتبهت عطشانا فتقلبت
فقال ما شانك يا يحيى قلت عطشان يا امير المومنين فوثب من مرقده
واتاني بكوز فقلت الا امرت خادما فقال لا وروي حديثا ان سيد
القوم خادمهم ومنها ان يشاركه بالمكروه كالمحبوب ولبعضهم

خير اخوانك المشارك في المر ... واين الشريك في المر اينا
الذي ان حضرت سرك الود ... وان غبت كان سمعا وعينا

ومنها ان لا يمن بمعروفه على من احسن اليه وان يبالغ في اخفائه
عن غير الاخذ ما امكنه فان المن محبط للعمل والموجب للوزر والمنافي
للمروة فضلا عن الدين انك تعطي شيئا ثم تقول اعطيت فلانا كذا
كتب رجل الى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما رقعة
وجعلها تحت وسادته فقلبها فوجد الرقعة فقراها فجعل
محلها كيسا فيه خمسة الاف دينار ثم لما دخل عليه صاحب الرقعة
قال له خذ ما تحت الوسادة فاخذها الرجل ومنها ان لا يقبل
في اخيه او صديقه مقالة واش او نمام لما مر مبسوطا في المقدمات
ومنها الوفا بحق الاخوة ولو بعد الموت بحفظه في ولده ودوام

المن م

اصل

الدعا له وزيارة قبره وتحفظ عورته وكتمان قبيح اولاد صديقه
واقاربه ويكون معهم برا او في جميع الاوقات ولبعضهم

ثلاث خصال للصديق تجعلها :. مضارعة للصوم والشهوات
مواساته والصفح عن كل زلة :. وترك ابتذال التزهي في الخلوات

ومنها ان لا يبعث الا امر دينيّ واذا ذكره عاد الى اخايه وصحبته
وانشد ابن خالويه من ذلك شعرا

هجرتك لا قلامتي ولكن :. رأيت بقاء ودك في الصدود
كهجر الحائمات الورد لما :. رأت ان المنية في الورود
تفيض نفوسها ظما وتخشى :. حذارا وهي تنظر من بعيد
تصد بوجه ذي البغضاء عنه :. وترمقه بالحاظ الودود

ومنها ان يديم الحيا والمودة معه ففي الحديث الحيا من الايمان
الحيا خير كله الحيا شعبة من الايمان يا رسول الله اوصني قال
استحي الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك ومنها صدق المودة
وصفا المحبة فان العشرة لا تتم الا بهما ومنها ملازمته للحمد والشكر
والفرح على ما رزقه الله تعالى من اخ صالح او قريب وصديق وقد قيل

اخاك اخاك ان من لا اخ له :. كساع الى الهيجا بغير سلاح

فالفريد عن الاخوان ذليل والكثير بالاقارب والاصدقا عزيز
واي عزيز ومنها ان يتحرى عشرة العالم الحليم التقي النقي قال
ذو النون المصري ما خلع الله على عبد من عبيده خلعة احسن من
العقل ولا قلده الله قلادة اجمل من العلم ولا زينه الله بزينة
افضل من الحلم وكمال ذلك التقوى ومنها ملازمة الصدق للقريب

والبعيد

والبعيد ونصحه وقبول نصيحته فان هذه كلها من جملة اخلاق
الابدال كما جاء في الاحاديث الكثيرة الواردة فيهم ومنها
ان لا تخلف وعدا وعدته في حق القريب وغيره فان ذلك كا
لكذب والغدر والخيانة من علامات نفاق العمل المودي الى
نفاق الشرك والعياذ بالله تعالى وقال الثوري لا تعد
اخاك موعدا فتخلفه فتستبدل المودة بغضا ومنها ان تعين
ولدك وتعينه اقاربك واصدقايك على برك بالافضال
عليهم والتودد لهم والعفو والصفح عنهم ففي حديث رحم الله
والدا اعان ولده على بره بالافضال عليه وفي حديث اصنع المعروف
الى من هو اهله والى من ليس اهله فان لم تصب اهله فانت اهله
راس العقل بعد الايمان بالله عز وجل التودد الى الناس واصطناع
المعروف الى كل بر وفاجر ولبعضهم

اصنع الخير ما استطعت الى الناس :. وان كنت لا تحيط بكله
فمتى تصنع الكثير من الخير :. اذا كنت تاركا لاقله

ولبعضهم

هب اساءت كما تقول :. فاين عاقبة الاخوة
فاذا اسات كما اسات :. فاين فضلك والمروة

ومنها تذكر قديم العهد والاخوة عند وقوع الوحشة وتنافر
الالفة حتى تعود دوام الوصلة وتزول تلك القطيعة والملة
فان من اكرم العهد والمروة والنخوة عدم نسيان وصلة القرابة
وصداقة الصديق القديم وانشد بعضهم

نصل الصديق اذا اراد وصالنا ⁂ ونصد عند صدوده احيانا
ان صد عني كنت اكرم معرض ⁂ ووجدت عنه مذهبا ومكانا
ان الكريم اذا انقطع وده ⁂ كتم القبيح واظهر الاحسانا

ومنها قبول اعتذاره اليك ولو بالكذب في حديث من اعتذر اليه اخوه المسلم فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب مكس وانشد بعضهم

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ⁂ ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من ارضاك ظاهره ⁂ وقد اجلك من يعصيك مستترا

ولبعضهم

قيل لي قد اسا اليك فلان ⁂ ومقام الفتى على الذل عار
قلت قد جاءنا واحدث عذرا ⁂ دية الذنب عندنا الاعتذار

ومنها ان تبادر الى قضا حاجة رفعها اليك قال جعفر الصادق اني لاسارع الى قضا حوايج اعداي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني قال بعضهم لم يبق في الدنيا الا قضا حوايج الاخوان ومنها ان لا ينسيه بعد داره اخوانه واقاربه واصدقايه فان نسيان ذلك حينيذ ليس من كرم الاخلاق ولا من شيم من طهر من الادناس والنفاق وقد قيل من كرم الرجل حنينه الى اوطانه وشوقه الى اخوانه ومنها اذا دعوته الى منزلك لا على الفور فتجدد عهده برسول او رقعة فانه قد يغفل فيقع وحشة بينكما قال رجل لابي العينا كن عندي غدا قال وقد عزمي برقعة ومنها اذا دعوته الى منزلك فلا تحتجب عنه ولا تحجبه عنك فان هذا من شان الجبابرة المتكبرين

وقد قيل شعرا

قال لمن

قل لمن تحجبني ايها الحاجب عني ⁂ هذه منك فان عدت الى الباب فني

ومنها المبادرة برد جواب الكتاب بالسلام كما تجب المبادرة برده باللفظ فان كان في الكتاب غير السلام كان جوابه من الاداب ومنها الجري على قوانين السنة في الاستيذان بان لا يزيد على ثلاث بل اذا لم يجب بعد الثالثة رجع وان لا يقف قبالة الباب المفتوح كله او بعضه لئلا يقع بصره على احد من اهل الدار وان لا يقول انا اذا قيل له من بالباب بل يقول فلان وان يسلم عند الاستيذان فيقول السلام عليكم ادخل ومنها ان يفطر اذا دعي الى اكل وكان صومه نفلا وقد شق على الداعي صومه والا استمر صايما ودعي للآكلين ولاهل المنزل كما ورد ومنها تكرير زيارة الاخوان لكن غبا كما في الحديث وكثرة السوال عن احوالهم وروي ان رجلا زار
اخا له في قرية فارسل الله تعالى ملكا على طريقه فقال له الى اين على ص
يا عبد الله قال ازور اخا لي في هذه القرية فقال له طبت وطاب ممشاك قال ابن مسعود كنا اذا فقدنا اخا اتيناه فان كان مريضا كانت عيادة وان كان مشغولا كان عونا وان كان غير ذلك كانت زيارة

ولبعضهم

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم ⁂ ان المحب اذا لم يستزر زارا
يقرب الشوق دارا وهي نازحة ⁂ من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

ومنها ان تجالس كل احد بطريقته ومن ثم قيل لا تبث الجاهل انه ص
بالعلم واللاهي بالفقه والغبي بالبيان اذيت جليسك ومما ينسب لعلي كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه

لئن كنت محتاجا الى العلم انني ⁂ الى الجهل في بعض الاحايين احوج
فمن رام تقويمي فاني مقوم ⁂ ومن رام تعويجي فاني معوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ⁂ ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

ومنها حفظ الاقارب على قدر قربهم والاصحاب على قدر ودهم قال جعفر الصادق رضي الله عنه وعن اهل بيته مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله عز وجل قال غيره صداقة عشرين يوما قرابة ومنها الانصاف من نفسك والمواساة بمالك لما جاء اشرف الاعمال ذكر الله والانصاف للمؤمن من نفسه ومواساة الاخ من ماله ومنها ان لا يفرط ولا يفرط في صداقة ولا عداوة للحديث المشهور احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما بغيضكم وقيل لابي سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنه ما بلغ بكم من الشرف ما نرى قال ما خاصمت رجلا قط الا جعلت للصلح بيني وبينه موضعا او قال موعدا ومنها ان لا تشتهر بحق كبير جاء رجل الى سفيان بن عيينة من خلفه فحياه وقال يا سفيان حدثني فالتفت اليه فقال يا فتى انه من جهل اقدار الرجال فهو بقدر نفسه اجهل ومنها ان تعرف حق من بداك بالود قال بلال من سبقك بالود فقد استرقك بالشكر وزار امام اماما فقام اليه واقعده مجلسه ثم قال السابق بالود مبتدي والمكافي له مقتدي واني يدرك المقتدي المبتدي وفي لفظ سبقتنا بالود والسابق بالود لا يكافى ومنها ان تستمع الحديث سماع مشفق وان لا تصرف

بصرك

بصرك عنه وان لا تقطع حديثه فان اضطررت لخلاف ذلك فاعتذر اليه ومنها انك تنصحه لكن في السر دون العلن مع المبالغة في البيان للاصلاح والتحري من الحظ وخفض الصوت ورعاية مقدار علمه وفهمه ومنها ان تتفقده وتسعى اليه في المهمات والنوائب والامراض ونحوها مع صلة وان قلت وتحزن في الحزن واظهار فرح في السرور ومن انسته بجلوسك عنده ما ظهر لك انه يودك والقيام بقيامهم والجلوس بجلوسهم قال الفضل ترك حقوق الاخوان مذلة قصاءم لهم واحتقار ابنائهم ولبعضهم

فلما بصرنا به مقبلا ⁂ حللنا الحبا وابتدرنا القياما
فلا تنكرن قيامي له ⁂ فان الكريم يجل الكراما

ومنها التادب بالظاهر فانه عنوان التاديب بالسرائر راى صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي وهو يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ولما قال الجنيد لابي حفص ادبت اصحابك اداب السلاطين فقال لا يا ابا القاسم ولكن حسن اداب الظاهر عنوان حسن اداب الباطن واعلم ان اداب الصحبة على انواع لكل نوع منها اداب وواجبات وشروط تليق به فالصحبة مع الله تعالى باتباع ما امكن من مأموراته واجتناب كل مناهيه وبدوام الذكر والفكر وبطهارة القلب من ان يطلع الله تعالى على ادنى نقص فيه من نحو ريا او عجب وكبر والرضا بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه ما ثابة هذه الاخلاق الشريفة ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب كل ما خالفها

من البدع ومحبة اصحابه واهل بيته ومع صحابته بالرضى عنهم
ومعرفة فضلهم وحقهم والامساك عما شجر بينهم مع ان اهل كل منهم
عما ارتكابه شيئا يعتقد حرمته بل كل مجتهدون مثابون المحق منهم
بعشرة اجور والمخطي باجر واحد والعقاب واللوم والنقص مرفوع
عن جميعهم **فتفطن** لذلك والا زلت قدمك ونحو هذا كله في
مع العلما والاوليا بعدهم باجلالهم وتوقيرهم واعتقاد نزاهتهم
عما ينسب اليهم من سفسافات الحلول والاتحاد فانهم بريئون من ذلك
الا نزرا وهم كلامهم ذلك ممن لم يتبينه وانتحلهم ولا يظهر وابن تيمية
اسناده محقق فاولئك يوكل امرهم الى باريهم ولا يبادر بالانكار
عليهم لاحتمال انهم محققون وليس من هولاء اكابر المحققين ممن لهم
الباع الواسع في العلوم والتمييز بين المصطلحات التي يتغاير فيها
القوم والتي يتغاير فيها غيرهم فهولا مبرؤون عما يرمون به لما ظهر بل
تواتر عنهم من سعة العلوم واتقان الرسوم وفناء النفوس ودوام
المراقبة والمشاهدة على قدم الصدق فحياهم الله وبياهم وادام
علينا وعلى المسلمين مددهم ورضاهم وجعلنا ممن انتظم في سلك
محبتهم ليحشر معهم في زمرتهم بمنه وكرمه امين ومع اولي الامر بالطاعة
الا في معصية ومع الاهل والولد والاقارب والارحام بالمداراة
وحسن الخلق وسعة النفس وتمام الشفقة والرحمة والرفق والمحبة
والاغضا والعفو والصفح وتناسي ذنوبهم وستر عيوبهم وتعليمهم
الاداب والاحكام والعلوم والحمل على الطاعات وملازمة
التقوى والجماعات قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم

واهليكم

واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ودوام البشر لهم واستكثار
برهم واستصغار ما امسك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة
الحقد على احد منهم والحسد والبغي والاذى مع الوالدين برهما
بغاية برهما بالنفس والمال وادامة خدمتهما وترضيتهما وتفقد
خواطرهما في كل ذرة ولحظة والدعا لهما في الحياة والممات والجار
وعدهما واكرام اصدقائهما للحديث ان من ابر البر ان يصل الرجل
اهل ود ابيه **تتمة** لما فرغت من هذا الكتاب رايت في
الاحيا لحجة الاسلام ما يناسب هذا الباب وغيره مما مر فاحببت
ذكر خلاصته هنا وان سبق منه كثير مفرقا **فاقول** خلاصة
ذلك مع الزيادة عليه **اعلم** ان اداب الاخوة والصحبة والاقارب
والارحام والوالدين والاولاد ومطلق المسلم والخادم كثيرة
واكدها حقوق الاقارب فلنبدا بها وايضا فلكل ما للمسلم
او الصديق من الحقوق يكون في حقوق الاقارب وليس كل ما للاقارب
من الحقوق يجري في غيرهم فكانت حقوق المسلم الاتية كلها
حقوقا للاقارب من باب اولى فحينئذ فحقوق الاقارب والرحم
كثيرة يتعين لفظها والعمل بها كما اكدت في ذلك الاحاديث
الكثيرة قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه
الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
قطعته وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا له في اثره ويوسع
له في اجله فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اي الناس افضل قال اتقاهم واوصلهم للرحم وقال ابو

خ ابو بكر

ذر كما صح عنه اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان
ادبرت ولم يبال ان اقول الحق وان كان مرا وقال صلى الله عليه وسلم
ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل
الذي اذا قطعت رحمه وصلها وقال اعجل الطاعات ثوابا
صلة الرحم وقال زيد بن اسلم كما رواه عنه الخرايطي لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل فقال ان
كنت تريد النسا البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال
صلى الله عليه وسلم ان الله قد منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم
وقالت اسما بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما كما صح عنها قدمت
علي امي فقلت يا رسول الله قد قدمت علي امي وهي مشركة افاصلها
قال نعم صليها وقال صلى الله عليه وسلم كما جا باسناد حسن الصدقة
على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان وروى البخاري ان
ابا طلحة رضي الله تعالى عنه اراد ان يتصدق بحائط له كان
احب امواله اليه لما سمع قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون فقال يا رسول الله هو في سبيل الله والفقرا والمساكين
فقال صلى الله عليه وسلم وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وفي
رواية انه قال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا واني سمعت
الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فقال اجعلها
في الاقربين فقسمها ابو طلحة في اقاربه وقال صلى الله عليه
وسلم كما رواه احمد وغيره افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وقال صلى الله عليه وسلم كما عند احمد وغيره افضل الفضايل ان

تقيل

ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وكتب عمر الى عماله
رضي الله تعالى عنهم مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وقد جمع رضي
[illegible] عنه في هاتين الكلمتين جماع المعاني التي تحصل بها صلة الرحم
وجماع المعاني التي تحصل بها قطيعة الرحم اما الاول فسببه ان تزاور
الاقارب والارحام بعضهم لبعض له اثر ظاهر بين في ازالة ما في
النفوس وفي المحبة والالفة كما افاد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
تهادوا تحابوا ومن لازم الزيارة غالبا التهادي والضيافة والبشاشة
والقرى وذلك كله يزيل ما في النفوس بالكلية فيحصل بذلك سائر
الاسباب التي يحصل بها التواصل وقد مر كثير منها واما الثاني
فسببه ان التجاور في المساكن مظنة التزاحم على الحقوق والتحاسد
وذلك يورث الوحشة وقطيعة الرحم كما هو مشاهد كثيرا فيقاس
بذلك كل ما يودي الى ذلك في العادة فعليك ان تجتنب تلك الاسباب
ما امكنك واكد حقوق الاقارب حقوق الوالدين ثم الاولاد
ولذا ورد فيهما في السنة ما لا يطاق حصره كالحديث الحسن في
ان من بر امه كان له ثواب الحج والعمرة والجهاد وروى البيهقي
في الشعب من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى
الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما
وان ظلما وروى الطبراني ان الجنة يوجد ريحها من الف عام
ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وصح حديث بر امك واباك
ثم اختك واخاك ثم ادناك فادناك وفي رواية صحيحة
من ابر قال امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب وفي اخرى

صحيحة من احق الناس بحسن الصحبة قال امك ثم امك ثم امك ثم
اباك وروى الطبراني بسند ضعيف ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق
بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها
ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجرهما شي وصح يا رسول
الله هل بقي علي من بر والدي شي ابرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة
عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة
الرحم التي لا توصل الا بهما وصح ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل
ود ابيه وروى ابو عمر والزرقاني قال رجل يا رسول الله من
ابر قال بر والديك قال ليس لي والدان قال بر ولدك زاد الطبراني
في روايته الاصح وقفها على ابن عمر فكما ان لوالديك عليك حق
كذلك لولدك عليك حق وجاء بسند ضعيف رحم الله والدا اعان
ولده على بره اي بكونه لم يحمله على العقوق بسوء فعله اذ كثيرا ما
يكون جفوة الاب والام او بخله او جوره سببا لعقوق الولد
وارتكابه المهالك من غير ان يشعر فيتعين على العاقل ان يكون لاولاده
كالحكيم الخبير بالعلل ودوائها فيفعل مع كل منهم ما يصلحه ولا
يضره وما احسن ما قيل ولدك ريحانتك سبع سنين ثم هو خادمك
سبع سنين ثم هو عدو لك او شريكك وفي حديث فيه من لم
يسم ان الولد يؤدب ويعزل فراشه بعد سبع سنين ويزوج بعد
سبعة عشر ثم يأخذ بيده ويقول قد علمتك وادبتك وانكحتك
اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وفي رواية
ضعيفة من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وصح حديث

كل غلام رهين او رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق
راسه قال احمد وغيره ومعنى كونه مرتهنا بعقيقته انه اذا مات
ولم يعق عنه لا يشفع في ابيه يوم القيامة وشكى رجل الى ابن المبارك من
ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته
ومما يدلك على تاكد الرفق بالولد ان الاقرع بن حابس التميمي راى النبي
صلى الله عليه وسلم يقبل ولده الحسن فتعجب وقال لي عشرة من الولد
ما قبلت واحدا منهم فقال انه من لا يرحم لا يرحم رواه البخاري
واخرج الترمذي وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم راى
الحسنين رضي الله تعالى عنهما يمشيان ويعثران وهو على منبره فنزل
وحملهما وقرا قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وصح بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسن او الحسين رضي
الله عنهما فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه
قد حدث امر فلما سلم قال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى
يقضي حاجته وجا بسند ضعيف حديث ريح الولد من ريح الجنة و
قال معاوية للاحنف ما تقول في الولد فقال يا امير المؤمنين
ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم
نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان سخطوا فارضهم يمنحوك
ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا
وفاتك ويكرهوا قربك واذ قد فرغنا من هذه الحقوق الخاصة بما
نحن فيه مما هذا التاليف موضوع له **فلنذكر** فضل الالفة
والاخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها ثم نشرح حقوق

ربع م

اي بمنزلته

اي ما يحصل لهم

السلم لان كل ذلك لا اعظم النفع فيما هذا التاليف بصدده لان
تلك الفضايل والشروط والحقوق اذا كانت في الاجانب فكيف
بالاقارب اعلم ان التالف والتحابب والتوافق بينك وبين
اقاربك وغيرهم اعظم ثمرات حسن الخلق والتفرق والتقاطع
بينكم وبين احد ممن ذكر والتباغض والتحاسد اقبح ثمرات سوء
الخلق ثم لعظيم فضل حسن الخلق وقبح سوء الخلق ومن ثم ورد فيهما
احاديث كثيرة مر بعضها منها احاديث كثيرة كحديث اكثر ما
يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وحديث يا رسول الله ما
خير ما اعطي الانسان قال الخلق الحسن وحديث بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وحديث اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن
وجاء فيها احاديث في سندها ضعف كحديث ما حسن الله خلق امرئ
وخلقه فيطعمه النار وحديث يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال
وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك و
تعطي من حرمك ومما ورد في الثنا على نفس الالفة التي هي وصلة
لدين او تقوى ايات واحاديث واثار قال تعالى لو انفقت ما
في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال
فاصبحتم بنعمته اخوانا اي متحابين ومتالفين كالاخوان بل
بالحقيقة اذ شانهم ذلك فلا برد من طبع الله على قلبه ممن
ساء خلقه حتى اداه الى قطيعة رحم المؤمن بقطيعته من رحمة
ربه ولا شيء اردى من ذلك ولا اقبح ثم ذم تعالى الفرقة وحذر
عنها فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا

صحيح

نعمة

١٣٤

نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الاية وروى
الطبراني حديث ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطؤون
اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وصح قوله صلى الله عليه وسلم
المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف فتامل
لتعلم ان من لم يالف ولا يؤلف بالنسبة للاحاديث اذ لا خير فيه
فكيف بمن ساءت اخلاقه مع اقاربه حتى صار لا يالفهم ولا
يالفونه فهذا ايس من الخير على وجه ابلغ واقبح فتفطن لها ايها
الغافل لذلك ومن فوايد الالف والاخوة ما اشار اليه صلى الله
عليه وسلم بقوله كما عند ابي داود وضعفه ابن عدي اذا اراد الله
بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه فكذلك
غير الامير من اراد به الخير يبسر له قريب واخ كذلك وجاء
بسند فيه كذلك مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين يغسل احدهما
الاخرى الحديث ومعناه صحيح له شواهد وروي بلفظ من اخا
اخا في الله عز وجل رفعه الله بها درجة في الجنة لا ينالها بشيء
من عمله وصح حديث ان المتحابين لجلال الله في ظل عرشه يوم لا
ظل الا ظله وحديث ان الله يقول يوم القيامة اين المتحابون
لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وحديث المتحابون
في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهدا وروى
احمد انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا
شهدا يغبطهم الانبياء والشهدا على منابرهم وقربهم من الله الحديث
وفيه يتحابون في الله ويتصادقون ابرضع لكم يوم القيامة منابر من

فيجعل وجوههم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم فيجعل صح
اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروى النسائي في
سننه الكبرى ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم من
نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء تغبطهم النبيون والشهداء
فقالوا يا رسول الله حلهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمت
والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وصح حديث ما تحاب
اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ويلحق
بعضهم من قوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم اي ومن انه خص المودة
انفع من رحم القرابة لان من احب اعلى منه فقد رفعه الله معه وفي
درجته كما ان الذرية تلحق بدرجة ابائهم الصالحين من غير عمل
ولا يحتاج لذلك لان الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
سئل عمن يحب قوما ولم يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب صريح
في ذلك وروى احمد انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول
حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون
من اجلي وحقت وطابت لك الجنة وروى الترمذي وقال
غريب من عاد مريضا او زار اخا في الله ناداه مناد من السماء
طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وروى مسلم ان
رجلا زار اخا له في الله فارسل الله له ملكا فقال اين تريد
قال اريد ان ازور اخي فلان فقال الحاجة لك عنده قال لا
قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة لك عنده
قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله ارسلني اليك

يخبرك

يخبرك بانه يحبك بحبك اياه وقد اوجب لك الجنة والطبراني وثق
عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله قال حجة الاسلام
فبهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون له
اصدقاء واخوان يحبهم في الله وجاء بسند ضعيف انه صلى الله عليه
وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه مني محبة و
انه صح جاء عن ابي داود انه صلى الله عليه وسلم قال كيف لي ان يحبني الناس
كلهم واسلم عليهم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم
ين واحسن فيما بيني وبينك وروى الطبراني ان احبكم الى الله الذين
يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاخوان وجاء بسند ضعيف حديث ان لله ملكا نصفه
من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج
والنار الف بين قلوب عبادك الصالحين وحديث المتحابون في
الله على عمود من ياقوتة حمراء في راس العمود سبعون الف
غرفة يشرفون على اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء
الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على وجوههم هؤلاء
المتحابون في الله **فتامل** وفقني الله واياك لما يرضيه وجنبنا
من كل فتنة ومحنة وهلكة وقطيعة هذه الاحاديث وما
اعده الله تعالى فيها للمتحابين فيه من هذا الثواب الذي لا
نهاية له ولا يعلم قدره ولا يحيط احد بعظمته تعلم ان ذلك
اذا حصل للمتحابين من الاجانب فكيف بالمتحابين من الاقارب
فانهم يحصل لهم هذا الثواب كله منضما الى ثواب الصلة الذي هو

في اجادتها الكثيرة وحينئذ فهذا يبعثك اي يبعث ويهديك
اي هداية ويرشدك اي ارشادا الى انك تسعى اتم السعي وتجتهد
اتم الاجتهاد في ان تحب جميع اقاربك واخوانك في الله
زيادة على ما يجب عليك من صلة ارحامهم واغتنام دعائهم
فانه الترياق المجرب والدواء النافع من كل سوء وعطب ومما
يدلك على عظيم نفع الاخوان الاقارب والاباعد قول علي
كرم الله وجهه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا و
الاخرة الا تسمعون الى قول اهل النار في النار فما لنا من
شافعين ولا صديق حميم وحلف عبد الله ابن عمر رضي الله
عنهما انه لو صام النهار وقام الليل ثم مات ولم يحب
المطيعين ويبغض للعاصين ما نفعه ذلك شيئا وقال الحسن
لا يغرنك المرء مع من احب فلن تلحق الابرار الا باعمالهم ان اليهود
والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم اي فمجرد المحبة مع
عدم موافقة ولو في بعض الاعمال لا تنفع شيئا وما احسن
قول الفضيل تريد ان تسكن الفردوس مع النبيين والصديقين
والشهدا باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ
كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها
باي قريب باعدته في الله تعالى باي بعيد باعدته في الله
تعالى وقال نظر الرجل الى وجه اخيه على وجه المودة و
الرحمة عبادة وقال عمر رضي الله تعالى عنه اذا اصاب الرجل ودا
من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك واعلم ان

الاخوة

الاخوة لله وغيرها تنكشف ببيان اقسام الصحبة التي هي المخالطة
والموازرة وهي اما اتفاقية تنشأ عن الاجتماع في نحو مدرسة
او جوار او اختيارية وهي التي تنشئها الانسان ولا تكون الا على هذه
ان كانت لله تعالى فحبك لغيرك اما لذاته بان تلتذ برؤيته او
بمشاهدة اخلاقه الحسنة عندك اذ لا محبة الا تبعا لاستحسان
المحبوب لجماله وهو واضح او الباطن لكمال عقله المستلزم لكمال
اخلاقه واحواله واقواله وافعاله وقد يبنا عظيم المحبة وكمال
المودة لمناسبة باطنة فان شبه الشيء منجذب اليه بالطبع
وتشابه الاشيا والباطنة خفية ليس في قوة البشر الاطلاع
عليها وعنها عبر صلى الله عليه وسلم بقوله كما رواه مسلم وكذا
البخاري تعليقا الارواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف
نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي حديث الطبراني
بسند ضعيف ان الارواح في الهوى جند مجندة تلتقي فتتشام
وكنى بعض العارفين عن هذا بقوله ان الله تعالى خلق الارواح ففلق
بعضها واطافها حول العرش فاي روحين من فرقتين
تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا واخرج احمد حديث
ابن لهيعة حديث ان ارواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم
وما راى احدهما صاحبه قط واخرج الحسن بن سفيان في
مسنده ان امراة بمكة كانت تضحك النسا وكان بالمدينة اخرى
فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت

ابن نزلت فذكرت فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث قال رحمه
الاسلام والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد بالايتلاف
عند التناسب فالتناسب في الطباع والاخلاق باطنا امر مفهوم
واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع
عليها وغايته هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس
طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فتقتضي التناسب
والتواد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة
وهذا لو صدق بكونه لذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلقه
السموات والارض لكان الاشكال في اصل التناسب فلا معنى
للخوض فيما لا ينكشف سره للبشر وما اوتينا من العلم الا قليلا وكفينا
ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به
اي عند البيهقي في شعب الايمان موقوفا على ابن مسعود وذكر
صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرجه ولده في
المسند قال صلى الله عليه وسلم لو ان مؤمنا دخل الى مجلس وفيه
مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا
دخل الى مجلس وفيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه واحد م
وهذا يدل على ان شبه الشيء منجذب اليه بالطبع وان كان لا يشعر
وقال مالك بن دينار لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما
وصف من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان
من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع

حمام

حمامة فتعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا
هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان
يانس الى شكله كما ان كل طائر يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من
زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد وان يفترقا وهذا معنى
خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم

وقائل كيف تفرقتما ... فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته ... والناس اشكال والاف

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته بمجرد مجانسة
ومناسبة في الطباع الباطنة وهذا الحب مباح الا ان يتوصل
به لمذموم كحب صورة جميلة لنيل محرم منها واما الغرض ينال
من ذاته لا لذاته كجاه او مال او علم وهذا كما ان محبة الذهب
والفضة لا لذاتهما بل ليحصل المراد بهما وهذا الحب ان كان
وسيلة لخير كحب التلميذ استاذه لما يناله من علمه الشرعي وتربيته
التي يتاهل بها الى المعارف العلية والمراتب الاخروية فهو حب
وحب في الله والا فلا ومن القسم الاول امراته وحبه مثلا
لا لنيل شهوة منها فحب بل لكونها التي في صيانة نفسه عن الحرام
وسببا لعفته عن الاثام ولذا ورد في الاخبار الكثيرة الصحيحة
الشهيرة عظيم الاجر والثواب في الانفاق على العيال حتى اللقمة
امراته ٢ يضعها الرجل في في عياله ولا ينافي الحب لله ان يضم اليه الحب
لغرض اخر كان ينو صدقته الاخرة ومن ثم علمنا الله تعالى ان نقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة لكن افراد الحب لله

من غير أن يشترك معه غيره أفضل والحاصل أن الحظوظ العاجلة
لا يمنع منها إلا ما أضاد الآخرة ومنع منها وهي التي أمر الكمل بالاحتراز
منها بخلاف ما يضاد ذلك كالنكاح وأكل الحلال ولبس الملابس
الحسنة الجائزة نعم لا بد في الحب للدنيا المصاحب للحب في
الله أن يكون المحبوب لو منعك الدنيا بقي حبك له الذي لله تعالى
وإلا فحبك ليس إلا للدنيا فعلم أن كل من أحب عالما أو عابدا
أو أحب شخصا راغبا في علم أو عبادة أو خير فإنما أحبه لله تعالى
ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه ويلزم من
التحلي بالحب لله التحلي بالبغض لله ضرورة أن الباعث على الأول
كونه مطيعا لله ومحبوبا عنده وهذا مستلزم لبغض العصاة
لأنهم مخالفون لبغضهم وممقوتون عنده وبالضرورة أن من أحب
لسبب أبغض لضده ولا استحالة في اجتماعهما الشخص واحد فيه
ما يحب كالإسلام وما يبغض كالمعصية فيحبه من الحيثية الأولى
ويكرهه من الحيثية الثانية لكن بعد أن يثبت عندك توجههما
لئلا تقع في ورطة التهجم بالظن فيسألك الله تعالى عن سبب فعلك
فلا تجد جوابا ثم إن أردت مخالفته أو موافقته فإن أردت
موافقته كان إكرامك له أكثر أو مخالفته كانت إهانتك له بالإعراض
عنه وعدم القيام بحقه ونحو ذلك وإن استويا سويت بين
الإكرام والإهانة ومنها قطع الإعانة والنصرة وهو أقل درجاتها
وأفادا عراضه عليه إن كانت تعينه على معصية فلو خطب سكير
أو زان امرأة ذات مال وجمال فإن ظننت أن مالها يزيد في طغيانه

فلك

فلك إفساد وصلته بها وإن جمالها يعفه ويمنعه من معصيته فلك
إعانته لأنك حينئذ في الأمر ناظر إلى الله تعالى والنصيحة
للمسلمين بخلاف ما إذا قصدت بذلك حظك ومجازاته بسوء
فعله معك فإنك حينئذ مرتبك في حظك وشهوتك المبعدة
لك من الله ورسوله ولو وصلت عاصيا لقصد ما فيه من الخير كالإسلام
فلا بأس بل ربما يتأكد عليك ذلك إن كانت معصيته بالجناية عليك
أو على من يتعلق بك ولك في ذلك القدوة الحسنة بأبي بكر الصديق
كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه الذي أنزل الله تعالى فيه قوله
عز قائلا ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى
واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا
وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وسبب
ذلك أن مسطحا كان قريب أبي بكر وكان أبو بكر ينفق عليه ويبالغ
في صلته ومع ذلك خاض في عائشة مع أهل الإفك فبلغ ذلك
أبا بكر فساءه ذلك لأنه لم يرع له الرحم ولا الصلة التي يصله
بها فحلف أبو بكر أنه لا ينفق عليه بعد اليوم أبدا فأنزل الله تعالى
هذه الآية ناهية لأبي بكر عن حلفه على عدم الإنفاق عليه
مع شهادتها بغاية مدح أبي بكر وأنه أخص من بين الصحابة بكونه
أهل الفضل ولما نزلت قال أبو بكر بلى أحب أن يغفر الله لي
ورد على مسطح نفقته ولم ينظر لعظم جنايته وأي معصية تزيد
على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في
شأن عائشة رضي الله تعالى عنها إلا أن الصديق كان كالمجني عليه

الله تعالى

والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اسا من اخلاق الصديقين وانما
يحسن الاحسان الا الى من ظلمك واما من ظلم غيرك فالاحسان
اليه اساءة الى المظلوم ان كان الاحسان اليه تقوية عليه ومراعاة
خو المظلوم بتقوية قلبه والاعراض عن الظالم احب الى الله تعالى وقد
اتفق العلما كلهم على اظهار بغض الظلمة والمبتدعة وساير العصاة
الذين تعدت معاصيهم الى الغير واما من اقتصرت معصيته
على نفسه فمنهم من نظر اليه بعين الرحمة ومنهم من شدد الانكار والهاجرة
وكثيرا ما يلبس الشيطان على النفس الغبية الحمقا حتى تظن ان عدم
الانكار اولى نظرا للقضاء والقدر وهو في الحقيقة مداهنة على
المعصية وعلامة الصدق في ذلك انه من يشهد القضا والقدر
لو جني عليه كما لو جني على غيره او ان وقعت معصية تتعلق بالله تعالى
فهو مداهن مغرور **فان قلت** هل يجب اظهار بغض العصاة
بالهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة **قلت** لا يجب ذلك
وانما الواجب ان لا تخالطوا مخالطة مؤانسة فقد صرح ائمتنا
بانه يحرم الجلوس مع الفساق ايناسا لهم واما حيث لا مخالطة
ولا ايناس فلك ان لا تظهر البغض ولك ان ترفق بهم لكن بحيث لا
يكون ذلك مبتدا اعانة لهم على معاصيهم بوجه من الوجوه والا اثمتم
اذ كل فعل او قول جر الى الحرام كان حراما كيف ووسيلة الحرام حرام
ومن ثم قال ائمتنا يحرم عليك اذا سالك غيرك في قرض او
صدقة ونحوها وظننت من حاله انه يصرفه في معصية او يستعين
به عليها ان تعطيه شيا من ذلك قالوا ويحرم موادة الكافر

با

بالقلب ويكره بالظاهر وقياسه انه يحرم موادة الفاسق والمبتدع
بالقلب الا لغرض صالح لكونه قريبا وكظن هدايته وكالنظر الى
الى منة الله تعالى عليه بالاسلام وتوفيقه له نعم المبتدع
لا سيما الداعي لبدعته اشد على الناس من الكافر لانهم لا يخافون
عليهم من الكافر ويخاف عليهم كثيرا من المبتدع فيتاكد اظهار بعده عنه
ومقاطعته لا سيما في ملاء الناس قصدا ان لا يفتتنوا به وقد
صرح ائمتنا بانه اذا مرض لا يعاد واذا اصيب لا يوالى ولا يناصر ولا يسلم عليه صح
ولا يرد عليه جواب سلامه الا لغرض صالح كما مر والحاصل ان
اهل البدع والفسق احوالهم متفاوتة بعضها في اضلال الناس
واضرارهم اشد من بعض فعليك ان تزيد في المهاجرة والمقاطعة
واظهار البغض بحسب زيادة تلك البدعة او ذلك الفسق فليس
الظالم في الانصباع في الاعراض والاموال كالذي يظلم نفسه
بنحو شرب مسكر بل شتان ما بين اولئك هذا كله حيث لم تر
متلبسا بفعل معصية ولو صغيرة والا يوجب عليك الانكار
باليد فاللسان فالقلب حسب قدرتك واخرج ابو نعيم وغيره
بسند ضعيف من انتهر صاحب بدعة ملا قلبه امنا وايمانا
وروى البخاري ان شارب خمر ضرب مرة بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال رجل من الصحابة
رضوان الله عليهم ما اكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن
عونا للشيطان على اخيك وفيه اشارة الى ان الرفق اولى من
العنف والتغليظ وقد اختلف ساير العلما في مصر لا ينفعه

بمرط

نصح فبعضهم نظر اليه بعين الرحمة وبعضهم نظر اليه بعين العنف
والصحيح كما قال حجة الاسلام ان ذلك يختلف باختلاف
النيات والمقاصد اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع
من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتي
في ذلك القلب كما تراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى
ضده اذ قد ينشا العنف عن العجب والكبر واظهار الصلاح
والرفق عن المداهنة والتوصل الى الغرض الفاسد كجاه او مال
ومما تقرر علم انه لا ينبغي للانسان ان لا يصحب الا من اشتهر
دينه وامانته وعظمت تقواه وصيانته فقد صح قوله صلى
الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل
ويجمع ذلك ان يكون فيه خمس خصال العقل وحسن الخلق
والعدالة وعدم البدعة والحرص على الدنيا ثم فائدة الصحبة
قد تكون دنيوية محضة ولا نظر اليها وقد تكون دينية محضة
او مشوبة كاستفادة علم او جاه يتحصن به عن ايذاء من يشوش
عليك قلبك وعبادتك ومال لتصون به وجهك عن
السؤال او وقتك عن الضياع لتستفرغه في العبادة او العلم
او استعانة في مهم او خلف دعائه الصالح او شفاعته في
الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان
لكل مؤمن اي كامل شفاعة يوم القيمة فلعلك تدخل في
شفاعة اخيك وانما اشترطوا للصحبة تلك الخمسة اما العقل
والمراد به هنا الاكتسابي يفهم الامور على حقائقها انه فلانه

لا خير في صحبة الاحمق بل مآلها الى القطيعة عاجلا وكثيرا
ما يريد الاحمق ان ينفعك فيضرك واما حسن الخلق فلان
العاقل قد يغلبه غضب وهوى او شهوة او بخل وجبن فيطيعه
لعجزه عن قهر صفاته الذميمة فصحبته هذا ضرر فضرر ايضا
واما العدالة فلان الفاسق والمبتدع لا يخاف الله تعالى
فلا تؤمن غائلته وما احسن قول عمر ابن الخطاب رضي الله
تعالى عنه عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم
زينة في الرخا وعمدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه
حتى يجيئك ما يقلبك عنه واعتزل عدوك واحذر صديقك
الا الامين من القوم ولا امين الا من خشي الله تعالى ولا
تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر
في امرك الذين يخشون الله وقد اشار علقمة العطاردي الى
حقوق الصحبة بقوله في وصيته لولده عند موته ان عرضت
لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك
وان صحبته زانك وان تعدت بك مؤنة مانك ومن اذا امددت
يدك للخير مدها وان راى منك حسنة عدها او سيئة سدها
ومن اذا سالته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك
نازلة واساك ومن اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا
ان تنازعتما آثرك ولما سمع المامون ذلك قال اين هذا فقيل
انما اوصاه بذلك ارادة ان لا يصحب احدا ولذلك قيل
ولست بمستبق اخا لا تلمه . على شعث اي الرجال المهذب

وعن علي كرم الله تعالى وجهه

ان اخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

وقال جعفر الصادق لا تصحب الكذاب فانه يقرب لك البعيد
ويبعد منك القريب ولا الاحمق فانه يريد نفعك فيضرك ولا
البخيل فانه يقطع احوج ما تكون اليه ولا الجبان فانه يسلمك
ويفر عند الشدة ولا الفاسق فانه يبيعك باكلة او الطمع فيها
وان لم ينلها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب
الي من ان يصحبني قاري سي الخلق وقال سهل اجتنب صحبة
الجبارين الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين
واما الحرص فلان الحريص على الدنيا سم قاتل لان المطبع يسرق
من حيث لا يدري صاحبه فلذلك كرهت صحبة طلاب الدنيا
وتاكدت صحبة طلاب الاخرة قال علي كرم الله تعالى وجهه
احيوا الطاعات بمجالسة من تستحيون منه واذ قد اشرنا
الى شروط الصحبة فلنشر الى حقيقتها وجمعها ثمانية
اشيا **الاول المال** فقضية حقيقة الصحبة ان تنزل
منزلة خادمك حتى تقوم بسائر ما يحتاجه وهو اقل المراتب
او نفسك حتى تشاركه في جميع ما بيدك وهو اوسطها
او تؤثره عليك وهو اعلاها وهي درجة الصديقين لانهم
يؤثرون حتى بالحيا كما وقع لابي الحسين النوري رضي الله
تعالى عنه انه وشي به هو وجماعة من اكابر الصوفية الى الخليفة

فهم

فهم بضرب اعناقهم فاستدعاهم واحضر قاضيه وقدم لهم
السيف والنطع فتقدم ابو الحسين فقال له القاضي والجلاد اتدري
لم تقدمت اليه قال نعم قال ما هو قال ضرب عنقي قال وما الحامل
لك على ذلك قال ايثار اصحابي بحياة لحظة فقال القاضي ان كان
هولاء زنادقة فليس على وجه الارض صديق ثم سال ابا الحسين عن
مسايل عويصة فنظر عن يمينه ساعة وعن يساره ساعة ثم رفع
بصره ثم اجابه عنها على اكمل وجه واتمه فقال له رايت منك شيا
التفت عن يمينك ثم عن يسارك ثم شخص فقال سالت عنها ملك
اليمين فلم يجب ثم ملك الشمال فلم يجب ثم رفعت بصري فرايت لجوابها
مكتوبا امامي او بالعرش فاجبتك بها فعفي عنهم وجاء فتح
الموصلي الى صديق له وكان غايبا فطلب صندوقه ففتحه واخذ
منه حاجته فلما اخبرته امته فقال انت حرة ان صدقت وقال
رجل لابي هريرة اريد ان اواخيك في الله قال الا تكن احق بدينارك
ودرهمك مني قال لم ابلغ هذه المنزلة قال فاذهب عني واخبارهم
في الايثار بالاموال الكثيرة لا تحصى **وروى** البخاري انه صلى الله عليه
وسلم اخا بين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع فعرض عليه
سعد نصف ماله واحدى زوجتيه فقال بارك الله لك في
اهلك ومالك **الثاني** الاعانة بالنفس في قضا الحاجات اما
مع السوال والقدرة باظهار البشر وهو اقلها فقل اذا سالك اخاك

حاجة فلم يقضها فذكره لعله نسي فإن لم يفعل فكبر عليه واقرأ
والموتى يبعثهم الله وتوافقه قول ابن شبرمة إذا سألت أخاك
حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ وكبر عليه أربع تكبيرات
وعده في الموتى وقد كان من السلف من يقوم بعيال أخيه ويخدمهم
بنفسه بعد موته أربعين سنة بأكثر مما كان يقوم بهم أبوهم
وكان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهالينا وأولادنا لأن
هؤلاء يذكروننا الدنيا وإخواننا يذكروننا الآخرة وقال من شيع
أخاه في الله بعث الله له ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه
إلى الجنة وروى الخرائطي والبيهقي بسند ضعيف عن ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما أنه التفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا
أراه فقال إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله
فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته وفي رواية وعن
اسم جده وعشيرته وذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أحب الناس
إليه جليسه وأنه لا قدرة له على مكافأة من تردد إلى مجلسه ثلاثا
من غير حاجة له إليه أي بل لمجرد المودة والمحبة الثالث السكوت عن
ذكر شيء مما يكرهه في حضرته وغيبته وعن رد ما تكلم فيه ومماراته
ومناقشته وعن سؤاله وقد رآه في الطريق أو حاجة عما هو ذاهب
إليه وعن إفشاء شيء من سره الذي بثه إليه فإن ذلك من لؤم الطبع

وخبث

وخبث الباطن وعن البحث عن أحواله ونكاياته فقدح غيره فيه وتبليغه
شتم غيره له فإن الذي شتمك من بلغك وروى أبو داود والترمذي
في الشمائل أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه وهذا
كله حيث لا مصلحة راجحة في خلاف ما ذكرناه والأعلى نقضها
وما عليه من غضبه ومن ثم قال الحجة وبالجملة فليسكت عن كل كلام
يكرهه جملة أو تفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو
نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فإذ ذاك لا يبالي بكراهته
نعم ذكر مساويه ومساوي أهله غيبة محرمة إلا لغرض شرعي
كذكرها لمريد نحو نكاح ويزجرك عن ذلك أنك إذا طالعت في نفسك
وجدت فيك مثل ذلك أو أكثر أو دون وعلى كل فأي الرجال
المهذب ولو طلبت خليلا عن كل عيب لتجنبت الناس كافة فليطلع
عليه المحاسن لا المساوي لا غير ومن شأن المؤمن الكريم أن يستحضر في
نفسه محاسن أخيه وتناسي مساويه عن شغب قلبه مزيد
وده وإجلاله والمنافق اللئيم بضد ذلك ومن ثم قال ابن المبارك
المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وأخرج البخاري
في تاريخه استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره
وإن رأى شرا أظهره وفي رواية للنسائي تعوذوا بالله من جار
السوء في دار المقام وما من شخص إلا ويمكن تحسين ما له أو تقبيحه
ومن ثم جاء بسند ضعيف أن رجلا أثنى على آخر عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم ذمه في الغد وفي رواية في ذلك المجلس فقال
صلى الله عليه وسلم انت تثني عليه امس وتذمه اليوم فقال
والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه
ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت
اقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال
الحجة وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر اخر اي
سنده صحيح البذا والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث
آخر اي سنده ضعيف ان الله تعالى يكره لكم البيان ولذلك قال
الشافعي ما احد من الخلق يطيع الله ولا يعصيه ولا احد يعصي (المسلمين)
الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل اي
بشرط ان لا يرتكب كبيرة ويتعين عليك ايضا الكف عن مساويه
بقلبك فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان
لا يحمل فعله على وجه فاسد ما امكن له وجه حسن كان يشاهد
منه ما يمكن نحو سهو فيه وحيث كان للفعل وجهان فحمله على
القبيح الا سوء ظن واعتقاد وهو غير سائغ وهذا جار في حق
كل مؤمن واخرج الحاكم بسند رجاله ثقات ان الله حرم من
المؤمن دمه وماله وان يظن به ظن السوء وروى الشيخان اياكم
والظن فان الظن اكذب الحديث ولهما من ستر مسلما ستره الله
يوم القيمة ولمسلم ستره الله في الدنيا والاخرة وصح من راى

عورة

مروته

عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة من قبرها قال الحجة وافاد ان
الاخوة ان يعامل اخاه بما يحب ان يعامل به والا دخل في اية ويل
للمطففين اذ المطفف من يلتمس من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه و
منشأ التقصير في ستر العورة الداء الدفين وهو الحقد والحسد فان
الحقود لا يبديهما الا اذا وجدهما محلا فحينئذ ينحل رابطة
الظاهر ويرشح الباطن بخبثه فظاهر العتاب خير من مكنون الحقد
ومن في قلبه سخيمة على مسلم فقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله عز
وجل قال وينبغي له كتم سر الذي استودعه وان كذب كما له
ان يخفي عيب نفسه وان كذب وفي حديث ابي داود المجالس بالامانة
وفيه استثناء الحرام فانه الامانة في كتمه وفي حديث ضعيف
وله شاهد مرسل وشاهد صحيح انما يتجالس المتجالسان بالامانة
لا يحل لهما ان يفشي على صاحبه ما يكره ومن ثم قيل صدور الاحرار (لاحدهما)
قبور الاسرار وقيل اذا اردت ان تصحب احدا اغضبه ثم دس
عليه من يبحثه عنك فان قال شرا او اظهر سرك فلا تصحبه وما

احسن ما قيل

ونرى الكريم اذا تصرم وصله ... يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
ونرى اللئيم اذا تقضى وصله ... يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما اني ارى
عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ مني خمسة لا تفشين له سرا

ولا تغتابن عنده احدا ولا تخون عليه كذبا ولا تعصين له
امرا ولا يطلع منك على خيانة قال الشعبي كل كلمة من هذا الخمس
خير من الف ودليل ترك المماراة السابق قوله صلى الله عليه وسلم
من ترك المرا وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة اي اسفلها
ومن ترك المرا وهو محق بنى الله له بيتا في اعلا الجنة فجعل
ثواب المحق اعظم مع ان سكوت المبطل واجب عليه لان
السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت عن الباطل وقال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تماري سفيها فيردك ولا
حليما فيقليك واشد اسباب القطيعة بين الاخوان المماراة
والمنافسة اذ التقاطع يقع اولا بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان
واخرج مسلم لا تدابروا ولا تقاطعوا ثم قال بحسب المؤمن من
الشر ان يحقر اخاه استحقارا وايغار الصدور وفي حديث
ضعيف ذروا المرا لقلة خيره ذروا المرا فان نفعه قليل
وانه يهيج العداوة بين الاخوان واخرج الترمذي وقال
غريب خبر لا تماري اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا
فتخلفه وصح خبر انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن يسعهم
منكم بسط الوجه وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق
اذ لا باعث عليها الا محبة التمييز بمزيد الفضل واحتقار
المردود باظهار جهله وهذا عين المعاداة والمقاطعة الرابع

تسعهم

النطق

النطق للاخ بكل ما يعرف منه انه يحبه واقضى الاخوة المساهمة
في السراء والضراء وصح قوله صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم
اخاه فليخبره وسره ان من عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة
مزيد التحابب مطلوبا شرعا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم تهادوا
تحابوا رواه البيهقي ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه في غيبته
وحضوره كما قال عمر رضي الله تعالى عنه وان تثني عليه عقلا و
دينا وفعلا واولادا واتباعا واثارا بما تعرف من محاسنه
ومحاسنهم لا سيما عند من يؤثر هذا الثنا عنده فانه من
اعظم جلب .. اسباب المحبة لكن من غير كذب ولا افراط وان
تبلغه ثناء المثنيين عليه مع اظهار الفرح به وان تشكره على
صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم واعظم جالب للمحبة حفظه
في غيبته عن ان ينال بسوء ولو تعريضا ففي الاخوة التشمير في
الحماية والنصرة والا اوغر الصدر وغير القلب وفي الحديث
الصحيح المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله والسكوت المذكور من
خذلانه بل اهمال تمزيق العرض اشد عند كثيرين من اهمال تمزيق
اللحم ولذلك قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
ومما يحملك على عدم السكوت على ذلك ان تفرض واجب حق الاخوة ان
تتحد مع اخيك حتى تقدر انما قيل فيه كانه قيل فيك وان تقدر
حضوره بكما لا كي لا يسعك اذا حضر السكوت وكذا اذا غاب بل

اولى وتحبنك لاخيك مثل ما تحب لنفسك من اخلاق المؤمنين
الكاملين كما في الحديث الصحيح ومخالفة السر والعلن في
حق الاخ مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ومن لم يقدر على
استواء ذينك فالعزلة متعينة عليه وحق الاخوة ثقيل لا
يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة
من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما
رواه جماعة منهم الترمذي واما اذا كان هذا في حق الجار وحقوقه
قليلة فكيف بحق الاخ اذ الاخوة تقتضي حقوقا كثيرة لانتسابهم
على الله وامره وعليك ايضا ان تعلمه ان كنت عالما وان تواسيه ان
كنت ذا مال وارشاده الى كل ما ينفعه دينا او دنيا بالترغيب
تارة والترهيب اخرى لكن في خلوة اذ النصح في الملا توبيخ وفي
الحديث الحسن المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من
نفسه فيستفيد منه معرفة عيوب نفسه كما يستفيد بالمرآة
الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقيل لمسعر تحب من يخبرك
بعيوبك فقال نعم فيما بيني وبينه والله تعالى يعاتب عبده
المؤمن سرا ويفضح المنافق على رؤوس الاشهاد فالفارق بين
التوبيخ والنصيحة الاعلان والاسرار كما انه بين المداراة و
المداهنة بالقصد فالاغضاء لسلامة دينك او رجاء صلاح
اخيك مداراة ولحظ نفسك مداهنة ولا تنظر الى ما في ذكر العيب

من الايحاش لانه لا يكون ايحاشا الا عند الاحمق وهو لا
يلتفت اليه واما العاقل فيعلم انه كمن نبه على حية او عقرب
تحت ذيله همت باهلاكه والصفات المذمومة عقارب وحيات
لانها بلدغها القلوب والارواح مهلكة في الاخرة والمها اشد
اذ هي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وكان عمر
رضي الله تعالى عنه يستدعي ذلك من اخوانه فيقول رحم الله امرأ
اهدى الى اخيه عيوبه ونصحه سلمان لما الح به وهو يستعفي انه
يخبره بعيوبه فقال جمعت بين حلتين واحدة لليل وواحدة
للنهار وبين ادامين فقال ما معناه لا اعود لذلك هذا كله
في عيب هو غافل عنه اما عيب فيه طبعه او غفلة عليه فلا
يكشفه له ان كان يخفيه بل عرض له بذمه او صرح لكن بحيث لا
ينتهي الى الايحاش هذا ان رجوت انكفافه عنه والا فاسكت
ثم اعتزله ان خشيت على نفسك هذا في امر ديني او دنيوي والانقا بلغ
بالعفو والصفح والتغامي عنه ما امكنك نعم يرخص في عتاب
سر ان ادى استمراره عليه الى القطيعة والصبر عليه بلا عتاب
افضل الخامس العفو عن زلته او هفوته ثم ان كانت دينية
فعليك بالتلطف به ما امكن حتى يعود صلاحه فان ايست
منه فذهب ابو ذر رضي الله تعالى عنه الى مقاطعته وابو الدردا
وجماعة من الصحابة الى بقاء مودته قال ابو الدردا اذا تغير اخوك

فلا تدعه فإنه يعوج مرة ويستقيم أخرى وعن إبراهيم النخعي
فقال لا تهجر أخاك عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم و
يتركه غدا وقال لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل
الزلة ثم يتركها وفي حديث ضعيف اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه
وانتظروا فيئته أو توبته ورجوعه ولما عصى أخ لعمر رضي الله
تعالى عنه كتب إليه أول سورة غافر ثم عاتبه فلما قرأ الكتاب
بكى وقال صدق الله ونصحني عمر فتاب ورجع وصم أحد أخوين
على هواه فعاهد الآخر الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله تعالى
أخاه فلما مضت الأربعون زال هوى أخيه فأكل وشرب وقيل
لبعض السلف إن أخاك انقلب عن الاستقامة فاهجره فقال
هو أحوج ما كان إلي في عثرته هذه أن آخذ بيده وأتلطف به في
المعاملة وأدعو له بالعود عما كان عليه قال المجد وهذه
الطريقة ألطف وأفقه والأولى أخشن وأسلم أما كون هذه
ألطف فلما فيها من الرفق والاستمالة المفضية إلى الإنابة والتوبة
غالبا لاستمرار الحياء والمراعاة وعند دوام الصحبة وأما
كونها أفقه فلأن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقد
تأكد الحق ووجب الوفاء بموجبه ومنه أن لا يهمله أيام فقر دينه
الذي هو أشد من فقر دنياه الواجب في عقد الأخوة سد
خلته والحاصل أن الأخوة إنما اتخذت عدة للنوائب وهذا ايضا م

أشدها

أشدها ومن المجرب أن الفاجر إذا صحب تقيا وشاهد أحواله تأسى
بها أو ببعضها فإن للصداقة لحمة كلحمة النسب فالقريب لا يجوز
أن يهجر لمعصيته ولذلك قال الله تعالى لنبيه في عشيرته فإن
عصوك فقل إني بريء مما تعملون ولم يقل إني بريء منكم مراعاة
لحق القرابة ولحمة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا
تبغض أخاك وقد تغير فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي و
أخوة الدين آكد من أخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم أيما أحب
إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صديقي
ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة
وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة
سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فإذا الوفاء بعقد الأخوة
إذا سبق انعقادها واجب وأما إذا لم يسبق فلا حرج في
ترك ابتداء مواخاة الفاسق بل العاصي فإنه لم يتقدم له حق
بخلاف من سبق له ذلك فإن الشيطان له غرض في الفرقة لأنه
بها يستعين على الفساد ويبلغ منه ما لا يبلغه مع الجماعة
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح عليكم بالجماعة فإنما
يأكل الذئب من الغنم القاصية والشيطان ذئب الإنسان ومن
حديث البخاري لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم ومن إعانته
ترك التلطف بأخ عصى فإن التلطف به يعيده إلى صلاحه بسرعة

وعدم تمكن الشيطان منه فيزيد في اغوائه الى ان يهلكه وان كانت
هفوته في حقك فلا خلاف ان عفوك واحتمالك اولى بل كل
ما امكن له حمل صحيح تعين اعتماده فيه فقد قيل ان تستنبط
لزلة اخيك سبعين عذرا فان ابى قلبك فقل له ما اقساك يعتذر
اليك اخوك بسبعين عذرا فلا تقبله فان لم يقبل فعله
تحسينا بوجه فلا تغضب ان قدرت وهو بعيد ومن ثم قال
الشافعي رضي الله تعالى عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن
استرضي فلم يرض فهو شيطان ومهما اعتذر اليك اخوك
ولو بكذب فاقبله لما جاء بسنده وانه ثقات من اعتذر اليه
اخوه فلم يقبله فعليه مثل اثم صاحب مكس وروى الترمذي الا ان
بني ادم خلقوا على طبقات شتى الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب
سريع الفيء اي الرجوع فتلك بتلك وليس في الطاقة ان لا يغضب
لانه خلاف الجبلة والطبع بل ان لا يعمل بمقتضى ذلك بل بنقيضه
من العفو والصفح وقال ابو سليمان الداراني لاحمد ابن ابي الحواري
لا تعاتبن اخا في هذا الزمان على ما يكرهه فانه ربما اجابك
بما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقيل الصبر على
مضض الاخ خير من معاتبته وهي خير من قطيعته وهي خير من
الوقيعة فيه واحذر اذا قاطعت ان تبالغ في النقص لقوله تعالى
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة فاحبب

حبيبك

حبيبك يوما ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
يوما ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما السادس الدعا له في
حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه واهله واثاره وبكل ما تحبه
لك كذلك ففي خبر مسلم اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك
ولك مثل ذلك وفي حديث ابي داود والترمذي وضعفه ان
اسرع الدعا اجابة دعوة غايب لغايب وروى مسلم دعوة الاخ
لاخيه في الغيب مستجابة وفي رواية للدارقطني لا ترد وقيل اين
مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك وهو مهتم بشانك
يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وفي حديث قال
الذهبي منكر جدا مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شي ينتظر
دعوة من ولد صالح او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من
دعاء الاحيا من الانوار مثل الجبال السابع دوام محبته ولو
بعد موته ومحبة جميع اثاره قيل حتى الكلب الذي على بابه
اذ الحب انما يراد به الاخرة وصح انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت
عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان
كرم العهد من الايمان ولتحذر فان الشيطان لا افرح اليه من
السعي في قطع ود اخوين قال تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي
احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال حكاية عن يوسف
صلى الله على نبينا وعليه وعلى ابائه وابنائه واخوته وسلم من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي والاخوان مسلاة للقلوب وعون
على الدين ولا يتم الاخوة الا حيث تنتفي جميع مواد الحسد

او والدم

بلغ

الدينية والدنيوية من كل الجانبين ودوام التواضع له والتلطف
به وتعهد احواله وان نال من المراتب ما نال والادلال عليه لومه
وخيبته وانه لا يصلح للاخوة في الله تعالى وقال اخ للشافعي رضي
الله تعالى عنه ولابنه تشفع له فارسل اليه بالغ في زجره ووعظه
وكان رضي الله تعالى عنه اخا محمد ابن عبد الحكم ويبالغ فيه ويقول
ما يقيمني بمصر غيره وعاده الشافعي رضي الله تعالى عنه لما اعتل فقال

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه
واتى الحبيب يعودني ... فبرئت من نظري اليه

وكان يظن انه لكونه حمل عنه مذهبه كله ولما بينهما من عظيم
المودة توليه خلفته من بعده فقيل له في مرض موته ومحمد عند
راسه من يجلس بعدك يا ابا عبد الله فقال سبحان الله ايشك
في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد فمال اصحابه للبويطي
اذ هو افضل واقرب الى الزهد والورع من محمد فنصح الشافعي لله
وللمسلمين ولم يداهن ولا بالى بما سيقع من محمد وهو انتقاله
لمذهب مالك مع علمه بذلك فانه قال له في حياته ستعود الى
مذهب ابيك فادرس كتبه ودوام عدم الاصغا الى قائل قد
ينقل عن الصديق ما يوغر القلب فان هذا من حيل الشيطان
وجنده من الانس فانه يقل ان يرى صديقين في الله تعالى
الا وسعوا بينهما لانه فاتوا المكر والحيل حتى يوغروا صدر كل منهما
على الاخر ويوقعوا الفرقة بينهما ودوام عدم مصادقة عدو ومن
ثم قال الشافعي رضي الله تعالى عنه اذا اطاع صديقك عدوك

فقد

فقد اشتركا في عداوتك التاسع التخفيف عنه لا يكلفه ولا يتكلف
له فيسامحه بجميع حقوق الصحبة ولا يطلب منه ما يشق عليه منها
من تواضع وجاه او مال او غير ذلك بل لا يقصد بمحبته الا الله
تعالى تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة على دينه وتقربا
الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال حكيم من راى لنفسه
عند اخوانه فوق قدره اثم واثمهم او مثل قدره تعب واتعبهم او
دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف وقال
علي كرم الله وجهه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته
او الجاك الى الاعتذار وقال الفضيل انما يتقاطع الناس با
لتكليف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه و
قال الجنيد صحبت اربع طبقات من الصوفية فما تواخى اثنان في
الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما
وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط
بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال صوفي لا تعاشر الا من لا تزيد
عنده ببر ولا تنقص عنده باثم وقال اخر كن مع ابنا الدنيا
بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت
وقال الاخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر
اليك اذا اسات ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه
قال المحشي ما حاصله وهذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس و
ليس الامر كذلك بل ينبغي كما صرح به الجنيد ان تواخي كل متدين
عاقل ويعزم ان يقوم بهذه الشروط وعلى ان لا يكلف اخاه

بواحد منها حتى تكثر اخوانه ويكون اخاؤه لله تعالى لا لحظ نفسه
واعلم ان الناس اما رجل ينفعك صحبته فاستمسك به ما
استطعت واما رجل تنفعه صحبتك ولا تتركك صحبته فاستمسك
به ايضا لعظيم ثوابك في نفعه والصبر عليه واما رجل لا تقدر ان
تنفعه وهو الاحمق والسيء الخلق فاحذر مصاحبته فانها
السم القاتل وقال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني
وبين احد منهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هو كذلك
يكثر اخوانه وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت
مؤنته دامت مودته وفي الحديث المشهور وسنده ضعيف
اني بري من التكلف وصالحو امتي الحديث والحاصل ان كل من
راي نفسه دون اخوانه واحسن الظن بهم وآساه بنفسه حفظهم
وسادهم ومن لا فطعهم وتخلوا عنهم وفي حديث سنده ضعيف
المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل
ما ترى له وانما اقتصر صلى الله عليه وسلم على هذه الدرجة وهي
المساواة لانها اسهل بالناس وارفق واما الدرجة القصوى وهي
ان ترى لاخيك الفضل عليك دائما وان اتى فلا يقدر عليها
الا الافراد وفقهم الله تعالى لها ومن عليهم بالخروج عن هوى نفوسهم
وسائر حظوظهم اصلا وراسا فاقاموا انفسهم لاخوانهم في الله
تعالى مقام الخادم الذليل الذي لا يحكم على شيء من امره ولا يكتم عنهم
شيئا من سره وروى الترمذي في الشمائل حديثا طويلا عن علي بلغ
كرم الله وجهه من جملته يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه

ان احدا اكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحيا وصبر وامانة
وفيه ايضا يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه وللترمذي
ايضا وقال غريب ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ذكر الحجة هنا حديث مواخاة النبي صلى الله
عليه وسلم وهو آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه
في العلم وروى الحاكم انه كان يقول في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله اني لاخوه ووليه ووارث علمه قال
الحافظ الزين العراقي وكل ما ورد في اخوة علي ضعيف لا يصح
منه شيء وللترمذي انت اخي في الدنيا والاخرة وصحح الحاكم
حديث انا مدينة العلم وعلي بابها وقال ابن حبان لا اصل
له وابن الاثير موضوع وليس كما قالا فقد ورد له طرق صيرته كاظم
حسنا وفي حديث الترمذي وقال غريب انا دار الحكمة
بلغ وعلي بابها خاتمة في جملة اداب للمعيشة والمجالسة اكثرها
من كلام بعض الحكماء ان اردت حسن المعيشة فالق صديقك
وعدوك بوجه الرضى مع الوقار من غير كبر والتواضع من غير ذل
واسلك الامر الوسط في كل امورك ففي الحديث ما عال من
اقتصد وكل من سلك طرفي الافراط والتفريط ذميم واياك
والنظر لعطفيك وكثرة الالتفات واذا جلست عند الناس فلا

تستقذر ولا تعبث بشيء كخاتمك او لحيتك ولا تخلل اسنانك
ولا تدخل اصبعك في انفك ولا تكثر نحو بصق او طرد ذباب وتمط
في وجه الناس وانظم كلامك ورتبه واصغ للكلام الحسن
من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأل اعادته الا لضرورة واحذر
حكاية المضحك الا نادرا لضرورة فقد جلس الصحابة رضوان
الله عليهم يضحكون حولا كاملا من واقعة مضحكة وهي ان ابا بكر
رضي الله تعالى عنه سافر ومعه رفيقان احدهما خازنه نعيمان على
الاخر فصبر حتى نزلوا منزلا وغاب ابو بكر فذهب الى عربانه وقال لهم
عن ذلك الخازن ان لي عبدا اريد بيعه لكم واحذروا انكم
اذا اتيتم لتنصبوه يقول لكم ما انا عبده فتكفون عنه فاشتروا
منه وجاؤوا فاخذوه وذهبوا به فصاح ما انا عبده فلم
يلتفتوا اليه فلما جاء ابو بكر رضي الله تعالى عنه ذهب اليهم ولا
زال بهم حتى اخذه منهم ورجع به فلما قدموا على النبي صلى
الله عليه وسلم اخبره بذلك فضحك صلى الله عليه وسلم واستمرت
الصحابة يضحكون من ذلك حولا ولا تحدث جلساءك باعجابك
بشيء من اثارك كولد او مضيف او زوجة ولا تضع في التزين تضيع
المرأة ولا تسترذل تبذل العبيد ولا تسرف في التدهن والتجعد
ولا تشجع احدا على خلوة بي ولا تلح في شيء ولا تعلم احدا بقدر
مالك وكل اهلك فانهم ان علموا قلته اهانوك او كثرته لم تبلغ رضاهم

واخفهم

واخفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل من يسقط
بهزلك معه وقارك كمملوكك وقد قيل لا تمازح لئيما
فيحقد عليك ولا غيره فانه يجترئ عليك فان المزاح يزيل الهيبة
وماء الوجه والود في الحقد ويشين فقه الفقيه وحكمة الحكيم
ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث
الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر ويكثر العيوب وتنتشر وقد
قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر وتجنب في المخاصمة
الحنق ما امكنك والا فاستتب والمبادرة بالحجة وكثرة الاشارة
بنحو اليد والالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك ولا تتكلم
على شيء حتى يسكن غضبك واذا قربك كبير فاحذر سرعة غضبه
ولا تغتر بانبساطه اليك فارفق به رفقك بالصغير وكلمه بما
يحبه ما لم يكن اثما ولا تدخل بينه وبين عجوزه وحبيبته او ولده
فان هذه زلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى
الاعداء ولا تؤثر مالك على عرضك واذا دخلت مجلسا فابدأ
بالتحية ثم اجلس حيث انتهى بك المجلس من غير تخطي احد تواضعا
وخص من جلست عنده بتحية ولا تبصق الا عن يسارك او تحت
قدمك فان شغل اليسار باحد وتعذر تحت القدم ففي طرف
ثوبك الايسر واذا جلست بالطريق فاحتفظ بادابها كغض بصر
ونصرة مظلوم واغاثة ملهوف وعون ضعيف وارشاد ضال

واعطا سائل وامر بمعروف ونهي عن منكر او عند كبير فادبك ان لا
تعتب احدا ولا تكذب ولا تفش سرا ولا تكثر من الطلب منه
ولا تمزح وهذب الالفاظ وراع الاعراب ان احتيج لذلك
لا مطلقا لانه في الكلام العرفي مذموم ينبي عن تفاصح وتعاظم
ولا تتجشا ولا تتخلل بحضرته واخطر ذلك كله ما لا يقع العفو عنه
غالبا من الملك وهو افشا سر او قدح في ملك او تعرض لحرم او
عند العامة فادبك ان لا تخوض في حديثهم ولا تصغ الى اراجيفهم
وتغافل عن نحو مساويهم **وورد** لغط المجالس المكفر للغط لما
وقع فيهما ختمهما بالذكر فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال من
جلس في مجلس كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك هذا اجماع الحقوق
الخاصة وبقي لعموم المسلمين حقوق اخرى فلا باس بذكر
مهمها تتميما للفائدة **فنقول اعلم** ان الانسان مضطر الى
مخالطة الناس فعليه تعلم اداب الخلطة والمخالطين اذ كل
مخالط لاداب بحسب قدر قربه منك باخوة الاسلام او النسب
او بالجوار او بصحبة نحو السفر او بالمحبة ولكل من هذه درجات
فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم التي فيها مزيد اقربية اكد واكد منها
من حق المحرم فالوالدين وكذلك حق الجوار يختلف بقرب داره وبعدها

لغط خ اصل
ختمهما

حتى

حتى لو تغربت انت وهو تكون كقريبك في الوطن لاختصاصه
بسابق حق الجوار وكذلك حق المسلم يتفاوت تاكده بتفاوت المعرفة
فمن عرفته بالمشاهدة اكد ممن عرفته بالسماع وكذا الصحبة
تتفاوت درجاتها فحق صحبة نحو المكتب اكد من حق صحبة السفر
وكذلك الصداقة تتفاوت ايضا فاذا زادت صارت اخوة
فاذا زادت صارت محبة فاذا زادت صارت خلة فالخليل اقرب
من الحبيب اذ المحبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تخلل سر
القلب فكل خليل حبيب ولا عكس ويدل لكون الخلة فوق الاخوة
الخبر الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام فالخليل
هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه
ولم يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله تعالى فمنعه
الخلة عن الاشتراك فيه وكما اتخذ ابا بكر اخا كذلك
اتخذ عليا اخا فقال الحديث له انت مني بمنزلة هرون من موسى
الا انه لا نبي بعدي فعدل به عن النبوة وبابي بكر عن الخلة
٢ فتشاركا في الاخوة وزاد ابو بكر بمقاربته لمقام الخلة اذ المعنى
لو كان للمشاركة في الخلة مجال لكان ابو بكر هو الشريك فيها
وما ذكر ان الخلة اعلا من المحبة عليه كثيرون ومحله في
غير خلة نبينا صلى الله عليه وسلم ومحبته اما فيه صلى الله عليه وسلم

فالمحبة اعلا من الخلة قطعا لانه شارك ابرهيم في مقام الخلة
وزاد عليه بمقام المحبة ومن ثم ورد ان الله اتخذني خليلا
كما اتخذ ابراهيم خليلا وانا حبيب الله وانا خليل الله واقصى
مقام المحبة ايثار الحبيب بالمال والنفس كما فعل ابو بكر وغيره
اذا تقرر ذلك فحقوق المسلم كثيرة منها ان نسلم عليه ونشمته
ونعوده ونشهد جنازته وننصحه ونحفظه بظهر الغيب ونحب
ونكره له ما نحب ونكره لنفسك وصح انه صلى الله عليه وسلم عد من
حقوق المسلم السلام والتشميت والعيادة واتباع الجنايز واجابة
الدعوة والنصح له وابرار القسم ونصر المظلوم زاد الترمذي وابن ماجة
وتحب له ما تحب لنفسك وصح حديث مثل المومنين في توادهم
وتراحمهم كمثل الجسد ان اشتكى عضو منه تداعى سايره بالسهر
والحمى وحديث المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا
ومنها ان لا نوذي مسلما قط فقد صح حديث افضل المسلمين من
سلم المسلمون من لسانه ويده وحديث الا اخبركم بالمومن من امنه
الناس على اموالهم وانفسهم والمسلم اي الكامل من سلم المسلمون من
لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر
من هجر الذنوب والخطايا وفي رواية صحيحة والمهاجر من هجر
السوء وصح ان رجلا قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان
تسلم قلبك لله وان يسلم المسلمون من لسانك ويدك وصح لقد

رايت

رايت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق
كانت توذي المسلمين وصح ان ابا برزة قال يا نبي الله علمني شيا
انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وجا بسند ضعيف
لا يحل لمسلم ان ينظر الى اخيه بنظر توذيه ومنها ان يتواضع لكل
مسلم فقد صح قوله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان تواضعوا
حتى لا يفخر احد على احد وقال الله تعالى ان الله لا يحب كل مختال
فخور فينبغي لمن افتخر او تكبر عليه احد ان يحتمله وقد قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وصح حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يانف ولا
يستنكف اي يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجتهما وحاجته
ومنها ان لا يبلغ احدا عن احد سوا ولا يستمع الى من يبلغ ذلك
فقد صح حديث لا يدخل الجنة نمام وقال الحكيم من نم لك
نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان
لا يقصد من غير سبب شرعي هجر مسلم ثلاثة ايام للحديث
الصحيح لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض
هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وصح حديث من
اقال مسلما عثرته اقاله الله عثرته يوم القيمة وقال عكرمة قال
الله تعالى ليوسف صلى الله على نبينا وعليه وسلم بعفوك عن اخوتك
رفعت ذكرك في الذاكرين وصح عن عايشة رضي الله تعالى عنها

فوق م

انها قالت ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه
قط الا ان تنتهك حرمات الله فينتقم لله وصح حديث ما
نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما
تواضع احد لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل مسلم
كان ما استطاع لما في القرآن الكريم من عظيم ثواب المحسنين
وجا بسند ضعيف اصنع المعروف الى من هو اهله والى من
ليس باهله فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله
فانت اهله ومثله حديث راس العقل بعد الايمان التودد
الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وجاء بسند
حسن عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون هو الذي يرسله
ولم تكن ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكلمه احد
بكلمة الا اقبل عليه بوجهه ثم لم ينصرف عنه حتى يفرغ من كلامه
ومنها ان يستاذن اذا جاء الى بيت احدهم ثلاثا فان اذن له
والا انصرف فقد صح الاستيذان ثلاث فان اذن لك والا
فارجع وجا بسند ضعيف الاستيذان ثلاث فالاولى يستنصتون
والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها
ان لا يخالق الجميع الا بخلق حسن ويعامله بما يليق به والا معاملة
الجاهل بالعلم والغبا بالبيان اذا وناذى ومنها ان توقر المشايخ

وترحم

وترحم الصبيان دايما روى ابو داود والطبراني ليس منا من لم
يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وروى البزار كان صلى الله عليه وسلم
من الطف الناس مع الصبي وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول للصبي
حين نغير طاير كالعصفور يا ابا عمير ما فعل النغير وفي حديث
سنده حسن من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ومنها
توقير المشايخ بان لا يتكلم بين ايديهم الا باذنهم وقد صح انه صلى
الله عليه وسلم قدم عليه وفد جهينة فقام الينه غلام يتكلم
فقال صلى الله عليه وسلم مه اي اسكت فاين الكبير وروى
الترمذي وقال غريب ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له
في سنه من يكرمه فتدل فيه اشارة الى انه لا يوفق لتوقير المشايخ
واكرامهم واجلالهم الا من قضى له بطول العمر وجا بسند
ضعيف لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيضا
وتفيض اللئام فيضا اي يكثرون وتغيض الكرام غيضا اي يقلون
ويجتري الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وصح عن عبد الله بن
جعفر رضي الله تعالى عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا قدم من
سفره تلقى بنا قال فتلقى بي وبالحسن وبالحسين فحمل احدنا
بين يديه والاخر خلفه وفي رواية تلقى بصبيان اهل المدينة
وانه قدم من سفر فسبق بي اليه فحملني بين يديه ثم جي باحد
ابني فاطمة فاردفه خلفه وصح انه قال لابن الزبير رضي الله تعالى

عنهم انذكر اذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وانت وابن
العباس قال نعم قال فحملنا وتركك قال الله اعلم وصح انه صلى الله
عليه وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فاتي بصبي
فبال عليه فاتي فدعا بماء فاتبعه بوله ولم يغسله وفي رواية
لاحمد فيدعو لهم وروى الدارقطني بال ابن الزبير على ثوب
النبي صلى الله عليه وسلم فاخذته اخذا عنيفا الحديث وروى
احمد ابن منيع بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلق على ظهره يلاعب
صبيا اذ بال فقامت لتضربه وتاخذه فقال دعيه ائتوني بكوز
من ماء الحديث ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا فقد
روى الترمذي وقال حديث حسن غريب الا انبئكم بمن تحرم على
النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب وجاء
بسند ضعيف ان الله يحب السهل الطلق وروى جماعة حديث ان
من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وصح حديث
اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وروى الترمذي
وقال غريب ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها
من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام
واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وروى الخرائطي والبيهقي
وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ ابن جبل اوصيك بتقوى
الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة

وحفظ

وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح
وصح ان امراة قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لي معك حاجة
ومعه ناس من اصحابه قال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس
اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها ومنها ان لا
يعد احدا بوعد الا وفى ففي حديث في سنده جهالة العدة
دين وفي رواية العدة عطية وصح ان من علامات المنافق انه يعد
فيخلف وان صام وصلى ومنها ان ينصف الناس من نفسه
فلا ياتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه وروى الخرائطي لا يستكمل
العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من
الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وروى الخرائطي
ايضا ولمسلم نحوه من سره ان يزحزح عن النار فلتاته منيته وهو
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما
يحب ان يؤتى اليه وروى الخرائطي انه صلى الله عليه وسلم قال
يا ابا الدرداء احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس
ما تحب لنفسك تكن مسلما ومنها ان ينزل الناس منازلهم
فيعامل كل احد بما يليق بمرتبته فقد جاء عن عائشة رضي الله
تعالى عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس على
قدر منازلهم ومن ثم امرت لمسكين بقرص ولراكب ذا هيئة بان يدعى
الى الطعام فقيل لها في ذلك فقالت ان الله تعالى قد انزل الناس منازلهم

الابل لنا ان تنزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بفرص وفسح
بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة فرصا وصح انه صلى الله عليه وسلم
دخل بعض بيوته فدخل عليه بعض اصحابه حتى امتلا المجلس فجا جرير
ابن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه عليه وقال له اجلس على
هذا فاخذه جرير فوضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم
لفه فرمى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على
ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي يمينا وشمالا ثم
قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه **ومنها** ان تبالغ في اكرام من
له عليك حق قديم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليمة
مرضعته لما جاءته فبسط لها رداءه كما صح وروي انه قال وقد
جاءت ابنته عقب حرب هوازن قومها وسبيهم فقال لها اشفعي تشفعي
واسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو
لك فقام الناس من كل ناحية فقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها
بعد واخدمها ووهب لها سهمه بحنين فبيع من عثمان بمائة الف
درهم **ومنها** ان تسعى في الاصلاح بين المسلمين مهما وجدت
اليه سبيلا وقد ذكرنا في هذا الكتاب لهذا بابا مستقلا لعموم
نفعه وعظم جدواه فعليك باتباعه وتامل ما فيه لعلك
تكون ممن قام بهذه المرتبة السنية على وجهها **ومنها** ان

تستر

ان تستر عورات المسلمين كلهم فقد صح من ستر مسلما ستره الله يوم
القيمة وصح من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة لا يستر عبد
عبدا الا ستره الله يوم القيمة **وروى** الخرايطي والطبراني لا
يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وصح لا
يستر الله على عبد في الدنيا الا ستره الله يوم القيمة وصح من اذنب
ذنبا في الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من ان يثني عقوبته على
عبده وفي رواية للترمذي ان الله اذا ستر على عبد عورة في
الدنيا فهو اكرم من ان يكشفه في الاخرة وصح انه صلى الله عليه
وسلم قال لمعاوية انك ان اتبعت عورات المسلمين افسدتهم
او كدت ان تفسدهم ومن ثم كان احد العشرة عبد الرحمن ابن عوف
يعس مع عمر فرايا سراجا فاتياه واذا باب مغلق وداخله اصوات
ولغط فقال عمر هذا بيت امية ابن ربيعة وهم الان شرب
فما ترى **قلت** ارى انا اتينا ما نهى الله تعالى عنه قال
الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وجاء بسند جيد
يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله
عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته واتي عبد الله
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بسكران ثم جلده ثم قال للرجل
ما انت منه قال عمه قال ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت
الخزية انه ينبغي للامام اذا انتهى اليه احد ان يقيمه ان الله عفو يحب

العفو ثم قرئ وليعفوا وليصفحوا الآية قال كما صح عنه إني لأذكر
أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بسارق فقطعه فكأنما
أُسِفَّ وجهه قالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه قال وما
يمنعني لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم إنه ينبغي للسلطان إذا
انتهى إليه حد أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو وقرئ وليعفوا
وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي
رواية لكن أبطي فكأنما سُفي في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم رماد لشدة تغيره وصح إن الله ليدني المؤمن فيضع عليه
كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب
كذا فيقول نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه
قد هلك قال له يا عبدي إني لم أسترها عليك في الدنيا
إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته
وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وصح كل أمتي معافا
إلا المجاهرون وإن المجاهرة أن يعمل الرجل السوء ثم يخبر به وصح
من استمع من قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنك يوم
القيامة أي وهو الرصاص المذاب ومنها أن تتقى مواضع التهم
صونا لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فإنهم
إذا عصوا بسببه ربما يكون شريكا لهم قال الله تعالى ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم نهى عن سبّ

الأصنام لكونه وسيلة إلى سبّه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وصح أنه
صلى الله عليه وسلم قال كيف ترون من سبّ أبويه فقالوا وهل من أحد
يسبّ أبويه فقالوا نعم يسبّ أبا غيره فيسبّ أبويه وصح أنه صلى الله عليه
وسلم كلم إحدى نسائه فمرّ به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتي
فلانة فقال يا رسول الله لم كنت أظن فيه فإني لم أظن بك فقال إن
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وفي رواية صحيحة أيضا أنه
وقع ذلك لرجلين رأياه يكلم صفية فأسرعا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم على رسلكما إنها صفية فقالا يا رسول الله أوبك نظن
السوء فقال إني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شرا فتهلكا
وقال عمر رضي الله تعالى عنه من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من
أساء به الظن ومرّ رضي الله عنه بمن يكلم امرأته فضربه فقال هي زوجتي
فقال هلا حيث لا يراك الناس ومنها أن يشفع لكل من له حاجة
عند كل من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه
فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال إني أُوتى وأُسأل وأنتم عندي
فاشفعوا تؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما شاء وروى الخرائطي
والطبراني ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف
ذلك يا رسول الله قال الشفاعة تحقن بها الدم وتجر المنفعة
إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وصح أن زوج بريرة كان عبدا
يقال له مغيث فلما أعتقتها عائشة خيرها النبي صلى الله عليه وسلم

أعتقته

في نفسها فنفخت نكاحه فصار يتبعها بازقة المدينة يبكي ودموعه
تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من حب
مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة لمغيث ولا تنفع الشفاعة النبي صلى
الله عليه وسلم لبردها فاتاها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
فقالت يا رسول الله آمراي لا اخالفه او شافع فاتخير فقال بل
شافع اذا لا اريده ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام مع المصافحة قبل الكلام لحديث الطبراني وابي نعيم من بدا بالكلام قبل فقالت صح
السلام فلا تجيبوه وجاء بسند حسن ان رجلا دخل على النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يستاذن فقال صلى الله عليه وسلم ارجع
فقل السلام عليكم ادخل وفي حديث في سنده ضعف اذا دخلتم
بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل
بيته وفي حديث ضعيف يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك
وسلم على من لقيته من امتي يكثر حسناتك واذا دخلت بيتك
فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وروى ابو داود والترمذي
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليكم فقال
صلى الله عليه وسلم عشر حسنات فجاء اخر فقال السلام عليكم
ورحمة الله فقال عشرون فجاء اخر فقال سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقال ثلاثون وصح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مر
على الصبيان سلم عليهم وجاء بسند اذا انتهى احدكم الى المجلس حسن صح

فليسلم

فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست
الاولى باحق من الاخرة وفي حديث سنده ضعيف اذا التقى
المسلمان فسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا فرق بينهما
مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة وفي رواية قسمت بينهما ط مائة
مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا وفي حديث ضعيف تمام
تحياتكم بينكم المصافحة وفي رواية قبلة المسلم اخاه المصافحة قال
ابن عدي غير محفوظة ومنها تقبيل يد المعظم في الدين تبركا
وتوقيرا فقد صح ان اعرابيا قال يا رسول الله ايذن لي ان اقبل
راسك ورجليك فاذن له ففعل وجاء بسند ضعيف ان
كعب بن مالك لما نزلت توبته جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقبل يده وجاء عن البراء مرفوعا بضعف وموقوفا بصحة اذا مر
الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة
لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم
واطيب والانحناء الظهر مكروه للحديث الحسن يا رسول الله اينحني
بعضنا لبعض قال لا قلنا فيقبل بعضنا بعضا قال لا قلنا
فيصافح قال نعم وورد التقبيل والالتزام لمسافر قدم ففي
حديث قال الترمذي حسن غريب ان زيد بن حارثة قدم من سفر
فاعتنقه صلى الله عليه وسلم وقبله وروى ابو داود عن ابي
ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن

في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود
واجود واخذ ركاب العالم توقيرا له فعله ابن عباس وعمر بركاب
زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهم اجمعين ومنها القيام بقصد
التالف والتواضع لنحو والد او اخ او صديق او عالم او شيخ او
شريف نسب لان سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لما اقبل
امر النبي صلى الله عليه وسلم الانصار ان يقوموا له فقال قوموا لسيدكم
وقيل هو مكروه لحديث الترمذي وقال حسن صحيح عن انس ما
كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا
راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ويجاب بان
هذا محمول على قيام يؤدي الى تعظيم محظور ويؤيده حديث ابي
داود وابن ماجه اذا رايتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم
وفي رواية كما تقوم الاعاجم فالمنهي عنه قيام كقيامهم لا
مطلقا ويكره عندنا القيام رياء واعظاما بل ربما يؤدي ذلك
الى الحرمة وهو محمل الحديث الحسن من سره ان تتمثل له الرجال
قياما فليتبوأ مقعده من النار وما قلناه من انه سنة تارة
لما وتارة لما به تجتمع هذه الاحاديث متعين اذ الجمع بين الا
حاديث المتعارضة متعين حيث امكن وصح لا يقيم الرجل الرجل
من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكانوا يتحرزون
من ذلك لهذا النهي فينبغي التاسي بهم في ذلك فان اقام احد

من

من مجلسه المباح الذي سبق اليه حرام الا اذا علم رضاه واخرج
البغوي حديث اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه
فاوسع له فليجلس فانها كرامة من الله عز وجل فان لم يوسع
فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه وصح ان ام هانئ
سلمت عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بام هانئ فينبغي لمن سلم عليه من
يندب له القيام ان يقول له ذلك والله تعالى اعلم ومنها
ان يذب عن عرض المسلم وماله ونفسه بما امكنه فقد حسن الترمذي
حديث من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وروى
احمد والطبراني ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان له
حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة وروى ابن ابي الدنيا
بسند ضعيف من ذكر اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره اذله
الله عز وجل بها في النار وروى ايضا ما من امرئ ينصر مسلما في
موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن
يحب فيه نصرته وما من امرئ مسلم خذل مسلما في موطن تنتهك
فيه حرمته الا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيه نصرته ومنها
ان يشمته اذا عطس وسمعه حمد الله تعالى فقد روى البخاري
يقول العاطس الحمد لله زاد ابو داود على كل حال ويقول الذي
يشمته يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم وروى
ابو داود والترمذي اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين

فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل
يغفر الله لي ولكم وصح انه صلى الله عليه وسلم شمت عاطسا ولم
يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت وروى
ابو داود شمت اخاك ثلاثا فان زاد فهو زكام اي فادع له بالعافية
وصح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس غض صوته واستتر
بثوبه او يده وفي رواية لابي نعيم خمر اي غطى وجهه وفاه و
صح ان اليهود كانوا يتعاطسون عنده صلى الله عليه وسلم رجاء ان
يقول لهم يرحمكم الله فيقول يهديكم الله وروى ابو داود ان
رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضاه ربنا وبعد ما
يرضاه والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال
من صاحب الكلمات قال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا
خيرا فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت اثني عشر الف ملك
يبتدرونها ايهم يكتبها وجاء بسند ضعيف من عطس عنده
فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وصح العطاس من الله والتثاؤب
من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال
آه فان الشيطان يضحك من جوفه وفي رواية صحيحة ان الله
يحب العطاس ويكره التثاؤب ومنها انه اذا ابتلي بفاجر ينبغي له
ان يجامله ويتقيه اتباعا له صلى الله عليه وسلم فقد صح عن عائشة

رضي الله تعالى عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ائذنوا له فبئس اخو العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت
ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت
ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله
يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي حديث ضعيف
ما وقى المرء عرضه فهو له صدقة وقال محمد ابن الحنفية رضي
الله تعالى عنه ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من
معاشرته بدا حتى يجعل الله تعالى له فرجا وقال ابو الدرداء انا لنبش
في وجوه وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وانما تكون
فيمن يتقي شره قال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وقال تعالى ويدرءون بالحسنة
السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة قال ابن عباس
وقال في قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالرغبة
والرهبة والمداراة ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويخلط
بالمساكين تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه انه
قال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين وكان سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم في ملكه
الذي ما اوتيه احد بعده اذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس
اليه وقال مسكين جالس مسكينا وعن عبادة ابن الصامت رضي

فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل
يغفر الله لي ولكم وصح انه صلى الله عليه وسلم شمت عاطسا ولم
يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت وروى
ابو داود شمت اخاك ثلاثا فان زاد فهو زكام اي فادع له بالعافية
وصح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس غض صوته واستتر
بثوبه او بيده وفي رواية لابي نعيم خمر اي غطى وجهه وفاه و
صح ان اليهود كانوا يتعاطسون عنده صلى الله عليه وسلم رجاء ان
يقول لهم يرحمكم الله فيقول يهديكم الله وروى ابو داود ان
رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضاه ربنا وبعد ما
يرضاه والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال
من صاحب الكلمات قال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا
خيرا قال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت اثني عشر الف ملك
يبتدرونها ايهم يكتبها وجاء بسند ضعيف من عطس عنده
فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وصح العطاس من الله والتثاؤب
من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال
آه فان الشيطان يضحك من جوفه وفي رواية صحيحة ان الله
يحب العطاس ويكره التثاؤب ومنها انه اذا بلي بفاجر ينبغي له
ان يجامله ويتقيه اتباعا له صلى الله عليه وسلم فقد صح عن عائشة

رضي

رضي الله تعالى عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ائذنوا له فبئس اخو العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت
ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت
ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله
يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي حديث ضعيف
ما وقى المرء عرضه فهو له صدقة وقال محمد ابن الحنفية رضي
الله تعالى عنه ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من
معاشرته بدا حتى يجعل الله تعالى له فرجا وقال ابو الدرداء انا لنبش
في وجوه وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وانما تكون
فيمن يتقى شره قال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وقال تعالى ويدرءون بالحسنة
السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة قال ابن عباس
وقال في قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالرغبة
والرهبة والمداراة ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويخلط
بالمساكين تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه انه
قال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين وكان سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم في ملكه
الذي ما اوتيه احد بعده اذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس
اليه وقال مسكين جالس مسكينا وعن عبادة ابن الصامت رضي

الله تعالى عنه انه قال للنار ثلاثة ابواب للاغنيا وثلاثة للنسا
وواحد للفقراء والمساكين وقال بلغني ان نبيا من الانبيا
قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضى المساكين
عنك وصح اياك ومجالسة الاغنيا وفي رواية ضعيفة اياكم
ومجالسة الموتى قيل وما الموتى قال الاغنيا ومثله ما اخذ
لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت
فان من ورائه طالبا حثيثا **ومنها** ان يحسن الى المنقطعين
لا سيما الايتام بما استطعت فقد صح قوله صلى الله عليه وسلم
انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وقرن بين اصبعيه **وروى**
احمد حديث من وضع يده على راس يتيم رحما وفي رواية من مسح
بيده على راس يتيم رحمة له كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة
وفي حديث في سنده ضعف خير بيت من المسلمين بيت فيه
يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يسا اليه
ومنها النصيحة لكل مسلم وافراغ الوسع في ذلك وفي ادخال
السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه **وفي رواية الخير** وروى ابو داود والترمذي
ان احدكم مراة اخيه فاذا راى به شيئا فليمطه عنه وجاء
بسند ضعيف من قضى لاخيه حاجة فكانما خدم الله عمره
وبسند كذلك مرسل من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم ٢ اقر

القيامة

القيامة ٥ وفي حديث من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل
او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين
صححه الحاكم وللطبراني من مشى في حاجة اخيه كان خيرا من اعتكاف
عشر سنين ٥ وجاء بسند ضعيف من اغاث ملهوفا غفر الله له
ثلاثا وسبعين مغفرة ومثله من احب الاعمال الى الله ادخال
السرور على المؤمن وان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه
من جوع وصح انصر اخاك ظالما اي بان تكفه عن ظلمه او مظلوما
بان ترد عنه ظالمه **وروى** الطبراني والحاكم من لم يهتم للمسلمين
فليس منهم **ومنها** ان يعود مرضى المسلمين وللعيادة حقوق
كثيرة منها ان يخفف جلوسه ويقلل سواله ويظهر رقته ويدعو
له بالعافية ويغض بصره عن عورات الموضع ولا يقابل الباب
عند الاستئذان ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل له من
وصح من اتى اخاه المسلم عائدا مشى في خرافة الجنة حتى يجلس
فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون
الف ملك حتى يمسي وان كان مساء صلى عليه سبعون الف ملك حتى
يصبح وصح ايضا اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فاذا
قعد عنده انغمس فيها **وفي رواية** غمرته الرحمة وفي اخرى
استنقع فيها وفي اخرى استقر فيها **وروى** الترمذي وابن
ماجه اذا عاد المسلم اخاه او زاره ناداه مناد طبت وطاب

عادم

مماتك وثواب منزلا في الجنة وصح من يرد الله به خيرا يصب منه
واخرج الطبراني والبيهقي وابن السني انه صلى الله عليه وسلم
عاد عثمان فقال اعيذك بالله الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قاله مرارا وروى
البيهقي ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه وسلم
هؤلاء الكلمات وقال ان الله يامرك ان تدعو بهن
اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك
وخروجا من الدنيا الى رحمتك وروى ابن ابي الدنيا عيادة
المريض فواق ناقة اي زمنها يسيرا جدا وروى ابو يعلى اغبوا
في العيادة الا ان يكون مغلوبا اي لا تولوها الا لحاجة
لذلك ومنها ان يشيع جنائزهم بقصد اداء حق المسلم
والعظة والاعتبار بالتفكر في الموت وما اعد له وما بعده
مع دوام الخشوع وترك اللغط فقد صح ان له اذا مضى الى
بيتها ثم شيعها فمكث حتى يفرغ من دفنها قيراطين وفي رواية
ثلاثة قراريط وصح ان القيراط مثل جبل احد وصح ما رايت
منظرا الا والقبر افظع منه خاتمة يجمع متفرقات من الحقوق ينبغي
ان لا تستصغر مسلما حيا او ميتا فتهلك لاحتمال انه عند الله
خير منك وبل قد يختم لك والعياذ بالله بسوء ولذلك قيل من
ظن انه خير من زبلة كانت الزبلة خير منه وانى لمن هو على خطر

ثم صلى عليها صح

خاتمة

خاتمة السوء ان يفتخر على شيء ولا تنظر لاهل الدنيا بعين التعظيم
فانها حقيرة عند الله تعالى ومن عظمها سقط من عين الله تعالى
واحذر ان تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في
اعينهم ثم تحرم دنياهم فان فرضت انك تلتها فقد استبدلت
الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تظهر العداوة لاحد فانه
يذهب دينك ودنياك فيهم ودينهم فيه نعم ان رايت
منكرا عاديت افعالهم القبيحة بانكارها ما استطعت
بيد او لسان او قلب ما لم تخش ترتب ضرر على ذلك ولا تغتر
بثنائهم عليك ومودتهم لك في وجهك فانك ان طلبت حقيقة
ذلك لم تجد في المائة بل الالف الا واحدا بل ربما لا تجد احدا
كذلك ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع
ان يكونوا في السر كالعلانية فذلك طمع كاذب وانى تظفر بذلك
ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال المنى ولا
تصد عليهم تكبرا باستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة
لك ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فانه لا يسمع
منك بل يعاديك ولتكن وعظك تعريضا الا ان اضطررت
الى التصريح ومهما رايت منهم خيرا وكرامة فهو من محض فضل
الله تعالى عليك لا بحولك وقوتك اذ لا يملك القلوب الا مقلبها
وهو الله سبحانه وتعالى لا غير فاشكره على ان سخرهم ومع ذلك لا

ثنا الواسطة فقد صح عن الصادق المصدوق انه قال لا يشكر الله
من لا يشكر الناس ولذ روايات اربع رفعهما ونصبهما وبالعكس
وتوجيهها ظاهر معلوم واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا
اصابك من احد منهم ما يسوءك فكل امره الى الله تعالى واستعذ به
من شره واجعله في نحره فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا خاف
قوما قال اللهم انا نعوذ بك من شرورهم ونجعلك في نحورهم
ولا تخطر ببالك مكافاتهم فذلك ليس من اخلاق الصالحين على
انه يترتب عليه من القبائح ما لا غاية له ولا تقل لهم لم تعرفوا
فضلي او صلاحي او قرابتي ورحمي واعتقد ان الله تعالى لو اراد
وصلتهم لك لجعل لك قدرا في قلوبهم فهو الذي يقرب القلوب
ويبعدها الاهي بيده ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان
يقول في سجوده وغيره يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
وكن فيهم سميعا لحقهم ناطقا بتراضيهم عن باطلهم ساكتا عنه
واحذر صحبة اكثرهم الا بعد التجربة فانهم لا يقيلون لك عثرة
ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون لك عورة ويحاسبون على
النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا
ينصفون ويستوفون ولا يوفون يعيرون الاخوان بالنميمة والبهتان
فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم
الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب

يقطعون

يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويترصدون
بصاحبهم ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم
ليجبهوك بها عند غضبهم ووحشتهم واحذر ان تبادر الى صحبة
احد منهم الا بعد ان تختبره في اختلاف احواله لعزلة وولاية و
غناه وفقره او تعامله او تسافر معه او تعامله في الدنيا والدرهم
او تقع في شدة فتحتاج فانه ان صلح في هذه الاحوال فاتخذ
الاسن ابا والاصغر ابنا والمماثل اخا فهذه جملة المعاشرة
مع اصناف الخلق فعليك ان تتاملها وان تحفظها حتى تصير
راسخة عندك فانك تنتفع بها في دينك ودنياك واخرتك و
اولادك مع اهلك واقاربك وارحامك واباعدك بل ومع
عموم المسلمين واخصائهم من العلماء العاملين والاولياء والعارفين — العاملين
ومن ضيعها فهو مغرور غبي مذموم شقي لا يصلح لكمال ولا يتاهل
الا للنكال تعالى عقله ورسخ العقل وهو على شفى وفقنا الله تعالى
للتخلق بمعالي الامور والتخلي عن سفسافها وجعلنا ممن ضرب مع
الكرام على هذه الامة وتعارف بهم ووافق الى ان يصير من اشرافها
انه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين لطيفة كان زيد ابن
ثابت رضي الله تعالى عنه فيمن ينقل التراب مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق فنعس فرقد فجاء عمارة بن حزم فاخذ سلاحه — فجاءه صح
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا رقاد ونهى يومئذ النبي صلى

الله عليه وسلم ان يروع المؤمن ولا يؤخذ متاعه جادا ولا لاعبا

في فضل المشي بين الناس بالاصلاح وما على من يمشي في ذلك

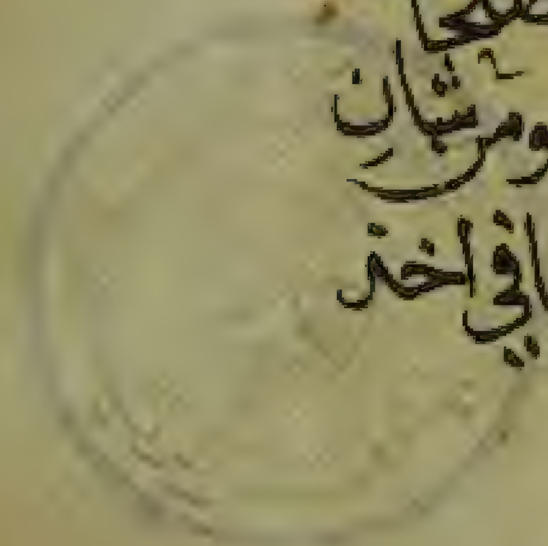
من الواجبات والمندوبات فمن
الاول ان يخلص نيته ويطهر سريرته فلا يقصد التقرب اليهما
ولا الى احدهما وانما يقصد وجه الله تعالى بازالة ما بينهما من
وحشة او فرقة نشات عن حظ من حظوظ النفس الكثيرة
المهلكة ومن الثاني ان يرغب كلا منهما في الصلح ويذكر له حسن عاقبته
وعظيم فائدته وانه ينجو من الوقوف بين يدي الحكام الموجب
الى شنيع الخصام الموقع في كثير من الاثام والمزيل لحرمة الانسان
والرافع لمروته بين الاصدقاء والاقران والموجب لعاره على
نوادي الازمان وان يبالغ في التلطف بهما ما امكنه وفي اعمال
الحيلة موريا تارة وغير موار اخرى بحسب الحاجة في ان
يدخل في ذهن كل ثناء الاخر عليه ومدحه له ولو بكذب يوقف
عليه وان كثر وصح الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ليس
بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا قال الغزالي
وهذا يدل على وجوب الاصلاح اي تاكده لان ترك الكذب
واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب والظاهر ان مراده بالوجوب
هنا التاكد على حد قوله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب
وقولك الوتر حق واجب وما علل به لا ينتج الوجوب الحقيقي بل

آكد منه م

التاكد م

فقد

قد يسقط الواجب لغير واجب كثير فلبس الحرير لنحو قمل اذ ترك لبسه
واجب وقد يسقط لغير واجب وصح ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال
كل الكذب مكتوب اي عقابه واثمه ووزره الا ان يكذب الرجل في
الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين يصلح بينهما او
يكذب لامراته فيرضيها **ومنها** ان يبذل لهما مالا ان قدر
عليه وعلم انه لا يتم الاصلاح الا به والاصل في هذا الباب
قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم
ترحمون وقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او
معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما جعل الصلح المنفي على رجا من
الرحمة الواسعة ووعده بانه ان امر بمعروف او نهى عن منكر او
اصلح بين الناس وابتغى بذلك وجه الله تعالى ورضاه لا عبر كان
لثواب عظيم لا يعلم عظم عظمته الا الله تعالى وقوله تعالى وان
خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الايتين وقوله تعالى وان
طائفتان من المؤمنين الايتين ايضا **ولنتكلم** على هذه
الايات مبينين ما فيها مما قد يحتاج المصلح والمصلحان
الى ارتكابه اذ من شان المصلح ترك بعض الحق او كله ومن شان
الخصومة الافضا الى قيل وقال ودعاء باطل او الاستقصا في اخذ



بيان ودربة

الحق فاحتاج المصلح الى السعي في تخميد هذه النيران المهلكة و
ذلك يستدعي علما وصلاحا ودربة وحذقا وفهما ناصحا وتجربة
وخبرة بالامور لان المصلح يحتاج الى كل ذلك **وحينئذ فنقول**
تامل قوله تعالى حكما من اهله وحكما من اهلها تعلم انه ينبغي في
المصلح بين الاقارب ان يكون منهم وفي المصلح بين الاجانب و
قد يتعذر ان يكون من اهل المتخاصمين فان لم يتيسر الاهل فمن
في معناه ممن يكون صديقا لهما لانهما ينقادان له غالبا فان لم
يتيسر فليكن ذا علم وجاه فان الانقياد له اقوى من غيره
ثم بعد ذلك كلما اذا سلك طريق الصلح فليحذر من ان
يتكلم عند احد الجانبين بسوء في حق الجانب الاخر فانه حينئذ
يكون فاسقا نماما لا مصلحا وليجهد نفسه على تمحض قصده لله
ليوفق الله تعالى بينهما ببركة نيته **ثم رايت** عن ابن عباس في
الاية ما يؤيد ما ذكرته اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي
حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وان
خفتم شقاق بينهما الاية قال هذا الرجل والمراة اذا تفاسد
الذي بينهما امر الله تعالى ان يبعثوا رجلا صالحا من اهل الرجل
ورجلا مثله من اهل المراة فينظران ايهما المسيء فان كان
الرجل هو المسيء حجبوا عنه امراته وقصروه على النفقة وان كانت
المراة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة فان اجتمع

ممن

رايهما

١٦٤

رايهما على ان يفرقا او يجمعا فامرهما جائز ان يريدا اصلاحا قال
هما الحكمان يوفق الله بينهما وكذلك كل مصلح يوفقه الله تعالى
للحق والصواب **فتامل** قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وكذلك كل مصطلح الى اخره يظهر لك انه ينبغي للمصلح ان لا يريد بسعيه
الا الاصلاح ولكنه اذا اراد ذلك يوفقه الله تعالى للحق و
الصواب فيجري فيما بينهما على قانون الصدق والهداية والا
رشاد الى ان يسعفه الله تعالى بزوال ما بينهما ببركة خلوص
نيته ثم يكتب الله تعالى له من الثواب بواسطة هذه
الاصلاح والتاليف ما لا يحصى اذ يترتب على الاصلاح من
جلب المصالح ودرء المفاسد ما لا يحصى ايضا والثواب يزداد
ويعظم بزيادة سببه ويدوم بدوامه واخرج عبد الرزاق
وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبيهقي في سننه
عن عمرو بن قرة قال سالت سعيد بن جبير عن الحكمين
اللذين في القران فقال يبعث حكما من اهله وحكما من
اهلها يكلمون احدهما ويعظونه فان رجع والا كلموا الاخر
ووعظوه فان رجع والا حكما فما حكما من شيء فهو جائز اي
كما هو قول الشافعي رضي الله تعالى عنه وغيره واخرج عبد
الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم و
البيهقي عن الحسن قال انما يبعث الحكمان ليصلحا ويشهدا

على الظالم بظلمه واما الفرقة فليست بايديهما كما هو الاصح عندنا
وقال علي كرم الله تعالى وجهه كما اخرجه ابن جرير عنه
الحكمان بهما يجمع الله وبهما يفرق واخرج جماعة عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
قال هما الحكمان ۰ وعن مجاهد ان يريدا اصلاحا قال اما انه
ليس بالرجل والمراة ولكنه الحكمان يوفق الله بينهما قال بين
الحكمين وقد ندب الله تعالى عباده الى الصلح وحثهم عليه
بوصفه بالخير وبين انه لا يحصل غالبا الا بترك احد المتخاصمين
شيئا من حقه فقال عز قائلا وان امراة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا و
الصلح خير واحضرت الانفس الشح جاء بسند حسن عن ابن
عباس قال خشيت سودة ان يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعايشة ففعل
ونزلت هذه الاية وان امراة خافت من بعلها نشوزا قال
ابن عباس فما اصطلحا عليه في شيء فهو جائز وصح عن عايشة رضي
الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا وكان قل يوم الا وهو
يطوف علينا فيدنو من كل امراة من غير مسيس حتى يبلغ الى من
هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين

ظ وحثهم

اسفت

اسفت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
رسول الله يومي هو لعايشة فقبل ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت عايشة ففي ذلك انزل الله تعالى وان امراة خافت
من بعلها نشوزا او اعراضا قالت الرجل يكون عند المراة ليس
بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول اجعلك من شاني في حل
فنزلت هذه الاية واخرج عنها نزلت هذه الاية والصلح خير في
رجل كانت عنده امراة قد طالت صحبتها وولدت منه اولادا
فاراد ان يستبدل بها فراضته على ان تقيم عندها ولا يقسم لها وصح
عن رافع بن خديج انه كان تحته امراة قد خلا من سنها فتزوج
عليها شابة فاثرها عليها فابت الاولى ان تقر فطلقها تطليقة
حتى اذا مس اجلها يسر قال ان شئت راجعتك وصبرت على
الاثرة وان شئت تركتك قالت بل راجعني فراجعها فلم تصبر على الاثرة
فطلقها الاخرى واثر عليها الشابة فذلك الصلح الذي بلغنا ان
الله انزل فيه هذه الاية واخرج جماعة عن ابن المسيب ان ابنة
محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها امرا اما كبرا او كبرا ام
غيره فاراد طلاقها فقالت لا تطلقني واقسم ما بدا لك فاصطلحا على
صلح فجرت السنة بذلك ونزل القران وان امراة الاية واخرج ابن
جرير عن عمر في الاية قال هذه المراة تكون عند الرجل قد خلا من
سنها فيتزوج المراة الشابة يلتمس ولدها فما اصطلحا عليه من شيء فهو

جابر واخرج جمع عن علي انه سئل عن هذه الآية فقال هو الرجل عنده امرأتان فتكون احديهما قد عجزت او تكون دميمة فيريد فراقها فتصالحه على ان يكون عندها ليلة وعند الاخرى ليالي ولا يفارقها فما طابت نفسها به فلا بأس به فان رجعت سوى بينهما واخرج جمع عن ابن عباس في الآية قال تلك المرأة تكون عند الرجل لا يرى منها كثيرا مما يحب وله امرأة احب اليه منها فيؤثرها عليها فامر الله تعالى اذا كان ذلك ان يقول لها هذه ان شئت ان تقيمي على ما ترين من الاثرة فاواسيك فانفق عليك فاقيمي وان كرهت خليت سبيلك فان هي رضيت ان تقيم بعد تخييرها فلا جناح عليه وهو قوله والصلح خير يعني ان تخيير الزوج لها بين الاقامة والفراق خير من تمادي الزوج على اثرة غيرها عليها و صح حديث الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا او احل حراما والمسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في واحضرت الانفس الشح قال الشح عند الصلح على نصيبها من زوجها وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

فاشتملت

فاشتملت هاتان الآيتان على الترغيب التام في الاصلاح والامر به والتشديد على المخالف الى ان يرجع الى امر الله والعدل في الاصلاح والاقساط فيه وان المؤمنين كلهم اخوة فينبغي لكل احد منهم ان يصلح بينهم وان الاصلاح اذا انضم اليه التقوى متكفل برحمة الله العظمى وكفاك بهذه الفضائل حاملة على الاصلاح اذ كنت بهذه الاوصاف ووقع في نزول الآية خلاف واخرج الشيخان وغيرهما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون في ارض سبخة فلما انطلق اليه قال اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل منهما اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فانزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما واخرج جماعة عن ابي مالك قال تلاحا رجلان من المسلمين فغضب قوم كل له فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله تعالى الآية واخرج عبد بن حميد عن ابن جبير قال كان بين الاوس والخزرج قتال بالسعف والنعال فانزل الله تعالى الآية واخرج جماعة عن قتادة قال ذكر لنا انها نزلت في رجلين بينهما حق ولاحدهما عشيرة كثيرة فقال الاخذ

في بالسيف

١٦٧٠

عونا فدعاه الآخر الى المحاكمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى
فلم يزل الامر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضا بالنعال
والايدي ولم يكن قتال بالسيوف ٥ واخرج ابن جرير وابن
ابي حاتم عن السدي قال كان رجل من الانصار يقال له عمران
تحته امراة يقال لها ام زيد وانها ارادت ان تزور اهلها فحبسها
زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها احد من اهلها
وان المراة بعثت الى اهلها فجاء قومها وانزلوها لينطلقوا بها
وكان الرجل قد خرج فاستغاث اهله فجاء بنو عمه ليحولوا بين
المراة وبين اهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم
هذه الاية فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح
بينهم وفاؤوا الى امر الله ٥ وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما ما
وجدت في نفسي من هذه الاية اني لم اقاتل هذه الفئة الباغية
كما امرني الله وفي رواية عنه انه سئل عن هذه الاية
لما دخل الحجاج الحرة فقال للسائل اعرفت الباغية من المبغي
عليها فوالذي نفسي بيده لو عرفت المبغية ما سبقتني انت
ولا غيرك الى نصرها افرايت ان كانت كلتاهما باغيتين فدع القوم
يقتتلون على دنياهم وارجع الى اهلك فاذا استمرت الجماعة
فادخل فيها وهذه لا تعارض ما قبلها لان تلك اصح او تحمل هذه
على ما اذا اشتبه الامر كما هو صريحها والاولى على ما اذا اتضح الامر

واخرج

واخرج جماعة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الاية قال ان الله
امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين اذا اقتتلت طائفة من المومنين
ان يدعوهم الى حكم الله تعالى وينصف بعضهم من بعض فان اجابوا
حكم بينهم بكتاب الله حتى ينصف بينهم المظلوم من الظالم فمن ابى
منهم ان يجيب فهو باغ وحق على امام المومنين والمومنين ان
يقاتلوهم حتى يفيئوا الى امر الله ويقروا بحكم الله والمقسط
القادر في حكمه في حالة الاصطلاح وغيرها وفيه بشارة
عظيمة لمن دخل بين الناس وكان على غاية من العدل والتكلم
فيما بين المتخاصمين حتى يصطلحوا ٥ وصح في الحديث المقسطون
يوم القيمة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون في
حكمهم واهليهم وما ولوا وفي رواية ان المقسطين في الدنيا
على منابر من لؤلؤ يوم القيمة بين يدي الرحمن بما اقسطوا في
الدنيا وسياتي في واقعة الاوس والخزرج في قضية الافك
بسط كلام على هذه الايات اعني قوله تعالى وان طائفتان من
المومنين اقتتلوا الى اخرها ما يتعين عليك مراجعته فانه
يزيد ما هنا وضوحا وفيه مزيد استشهاد لما نحن فيه وعقد
بعض العلما للاصلاح بين الناس الى الله المصلح بين الناس
بابا فقال اعلم ان الاصلاح بين الناس من كمال الايمان وكما
ذكره في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس عند الله

٢ زيادة اصل

انفعهم واقرب الناس الى الله المصلحين بين الناس ومن اصلح بين
اثنين اذا انقاطعا اعطاه الله بكل كلمة مثل اجر عتق رقبة
والاصلاح بين الناس شعبة من شعب النبوة وذكر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم بما هو افضل من درجة
صلوة النفل وصيام التطوع والصدقة قالوا بلى يا رسول الله
قال اصلاح ذات البين اذا انقاطعوا وذكر عن بعض الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انه قال من عجز عن ثمانية اشيا
فعليه بثمانية اخرى لينال فضلها وعددها فقال والسابع
من اراد فضل العباد فليصلح بين الناس اذا انقاطعوا انتهى وصح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يمدح الحسن ابن علي رضي الله
تعالى عنهما ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين وقد جازاه الله تعالى بهذا الصلح ان جعل المهدي
الذي يؤم بعيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم حين ينزل و
يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا من ذريته بل قد جاء انه يملك
الناس بعد المهدي سنة من اولاد الحسن وخمسة من اولاد
الحسين فتامل فضيلة هذا الاصلاح الذي وقع من الحسن
فانه رضي بخلع نفسه عن الملك شفقة على امة محمد صلى الله عليه
وسلم وابقاء لدمائهم واموالهم وفي الاحيا ومنها اي حقوق
المسلم ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا

قال

قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصائم
والصدقة والصلاة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد
ذات البين وهذا الحديث رواه الخوارزمي الطبراني والخرائطي
في مكارم الاخلاق وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم وصححه وعن ابي ايوب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ايوب الا ادلك
على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها تصلح بين الناس اذا تفاسدوا
وتقرب بينهم اذا تباعدوا رواه ابو داود والطيالسي وعبد
حميد والطبراني وعن علي كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصلاح ذات البين خير من عامة الصلوة والصوم
رواه الديلمي وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على صدقة يحبها الله ورسوله
اصلاح ذات البين اذا تفاسدوا رواه ابو سعيد السمان وعن
ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من
كثير من الصلوة والصدقة اصلاح ذات البين اياكم والبغضا
فانما هي الى الله ورواه الدارقطني وعن انس رضي الله تعالى عنه
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت
ثناياه فقال عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال

رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما
للآخر يا رب خذ مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على
اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال يا رب
فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالبكا فقال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل
عنهم من اوزارهم قال فيقول الله للمتظلم ارفع بصرك فانظر
في الجنان فيقول يا رب مداين فضة وقصور من ذهب مكللة
باللؤلؤ لاي نبي هذا ولاي صديق هذا ولاي شهيد هذا
قال الله تعالى لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال انت
تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت
عنه قال فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله
الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة **وهذا** الحديث
بطوله رواه الخرايطي في مكارم الاخلاق وقال صحيح الاسناد
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادر الى الصلح بين الصحابة بما
امكنه ويذهب اليهم لاجله روى البخاري في صحيحه عن سهل
ابن سعد رضي الله تعالى عنه قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان بني عمرو بن عوف بقبا كان منهم شي فخرج يصلح بينهم في اناس من
اصحابه فحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت الصلوة فجاء

بلال الى ابي بكر رضي الله تعالى عنهما فقال يا ابا بكر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد حبس وقد حانت الصلاة فهل لك ان
تؤم الناس قال نعم ان شئت فاقام بلال الصلاة وتقدم
ابو بكر فكبر للناس وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشقها شقا
حتى قام في الصف الحديث بطوله **فتامل** انه صلى الله عليه وسلم
بمجرد ان بلغه ان بين هؤلاء الجماعة الذين من اصحابه شيئا ذهب
اليهم الى قبا ليصلح بينهم ولم يجيء احد منهم يساله في ذلك
تعلم انه ينبغي لك اذا علمت بين جماعة يسمعون لك شيئا ان
تسعى بينهم بالصلح بما امكنك وان لم يسالوك في ذلك لان الصلح
بين الناس لوجه الله تعالى من امهات العبادات الكاملة لما
يترتب من الخيرات التي لا تتناهى فبادر اليه بحيث قدرت عليه
لتغنم عظيم اجره وتوخ من كونه صلى الله عليه وسلم ذهب اليه
في جماعة من اصحابه انه ينبغي للمصلح اذا ذهب لقوم ليصلح
بينهم ان ياخذ معه من يكون له دخل في سرعة اجابتهم الى
الصلح ووقوعه على ما ينبغي فان الانسان وحده وان عظم
في النفوس ولم يجد بدا من طاعته قد لا يقدر على ان يؤدي
جميع ما عنده وان قدر فقد يستحي وقد لا يبالغ فالمبلغ عنه
والمؤيد لقوله فكان في استصحاب المصلح لجماعة كذلك اعانة
ظاهرة لوقوع الصلح على اكمل ما ينبغي لا سيما والذين معه يوطئون

لهم الناس ويبالغون في وعظهم وتخويفهم بما لا ينبغي لذلك
معهم فكان في استصحابه صلى الله عليه وسلم الجماعة معه في
ما يحملنا على أن نتأتى بهم في ذلك ويؤخذ من الحديث أن غرض
الإصلاح عذر في تأخير الصلاة عن أول وقتها وأن يترتب على
ذلك تأخر الجماعة أيضا بتأخر إمامهم فإنه صلى الله عليه وسلم
جلس لأجل الصلح مع علمه بأن الصلاة دخل وقتها وأن الناس
ينتظرونه لأنهم كانوا لا يصلون إلا إن جاء وإنما تقدم أبو بكر فكان
اجتهادا لكن أقره صلى الله عليه وسلم فإنه لما جاء أراد أبو بكر أن
يتأخر فأشار إليه أن مكانك ولما فرغ قال يا أبا بكر ما
منعك أن تثبت وقد أشرت إليك فقال تواضعا ما كان
لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع
عليه الشمس يعدل بين اثنين صدقة ويعين الرجل على دابته يحمل
عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة
وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق
صدقة وروى الطبراني بسند فيه متروك عن أبي أيوب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة
يحبها الله ورسوله تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا وفي

رواية رجالها ثقات إلا واحدا منهم مجهول يا أبا أيوب ألا أدلك
على عمل يرضاه الله ورسوله قال بلى قال تصلح بين الناس إذا
تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا وروى الطبراني
بسند فيه ضعف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان الأوس و
الخزرج حيين من الأنصار وكان بينهما عداوة في الجاهلية
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك وألف الله تعالى
بين قلوبهم فبينما هم قعود في مجلسهم إذ تمثل رجل من الأوس
ببيت فيه هجاء الخزرج وتمثل رجل من الخزرج ببيت فيه هجاء
الأوس فلم يزل يتمثل هذا ببيت وهذا ببيت حتى وثب بعض
إلى بعض وأخذوا أسلحتهم فانطلقوا للقتال فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونزل الوحي فجاء مسرعا قد حسر عن ساقيه
فلما رآهم ناداهم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا
تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها الآيات
فرموا أسلحتهم واعتنق بعضهم بعضا يبكون وروى أيضا
بسند كذلك أفضل الصدقة إصلاح ذات البين وروى أيضا
بسند فيه كذاب عن أبي كاهل قال وقع بين رجلين من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما

فقلت ما لك ولفلان قد سمعته يحسن عليك الثناء ويكثر لك من
الدعاء ولقيت الاخر فقلت له مثل ذلك فلم ازل امشي بينهما حتى
اصطلحا فقلت ما فعلت اهلكت نفسي اي بالكذب واصلحت بينهما
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بالامر فقلت يا رسول الله
والذي بعثك بالحق ما سمعت من ذا شيئا ولا من ذا شيئا فقال
يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بكذا بكذا كلمة لم افهمها فقلت ما
عنى بها قال عنى الكذب وروى ايضا بسند فيه من وثقه
ابن حبان وغيره ومن وثقه ابن معين وغيره وبقيته رجاله
رجال الصحيح ليس بالكاذب من قال خيرا او نمى خيرا وروى ايضا
بسند فيه ضعف حديث كل شيء يكتب على ابن ادم الا ثلاثا الرجل
يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب للمراة فيرضيها
والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما تنبيه مما
يتعلق بما نحن فيه ان احد المتخاصمين قد يعتذر الى الاخر
فلا يقبله وذلك امر يترتب عليه حرج شديد فلا ينبغي لاحد
ان يفعله لما روى الطبراني بسند فيه ضعف من قوله صلى
الله عليه وسلم من اعتذر اليه اخوه فلم يعذره او فلم يقبل عذره
كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس وروى بسند كذلك ايضا من تنصل
اليه اخوه فلم يقبله لم يرد على الحوض وفي رواية في سندها كذاب
عفوا تعف نساؤكم وبروا اباءكم تبركم ابناؤكم ومن اعتذر اليه

اخيه

اخيه المسلم من شيء بلغه عنه فلم يقبل عذره لم يرد على الحوض
فتامل قوله تعدل بين اثنين صدقة حيث جعل الصلح بين
الاثنين على طريق العدل صدقة تعلم ما في الصلح من الفوائد العظيمة
فانه صدقة عليهما وتفطن الى قوله صلى الله عليه وسلم تعدل بين
اثنين حتى تاخذ منه انه لا بد في الصلح بين اثنين من العدل
بينهما ان تمنع الظالم منهما وتبين له ظلمه واخرافه ثم تغلظ ونحو
من تصميمه على ظلمه حتى يرجع وكذلك تفعل مع الاخر ان كان
فيه شيء من ذلك والانحياز لواحد منهما دون الاخر فان ذلك
يفسد عليك ثوابك وما تقصده من الصلح فانه مع الجور قل
ما يتم نعم لا باس ان تظهر لكل منهما انه ليس مرادك الا مجرد الصلح
وانه لا غرض لك الا ذلك ولا غرض لك عند واحد منهما
بعينه فان صاحبك يريد صلحك ويحبك ويعظمك وهو
متاسف على عدم صلحك ونحو ذلك من الكلمات التي تحمل على
المصافاة والمودة وازالة الشنان فان ذلك وان كان
كذبا لكنه كذب فيه خير اي خير وثواب اي ثواب كما جاء عنه
صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الدين ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها و
ليعقلن اي ليمتنعن الدين عن الحجاز معقل الاروية من
راس الجبل ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء

الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي والاروية بضم
فسكون فكسر فتحتية مشددة الانثى من الوعل ه واخرج احمد عن
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فهو مضاد
لله في امره ومن اعان على خصومة بغير حق فهو مستظل في سخط الله
حتى يترك ومن مات وعليه دين اخذ لصاحبه من حسناته لا
دينار ثم ولا درهم الحديث ه فتامله ليحذر ان تتسبب في
صلح فيه اسقاط حد لله تعالى بحيث ولم تقبل الشفاعة وان
تحرش بين متخاصمين حتى يزداد الشنآن بينهما وتامل انك
ان فعلت ذلك كنت في سخط الله تعالى حتى تتركه واني لك با
لقدرة على ذلك فاذن اذا رايت متخاصمين فلا توصل احدهما
ولا تذر البته ولو من طريق خفي ما يكون سببا التمادي الخصومة
وعدم الصلح فانك قد علمت ما في ذلك من عظيم سخط الله تعالى
وغضبه ومما في صدده وهو ازالة الخصومة بينهما بان تسعى في
صلحهما باي طريق امكنك من عظيم الثواب والمدح لك والرضى
عليك من الحق تبارك وتعالى واكثر من لا عقل له ولا دين اذا
راوا بين اثنين خصومة زادوا في وقود نارها فيبلغون كلا
من الاخر ما يكون سببا لزيادة الخصومة والتقاطع والتباغض
والتحاسد وهذا قبيح اي قبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم

الشنآن

رواه

رواه ابو نعيم شر الناس ثلاثة متكبر على والديه يحقرهما ورجل
يسعى في فساد بين الناس بالكذب حتى يتباغضوا ورجل يسعى بين
رجل وامراة بالكذب حتى يغيره عليهما بغير الحق حتى فرق بينهما ثم يخلفه
عليها من بعده واخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة
لعنهم الله رجل راغب عن والديه ورجل يسعى بين المؤمنين با
لاحاديث ليتباغضوا ويتحاسدوا وكثير من المتخاصمين قد يمكر
بصاحبه او يضرب عن مصالحته وترك البغي عليه وفي ذلك
اشد العذاب بنص قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي ثلاث
قد فرغ الله من القضاء فيهن لا يبغين احدكم فان الله تعالى يقول
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ولا يمكرن احدكم فان الله تعالى
يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا ينكثن احدكم فان الله
تعالى يقول فمن نكث فانما ينكث على نفسه ه واخرج مسلم واحمد
وابن ابي الدنيا الا اخبركم بشراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبراء العيب والعنت اي الطالبون للبراء
مما ينسبونه اليهم المشقة والتعب بسبب الفتنة التي يهيجونها بينهم
وبين اخصائهم لكذب او صدق وورد ملعون ذو الوجهين ه
ملعون ذو اللسانين ملعون كل سفار اي محرش بين الناس يلقي
بينهم العداوة ملعون كل قتات اي نمام منان ملعون كل منان
وقال اكثر النقلة في قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز

ورجل يسعى بين رجل وامراة حتى ... عليهما ... وتباعد دوام ه

مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ذكر الله تعالى
في القرآن اصناف الكفرة والفسقة والظلمة ولم يعايب سبحانه
احدا كما عاب النمام في هذه الآية وحسبك بهذه خسة ورذيلة
باقية للنمام الى يوم القيمة والزنيم ولد الزنا قالوا نزلت في الوليد
ابن المغيرة في اصح الاقوال لان اباه ادعاه بعد ثمان عشرة سنة ولهذا
قالت القدماء لا يكون نمام الا وفي نسبه شيء ومن ثم نم رجل
عند بلال ابن ابي بردة وكان امير البصرة فقال له حتى اكشف
عنك فسال عنه فاذا هو ولد زنا وقال ابو موسى الاشعري
رضي الله تعالى عنه لا يبغي على الناس الا ولد بغي وقال تعالى في النمام
ايضا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان
تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين نزلت في الوليد
ابن عقبة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق وكان
بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال منعوني صدقاتهم
وارادوا قتلي فغضب صلى الله عليه وسلم واراد قتلهم ثم استبرأ
امرهم فوجده كاذبا فنزلت الآية فاصبح عليه بالفسق وانه لا
ينبغي اخذه الا خبره ولا يلتفت اليه وان من اصغى اليه اصبح ان يصبح ص 4
خاسرا نادما لانه بنى فعله على فعل غير صحيح ٥ وقال ابو بكر الطرطوشي
السعاية الى ذي سلطان او قدرة او مكنة هي المهلكة الحالقة لا

تجمع

منه

تجمع الى ذم الغيبة ولؤم النميمة استباحة النفوس والاموال و
القدح في المنازل والاحوال فقلب العزيز غيره فكم دم اراقه
سعي باغ وكم حرم استبيحت بنميمة باغ وكم صفيين تقاطعا و
محبين تباغضا ومتواصلين تباعدا ومتوالفين تهاجرا ومن
دوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته الايام وتراخت
عنه الاقدار ان يصغي لساع او يستمع من نمام قال ومن العجب الذي
لا عجب بعده ان الرجل يشهد عليك في نافه حدا فلا تقبله
حتى تسال عنه اهو من اهل الفقه والعدالة والامانة او لا ثم لسد ثم
تحدث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله وقيل للحسن ابن علي
كرم الله تعالى وجههما ما سفي التي اخرنا من سقاك فدمعت عيناه
وقال انا في اخر قدم من الدنيا واول قدم من الاخرة نام روي
الى عمر ورحمه الله تعالى الخليفة المهدي العباسي فقد قال له
رجل عندي نصيحة قال للنمام لعامة المؤمنين قال لك قال
ليس الساعي باعظم عورة ولا باقبح حالا ممن قبل سعايته وانك
لا تخلو من ان تكون حاسد نعمة فلا تشفي غيظك او عدوا فلا
نعاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس وقال يا ايها الناس لا
ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضاء الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح سعى
رجل الى الفضل ابن سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول
السعاية شرا من السعاية لانها دلالة وقبولها اجازة وليس من دل

على شيء كمن قتله واجازه لان من فعل شرا ممن قال وكتب المنصور
العباسي على نظير ذلك هذه نصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى ولا
جواب عندنا لمن اثرنا على الله تعالى ولو علم قايل النميمة ما جنى على
نفسه لسان لسان الصمت خير له لان نقلة الاخبار اذا علموا اتفاقها
عنده حملوها اليه صدقا وكذبا فيكون دائما سماعا للكذب
خرج الصدر على الخلق معاديا لهم واعيا العثرات جماعا لسقطاتهم
وقد وعى منهم ما يجب ستره وحفظ نسيانه ويبغض من يجب
حبه ويحب من يجب بغضه فلا يزال كمد الحقد والضغاين
ويرتصد لكل من بلغه عنه شيء يوما يشفي غيضه فيه منه وما
اغنى العاقل هذه البلية واصونه عن هذه القبيحة وقيل للمامون
الله الله في اصحاب الاخبار فانهم قوم ان اعطوا كذبوا وان
حرموا ذموا وهم كاذبون فاعجبه هذا الكلام وامر باثباته في
ديوانه وما احسن قول من قال من نقل اليك نقل عنك ومن نم
لك نم عليك وقال بعض الحكماء احذر اعدا العقول ولصوص
المودات وهم السعاة وهم النمامون وقال الحذر اياك واولئك
فانهم اعدا عقلك ولصوص عمرك وفي المثل من اطاع الواشين
ضيع الاصدقا والمحبين وقال حكيم من اراد ان يسلم من الاثم و
تبقى له الاخوان فليكن قاضيا حاكما بالعدل بينه وبينهم فلا
يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود عدول لا ريبة فيهم

ولانه

ولانه ومن لطيف حكم الله تعالى في النمام حكمه بفسقه لما علم من
ترتب عظيم الضرر على قوله لو قبل فحكم بفسقه حتى لا يقبل وفي المثل
ان لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسده ومن ثم افضل ما ركب الله
في الانسان بعد العقل اللسان فانه آلة النطق والبيان الممتاز
بهما الانسان على ساير الحيوان ومن ثم اعظم الله تعالى المنة عليه
به حيث قال خلق الانسان علمه البيان فمن تتبع سقطات الكلام
وروى عثرات الانام التي هي سوءة اي سوءة وعورة يجب سترها و
دفنها اي عورة كان قد استعمل اشرف ما فيه وهو لسانه في اخس
خسيس واقبح قبيح فهو كمن يلحس بلسانه ما يخرج من سوءة اخيه
وقد كان له في نشر محاسن اخيه واجتناب قبايح نفسه شغل
شاغل وحال كامل لكن سبقت القسمة العادلة بان اهل كل حالة اولى
بها فمن طبع على اللوم والقبح لا يميل الا الى الثلب والجرح ومن طبع
على المروءة والعفة والصلاح والسداد لا الى الصلح بما امكنه بين
يميل الا
العباد تنبيه روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال
ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا او يقول خيرا وينمي
بتخفيف الميم لا بتشديدها خلافا لمن زعمه لان الصواب في المخفف
يستعمل لاظهار الخير والمشدد لتبليغ الشر ومعناه انه يرفع ويبلغ
كل من الخصمين وما يظن انه يحمله على الصلح وان لم يطابق الواقع
دون ما يحمله على عدمه وان طابق الواقع ومعنى نفي الكذب عن ذلك

نفي اثمه عيبه لانه يقصد الاصلاح فرية اي فرية بل قد يجب كما لو
طلب ظالم منه وديعة عنده ملزم ان يكرهها غاية لمصلحة مالكها
واذا تقرر ذلك فعليك اذا تصديت للاصلاح ان تجتهد في
ان تشدي لكل من الخصمين على لسانك او لسان غيرك ما يكون سببا
لازالة ما بينهما من الشحنا كان تقول قال فلان عنك انه ظلمك او
بخسك او يطلب عفوك او ما يحبك ونحو ذلك من الالفاظ التي تزيل
غالبا ما في النفوس من الحقد والحسد والشحنا والبغضا تنبيه
اخر اذا وقع الصلح على جور فهو باطل كما ذكره البخاري في صحيحه و
استدل له بالحديث الذي رواه وهو ان اعرابيا قال يا رسول الله ان
ابني كان عسيفا اي اجيرا على هذا فزنى بامرأته فقالوا لي على ابنك
الرجم ففديت ابني بمائة من الغنم ووليدة ثم سالت اهل العلم فقالوا
انما على ابنك جلد مائة وتغريب عام الحديث ه واستفيد من
ذلك ان محل جواز الكذب لاجل الاصلاح ما لم يترتب عليه وزن مال
من احدهما على ظن انه يلزمه اما كذب يترتب عليه بذل ذلك فهو حرام
شديد التحريم والصلح المترتب عليه باطل لا يعبا به فليتنبه
لذلك فان بعض المصلحين ربما زين لاحدهما ما يحمله على بذل مال
بتوهم وجوبه وليس بواجب تنبيه اخر روى ابو داود انه صلى
الله عليه وسلم قال الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما
او حرم حلالا وكتب بهذا عمر الى ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى

عنها

عنهما الى ولاة العراق في جملة رسالة ارسلها اليه مشتملة على قواعد
جليلة في القضاء واحكام وما يتعلق به وقد شرحها بعض
العلما شرحا واسعا قال الائمة الصلح مندوب اليه متاكد
الندب فالمراد بجائز في الحديث مطلوب الجواز الصادق بالندب
وهو ما يرجح فعله على تركه ومن ثم سماه الله تعالى خيرا في قوله عز قائلا
لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس فسماه الله تعالى في هذه الاية خيرا كما في اية والصلح
خير اي لانه يسكن النفوس عن شرها ويرفع الخلاف بينهما
المبني عليه من تولد القبائح المؤدية الى استباحة النفوس والا — بضاع
والاعراض والاموال كيف ومن شان الانسان بحكم الجبلة والجبلة
التي شح على ما تسول له نفسه حتى يحمل صاحبه على ما يكره الى ان
يبلغه باي طريق امكنه غير مراع كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا
قياسا ولما كان في شح النفس وهو افراطها في الضبط على فاسد
من حقيقة او ارادة او همة او مال او نحو ذلك من المفاسد المتولدة
منه وعليه ما ينافي الفوز والفلاح والنجاة قال تعالى ممتنا
للمؤمنين شوم الشح وعظم نعمة التوقي ومن يوق شح نفسه فاولئك — منزم
هم المفلحون ويقاربه البخل فانه منع واجب شرعي وما تقتضيه
المروة الظاهرة التي يتعارفها الناس ويعدون تركها نقصا وعارا
ومن الاول حديث خير الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغنى

وتخشى الفقر ولم تترك حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا
واعطوا فلانا كذا وليس منا بشيء ان تصدق وانت شحيح بخيل
ومن الثاني يا رسول الله ايكون المؤمن بخيلا قال نعم قوله صلى الله
عليه وسلم بين المسلمين ليس للتخصيص بل للاشارة الى انه ينبغي للانسان
ان يتذكر علة الصلح لما يقتضيه لفظ المسلمين من عدم التقاطع والتدابر
والتحاسد ومن ان المطلوب اجتماع الكلمة والعمل بما تقتضيه
اخوة الاسلام لاسيما الاقارب وكذلك استحب زيد بن اوجه
الصلح وايقاع الالفة بينهم رجاء ان يصطلحوا او لكون الصلح يترتب
عليه فوائد كثيرة وانعامات شهيرة وظفر بالاعداء والنصر على الاكفاء
انه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية مع كراهة اصحابه له لا
سيما عمر رضي الله تعالى عنه فكان هذا الصلح سببا لفتح خيبر وما
اصابه المسلمون فيها من الغنائم الكثيرة التي لم يصيبوا مثلها قط ثم
للفتح الاكبر وهو فتح مكة المتسبب عنه انه لم يكن منهما الا مسلم
او مسالم ثم دخول الناس في دين الله افواجا الى ان ظهر الاسلام
ظهورا لا اخفا بعده واستقرت الشريعة استقرارا قطع المعاند
وشتت شمله وجنده وقوله صلى الله عليه وسلم الا صلحا احل
حراما او حرم حلالا بين به انه محل جواز الصلح فضلا عن طلبه
ما لم يرد الى تحليل حرام او تحريم حلال بان يشتمل على ربا او
شرط فاسد قال الشافعي رضي الله تعالى عنه مخالفا للائمة

الثلاثة

الثلاثة ويكون على انكاره وبسط ذلك محله كتب الفروع قال
غير واحد ولا بأس ان يندب القاضي الخصمين للصلح ما لم يتبين
الحق لاحدهما لقول عمر لابي موسى رضي الله تعالى عنهما في بعض
روايات الرسالة السابق ذكرها انفا واحرص على الصلح ما لم
يتبين لك فصل القضاء قال بعضهم ولا بأس به ايضا
بعد التبيين ان كان فيه رفق بالضعيف فيهما كما يسن
ان يندب الى التصدق عليه ورد بانه يوهم ثبوت الحق
على من له الحق او سقوطه له بخلاف الصدقة وفيه نظر لان الغرض
انه عرف حقه وتبين صدقه فلم يبق الا سؤال فضله وحينئذ
فلا ايهام اصلا واذا سئل احدهما في الصلح فامتنع فلا يلح
عليهما الحاحا يوهم الالزام كذا قاله بعضهم وان ما يتجه ان
كان في ذلك الالحاح الجا الى الصلح خوفا من ذلك الملح او
حياء منه غير رضى به في الباطن وانما يجعلون الاباء في
الظاهر فقط لاغراضهم كتخييل الغير منه الاجابة بعد غير
التمنع ونقل عن بعض القضاة انه اجبر الخصمين على الصلح
فكان ذلك سببا لعزله ولو اشكل على القاضي الحكم في المسئلة
المتداعى فيها عنده لاشكال باطن امرها او لخفاء دليلها او
الراجح فيها في مذهبه او لغير ذلك والذي ينبغي له ان يعلمهما
صورة الحال ثم لا بأس حينئذ في انه يدعوهما الى الصلح ويأمرهما

يوهم

بالاحتياط للامر وخلاصا لنفسه من ورطة الوقوع في حكم فاسد
في باطن الامر اذ المدار في الفصل والعقود عليها عند علي باطن
الامر دون الظاهر ومن ثم اتضح قول الشافعي رضي الله تعالى عنه
ان الصلح علي الانكار باطل لانه يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم
الا صلحا احل حراما او حرم حلالا لان المنكر ان صدق في انكاره
كان ما يوخذ منه محرما على اخذه وان كذب كان ما ياخذه هو
محرما عليه واما من استدل للجواز بعموم الايات والاحاديث
بجواز الصلح وخيريته فقد ابعد اذ اما استدل للنافي من قوله صلى
الله عليه وسلم الا صلحا احل حراما او حرم حلالا مخصص لذلك
الاطلاق فلا مساغ حينئذ في التمسك به لان الخاص يقضي على
المطلق ولا عكس كما هو مقرر في الاصول على ان بعض المالكية وافقنا
على المنع وبعض محققيهم فصل تفصيلا اخر هو مذهبنا فقال جواز
الصلح على الانكار انما هو باعتبار ما عنده في باطن الامر ان كان
الصادق المطلوب فالماخوذ حرام والا فحلال باطنا وفي الحق
والا فهو غاصب في الباقي وما احسن قول ابن عبد السلام
المالكي والنفس لمذهب الشافعي اميل واعلم ان حكم الحاكم لا يحل
حراما ولا يحرم حلالا في باطن الامر لقوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح انما انا بشر ولعلكم تختصمون الي فلعل بعضكم ان
يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت

له بشيء

بشيء من حق اخيه فلا ياخذ منه شيئا فان ما اقطع له قطعة من
النار وهذا اجماع من اهل العلم في الاموال واختلفوا في
عقد النكاح او حله اذا حكم به الحاكم وهو مخالف باطن الامر هل
ينعقد هذا الحكم ويعمل به قال الشافعي ومالك رضي الله عنهما وجمهور
اهل العلم لا يعمل به ولا يعول عليه فلا يغير شيئا مما في نفس
الامر كما صرح به الحديث المذكور انفا واي فرق بين الاموال و
الابضاع بل الابضاع امتازت عن الاموال بانها مبنية على
الاحتياط والتحري في امرها ما امكن فكانت اولى بالزجر عنها
من حق اخيه فلا ياخذه صرح في شموله للاموال والابضاع
لان منهما حق الغير وقال ابو حنيفة وابو يوسف وكثير من
المالكية على ما حكاه عنهم ابن عبد البر انما ذلك في الاموال خاصة
واما لو تعمد رجلان الشهادة بما يقتضي الفراق كذبا منهما
وزورا او بهتانا ففرق القاضي بين الزوجين بتلك الشهادة
ثم اعتدت المراة جاز لاحد الشاهدين نكاحها مع علمه بكذب
الزوج في شهادته وعللوه بما هو ظاهر وهو انها لما حلت للازواج
بذلك الحكم في الظاهر كان الشاهد كغيره لان حكم القاضي فرق
بينهما وقطع العصمة والا لم تحل لزوج غيره قالوا ولو اقام بينة
زورا على امراة بدلا ان فلانة زوجته فحكم له القاضي بذلك
حلت له وفي هذا ما يقشعر الجلد منه فليتعين على من اراد

واحق بالاحتياط في امرها وقوله صلى الله عليه وسلم فمن قضيت له بشيء

الخلاص لديننا الحذر من الوقوع في ورطة شيء من ذلك فإن مآله
إلى ما لا نهاية لقبحه وما يترتب عليه من المفاسد **تنبيه آخر**
لا ينبغي للقاضي أن يشير بالصلح ظانا أنهما ممتثلان أمره لا عن حيا
روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم تخاصم داين ومدينه وقد
لزمه وهو يطلب منه أنه يضع عنه من الدين شيئا فقال والله لا
أفعل فقال صلى الله عليه وسلم أين المتألي على الله لا يفعل المعروف
فقال أنا يا رسول الله وله أي ذلك أحب فأشار النبي صلى الله عليه وسلم
أن يضع عنه شطر دينه ففعله **تنبيه آخر** جميع ما ورد في
الكتاب والسنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصلح أن يورد
في هذا الباب فإن المصلح بين الناس غالبا لا يخلو عن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر لكل من المتخاصمين بأن الغالب من
أحوال الخصماء أن كلا منهم يرتكب في حق خصمه ما يجب زجره
ونهيه عنه أو ما يثبت أمره بخلافه وإذا كان هذا هو الغالب
فلا بأس بذكر شيء من الأحاديث المرغبة في ذلك **منها** حديث
البيهقي والديلمي أيها الناس إن الله تعالى يقول مروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتسألوني فلا
أعطيكم وتستغفروني فلا أغفر لكم **وفي أخرى** للبيهقي
لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن
يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم وفي

اخرى

١٧٨

لعله اسرا

أخرى لأبي نعيم مرسلا لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
أو ليبعثن الله عليكم العجم فليضربن رقابكم ولتكونن أسدا لا
يفرون **ومنها** خبر الديلمي من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة
الله في الأرض وخليفة كتابه وخليفة رسوله **ومنها** حديث
البيهقي وأبي سعيد النقاش وابن النجار ألا أخبركم بأقوام ليسوا
بأنبياء ولا شهداء تغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم
من الله على منابر من نور يعرفون الذين يحببون عباد الله إلى الله
ويحببون الله إلى عباده ويمشون في الأرض نصحا قيل كيف يحببون
عباد الله إلى الله قال يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما
يكره فإذا أطاعوهم أحبهم **ومنها** خبر أحمد وعبد بن حميد
والطبراني وابن حبان والبيهقي لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن
يقول الحق إذا رآه أو سمعه **وفي رواية** لابن النجار لا يمنعن
أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه **وفي أخرى** لأحمد
إن أحدكم يسأل يوم القيامة حتى يكون فيما يسأل عنه أن يقال
ما منعك أن تنكر المنكر إذ رأيته فمن لقنه الله حجته قال رب
رجوتك وخفت الناس **وفي أخرى** لأبي يعلى ألا لا يمنعن
أحدكم رهبة الناس أن يقول الحق إذا رآه ولا يخشى غير الله فإنه لا
يقرب من أجل ولا يبعد من رزق **ومنها** حديث الطبراني وفيه
أن بني إسرائيل كان الرجل منهم يرى الآخر على المعصية ثم من الغد

يجالسه ويواكله ويشاربه كانه لم يره على معصية فلما راى الله عز
وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود
وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ثم قال صلى الله عليه
وسلم والذي نفس محمد بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
ولتاخذن على يد المسيء ولتاطرنه على الحق اطرا او ليضربن الله بقلوب
بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم ٥ ومنها الحديث الصحيح ان
الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
من عنده وصح ايضا اذا ظهر السوء فلم ينهوا عنه انزل الله بهم
باسه قيل وان كان فيهم الصالحون قال نعم فيصيبهم ما اصابهم
ثم يصيرون الى مغفرة الله تعالى ورحمته ومنها حديث الشافعي
وغيره ان الله لا يقدس امة لا يوخذ للضعيف فيهم حقه والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة من طرق متعددة ومنها حديث ابي نعيم
لمقام احدكم في الدنيا يتكلم بحق يرد به باطلا او ينصر به حقا
افضل من هجرة معي ومنها حديث الطبراني ما قدس الله تعالى
امة لا ياخذ ضعيفها الحق من قويها غير متعتع من انصرف غريمه
من حقه عنده وهو راض عنه صلت عليه دواب الارض ونون
الماء ومن انصرف غريمه ساخط كتب عليه في كل يوم وليلة جمعة وشهر
ظلم ومنها حديث ابي الشيخ وابي نعيم من مشى مع مظلوم حتى
يثبت له حقه ثبت الله تعالى قدميه يوم تزل الاقدام ومنها

حديث

١٧٩

حديث ابي نعيم والذي نفسي بيده ليخرجن اقوام من امتي من
قبورهم في صورة القردة والخنازير بما داهنوا في المعاصي و
كفهم عن النهي وهم يستطيعون ٥ باب في بر
الوالدين وعقوقهما اعلم ان الحامل على ذكر هذا الباب
في هذا الكتاب شيئان الاول ان المراد بالوالدين كل من له
عليك ولادة من ذكر وانثى وان علا بان كان بينك وبينه وسايط
وان كثرت وهذا يشمل كثيرا من الارحام لكنهم امتازوا عن بقية
الارحام بانه ورد في عقوقهم من التغليظات ما لم يرد في قطيعة
الرحم فاحتيج الى ذكرهم ليعلم ما ورد فيهم الثاني انه صح في
الحديث ان رجلا من بني سلمة قال يا رسول الله هل بقي علي
من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والا ستغفار
لهما وانفاذ عهودهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل
الا بهما فهذا الحديث يستفاد منه ان الانسان لا يصل الى
كمال ابويه الا ان وصل كل رحم وصلة اليه منهما وذلك يستوعب
جميع الارحام اذ لا رحم اليك الا من جهة ابيك او امك وان بعدت
واذا كانت صلة الرحم من جملة بر الوالدين فتعين ان ذكر بر
الوالدين متوقف على صلة الرحم كما تقرر ان صلة بر الوالدين
متوقف على صلة الرحم وكل وزر وعقاب ورد في عقوق الوالدين
يسري الى قاطع الرحم لان قاطعها عاق لوالديه بنص ذلك الحديث



فتأمل هذا الامر العجيب الذي يترتب على صلة الرحم وقطعها
غير ما لم نعلم ان ذكر هذا الباب في هذا الكتاب لا بد منه

الباب الخامس في ذكر وقائع جرت بين الاخوة والاقارب

منها التحريض على ترك ما فيها من قبيح
وعلى فعل ما فيها من حسن وقبلها ينبغي لك ان تتامل قوله
تعالى سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون وقوله حكاية عن موسى
قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من
لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد
به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك
كنت بنا بصيرا قال ابن عباس في قوله اشركه في امري قال نبي
هرون ساعتئذ نبي موسى عليهما الصلاة والسلام واخرج
ابن ابي حاتم عن عروة ان عائشة سمعت رجلا يقول اني لا
ادري اي اخ في الدنيا كان انفع لاخيه موسى حين سال لاخيه
النبوة حيث لا اخ انفع لاخيه من موسى لهارون قالت يعني
صدق والله قول الشاعر

اخاك اخاك ان من لا اخا له ... كساع الى الهيجا بغير سلاح

منها واقعة ابني ادم الذي قصها الله علينا في كتابه العزيز
فقال عز قائلا واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل

من احدهما

احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل
الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار و
ذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله
فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه
كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان
اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين
اعلم ان هذه الايات اشتملت ونبهت على امور عجيبة
ينبغي ان يستفاد بعضها منها انها اعلمتنا بان التنافس و
التحاسد والعداوة بين الاقارب حتى الاخوين الشقيقين
مركوزة في طباع الناس من حين ان وجدت ذرية ادم وظهرت
وانها قد تقوى حتى تؤدي الى القتل على امر حقير تارة و
عظيم اخرى وبان الانسان عند غلبة هواه ونفسه عليه
يصير اعمى اصم ابله مجنونا كانه ما سمع قط امرا بصلة رحم
ولا نهيا عن قطعها ولا تشديدا غليظا في ايذاء الاقارب
فضلا عن عموم المسلمين وبان العاقل ينبغي له انه اذا نظر
لتمييز الله لاخيه او قريبه عليه فليعلم ان ذلك انما هو بارادة
الله تعالى وقضائه وقدره لا قدرة لذلك المميز بدينا او دنيا

على ان يستاثر منهما او من احدهما على اخيه بشيء وانما هي
مواهب تارة ومحن اخرى يعطيها الحكيم العليم باحكام خلقه
وبما يناسب كلا منهم لمن شاء منهم واذا كان الامر كذلك
وان التمييز ليس الا بفعل الحكيم الخبير المنتقم فكيف يليق بعاقل
فضلا عن كامل بان يحسد قريبا او غيره او يثار ممن ميز
عليه بل الواجب عليه ان يرضى بقسمة الحق تبارك وتعالى او يصبر
على امر القضاء والقدر متاملا قوله تعالى وكذلك جعلنا
بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ولاجل ذلك كان اشهب
من ائمة اصحاب مالك ابتلي من الفقر بشيء كثير مدقع حتى
كان لا يجد سراجا يطالع عليه ليلا فكان يذهب الى بعض
طواحين مصر ويبيت فيها يسوق خيلها ويطحن كل الليل
حتى ينتفع بسراجها ويطالع عليه فاذا طلع الفجر وخرج
لاصحابه ولحيته عليها اثر الدقيق فمن اجل ذلك سمي
اشهبا وكان صاحبه الامام ابن القاسم وهما اجل اصحاب
مالك في الفقه اعطي من الجاه وسعة الدنيا امرا واسعا
فكان اذا جاز في عظمته الهائلة وابهته الكاملة وهو راكب على
مسومات الخيل وحوله التلامذة والخدم الجم الغفير على
الامام اشهب يقول اشهب وكذلك جعلنا بعضكم لبعض
فتنة اتصبرون بل اصبر واحتسب والى انه ينبغي لكل من

اصل
مر الفضى

اذاه

آذاه قريبه ان يتاسى بابن آدم المظلوم فانه لما قال له اخوه
لاقتلنك قال له ما معناه على ما تقتلني ولم اصنع شيئا
ولا قدرة لي على شيء لان تقبل قرباني دون قربانك ليس في
قدرتي وانما مناط القبول الوصف بالتقوى بالله تعالى تفضل
علي به حتى قبل قرباني وحرمك منه لسوء طويتك حتى لم يتقبل
منك فلم نفسك وانك على فعلك ثم زاد المظلوم في هضم
نفسه وكسرها وفي الرضا بالقضاء والتسليم لما يريده الحق جل
وعلا فقال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب
العالمين ليبين لكل مظلوم انه لا ينبغي له ان يقابل ظالمه بل
يستسلم هو له ثم الله تعالى ينتصر له منه ولاجل ذلك
قال صلى الله عليه وسلم خير ابني آدم كن عبد الله المظلوم و
لا تكن عبد الله الظالم وصح انه صلى الله عليه وسلم قال انها
ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من
الماشي والماشي خير من الساعي قيل افرايت ان دخل على
بيتي فبسط يده الي ليقتلني قال كن كابن آدم وتلا لئن بسطت
الي يدك لتقتلني الآية وروى احمد والحاكم انه سيكون
بعدي احداث وفتن واختلاف فان استطعت ان تكون
عبد الله المقتول لا القاتل فافعل وفي هذا تاديب

كن م

بالغ لكل من ظلم واوذي انه يصبر ويحتسب ولا يقابل بشيء
مطلقا **نعم** ان امكنه ان يرشده الا كف ظلمه عنه
وان عاقبة الظلم وخيمة وان مآلها الى النار والبوار والخسار
فلا بأس **ولاجل ذلك** قال هذا المظلوم لاخيه الظالم له اني
اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك
جزاء الظالمين والحاصل ان الانسان ينبغي له ان لا يطاوع
نفسه مطلقا فانها لا تامره الا بما فيه هلاكه وشقاوته و
عذابه وبلاؤه حيث قال فطوعت له نفسه قتل اخيه
اي لا حامل له على قتله الا نفسه الامارة بالسوء لاجل حظها في
الناقة الفانية الذي حسدته عليه والا انه تبع نفسه في
حظها وشهوتها خسر الدنيا والاخرة حيث قال فقتله فاصبح
من الخاسرين **وتامل** قول الله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه
وسلم واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الايات اشتملت من الحكم والمواعظ
والتخويفات والتحذيرات والكمالات وحسن احوال المظلومين
وقبح احوال الظالمين على ما لا يسع كثير منه هذا المحل وفيما
اشرنا اليه كفاية واذ قد تكلمنا على معاني هذه الآية التي
استنبطناها منها مناسبة لما في هذا الكتاب بصدده
فلنذكر اقوال المفسرين فيها ليتضح معناها وما اشرنا اليه
فنقول **اخرج** ابن جرير عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود

رضي الله تعالى عنهم انه كان لا يولد لآدم مولود الا ولد معه
جارية فكان يزوج غلام هذا البطن حتى ولد له اثنان

جارية هذا البطن الآخر
ويزوج جارية هذا
البطن غلام هذا البطن صح

يقال لهما قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وهابيل
صاحب ضرع وكان قابيل اكبرهما وكانت له اخت احسن من
اخت هابيل وان هابيل طلب ان ينكح اخت قابيل فابى عليه
وقال هي اختي ولدت معي وهي احسن من اختك وانا احق
ان اتزوج بها فامره ابوه ان يزوجها هابيل فابى وانهما قربا
قربانا الى الله تعالى ايهما احق بالجارية **وكان** آدم قد غاب عنهما
اتى مكة ينظر اليها فقال آدم للسماء احفظي ولدي بالامانة
فابت وقال للارض فابت وقال للجبال فابت فقال لقابيل
فقال نعم تذهب وترجع وتجد اهلك كما يسرك فلما انطلق آدم
قربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فقال انا احق بها منك
هي اختي وانا اكبر منك وانا وصي والدي فلما قربا قرب هابيل
جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة
عظيمة ففركها فاكلها فنزلت النار فاكلت قربان هابيل و
تركت قربان قابيل فغضب وقال لاقتلنك حتى لا تنكح اختي
فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين اني اريد ان تبوء باثمي
واثمك يقول اثم قتلي الى اثمك الذي تحمله قبل ذلك في
عنقك وجاء بسند جيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

بيان
تحملته

انه كان يولد له في كل بطن رجل وامراة فبينما هم كذلك ولد
له امراة وضيئة وولد له اخرى قبيحة دميمة فقال انا اخو
باختي فقربا قربانا فجاء صاحب الغنم بكبش اعين اقرن ابيض
وصاحب الحرث بصبرة من الطعام فتقبل من صاحب الكبش
فخزنه الله تعالى في الجنة اربعين خريفا وهو الكبش الذي ذبحه
ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ولم يتقبل من صاحب
الزرع فقتله فبنو ادم هو ابو الانبيا واخرج ابن جرير عن ابن
عباس ان هابيل كان راعيا فقرب خير غنمه واسمنها وقابيل
حراثا فقرب بعض زرعه فجاءت النار فاكلت الشاة وتركت
الزرع فقال قابيل لاخيه اتمشي في الناس وقد علموا انك قربت
قربانا فتقبل منك ورد قرباني فلا والله لا تنظر الناس الي واليك و
انت خير مني فقال لاقتلنك فقال له اخوه ما ذنبي انما يتقبل علي م
الله من المتقين ٥ واخرج ابن جرير عن ابن عمر نحو ذلك ومنه
ان هابيل قرب اكرم غنمه واسمنها واحسنها طيبة بها نفسه
ان قابيل قرب شر حرثه الكودن والزوان غير طيبة بها نفسه
ثم قال وايم الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن التحرج
ان يبسط يده الى اخيه اي منعه الخوف من عذاب الله
تعالى ان يدفع عن نفسه خشية ان يفضي الدفع الى قتل اخيه
وهو وان كان للدفع خلاف الاكمل ومن الغريب في الآية

قول

قول الحسن الذي رواه عنه عبد بن حميد وابن جرير ان هذين
كانا من بني اسرائيل لان القربان انما كان فيهم ويوافقه
قول ابن جريج في لئن بسطت الي يدك كانت بنو اسرائيل
كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه
ومما يرد ما ذكر عن الحسن خبر الشيخين وغيرهما عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما
الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل
وفي رواية للطبراني وابن عساكر اشقى الناس ثلاثة ثم قال
وابن ادم الذي قتل اخاه ما سفك على الارض من دم الا لحقه
منه لانه اول من سن القتل واخرج عبد بن حميد عن الحسن
ايضا قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها
الناس الا ان ابني ادم ضربا لكم مثلا فتشبهوا بخيرهما ولا تشبهوا
بشرهما واخرج عبد الرزاق وابن جرير عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني آدم ضربا مثلا لهذه الامة
فخذوا بالخير منهما واخرج جمع عن مجاهد في قوله فطوعت
له نفسه قال شجعته على قتل اخيه وعن قتادة قال زينت
له نفسه وعن جماعة من الصحابة فطوعت له نفسه قتل اخيه
فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال فاتاه يوما
من الايام وهو يرعى غنما وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها

راسه فمات فتركه بالفراء بوجه الارض ولا يعلم كيف
يدفنه فبعث الله غرابين اخوين فاقتتلا فقتل احدهما
صاحبه فحفر له ثم حثى عليه فلما راه قال يا ويلتي اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب **وفي رواية** مكث يحمله في جراب
على عاتقه سنة وانذكره انه اتى بن ادم فتحير به وانه اروح فمكث
فعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يلقيه واخرج ابن
جرير عن ابن جريج انه لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس في هيئة طير
فاخذ طيرا فوضع راسه بين حجرين فشدخ راسه فعلمه القتل
واخرج ابن عساكر عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بدمشق
جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن ادم اخاه واخرج ابن جرير
وابن عساكر عن سالم بن ابي الجعد قال ان آدم لما قتل احد ابنيه
الآخر مكث مائة عام لا يضحك حزنا عليه فاتى على راس المائة
فقيل له حياك الله وبياك وبشر بغلام فعند ذلك ضحك

ومنها واقعة يوسف مع اخوته صلى الله عليهم وسلم

اعلم انها واقعة عجيبة تشتمل على عجائب وغرائب وحكم و
احكام وعبر وامثال وذل وانخفاظ وعلو وارتفاع وعلى حسن
عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار و
خذلان المبطل وان كان انصاره واعوانه الوزرا والملوك فضلا
عن غيرهم وعلى ان عاقبة العفة بما حرم الله تعالى اجمل العواقب

واكلها

بلغ

واكلها وعاقبة الكذب على اولياء الله تعالى وبرئ منهم بالبهتان
اردى العواقب واسفلها وعلى ان التباغض والتحاسد بين
الاخوة امر قديم جسيم وادم وان كملوا وجلوا وعلت مراتبهم
وزكت معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف صلى الله على
نبينا وعليهم وسلم وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحا بل انبياء
بنص قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط اتفقوا على
ان المراد بالاسباط اولاد يعقوب فكوننا امرنا بالايمان بما
انزل الى ابيهم وبما انزل اليهم ظاهر او نص في انه انزل عليهم ما
يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه
فقد يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكثيرة
التي ظواهرها يجب تنزيه الانبيا صلوات الله على نبينا وعليهم
وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبيا جميعهم الرسل
وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغاير المعاصي
وكبايرها عمدها وسهوها **ويجاب** بان ذلك ياتي على مذهب
كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوة لا
قبلها والاولى ان يجاب بان هذه الامور انما تشكل على قواعد
شرعنا اما على شرعهم فنحن لا ندريه وبفرض انه يوافق شرعنا
في ذلك فيحتمل ان لهم تاويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه

وتعبير كثير بغيهم وحسدهم ونحو ذلك من العبارات التي
ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول
فيهم واخرج ابن جرير وابن المنذر ان ابا عمرو قيل له كيف
قالوا نرتع ونلعب بالنون وهم الانبيا فقال لم يكونوا يومئذ
انبيا وفسره ابن عباس بنسعى وننشط ونلهو والحاصل
انه يجب علينا الايمان ببراءتهم ونزاهتهم صلى الله على نبينا وعليهم
وسلم واعلم ايضا ان من صبر على اذى اخوته واقاربه ولم يقابلهم
بسوء ما فعلوه وظفره الله تعالى بهم ونصره عليهم واحوجهم اليه
وادخلهم تحت ذله وقهره وزاده بذلك الصبر عليهم من الكمال و
الرفعة ما يتعجب منه العقلا ونحمد عواقبه الكمل من الفضلا فكن
على هذه الشريطة لتنال هذه المعالي وادم النظر الى الله تعالى
ورضاه في سرك وعلانيتك لتتحلى بمثل هذه اللآلي الغوالي
ولنذكرك ببعض المعالي التي حصلت ليوسف واخوته ليكون
ذلك ادعى الى امتثالك واقوى على جذبك الى الكمال عن امثالك
كيف والله تعالى يقول عز قائلا لقد كان في يوسف واخوته
آيات للسائلين قال الحسن عبرة واخرج ابن جرير عن ابن اسحاق
قال انما قص الله على محمد صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه
وحسدهم اياه حين ذكر رؤياه لما رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بغي قومه عليه وحسدهم اياه حين اكرمه الله تعالى بنبوته

ليتاسى

ليتاسى به فاذا سبقت قصتهم ليتاسى بها نبينا صلى الله عليه
وسلم مع كماله الاعظم فكيف لا تتاسى بها انت مع نقصك
وركونك الى نفسك واهونها فتقابل ارحامك باساءتهم بل
ربما زدت عليها غافلا عن احوال الكمل وما وقع لهم من تحمل
اذى اخوتهم واقاربهم وجميل صبرهم على ذلك ورضاهم به فعليك
باتباعهم والتاسي بهم لتنال شيئا من كمالهم ولتتحلى ببعض احوالهم
وتامل علم يعقوب صلى الله على نبينا وعليه وسلم بما يقع بين الاخوة
وخوفه منه حيث قال له لما اخبره برؤياه لتلك الكواكب الاحد
عشر والشمس والقمر سجدا له المؤذن بانه يراس الكل الاحد عشر
الذين هم اخوته والقمران اللذان هما ابواه يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو
مبين فخشي من اخباره لهم بهذه الرؤيا المؤذنة بعلوه
عليهم انهم يحسدونه ويكيدونه بما يفرقه عن ابيه حتى يخلو وجهه
اليهم فكان الامر كما ظن يعقوب ثم علل يعقوب تلك الخشية
بقوله ان الشيطان الى اخره انه لعنه الله يبذل جهده ويعمل
حيلته ويبث كيده ومكره بين الاخوة والاقارب حتى يقطعوا
ارحامهم ويقطعون انسابهم فيترتب على ذلك من الشر والمعاصي
والفتن ما لا يترتب على كثير من المعاصي واعلم ان ابن جرير
وابن ابي حاتم اخرجا قصة يوسف عن السدي بطولها وفيها

شرح لكثير من اياتها وخلاصتها مع الزيادة عليها ان يعقوب
كان نازلا بالشام وكان ليس له نوم الا بيوسف واخوه ابن
يامين فلذلك حسده اخوته العشرة الباقون خصوصا لما
بلغهم رؤياه السابقة فرموا بانه في ظلال مبين اي منام ثم
قالوا لبعضهم اقتلوا يوسف او ابعدوه عن وجه ابيه يخل لكم
ثم تتوبوا مما صنعتم فقال يهودا منهم لا تقتلوه والقوه في
الجب ببير ببعض نواحي بيت المقدس بقرب طريق ثم اتوا اباهم
وعملوا الحيلة في طلبه منه حتى ارسله معهم فلما برزوا للبرية اظهروا
العداوة وبالغوا في ضربه ولطمه وهو يستغيث فلا يغاث
حتى اشرفوا على قتله فزجرهم عنه يهودا فانطلقوا به الى الجب
فادلوه فامسك شفير البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فا
ستغاث في عدم نزعه فقالوا له ادع الاحد عشر كوكبا و
الشمس والقمر يونسونك فادلوه فلما بلغ نصف البير القوه ليموت
فكان فيها ماء فلم يضره فاوى الى صخرة فيها فنادوه فظن
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة فيقتلوه
فمنعهم يهودا وكان ياتيهم بالطعام ثم اخذوا جديا فذبحوه
ثم نضحوا دمه على القميص ومن ثم قال تعالى بدم كذب ثم اقبلوا
الى ابيهم عشاء يبكون فلما سمع اصواتهم فزع فاخبروه باكل الذيب
ليوسف لما تركوه عند متاعهم اي غنمهم لانهم كانوا رعاة فبكى

باعلا

١٨٦

باعلا صوته ثم قال اين القميص فجاؤا به فضمه لوجهه وبكى حتى
تلوث وجهه من دمه ثم قال ان هذا الذيب يا بني لرحيم
فكيف اكل لحمه ولم يخرق قميصه اي وكانت لذلك حصل له
نوع تسلي لتوهمه انه لم يمت ولم ياكله ذيب واستمر يوسف
في البير حتى مرت قافلة فارسلوا من يرد لهم الماء ويستقي
فادلى دلوه فتعلق يوسف بحبله فلما راه ذو الحبل دعا
صاحبه واسمه بشرى او بشراي يعني بشارة فسمع اخوة يوسف
فجاؤا فقالوا هذا عبد لنا ابق ورطنوا له لئن انكرت قتلناك
فسالهم ان يردوه لابيه ويضمن رضاه عليهم فابوا فاعترف
انه عبدهم فاشتراه الرجلان بدراهم بخسة حرام قليلة عشرين
وقيل اقل وقيل اكثر ثم خشيا ان اهل القافلة يشاركوهم
فيه فاتفقا ان يقولا انه بضاعة استبضعناها اهل البير
ثم لما وصلا بمصر اشتراه ملكها قيل وكان مسلما وامر امراته
ان تكرمه فاحبته وقالت له ما احسن وجهك قال هو للتراب
ياكله ثم دعته لنفسها فاعصمته النبوة فلم يقع منه ولا الهم
ما على الذي وهم بها جواب لولا اي لولا برهان ربه لهم بها
لكنه راى البرهان فلم يهم وهذا احسن الاقوال وانزهها
والبقها بمقام النبوة والاصح عن ابن عباس ما خالفه وجرا
عليه اكثر المفسرين وذلك لان المقرر الاصح كما فسر في الاصول

تامر

ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم معصومون قبل
النبوة وبعدها من صغاير الذنوب وكبايرها عمدا وسهوا وما
حينئذ ما صح عن ابن عباس وغيره من انه منه هم وجلس بين قدميها
حتى راى البرهان المختلف فيه على اقوال كثيرة فولاها ربا يتعين
تاويله على انه اعتمد واقيم على ما رواه في الكتاب وهذا الاخير فيه
وفي بعض التفاسير هنا ما يجب الاعراض عنه لتساهلنا فليه
في نقل كل ما رواه من غير تعويل على صحة لفظه ولما ذهب
لتخرج ادركته فشقت قميصه من خلفه وخرج منه واشتد
فاذا هو بزوجها وابن عمها عند الباب فبادرت بشكايته
فقال بل هي راودتني عن نفسي فقال ابن عمها القميص بينهم فلما
راه شق من خلفه وقيل كان طفلا فانطقه الله تعالى ببراءته
ثم امره بالكتم وامرها ان لا تعود ثم سمعت بقول النسوة عنها
انها راودته وان حبه قد وصل لشغاف قلبها اي جلدته و
حجابه حتى وصل اليه وملاه فارسلت اليهن واعتدت لكل ما
تتكي عليه واتت كلا سكينا واترجا تاكله وامرته بالخروج
عليهن فرانه قد دهشن فقطعن ايديهن ولم يشعرن فعذرنها
وقال كثيرون المتكا الاترج ان خفف وقيل وان شدد
وقيل اكبرنه امنين وقيل حضن واخرج جمع منهم احمد و
الحاكم حديث اعطي يوسف وامه شطر الحسن فلما راينه

كنت اهل صح

ومعناه م

عليه

عليه سالته بذلك السجن فرتبته امراة العزيز لحتى سجنه
وراى فيه رجلين غضب عليهما الملك فقالا اني اعبر الاحلام
فقصا عليه رؤيتهما المشتغلتين عليه ليعرفا صدقه وقال
آخرون بل كانتا حقا فاخبرهما بتعبيرها فكان كما قال ثم لما
اراد الناجي الخروج قال له يوسف اذكرني عند الملك فراى
الملك تلك الرؤيا وجمع السحرة والكهنة والقافة وغيرهم فلم
يعرفوها فتذكر صاحب يوسف فقال للملك ارسلني الى من يعرفها
فقصها عليه فاولها له فعاد للملك واخبره فقال ايتوني به
فابى يوسف ان يخرج اليه حتى تظهر براءته ولا يبقى في نفس
العزيز منه شي فجمع الملك تلك النسوة فتبران واخبرنه ان امراة
العزيز ذكرت انها راودته فسئلت فاعترفت فعلم الملك
وغيره براءته فاستخلفه على مصر وانهى جميع امرها اليه ثم لما
عم الجوع بلاد يعقوب ارسل بنيه الى مصر الا بنيامين شقيق
يوسف فدخلوا على يوسف فعرفهم ولم يعرفوه وقال الحسن ما
عرفهم حتى تعرفوا اليه فسالهم حاجتهم فقالوا امتار لاهلنا
طعاما فشدد عليهم حتى اخبروه انهم عشرة اخوة بنو ابي وان
له ابنين اخوين اكل احدهما الذيب وقال ابن عباس هو
الذي اخبرهم بذلك وامسك الاخر يتسلا به لصغره فطلب منهم
هذا الصغير ليستدل على صدقهم والاخوهم الميرة لانهم جواسيس

فقالوا نفعل فقال ضعوا عندي بعضكم رهينة فرهنوا شمعون
ثم امر عماله ان يدسوا ما جاوا به يشترون به في رحالهم ففعلوا
فلما جاوا الى ابيهم اخبروه بمزيد اكرامه وما قال لهم وانا ان لم
نأته باخينا الصغير والا لم يعطنا شيئا ثم فتحوا رحالهم فراوا بضاعتهم
ردت اليهم فاكدوا في طلب اخيهم فطلب منهم يعقوب ان يوتوه
مواثيقهم لياتنه الا ان يحاط بهم فتوكل بالله تعالى وخاف
عليهم من العين لباهر صورهم وجمالهم فامرهم اذا وصلوا مصر
ان لا يدخلوا من باب واحد ففعلوا ودخلوا على يوسف فعرف
اخاه فبالغ في اكرامهم وامر لكل اثنين بفراش فبقي اخوه فاخذه
لينام معه على فراشه فجعل يشم ريحه ويضمه اليه ولم يعلم انه
يوسف ومعنى الاية قال اني انا اخوك اي مقام اخيك
الهالك ذكره وهب بن منبه وامر بتجهيزهم وجعل السقاية وهو
جام يشرب فيه وهو المسمى بالصواع ايضا وكان من فضة او
ذهب او نحاس اقوال في رحل اخيه من غير علمه ثم ارسل في
اثرهم مناديا انكم لسارقون فقطعت ظهورهم واخبروهم ان
صواع الملك سرق فقالوا من سرق خذوه واسترقوه برسمهم ففتشت
رحالهم وجعل رحل بنيامين الاخير فراى فيه فاخذه
بقولهم فلذلك قال تعالى كذلك كدنا ليوسف اي صنعنا له
اخذه من لسانهم لان اخذه لم يكن من حكم ملك مصر وانما كان

من شريعة

من شريعة يعقوب فانطقهم بهذه العلة لياخذه بها ثم
اتوا بنيامين على ما فعل وقالوا ما نزل بنا بلاء منكم يا بني راحيل
وهو اسم ام يوسف وبنيامين فقال بل نحن المبتلون بكم
ذهبتم باخي فاهلكتموه وقال ما وضع الصواع في رحلي الا من
وضع الدراهم في رحالكم في المرة الاولى فقالوا له لا تذكرها
نوخذ منا فادخلوهم على يوسف فدعا بالصواع فنقر فيه ثم
اسره ان الصواع اخبره انكم اثنا عشر وانكم بعتم واحدا منكم
فسجد وقال سله اخي حي فنقر فقال وستراه فقال سل من
اخذه فامتنع فغضب اخوه روبيل فقام وقال ايها الملك
لتتركنا او لاصيحن صيحة لا تبقى امراة حامل بمصر الا اسقطت
وقامت شعره حتى خرج من ثيابه فقال يوسف لابنه مر بجنبه
ومسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب
غضبه ففعل فزال غضبه فقال ههنا بزر من بزر يعقوب
فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل فقال ايها الملك لا
تذكر يعقوب فانه صفي الله بن ذبيح الله بن خليل الله فامره ان
يقرا عليه السلام اذا رجع اليه ويقول له ان ملك مصر يدعو لك
ان ترى ابنك يوسف فاخرج له شمعون المرتهن عنده فخرجوا
يتناجون فقال لهم روبيل وهو اكبرهم علما انه يقيم بمصر
حتى ياذن له ابوه فرجع التسعة لابيهم واخبروه فبكى ثم اظهر

الصبر ونرجي ان الله تعالى عليه الكل ثم اخبروه بدعاء الملك له برتم
فازداد رجاه تعلم ان لا صديق في الارض لاولاده فامرهم
بالعود لعلهم يظفرون بيوسف واخيه فجاؤه قائلين يا ايها
العزيز مسنا واهلنا الضر الى آخره فرق لهم وقال هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه فعرفوه فاعتذروا اليه فقال لا تثريب
عليكم اي لا اذكر لكم ذنبكم لاني عفوت عنه وصفحت ثم امرهم
بالذهاب بقميصه ليرتد به بصيرا ما ذهب من بصر ابيه لشدة بكائه
على يوسف قال الحسن وكان مدة غيبته ثمانين سنة وان
يأتوه باهلهم اجمعين فقال يهودا انا الذي ذهبت اليه
بقميصه وقلت ان الذئب اكله فلاذهبن اليه بهذا ولأفرحنه
كما احزنته **فلما فارقوا** مصر وجد يعقوب ريح يوسف
فوصل اليه البشير وحملهم اجمعين فلما قربوا الى مصر كلم يوسف
الملك فخرج يتلقاهم فلما واجههم رفع اباه وخالته على
سريره فلما حضر يعقوب الموت امره ان يدفنه عند ابرهيم و
اسحاق بالشام ففعل وقال رب قد آتيتني من الملك الى
آخره قال ابن عباس هذا اول نبي سال الله تعالى الموت
هذا حاصل هذه القصة العجيبة الغريبة التي
من تأملها هان عليه ما تفعله اقاربه معه وقابلهم بالصبر
بل بالرضى حتى يظفره الله تعالى بهم وبذلهم له ويحكمه فيهم **ولنذكر**

شيئا مما

شيئا مما منّ الله تعالى به عليهم ومما جبر به خاطره عوضا عما
فعلوه به **فمن ذلك** اخرج جماعة عن مجاهد وقتادة
في قوله تعالى واوحينا اليه الاية قال اوحى الله وحيا وهو
في الجب لتنبئنهم اخوتك بما صنعوا وهم لا يشعرون بهذا
الوحي **زاد** قتادة فهون ذلك الوحي عليه ما صنع به ثم
نبأهم به كما مر في قصة الصواع ومنه اخرج جمع في وكانوا
فيه من الزاهدين عن الضحاك قال الزهد فيه اخوته لم يعلموا
بنبوته ولا بمنزلته عند الله ومكانته اي ففعلوا معه ما
كان سببا لنصرة الله تعالى له عليهم النصرة الكاملة **وصح** عن
ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز لما تفرس في يوسف
وبنت شعيب لما تفرسته في موسى وابو بكر باستخلافه لعمر و
منه قوله تعالى **والله غالب على امره** اي فقال يريد ان
يبلغ يوسف من الامر بسبب صبره ما لم يكن في حساب ومنه
قوله تعالى ولما بلغ اشده اي ثلاثا وثلاثين سنة او خمسا
وعشرين او عشرين او ثمانية عشر او الحلم اقوال آتيناه اي حكما اوثلاثين
اي فهما وعقلا وعلما وذلك قبل النبوة وكذلك نجزي المحسنين
اي كما جزينا يوسف صلى الله عليه وسلم بهذه المعالي بسبب
صبره على ما اذاه به اخوته نجزي كل من احسن الى اخوته فصبر على
اذاهم ولم يقابلهم بما يستحقونه بل بالغ في ذلك في العفو

عنهم واسد المعروف اليهم **ومنه قوله تعالى** وقال للذي
ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين
اخرج ابن ابي شيبة وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد و
ابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن انس رضي الله تعالى عنه
قال اوحى الله تعالى الى يوسف من استنقذك من القتل
حين هم اخوتك ان يقتلوك قال انت يا رب قال فمن استنقذك
من المراة اذ همت بها قال انت يا رب قال فما لك نسيتني و
ذكرت آدميا قال جزعا وكلمة تكلم بها لساني قال فوعزتي لا
دخلنك في السجن بضع سنين فلبث فيه بضع سنين ٥
وفي حديث لطرق رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند
ربك ما لبث في السجن طول ما لبث **وفي حديث** اخرجه
جماعة لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل
عن البقرات العجاف والسمان اخبرهم ولو كنت مكانه ما
اخبرتهم حتى اشترط عليهم ان يخرجوني ولقد عجبت من يوسف
وصبره وكرمه والله يغفر له حين اتاه الرسول ولو كنت مكانه
لبادرتهم الباب ولكنه اراد ان يكون له العذر **وصح انه**
صلى الله عليه وسلم لما قرا فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
الآية قال لو كنت انا لاسرعت الاجابة وما ابتغيت العذر
واخرج الحاكم في تاريخه وابن مردويه والديلمي انه صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال وقد قرا ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فقال يوسف
قال له جبريل يا يوسف اذكر همك قال وما ابرئ نفسي ٥
تنبيه في هذه الآية اوضح دليل على نزاهة يوسف صلى
الله على نبينا وعليه وسلم وعصمته حيث قال مخبرا عن نفسه
ذلك ليعلم اني لم اخنه اي العزيز في امراته بالغيب اي فيما بيني
وبينها اذ ظاهر هذه الآية انه لم يقع منه خيانة اصلا ثم
على تقدير صحة هذا الحديث ليس فيه انه وقع منه الهم وبه
يبطل جميع ما قيل انه جلس بين رجليها ونحوه مما لا يليق
بادنى صالحي الامم فكيف ممن اصطفاهم الله تعالى للنبوة و
اهلهم لرسالته وجعلهم الواسطة بينه وبين خليقته
فاحذر ان تصغي الى ما لا يكون سببا للخسار والدمار والبوار
ومنه قوله تعالى قال فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ
عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء
نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين **في
هذه الآيات** من التنويه بشان يوسف ورفعة قدره
وعلو محله وهذه مكانته وغزارة مكانته وغزارة نعمه
وكم من سيرة ما يحمل من له ادنى عقل وهمة على ان يتاسى
به في تحمل بذاة الاقارب وضر الارحام بل والاجانب كيف

وقد بوأه الله تعالى بذلك الصبر هذا الملك الاعظم وحكمه
في اخوته حتى اذ الهمهم الله تعالى له واحوجهم اليه وقادهم
الى ملكه على الوجه الاتم واخرج ابن ابي حاتم والحاكم
عن ابي هريرة رضي الله عنه استعملني عمر رضي الله تعالى عنه على
البحرين ثم نزعني وغرمني اثنا عشر الفا ثم دعاني بعد الى
العمل فابيت فقال لم وقد سال يوسف العمل وكان خيرا
منك فقلت ان يوسف نبي ابن نبي وانا ابن اميمة وانا اخاف ان　　ابن نبي م
اقول بغير حلم وان افتي بغير علم وان يضرب ظهري ويشتم عرضي
ويوخذ مالي ه واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن
زيد في قوله تعالى اجعلني على خزائن الارض قال كان لفرعون
اي ملك مصر وليس هو فرعون موسى لان فرعون يوسف قبل
بكثير ولد خزائن كثيرة غير الطعام فسلم سلطانه له كله وجعل
القضا اليه امره وقضاؤه نافذا واخرج ابن جرير وابن ابي
حاتم عنه ايضا في قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
قال ملكناه فيها حيث يشاء من تلك الدنيا يصنع فيها ما　　يكون فيها م
يشا فوضت اليه قال ولو شاء ان يجعل فرعون من تحت
يده ويجعله من فوق لفعل ه واخرج ابن ابي حاتم عن الفضيل
رضي الله تعالى عنه قال وقفت امراة العزيز على ظهر الطريق
حتى مر يوسف فقالت الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا

بطاعته

بطاعته وجعل الملوك عبيدا بمعصيته واخرج ابن جرير وابن
ابي حاتم عن ابن اسحاق قال ذكروا ان قطفير اي وهو العزيز
الذي اشترى يوسف وكان على نحو خزن الملك وسجنه هلك في
تلك الليالي وان الملك الريان زوج امراته راعيل اي واسمها
المشهور عند الناس زليخا فقال يوسف حين ادخلت عليه
اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمني
فاني كنت امراة كما ترى حسنا وجمالا ناعمة في ملك ودنيا وكان
صاحبي [illegible] العزيز لا ياتي النسا وكنت كما جعلك الله تعالى
في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي على ما رايت فيزعمون
انه وجدها عذراء فاصابها فولدت له رجلين ه واخرج
الحكيم والترمذي عن وهب ابن منبه قال اصابت امراة العزيز
حاجة فقيل لها لو اتيت يوسف فاستشارت الناس فقالوا
لا تفعلي فانا نخاف عليك منه قالت كلا اني لا اخاف ممن يخاف
الله عز وجل فدخلت عليه فراته في ملكه فقالت الحمد لله
الذي جعل الملوك عبيدا بمعصيته فقضى لها جميع حوائجها ثم
تزوجها فوجدها بكرا فقال لها اليس هذا اجمل مما اردت
قالت يا نبي الله اني ابتليت منك باربع كنت اجمل الناس كلهم وكنت
انا اجمل اهل زماني وكنت بكرا وكان زوجي عنينا وقوله
تعالى نصيب برحمتنا من نشاء فيه اي من تاسى بيوسف في الصبر على

المحن والرضى بالقضا سيما ما كان على ايدي الاقارب يرجى له
من رحمة الله تعالى ما لم يكن في حسابه واخرج الترمذي
الحكيم وابن ابي الدنيا والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا
الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فان لله عز وجل نفحات
من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله ان
يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم واخرج ابن جرير وابن المنذر
وابو الشيخ عن ابن جريج في قوله تعالى نرفع درجات من نشاء
وفوق كل ذي علم عليم قال يوسف واخوته اوتوا علما فرفعنا
يوسف فوقهم في العلم درجة واخرج جماعة عن سعيد بن جبير
قال كنا عند ابن عباس فحدث بحديث فقال رجل عنده
وفوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس بئس ما قلت الله العليم
الخبير وهو فوق كل ذي عالم واخرج ابن جرير ان عليا سئل
عن مسئلة فاجاب فيها فقال اخر لا بل الامر كذا فقال علي
اصبت انت واخطات انا وفوق كل ذي علم عالم واخرج ابن جرير
وابو الشيخ عن الحسن في الاية قال ليس عالم الا فوقه عالم
حتى ينتهي العلم الى الله تعالى واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم
عن قتادة في قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال هكذا حتى
ينتهي العلم الى الله منه بدا واليه يعود ومنه قوله تعالى ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل فيه ان الحاسد يجعل المدح ذما فقد

اخرج

اخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال سرق يوسف
صنما لجده ابي امه من ذهب وفضة فكسره فالقاه على الطريق فعيره
اخوته بذلك فهذا غاية المدح ليوسف لكون كراهة يوسف
له حملتهم على ان جعلوه ذما وعيروه به واخرج ابن جرير عن
قتادة قال سرقته التي عابوه بها اخذ صنما كان لابي امه
وانما اراد بذلك الخير وروي نحو ذلك جماعة عن زيد بن
اسلم وسعيد بن جبير وابن جريج وزاد ان امه امرته بذلك
لانها كانت مسلمة ومعنى فاسرها يوسف في نفسه اسر قوله
انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قال ابن عباس اي لم يقل
ذلك لهم ظاهرا حياء منهم وفي هذا غاية الخلق الحسن من
يوسف حيث فعلوا معه ما فعلوا ومع ذلك استحيى ان يواجههم
بهذه الكلمة لان هذا هو شان الكرماء الكاملين انهم على غاية من
الحيا والعفو والصفح وعدم المواجهة بالسوء فكن ممن تسلى بهذه
واحذر ان تقابل مسيئا او تواجهه بما يكره بل ترقى عن هذا المقام
العالي الى اعلى منه وهو بره وصلته واجلاله واكرامه لقرابته
او صداقته او اسلامه او نحو ذلك من المعالي واعلم ان في
الصبر اعلا المراتب وانجح المارب وتامل الحديث الذي اخرجه
ابو حاتم انه صلى الله عليه وسلم قال ان داود قال يا رب ان بني

اسرائيل يسلونك بابراهيم واسحاق ويعقوب فاجعلني لهم
رابعا فاوحى الله تعالى اليه ان ابراهيم القي في النار بسببي فصبر
وتلك بلية لم تنلك وان اسحق بذل مهجته دمه في سببي فصبر
وتلك بلية لم تنلك وان يعقوب اخذت منه حبيبه حتى
ابيضت عيناه من الحزن فصبر وتلك بلية لم تنلك ه واخرج
عبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ
عن وهب ابن منبه قال لما اتى جبريل يوسف بالبشرى
وهو في السجن قال هل تعرفني ايها الصديق قال ارى صورة
طاهرة وروحا طيبة لا تشبه ارواح الخاطئين قال فاني
رسول رب العالمين وانا الروح الامين قال فما الذي
ادخلك الى مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس
المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان
الله يطهر البيوت بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها
هي اطهر الارضين وان الله يطهر بك السجن وما حوله يا اطهر
الطاهرين وابن المطهرين انما يتطهر بفضل طهرك وطهر ابائك
الصالحين المخلصين قال كيف تسميني باسماء الصديقين
وتعدني مع المخلصين وقد دخلت مدخل المذنبين و
وسميت بالصالحين المفسدين قال لم يفتن قلبك الحزن ولم يدنس
حريتك الرق ولم تطع سيدتك في معصية ربك فلذلك

سماك الله

سماك الله بالصديقين واعدك مع المخلصين والحقك باباءك
الصالحين قال هل لك علم بيعقوب قال نعم وهب الله له
الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم قال فما
ذا قدر حزنه قال قدر سبعين ثكلى قال فماذا له من الاجر قال
اجر مائة شهيد وفي حديث رواه عبد الرزاق وابن
جرير وابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم قال من بث لم يصبر
ثم قرا انما اشكوا بثي وحزني الى الله وفي حديث ضعيف
من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه ومن اصبح
يشكو مصيبة نزلت به فانما يشكو الله ومن تضعضع لغني
لينال من دنياه احبط الله ثلثي عمله ومن اعطي القران فدخل
النار فابعده الله واخرج جماعة ان عمر رضي الله عنه قرا في
صلوة الصبح انما اشكوا بثي اي همي وحاجتي وحزني اي على
يوسف الى الله وبكى حتى سمع بكاه من في اخر الصفوف واخرج
اسحق ابن راهويه وابن ابي الدنيا وابن ابي حاتم والطبراني
وابو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي انه صلى الله عليه
وسلم قال كان ليعقوب عليه السلام اخ مواخ فقال له
ذات يوم يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس
ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكا على يوسف و
اما الذي قوس ظهري فالحزن على ابني بنيامين فاتاه جبريل

قد مر

لعله تواضع

فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي
تشكوني الى غيري فقال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى
الله فقال جبرئيل الله اعلم بما تشكو يا يعقوب ثم قال يعقوب
اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي
ريحانتي اشمه شمة قبل الموت ثم اصنع بي ما اردت فاتاه
جبرئيل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك
ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك فاصنع
طعاما للمساكين فان احب عبادي الي الانبياء والمساكين و
تدري لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع اخوة يوسف بر
ما صنعوا انكم ذبحتم شاة فاتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه
منها شيئا فكان يعقوب اذا اراد الغداء امر مناديا فنادى الا
من اراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب واذا كان
صائما امر مناديا الا من كان صائما من المساكين فليفطر مع
يعقوب ومنه قوله انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين في هذا اعظم حمل على الصبر وابلغ مدح له والصابرين
على اذى الاقارب وحسدهم وان الله لا يضيع اجر الصابرين
واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن الربيع بن انس قال مكتوب
في الكتاب الاول ان الحاسد لا يضر بحسده الا نفسه ليس
ضارا من حسده وان الحاسد ينقصه حسده وان المحسود اذا

صبر

ق

صبر نجاه الله بصبره لان الله سبحانه يقول انه من يتق ويصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين ومنه قوله تعالى لا تثريب اي
لا تعيير عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين في هذا
ابلغ كرم من يوسف صلى الله عليه وسلم حيث فعلوا معه ما
فعلوا ثم لما عرفهم بنفسه خشي عليهم ان يتذكروا فعلهم منه فيخجلوا
فطيب خاطرهم بقوله لهم ما ذكر بعد قولهم لقد آثرك الله علينا
وان كنا لخاطئين اخرج جماعة عن قتادة لقوا رجلا حليما لم
يبث ولم يؤنب اي يعدد عليهم اعمالهم اي لم يقل لهم فعلتم معي
كذا وفعلتم معي كذا فتأس بذلك ايها الموفق وحاذر على ان
تكون من اهل هذا الخلق الكريم وهو انك اذا ظفرت بمن اذاك
فبادر بالعفو عنه واحسن له البشاشة والكلام الطيب ولا
تعيره بما فعل معك بل عامله معاملة الصديق وتأمل ما
رواه جماعة ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى له مكة و
ظفره باهلها وحكمه فيهم بعد ان فعلوا فيه من الايذاء والسب و
ارادة القتل ما هو مشهور طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى
الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال يا اهل
مكة ماذا تظنون اني فاعل بكم ماذا تقولون قالوا نظن خيرا ونقول
كرم — خيرا نقول ابن اخ وابن عم رحيم حليم فقال اقول كما قال يوسف
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فخرجوا

كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام فتأمل اخلاق
الانبيا وشيم الكرما الرحما الاصفيا وكن اخذا من ذلك باوفر
نصيب واعلم ان الله عليك رقيب ولاعمالك حفيظ وحسيب
فيجازيك احسن الجزا ويقربك اليه ابلغ القرب بواسطة حسن
الاتباع وترك الابتداع ومنه قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا
الاية اخرج ابو الشيخ عن ابن عباس قال قال رجل للنبي صلى
الله عليه وسلم يا خير البشر فقال ذاكم يوسف صديق الله بن يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ان الله كسى
ابراهيم ثوبا من الجنة فكساه ابراهيم اسحق فكساه اسحق يعقوب
فاخذه يعقوب فجعله في قصبة حديد فجعله في عنق يوسف
ولو علم اخوته اذ القوه في الجب لاخذوه فلما اراد الله تعالى ان
يرد يوسف على يعقوب وكان بين رؤياه وتعبيرها اربعون سنة
امر البشير ان يبشره من ثمان مراحل فوجد يعقوب ريحه فقال
اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فلما القاه على وجهه
ارتد بصيرا وليس يقع شي من الجنة على عاهة من عاهات الدنيا
الا ابراها باذن الله تعالى واخرج ابو الشيخ ايضا حديث ان
نمرود لما القى ابراهيم في النار نزل اليه جبريل بقميص من الجنة
وطنفسة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه
فاوحى الله تعالى الى النار كوني بردا وسلاما ولولا انه قال وسلاما

ذاكرهم

لاذاه

لاذاه البرد ولقتله البرد ه واخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم
عن ابن مسعود في قوله واتوني باهلكم اجمعين قال كان اهله
حين ارسل اليهم فاتوا مصر ثلاثة وتسعين نسا ورجالهم انبيا
ونساؤهم صديقات والله ما خرجوا مع موسى حتى بلغوا ستمائة
الف او سبعمائة الفا ومنه قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل الايات فيه حسن عاقبة الصبر على البلايا والمحن
باعطاء المراتب العلية والمواهب الزكية واخرج احمد عن مالك
بن دينار ان يعقوب لما حضره الموت اوصى يوسف ان يدفنه مع
ابائه ابراهيم واسحق في قبورهم بارض كنعان ففعل وهي على
ثمانية ايام من مصر ومشهورة الان بقبر ابراهيم الخليل واخرج
ابو الشيخ عن ثابت البناني انه وصاه ايضا ان يعفو عن اخوته
ولا يعاقبهم بما صنعوا به وان يغمضه عند الموت وانما سال العفو
عن اخوته مع انهم سالوه ان يستغفر لهم فاستغفر لهم وقيل
لان المحب كثير الخوف فخشي ان يتذكر يوسف فعلهم بعد موت
يعقوب فيعاقبهم به فوصاه زيادة في التاكيد والطمانينة و
ان كان الغالب على ظنه ان يوسف لا يفعل كيف وقد اخرج ابن
جرير عن انس بن مالك قال ان الله لما جمع ليعقوب شمله ببنيه
واقر عينه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض الستم قد علمتم ما
صنعتم وما لقي الشيخ منكم وما لقي منكم يوسف قالوا بلى قالوا

فيغفر لكم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام امرهم على ان
اتوا الشيخ وعنده يوسف فقالوا يا ابانا اتيناك في امر لم نأتك
في مثله قط ونزل بنا امر لم ينزل بنا مثله حتى حركوه و قطم
الانبياء ارحم البرية فقال ما لكم يا بني فقالوا الست قد علمت
ما كان منا اليك وما كان منا الى اخينا يوسف قالا بلى
قالوا فلستما قد عفوتما قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغني عنا
شيئا ان كان الله لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا
نريد ان تدعو الله فاذا جاءك الوحي من عند الله بانه قد عفا
عما صنعنا قرت اعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت عين لنا
في الدنيا ابدا قال فقام الشيخ فاستقبل القبلة وقام
يوسف خلف ابيه وقاموا خلفهما اذلة خاشعين فدعا وامن
يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة حتى اذا كان راس العشرين نزل
جبريل على يعقوب عليهما السلام فقال ان الله بعثني ابشرك
بانه قد اجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانه قد
اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة ٥ وفي رواية عن الحسن
ان يعقوب هو الذي طلب من يوسف ان يحدثه عما صنعوا به
فقال يا بني لكم موقف بين يدي الله سبحانه تخافون ان
يسألكم عما صنعتم قالوا يا ابانا قد كان ذلك فاستغفر لنا فامرهم
ان يغتسلوا ويلبسوا ثيابا نظيفة وان يأتوه في السحر فقام

امامهم

امامهم ويوسف خلفه وهم خلف يوسف الى ان طلعت عليهم
الشمس لم تنزل عليهم التوبة ثم اليوم الثاني ثم اليوم الثالث فلما
كانت الليلة الرابعة ناموا فجاءهم يعقوب فقال يا بني نمتم
فقام ع والله عليكم ساخط فقوموا فقاموا عشرين سنة يطلبون الى
الله الحاجة فاوحى الله الى يعقوب اني قد تبت عليهم وقبلت
توبتهم قال يا رب النبوة قال قد اخذت ميثاقهم في النبيين
ي واخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة ان يعقوب دخل مصر وهو ابن
سنة مائة وثلاثين سنة واقام في ملك يوسف ثلاثين وان يوسف
عاش مائة وعشرين وان ابراهيم مائة وخمسة وتسعين واخرج
جماعة عن سلمان الفارسي وغيره ان بين رؤيا يوسف وتأويلها
اربعين سنة وقال الحسن والفضيل ثمانون سنة وقال
ابن جريج سبع وسبعون وفي حديث ان يوسف لبث في
العبودية بضعا وعشرين سنة وقال مجاهد في قوله تعالى وجاء
بكم من البدو قال كانوا اهل بادية وماشية وبلغنا ان بينهم
يومئذ ثمانين فرسخا وقد فارقهم قبل ذلك ببضع وسبعين سنة
وفي قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء انه عظيمة للصابر
على الاذا فقد اخرج ابو الشيخ عن قتادة قال لطف بيوسف و
صنع له حين اخرجه من السجن وجاء باهله من البدو وهو ارض
كنعان وكانوا اهل مواشي وبرية ونزع من قلبه نزغ الشيطان

وتجريته على اخوته انتهى وحينئذ فينبغي لكل من وقع له ابدا
من اخوته او اقاربه او اصدقائه ان يتحمله ويقابله بالصبر الجميل
والعفو والصفح الحسن ويسال الله تعالى ويبتهل اليه ان ينزع من
قلبه الغل لاخوانه وان يلطف به فيما يفعلونه معه فان الله تعالى
يصدق نيته فيقبل منه وينصره عليهم **وتامل قوله** تعالى
وخروا له سجدا التاويل بسجود الكواكب الذي رآه يوسف و
كان السبب فيما فعله اخوته وفيما لقيه يوسف من البلا بادر
المحن لكنه صبر عليهم وقابلهم باجمل الصبر والعفو واكملها حتى حقق
الله تعالى رؤيته ونصره عليهم واذلهم له حتى سجدوا له فقرت عين
يوسف حتى قال لابيه مذكرا له تمام تلك النعمة يا ابت هذا
تاويل رؤياي من قبل وذلك السجود اما حقيقي وهو الانحنا
وعلى كل فالتحية به من شريعتهم واخرج ابن ابي حاتم عن سعد
ابن عبد العزيز ان يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة قال
يا اخوتاه اني لم انتصر من احد ظلمني في الدنيا واني كنت احب ان
اظهر الحسنة واخفي السيئة فذلك زادي في الدنيا يا اخوتاه اني
اشركت ابائي في اعمالهم فاشركوني معهم في قبورهم واخذ عليهم
الميثاق فلم يفعلوا حتى بعث الله تعالى موسى فسال عن قبره فلم يجد
احدا يخبره الا امراة بنت ابن يعقوب فقالت ادلك عليه على ان
اشترط عليك قال ذلك لك قالت اصير شابة كلما كبرت قال ذلك لك

قالت واكون معك في درجتك يوم القيمة فكانه امتنع فامر
ان يمضي لها ذلك ففعل فدلته عليه فاخرجه فكانت كلما كانت
بنت خمسين سنة صارت مثل ابنة ثلاثين سنة حتى عمرت الف
وستمائة او اربع مائة وحتى ادركها سليمان بن داود عليهما الصلاة
والسلام واخرج ابن اسحق وابن ابي حاتم عن عروة ابن الزبير رضي
الله تعالى عنهما قال ان الله حين امر موسى عليه السلام بالسير
ببني اسرائيل امره ان يحتمل معه عظام يوسف وان لا يخلفها بارض
مصر وان يسير بها معه حتى يضعها بالارض المقدسة فسال
موسى عمن يعرف موضع قبره فما وجد الا عجوزا من بني اسرائيل
فقالت يا نبي الله اني اعرف مكانه ان انت اخرجتني معك ولم
تخلفني بارض مصر دللتك عليه قال افعل وقد كان موسى وعد
بني اسرائيل ان يسير بهم اذا طلع القمر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى
يفرغ من امر يوسف ففعل فخرجت به العجوز حتى ارته اياه في
ناحية من النيل في الماء فاستخرجه موسى صندوقا من مرمر
فاحتمله **ومنها واقعة موسى وهرون صلى الله على
نبينا وعليهما وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم**
قال الله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال
بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ
براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني

وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا ولا تجعلني مع القوم
الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك و بغض
انت ارحم الراحمين **وقال تعالى** وما اعجلك عن قومك يا
موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال
فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى قدم
الى قومه غضبان اسفا الى قوله يا هرون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعني افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ظالم
ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي **اشتملت هذه الآيات على الاشارة الى اداب علية**
كثيرة فينبغي لك ان تتاسى بها وتثابر عليها فان فيها الكمال
الاعظم **وبيان شيء من ذلك** ان موسى صلى الله على نبينا
وعليه وسلم لما انجاه الله تعالى من الغرق هو وقومه واهلك فرعون
وقومه سبق قومه وتعجل الى مناجاة ربه فاخبره الله تعالى انهم
افتتنوا بعده بعبادة العجل فرجع اليهم وهو في غاية الغضب
الشديد حتى اذا القى ما جاء به من الواح التوراة فتكسرت ثم اخذ
براس هرون ولحيته يجره اليه عتبا عليه اذ تخلف معهم حين عبدوا
العجل ولم يلحق به فاعتذر اليه هرون بانه اراد ان ينهاهم فا
ستضعفوه وكادوا يقتلونه وبانه خشي ان لحقه وتركهم انهم
يفترقون فيعتب عليه موسى بانه فرق بينهم ولم يلتفت لعذره

ومع

ومع ذلك ترفق هرون لموسى واستنجاه في العفو عنه بذكر
ما بينهما من الامومة الذي هو ارق من رحم الابوة اذ الام ارفق
وارق من الاب **فتامل** حال الكمل تجدهم على غاية من حسن الخلق
كيف وهارون نبي الله تعالى وهو مرسل الى بني اسرائيل كموسى على
الاصح لكن موسى صلى الله عليهما وسلم كان هو صاحب الرسالة
اولا وهو الذي طلب ارسال هرون معه ليكون وزيرا ومعينا
له على بني اسرائيل فلما ظن موسى ان هرون وقع منه ادنى تقصير
بمصاحبته لمن عبدوا غير الله ولم يعتزلهم ولا امتثل امره ولا
نهاهم ادبه بجر لحيته وراسه تاديبا لائقا له اذ للشيخ في ملتنا ان
يؤدب تلامذته بنحو ذلك على ما ذكره بعض الائمة فكيف بجلالة
موسى وفخامته واصالته وهرون بالنسبة اليه كالتلميذ
بالنسبة اليه للشيخ وان كان هارون هو الاكبر سنا **فهذا**
هو المسوغ لموسى ما فعله بهرون **ولما علم** هرون ان موسى
محق فيما فعله لم يسعه الا الاعتذار البالغ ثم خشي ان يشدد
موسى عليه العقوبة وان جره بلحيته وراسه مقدمة لشيء يفعله
به بعد ذلك فترفق له وناشده بالرحم ليترك عذابه **وقدم**
في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان من
قبل الاسلام كان من عادتهم انهم يتناشدون ويستجيرون
بالرحم **وقول** هرون ما ذكر يدل على ان تلك كانت عادتهم ايضا

ولما ناشد هرون موسى برحم الامومة دون رحم الابوة لما مر
سرى عن موسى ما هو فيه من الغضب على هرون فقال رب اغفر لي
ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين فتامل رحمك
الله تعالى وافتح عين بصر بصيرتك الى التاسي بالكمل في مثل هذه
المضايق اما اولا فانظر الى استسلام هرون لموسى واعتذاره و
ان كان هرون محقا في بقائه مع بني اسرائيل لتعلم انه ينبغي
لك ان اخاك اذا حنق عليك اعتذر اليه حتى يرضى خاطره و
ان كنت محقا لان هذا هو الكمال واي الكمال واذا طلب منك
ان تصل من قطعك لا سيما الرحم فاولى ان يطلب منك السعي
في ازالة ما في نفس رحمك عليك اذا ظن منك تقصيرا وان كان لا
تقصير منك اصلا واولى فامر هرون مع كونه محقا العذر لموسى فيما
فعله موسى به وهذا هو شان الكامل ايضا انه يحمل الناس على
المعاذير الحسنة فيلتمس لهم ما وجد لها مساغا وان بعد فان من
كان كذلك لا يتكدر على احد اصلا بل يكون قلبه وسره في
غاية الصفا للناس والرضى عليهم والمعاملة لهم بالحلم والعفو
والصفح والاغضا والاحسان اليهم لما امكنه فكن كذلك لتحوز هذه
الكمالات وتتحلى بهذه المقامات واما ثانيا فانظر الى كرم
موسى وحسن خلقه وسرعة رجوعه عما كان فيه من الغضب الشديد
بمجرد اعتذار هرون اليه وترفقه له فان ذلك الجلال الاعظم الذي

كان

كان موسى متخلقا به عقبه ذلك الجمال الاكبر فدعا لهرون بعد دعا
موسى لنفسه بان يغفر لهما مغفرة تليق بكمالها وبان يدخلهما
في رحمته العظمى اللائقة بكمالها الاعظم ثم استقرب اجابة
دعائه وامل سرعة طلبته بقوله وانت ارحم الراحمين واذ قد
علمت ذلك ففي كل من فعل موسى وهرون ما ينبغي
لك ان تتاسى به وورا ذلك اشارات وكمالات اشتملت عليها
هذه الايات ليس هذا محل بسطها ولنشر الى شي منها من حيث
النقل لننبه به على ما وراء ذلك اخرج سعيد بن منصور و
البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال تعجل موسى الى ربه فقال الله
وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك
رب لترضى قال فراى في ظل العرش رجلا فعجب له فقال من هذا
يا رب قال لا احدثك من هو لكن ساخبرك بثلاث فيه كان لا يحسد
الناس على ما اتاهم الله من فضله ولا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة
وصح عن علي كرم الله تعالى وجهه انه قال لما تعجل موسى الى ربه

عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي بني اسرائيل فضربه عجلا
ثم القى القبضة في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار فقال لهم
السامري هذا الهكم واله موسى فقال لهم هرون يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا فلما ان رجع موسى اخذ براس اخيه فقال له هرون
ما قال من الاعتذار اليه والترفق والترحم له فقال موسى للسامري

هو

ما خطبك فقال قبضت قبضة من اثر الرسول اي من اثر حافر فرس
جبرئيل الذي كان راكبا عليه حتى اغرق فرعون فنبذتها و
كذلك سولت لي نفسي فعمد موسى الى العجل فوضع عليه المبارد
فبردوه بها وهو على شط نهر فما شرب احد من ذلك الماء ممن كان
يعبد ذلك العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما
توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فاخذوا السكاكين فجعل
الرجل يقتل اخاه واباه وابنه ولا يبالي من قتل حتى قتل منهم
سبعون الفا فاوحى الله تعالى الى موسى مرهم فليرفعوا ايديهم فقد
غفرت لمن قتل منهم وتبت على من بقي ٥ وفي اثر عند ابن جرير
ان موسى لما قدم على ربه واعد قومه اربعين ليلة فاخبره الله بانهم
افتتنوا فقال يا رب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون و
نجيتهم من البحر وانعمت عليهم وفعلت بهم قال يا موسى انهم اتخذوا
من بعدك عجلا له خوار قال يا رب فمن جعل فيه الروح قال
انا قال فانت يا رب اضللتهم قال يا موسى يا راس النبيين ويا ابا الا
حكام اني رايت ذلك في قلوبهم فيسرته لهم ٥ وفي حديث
عند ابن مردويه قال الهي من اضلهم قال اضلهم السامري صاغ لهم
العجل قال فمن نفخ فيه الروح حتى صار له خوار قال انا يا
موسى قال فوعزتك ما اضل قومي احد غيرك قال صدقت يا
حكيم الحكماء لا ينبغي لحكيم ان يكون احكم منك واخرج جماعة عن

ابن عباس

يفتنون

فيسرته

ابن عباس ان السامري كان من عبدة البقر وانه امر بني اسرائيل ان
يلقوا ما معهم من الحلي في النار ثم اخذ ترابا من اثر حافر فرس جبرئيل
ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا نبي الله الق ما في يدي قال نعم ولا
يظن هارون الا انه كبعض ما جاء به غيره من ذلك الحلي والامتعة
فقذفه في النار وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاء والفتنة
فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا لم
يحبوا مثله شيئا قط يقول الله تبارك وتعالى فنسي اي ترك ما عليه
من الاسلام يعني السامري فلما راى هرون ما وقعوا فيه قال
يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا
لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن
معه من المسلمين ممن لم يفتتن واقام من يعبد العجل على عبادة العجل
وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين ان يقول له موسى فرقت
بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي وكان له هائبا مطيعا واخرج
ابن جرير عن ابن عباس ان فرعون لما هجم على البحر كان على فرس ادهم
حصان فهاب الحصان البحر فتمثل له جبرئيل على فرس انثى فتبعها
الحصان خلفها وعرف السامري جبرئيل لان امه حين خافت
ان يذبح اطبقت عليه غارا فكان جبرئيل ياتيه فيغذوه باصابعه
في واحدة لبنا وفي الاخرى عسلا وفي اخرى سمنا فحين عرفه
قبض قبضة من اثر حافر فرسه والقي في روعه انك لا تلقيها

وقال ابن عباس من ... معنى فقبضت
ابن ... ذهب ليطلب ... فضل
وهو ... هذا العجل ...

على شيء فتقول كن الا فكان فلم تزل القبضة معه في يده حتى
جاوز البحر فلما جاوزه قال موسى لأخيه هارون اخلفني في
قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ومضى موسى لموعد ربه
وكان مع بني اسرائيل حلي من حلي آل فرعون فكأنهم تأثموا منه
فأخرجوه لتنزل النار فتأكله فلما جمعوه قال السامري بالقبضة
هكذا فقذفها فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار فصار كذلك
يدخل من دبره ويخرج من فيه يسمع له صوت فقال هذا
الهكم واله موسى فعكفوا يعبدونه فقال هارون يا قوم انما
فتنتم به الآية واخرج جماعة عن علي كرم الله تعالى وجهه ما
يخالف ذلك وهو ان جبرئيل لما نزل ليصعد بموسى الى السماء
بصر به السامري فقبض قبضة من اثر الفرس وحمل جبرئيل موسى
خلفه حتى اذا دنى من باب السماء صعد وكتب عز وجل
الالواح وهو يسمع صرير الاقلام في الالواح فلما اخبره ان
قومه فتنوا من بعده نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه واخرج
ابن جرير عن ابن جريج قال امر موسى هارون ان يصلح ولا
يتبع سبيل المفسدين فكان من اصلاحه ان ينكر العجل و
يعتزلهم فلما لم يعتزل قال له موسى عصيت امري وقال
قتادة في قوله اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
قال فذكر الصالحون من قبلكم الفرقة ومعنى لم ترقب قولي

على العجل م

لم تحفظ واخرج كثيرون منهم النسائي عن ابن عباس في قوله
تعالى وفتناك فتونا اثرا طويلا في شرح ذلك الفتون بما
يستوي اكثر ما وقع لموسى من صغره الى وفاته ومنه ان موسى لما
تجاوز البحر هو وقومه انزلهم منزلا ثم قال لهم اطيعوا هارون
فاني قد استخلفته عليكم فاني ذاهب الى ربي وارجع بعد ثلاثين
يوما فصام ثلاثين فشم من فم نفسه خلوفا فتسوك فامره الله
عز وجل بصوم عشرة اخرى ليكلمه وبه الخلوف لان خلوف فم
الصائم اطيب من ريح المسك فلما لم يأتهم موسى بعد الثلاثين
ساءهم ذلك فوقعوا في فتنة العجل فتفرقوا فرقا فرقة كذبوا
به وفرقة صدقوا وفرقة ترددت فأتاهم هارون انهم افتتنوا
به وان ربهم الرحمن فقالوا اما غيب موسى عن ان يرجع الينا
بعد الثلاثين الا انه اخطأ ربه بغلبته وسعه فاخبر الله تعالى
موسى بما وقع لهم رجع غضبان اسفا حزينا شديد الغضب
والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه من الغضب غير انه
عذر اخاه واستغفر له ربه واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس
قال اعطي موسى التوراة في سبعة الواح من زبرجد فيها
تبيان لكل شيء وموعظة فلما جاء بها فرأى بني اسرائيل عكوفا
على عبادة العجل رمى بالتوراة من يده فتحطمت فرفع الله تعالى
منها ستة اسباع وبقي سبع وفي حديث رواه جماعة ان

الالواح كانت من سدر الجنة وان طول كل لوح منها اثني عشر
ذراعا وفي اثار كثيرة ان الالواح كتبها الله بيده والمراد به
تاكيد حرمتها وعظمتها وبيان اعتنائه تعالى بها والا فجل الله
تعالى علوا كبيرا ان يكون له يد وجارحة او جسم او جهة فقدر
ذلك لا سيما قول جميع من السلف لم يمس تعالى شيئا بيده الا ثلاثة
غرس الجنة وخلق ادم وكتابة الالواح فانه محمول على ان تخصيص هذه
لمزيد الاعتناء بها لا غير واخرج احمد وستة اخرون منهم ابن
حبان انه صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله موسى ليس المعاين
كالمخبر اخبره ربه تبارك وتعالى ان قومه فتنوا بعده فلم يلق الالواح
فلما راهم وعاينهم القى الالواح فتكسر منها ما انكسر ومما يعلم
بجلالة الاستمناح ونسبوا وفي هذا الباب ان عايشة سمعت
رجلا يقول ما حاصله لا اخ في الدنيا انفع لاخيه من موسى
لهرون حين سال له النبوة اي فاجيب وبني عقب نبوة
موسى فتامل هذا الاخ ونفعه لاخيه بماذا حيث دعى
الله تعالى ان يشركه معه في نبوته وتاسيه وانفع اخاك بما
قدرت وان جفاك وقطعك ولا تقل كقول من قال

ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * فرق فيك شمله ليجمعك

لان المراد ان هذه الحالة هي الحالة الكاملة اللايقة بصدق

الاخوة وانه لا اخوة حقيقة ينتفع بها الا اذا كان كل من
الاخوين كذلك واما اذا لم يكن كذلك فالاخوة مضيعة
لكن اذا ضيعها غيرك فلا تضيعها انت بل كن ملتبسا باخوة
الحق لجميع اخوانك واقاربك واصدقائك وما عليك منهم
ان كانوا كذلك او لا فان الانسان ليس عليه الا خويصة نفسه
وليس له ان يقول لما فعل هذا غيري فكيف افعله ولا يقول ذلك
ويحتج به الا من غلب عليه هواه حتى ابعده من الهدى والكمال الام
والى القبيح والنقص ارداه واضله شيطانه واغواه واخرج
الحاكم عن وهب قال كان هرون فصيحا بين المنطق يتكلم في
تؤدة ويقول في حلم وعلم وكان اطول من موسى طولا واكبرهما سنا
في السن واكثرهما لحما وابيضهما جسما وكان موسى جعدا ادم
طوالا كانه من رجال شنوءة ولم يبعث الله تعالى نبيا الا وقد كان
عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم
فان شامة النبوة كانت بين كتفيه * ومنها واقعة مسطح
مع ابي بكر رضي الله تعالى عنهما في حديث الافك
المشهور واعلم ان مسطحا هذا هو ابن اثاثة القرشي المطلبي
وامه بنت خالة ابي بكر الصديق كرم الله تعالى وجهه فرباه ابو بكر
يتيما في حجره مع عيال له وكان ينفق عليه وعلى امه ثم استمر على ذلك
الى ان اسلم وشهد بدرا وكان من المهاجرين الاولين فحلف نظرا الى

بكر رضي الله تعالى عنهما **ثم لما وقع** حديث الإفك الآتي خاض
فيه مع من خاض فحينئذ بلغ أبا بكر أن هذا الفعل ورمي سيدة
نساء العالمين بالزنا الذي لا أقبح منه وقع من مسطح مع
قرابته وتربيته له وإحسانه البر وإنفاقه عليه إلى أن كبر ثم
استمر إنفاقه عليه إلى أن خاض في الإفك اغتاظ أبو بكر غيظا
على مسطح فحلف أن لا ينفق عليه ولا ينفعه ولا يصله بدرهم أبدا
ولا يعطف عليه بخير أبدا وأرسل له بذلك ثم طرده وأخرجه من
منزله فأنزل الله تعالى ولا يأتل أي لا يحلف أولوا الفضل منكم
والسعة أي في الرزق أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله هذه الأوصاف كلها في مسطح لأنه قريب أبي
بكر ويتيمه ومسكينه رباه في حجره ومع عياله ومن المهاجرين ألا
وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم
ولما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فقرأها
عليه وقال له يا أبا بكر أما تحب أن الله يغفر لك قال بلى يا
رسول الله قال فاعف عن مسطح وتجاوز فقال أبو بكر نعم لا جرم
والله لا أمنعه معروفا كنت أوليه قبل اليوم فصار أبو بكر رضي
الله تعالى عنه بعد نزول الآية يعطيه ضعفي ما كان يعطيه
قبل ذلك وقال لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا
تحللتها وأتيت الذي هو خير **وفي رواية** أما إذا أنزل القرآن

يأمر

يأمرني فيك لأضاعفن لك روى ذلك كله الطبراني وغيره
وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال
كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة
بالقبيح وأفشوا ذلك وتكلموا فيها فأقسم ناس من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم
بشيء من هذا ولا يصلوه فقال لا يقسم أولوا الفضل منكم و
السعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كا نوا
يفعلون قبل ذلك فأمر الله تعالى أن يغفر لهم وأن يعفى عنهم
وأخرج الطبراني عن ابن عباس في الآية ولا يأتل يريد ولا
يحلف أولوا الفضل منكم والسعة يريد لا يحلف أبو بكر أن
لا ينفق على مسطح أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا فقد جعلت فيكم أبا بكر
الفضل وجعلت عندك السعة والمعرفة بالله فتعطف يا أبا
بكر على مسطح فله قرابة وله هجرة ومسكنة ومشاهد رضيتها
منه يوم بدر ألا تحبون يا أبا بكر أن يغفر الله لكم يريد فاعف
لمسطح والله غفور رحيم يريد فإني غفور لمن أخطأ رحيم بأوليائي
فتأمل أيها الموفق ما في هذه الآية وما في فعله صلى الله عليه
وسلم من الحث الأكيد على صلة الرحم وإن فعل ما فعل لأنه لا
أقبح مما وقع من هؤلاء وهو الخوض في أفضل أمهات المؤمنين

يا أبا بكر

وجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحث الاكيد على صلة
ومع ذلك امر الله تعالى ابا بكر وافاضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم
ان يغفروا لهم هذه الزلة وان يعفوا عنهم ويصفحوا ظاهرهم
وباطنهم وان يصلوا ارحامهم بان لا يقطعوا عنهم معروفا كانوا
يفعلونه معهم قبل ذلك وتامل كونه صلى الله عليه وسلم
عقب نزول الاية دعا ابا بكر وقراها عليه وقال له يا ابا بكر
ان الله يغفر لك الى اخر ما مر آنفا فحثه على المغفرة والعفو و
الصفح وعودته واحسانه الى مسطح وان وقع منه ما وقع وبعد
ان تتامل ذلك تعلم عظيم حق الرحم وصلته وتاكدامره وانه لا
عذر عليه في قطع رحمه مطلقا وان ما يقع من كثير من قطع
ارحامهم انما هو لجفائهم وغباوتهم وجهالتهم بالقران والسنة
وكريم الاخلاق ومحاسن الاداب فاحذر ان تكون من هؤلاء
الهلكى الذين لا يبالي الله تعالى بهم في اي واد هلكوا
ومنها واقعة الاوس والخزرج في قصة الافك
التي رواها الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما **ومنها** ان الناس لما خاضوا في الافك مدة وعائشة لا
تعلم ان من النبي صلى الله عليه وسلم جفوة فلما اخبرت بما الناس فيه
علمت سبب تلك الجفوة فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن
لي ان اذهب الى اهلي قال اذهبي فخرجت حتى اتت اباها فقال

لها

لها ما لك قالت اخرجني رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته
فقال لها ابو بكر اخرجك رسول الله صلى الله عليه وسلم واويك
انا والله لا اويك حتى يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تاويها فقال لها ابو بكر والله ما رمي
قبل لنا هذا في الجاهلية قط فكيف وقد اعزنا الله تعالى بالاسلام
فبكت عائشة رضي الله تعالى عنها وامها ام رومان وابو بكر
وعبد الرحمن وبكى معهم اهل الدار فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه فقال يا ايها
الناس من يعذرني فيمن يؤذيني فقام اليه سعد بن معاذ فسل
سيفه فقال يا رسول الله انا اعذرك منه ان يكن من الاوس اتيتك
براسه وان يكن من الخزرج امرتنا بامرك فيه فقام سعد
ابن عبادة فقال كذبت والله ما تقدر على قتله ان ما طلبتنا
بذحول كانت بيننا وبينكم في الجاهلية فقال هذا قال
الاوس وقال هذا قال الخزرج فاضطربوا بالنعال والحجارة
فتلاطموا فقام اسيد بن حضير فقال فيم الكلام هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامرنا بامره فينفذ عن رغم انف من رغم ونزل
جبريل وهو على المنبر فلما سري عنه تلا عليهم ما نزل به جبريل
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى اخر الايات فصاح
الناس رضينا بما انزل الله وقام بعضهم الى بعض فتلازموا وتناصحوا

اما يحب
صح

سبعه م

لعل الصواب وتضاربوا

٢٠٤

نزل النبي صلى الله عليه وسلم فتأمل رحمك الله تعالى ووفقك
لمرضاته ما وقع بين هؤلاء الأئمة الأكابر الذين هم سادات
الناس وقد وقع بحضرته صلى الله عليه وسلم من أن الشيطان لعنه
الله كاد أن يلقي بينهم فتنة تفنيهم عن آخرهم حيث دس إلى سعد
ابن عبادة سيد الخزرج أن سعد بن معاذ سيد الأوس لم
يقصد بكلامه وانتصاره وقوله وإن يكن من الخزرج أمرتنا
بأمرك فيه إلا الانتقام من الخزرج بسبب الحروب الكثيرة
الشديدة التي كانت بينهم قبل الإسلام حيث قال له إنما طلبتنا
إلى آخره أي لم تقصد إلا الانتقام منا أخذا بثأرك مما كان بيننا
في الجاهلية ثم دس إلى قومه كل أنه قال يقتل صاحبه فحميت بينهم
الفتنة واشتدت فتصايروا وتلاطموا وتحركت عند كلمتا
الفرقتين ما كان من تلك العداوة القديمة حتى كادوا يقتتلون
ويتفانون لولا أن الله تعالى ببركة رسوله صلى الله عليه وسلم أزال
عنهم تلك الوساوس وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم تلك
الآيات التي كانت سببا لتصالحهم وتصافحهم فقاموا فتلازموا
وتصافحوا فكذلك أنت أيها العاقل الموفق الذي له في رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأسوة الحسنى ينبغي لك إذا وقع
بينك وبين رحمك ما دسه الشيطان ووسوسته إليكما حتى كدتما
أن تتقاطعا أن تتذكرا ما وقع لأولئك الأرحام الأقارب من خمود

ذلك

ذلك النيران من قلوبهم ومن سكونهم ورجوعهم إلى رضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الفور وتصالحهم وتصافحهم وقيام
بعضهم لبعض حتى زال الجميع ما في قلوبهم لما امتن الله تعالى عليهم بقوله
تذكيرا لهم واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم
منها وتأمل مزيد اعتناء الله تعالى بصلة الرحم حيث أنزل على
نبيه صلى الله عليه وسلم عند وقوع تلك الفتنة التي كادت أن لا
تبقي منهم أحدا وأن تقطع أرحامهم قطعا لا التئام بعده قوله
تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن
بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي
ما أمر به تعالى من صلة الرحم فإن فاءت فأصلحوا بينهما [بالعدل صح] وأقسطوا
إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين
أخويكم واتقوا الله إن الله تواب رحيم فأمر الله تعالى بالصلح
بين الأقارب إذا ألقى الشيطان اللعين الفتن ولم يقاتل
الباغية حتى تتوب وترجع إلى ما أمر الله تعالى به من الصلح و
التواصل للأرحام ثم كرر تعالى الأمر بالصلح عند رجوعهما
إلى الله تعالى وتوبتهما عن قطيعة الرحم ولم يرض تعالى بمطلق الصلح
بل قيده بكونه بالعدل الذي ليس فيه ميل لأحدهما ثم أمر بالعدل
في كل الأمور وحث عليه بأن الله تعالى يحب الذين يعدلون في

في امورهم ثم زاد تعالى ذلك الحث والامر تاكيدا وحملا عليه
بقوله تعالى انما المؤمنون اخوة اي وشرط الاخوة ان لا يقع
بينهما تقاطع بوجه ابدا فاذا وقع فليبادر من له ادنى فطنة
ودين وامانة الى ازالة ما بينهما من الوحشة لئلا يفسد الشيطان
احوالهما فلا يمكن تداركهما بعد ذلك ثم اكد تعالى بالامر
بالصلح بين الاخوين وبالتقوى فانها راس الامور كلها
وعليها مبناها واليها منتهاها **هذا** مختصر ما يتعلق بهذه
القصة ومعنى هذه الايات على هذه الرواية التي مر حديثها
في قصة الاوس والخزرج المذكورة **وبعد** ان تتامل
هذه القصة وما اشتملت عليه يا اخالك الا انك تتاسى
بما فيها من انه لو وقع بينك وبين ارحامك كما وقع من الشرور
والفتن لا يصدك ذلك عن المبادرة الى الصلح على الوجه الاكمل
حتى لا يبقى عندك ذرة من حقد فان الحقود ليس الا من اعداد
اخوان الشياطين الذين حقت عليهم كلمة الغضب والطرد و
اللعن والهلاك عافانا الله تعالى واياك من ذلك بمنه
وكرمه **تنبيه** قد تكرر على سمعك الاشارة الى قصة
الافك وهي لاشتمالها على ما لا يحصى من العلوم والاداب و
الاخلاق والاحكام والحكم حقيقة بانه تذكر فتستفاد
اعلم ان هذه القصة خرجها الحفاظ في كتبهم البخاري ومسلم

وقبلهما

وقبلهما عبد الرزاق واحمد وعبد بن حميد وسعيد بن
منصور وبعدهما الترمذي وابن المنذر وابن جرير وابن ابي
حاتم والطبراني والبيهقي وابن مردويه **وحاصل ما
يجتمع من روايات هؤلاء عن عائشة وغيرها**
لكن اكثر ما ياتي عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد
سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها صلى
الله عليه وسلم معه فلما اراد غزوة بني المصطلق كما جاء بسند
حسن عن ابي هريرة اقرع بينهن فخرج سهم عائشة فخرجت معه
صلى الله عليه وسلم **وفي رواية** ان القرعة خرجت لام سلمة
ايضا وانها خرجت معه ايضا وكان ذلك بعد ما نزلت اية
الحجاب فكانت تحمل في هودجها الرجال يحملونه ويضعونه
فساروا حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته
تلك واقبلوا راجعين الى قرب المدينة فعرس رسول الله صلى
الله عليه وسلم جوف الليل ثم استيقظ وامر بالرحيل فمشت لقضاء
حاجتها حتى جاوزت الجيش فلما قضت شانها اقبلت الى رحلها
فاذا عقدها اي قلادة **كما في رواية** من جزع ظفاري قد
انقطع فتباطت لالتماسه والاشتغال بالتفتيش عليه وقد
حملت هودجها فحملوه وهم يحسبون انها فيه لحداثة سنها ولان
النساء اذ ذاك كن خفافا لم يثقلهن اللحم انما ياكلن الشيء اليسير

من الطعام فلم يستنكر واخفة الهودج حين رفعوه فساروا
فجاءت فلم تجد احدا فمكثت في محلها لعلمها انهم يرجعون
اليها فغلبتها عيناها فنامت وكان صفوان ابن المعطل ضبرم
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعله على الساقة فجعله و
كان اذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فما سقط منهم من شيء
حمله حتى ياتي به اصحابه فلما مر بها عرفها لانه كان يراها صغيرة
وقبل نزول الحجاب وفي رواية انه ظن انها رجل فقال يا
نومان قم فان الناس قد مضوا فقالت له عائشة اني لست رجلا
انا عائشة قال انا لله وانا اليه راجعون ثم اناخ بعيره ووطي
على يديه وفي رواية فعقل يديه ثم ولى عني فقال يا امه
قومي فاركبي فاذا ركبتني اذنبي فركبت فجاء حتى اخذ العقال ثم بعث
جمله فاخذ بخطام الجمل فما كلمها كلمة حتى اتى بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ما نزلوا موغرين في حر الظهيرة وفي
رواية ان سبب تخلفها ان رحل ام سلمة مال فاناخوا بعيرها
ليصلحوه فقالت عائشة في نفسها اقضي حاجتي واعود قبل
اصلاحه فنزلت من غير ان يشعر بها احد فقضت حاجتها فا
نقطعت قلادتها فاحتبست لجمعها ونظمها فساروا فاتبعتهم حتى
اعيت ثم علمت انهم سيطلبونها فقامت على بعض الطريق الى ان
جاءها صفوان وهذه لا تلائم الرواية الاولى لكن الاولى

اصح واشهر

اصح واشهر ولما اقبل بها الى الجيش وراوها معه هلك فيها
من هلك بخوضه في الافك ورميها بالزنا وكان اول من قال
ذلك وتولى كبره وخطره واشاعه في الناس عبد الله ابن ابي
المنافق اللعين فقال فجر بها ورب الكعبة بريت منه ابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما برئ منها وتبعه على ذلك حسان بن
ثابت الانصاري ومسطح الاتي ذكره وحمنة اخت زينب بنت
جحش ام المؤمنين رضي الله تعالى عنهما وبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم لانه شاع في العسكر فكان في قلبه صلى الله عليه وسلم
الى م حتى رجعوا المدينة واشاع ابن ابي هذا الحديث في المدينة
وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين قدموا المدينة
مرضت عائشة رضي الله تعالى عنها شهرا والناس يفيضون
٢ في قول اصحاب الافك وهي لا تشعر بشيء من ذلك لكن كان يريبها
في وجعها انها لا تعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف
التي كانت تراه منه قبل ان يدخل عليها فيسلم ثم يقول كيف
تيكم ثم يخرج ولما نقهت خرجت ليلا ومعها ام مسطح الى
البراز وكانوا لا يخرجون اليه الا ليلا وذلك قبل ان تتخذ الكنف
قريبا من بيوتهم وكان اولا امرهم امر العرب الاول في الابعاد
رجعتا من في التبرز لتاذيهم بالكنف ان تتخذ عند بيوتهم ولما رجعتا من
البراز عثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت لها

تسمعي

عائشة وبئس ما قلت تسبين رجلا شهد بدرا فقالت اولم
ما قال فاخبرتها بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضها
وفي رواية ان الحمى اخذتها بنافض وخرت مغشيا عليها فلما
رجعت بيتها فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم
ثم قال كيف تيكم فقالت لتأذن لي ان آتي ابوي لتستيقن
الخبر من قبلهما فاذن لها صلى الله عليه وسلم فجاءتهما فسالت
لامها ما يتحدث الناس فقالت هوني عليك فوالله لقلما كانت
امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها
فقالت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا فبكت تلك الليلة
حتى اصبحت لا يرقى لها دمع ولا تكتحل بنوم ودعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب واسامة ابن زيد حين استلبث
الوحي يستامرهما في فراقها فاما اسامة فاشار على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة اهله والذي يعلم لهم في
نفسه من الود فقال يا رسول الله اهلك وما نعلم الا خيرا
واما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها
كثير وان تسال الجارية تصدقك فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شيء يريبك قالت بريرة لا
والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا اغمصه انها جارية
حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فتاكله فصعد

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر مستعذرا من ابن ابي فقال يا
معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني اذاه في اهل
بيتي فوالله ما علمت في اهل بيتي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا
ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي وما سافر
الا وهو معي فقام سعد ابن معاذ سيد الاوس فقال يا رسول
الله انا اعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من
اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فقام سعد ابن عبادة سيد
الخزرج قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن
احتملته الحمية فقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على
قتله فقام اسيد ابن حضير وكان ابن عم سعد ابن معاذ فقال
لسعد ابن عبادة كذبت لعمري والله لنقتلنه فانك منافق
تجادل عن المنافقين فتثاوروا الحيان الاوس والخزرج حتى
هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا
وسكت فلبثت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح
ابواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا اكتحل بنوم ولا يرقا
لي دمع وابواي يظنان ان البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان
عندي وانا ابكي فاستاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها
فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل

يخفضهم



وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني شيء فتشهد فحمد الله حين
جلس ثم قال اما بعد يا عايشة وفي رواية للبخاري
وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لما قام خطيبا على المنبر فتشهد
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد اشيروا علي في اناس
ابنوا اهلي وايم الله ما علمت على اهلي سوءا وابنوهم بمن والله ما
علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتي قط الا وانا حاضر ولا في
سفر الا غاب معي وان ام حسان قالت لسعد بن معاذ كذبت
اما والله ان كانوا من الاوس ما احببنا ان تضرب اعناقهم واخرج
عايشة للبراز وعلمها بما قيل فيها كان في مسا ذلك اليوم وان
ام مسطح عثرت الاولى فقالت تعس مسطح ثم الثانية فقالت
ذلك ثم الثالثة فقالت ذلك فانتهرتها عايشة فقالت والله
ما اسبه الا فيك فقالت في اي شيء شانني فبقرت لها الحديث
اي بينته وانها لما رجعت قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلني الى بيت ابي فارسل معها الغلام فدخلت الدار فوجدت
امها ام رومان في اسفل وابا بكر فوق البيت يقرأ فقالت ام
رومان ما جابك يا بنية فاخبرتها وذكرت لها الحديث واذا
هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني فقالت يا بنية خففي عليك الشان
فانه والله لقل ما كانت امراة حسنا عند رجل يحبها لها ضراير الا
حسدنها وقيل فيها قالت وقد علم به ابي قالت نعم قالت ورسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قالت نعم فاستعبرت وبكت فسمع ابو بكر صوتها
فنزل فقال لامها ما شانها فقالت بلغها الذي ذكر من شانها
ففاضت عيناه وقال اقسمت عليك اي بنية الا رجعت الى بيتك
فرجعت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسال عني
خادمي فقالت لا والله ما علمت عليها عيبا الا انها كانت ترقد
حتى تدخل الشاة فتاكل عجينها او خميرها وانتهرها بعض اصحابه
فقال اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله
ما علمت عليها الا ما يعلم الصايغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ
الامر الى ذلك الرجل الذي قيل له اي وهو صفوان رضي الله عنه
فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف انثى قط اي والحديث
الصحيح ان زوجته شكته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
انه يضربها قالت عايشة فقتل شهيدا في سبيل الله تعالى قالت و
اصبح ابواي عندي فلم يزالا حتى دخل علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنفني ابواي عن
يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد يا
عايشة وفي رواية للطبراني وغيره ان ام مسطح لما ذهبت ومعها
السطل وفيه ما فوقع السطل منها فقالت تعس مسطح فانكرت
عليها فقالت لها انه سابك السبل وانت لا تدري واخبرتها
بالخبر فاخذتها الحمى فتقلص ولم تجد داعيا للتبرز وانها

قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اتأذن لي ان اذهب قال اذهبي
فخرجت حتى اتت اباها فقال ما لك فقالت اخرجني رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بيته قال واخرجك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بيته واويك انا والله لا اويك حتى يأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤويها
فقال لها ابو بكر والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قط فكيف
وقد اعزنا الله تعالى بالاسلام فبكت عائشة وامها ام رومان
وابو بكر وعبد الرحمن اخوها وبكى معهم اهل الدار وبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فذكر ما سبق وهم الحيان الاوس
والخزرج ان يقتتلوا ثم نزلت الايات وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فقاموا وتلازموا وتضالحوا فنزل النبي صلى
الله عليه وسلم وانتظر الوحي في عائشة فبعث الى علي واسامة
ابن زيد وبريرة وكان اذا اراد ان يستشير في امر اهله لم يعد
عليا واسامة بعد موت ابيه زيد وفي رواية لابن مردويه
ان المستشار هو زيد وهي بعيدة جدا فقال لعلي ما تقول
في عائشة فقد اهمني ما قال الناس فقال يا رسول الله
قد قال الناس وقد حل لك طلاقها وقال لاسامة ما تقول انت
قال سبحان الله ما يحل لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا
بهتان عظيم فقال لبريرة وهي جاريتها وكانت حبشية ما

تقولين

تقولين يا بريرة قالت والله يا رسول الله ما علمت على اهلك
الا خيرا وفي رواية والله لعائشة اطيب من طيب الذهب
الا انها امراة تنوم وتنام حتى يجيء الداجن اي الشاة المرباة في
البيت فتاكل عجينها وان كان من شيء من هذا ليخبرك الله تعالى
فخرج صلى الله عليه وسلم حتى اتى منزل ابي بكر فدخل عليها فقال
يا عائشة وفي هذه الرواية بعض مخالفة لما مر والمعول على
تلك الرواية لانها رواية البخاري اما بعد يا عائشة فانه بلغني
عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى وان كنت الممت بذنب
فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب
تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص
دمعها فقالت لابيها اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال و
الله لا ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لامها
اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما ادري ما اقول لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فقلت وانا جارية حديثة
السن لا اقرا كثيرا من القران اني والله لقد علمت انكم سمعتم هذا
الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم و
اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني والله ما اجد لي ولكم
مثلا الا قول ابي يوسف يعقوب فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا يومئذ اعلم

لهام

٢

انى بريئة والله تعالى منزل براءتى ولكن والله ما كنت اظن ان الله
ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان
يتكلم الله تعالى فيّ بامر يتلى وكنت ارجو ان يرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبريني الله تعالى بها قالت فوالله ما
رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج احد من اهل
البيت حتى انزل الله تعالى عليه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء
عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم
شات من ثقل الذي انزل عليه فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سري عنه وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري
يا عايشة فقد براك الله فقالت امي قومي اليه فقلت والله لا
اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي وانزل الله
تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات كلها فلما
انزل الله تعالى هذا في براءتي قال ابو بكر وكان ينفق على
مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد
الذي قال لعايشة فانزل الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم و
السعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين الى قوله رحيم قال ابو بكر
بلى والله اني احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة
التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت
عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب ابنت

جحش

جحش عن امري فقال يا زينب ماذا علمت او رايتي فقالت يا
رسول الله احمي سمعي وبصري ما علمت الا خيرا قالت وهي التي
كانت تساميني من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها
الله تعالى بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فيمن هلك من
اصحاب الافك **وفي رواية** للبخاري ايضا اما بعد يا عايشة
ان كنت قارفت سوءا او ظلمت فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة من
عباده **وقد جاءت** امراة من الانصار فهي جالسة بالباب (قالت حم)
فقلت الا تستحي من هذه المراة ان تذكر شيئا فوعظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالتفت الي فقلت اجبه وفيها انها
قالت لئن قلت لكم اني لم افعل والله يشهد اني لصادقة ما
ذاك بنافعي عندكم ولقد تكلمتم به واشربته قلوبكم وان قلت
اني فعلت والله يعلم اني لم افعل لتقولن قد باءت به على نفسها (واني حم)
والله لا اجد لي ولكم مثلا والتمست اسم يعقوب فلم اقدر عليه
الا ابا يوسف وقال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
وفيها فقال لي ابواي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه
ولا احمده ولا احمدكما ولكن احمد الله الذي انزل براءتي ولقد
سمعتموه فما انكرتموه ولا غيرتموه وكانت عايشة رضي الله تعالى (زينب حم)
عنها الدينها فلم تقل الا خيرا واما اختها حمنة فهلكت فيمن
هلك **وفي اخرى** للطبراني وغيره يا عايشة ان كنت فعلت

هذا الامر فقولي حتى استغفر الله لك فقالت والله لا
استغفر الله منه ابدا ان كنت قد فعلت فلا غفر الله لي وما
احد مثلي ومثلكم الا مثل ابي يوسف وذهب اسم يعقوب من
الاسف قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمها اذ نزل جبريل بالوحي
فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فسري عنه وهو يتبسم فقال
يا عايشة ان الله قد انزل عذرك فقالت بحمد الله لا بحمدك
فتلا عليها سورة النور الى الموضع الذي انتهى خبرها وعذرها
وبراءتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قومي الى البيت فقامت
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فدعى ابا عبيدة
ابن الجراح فجمع الناس ثم تلا عليهم ما انزل الله من البراءة وبعثه الى
عبد الله ابن ابي فجيء به فضربه النبي صلى الله عليه وسلم حدين وبعث
الى حسان ومسطح وحمنة فضربوا ضربا وجيعا ووجيء في
اعناقهم قال ابن عمر رواية ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابن ابي حدين لانه من قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
عليه حدان وفي رواية للبخاري وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله عذرها فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
ابو بكر فدخل فقال يا عايشة ان الله قد انزل عذرك قالت
بحمد الله فقال ابو بكر تقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لا بحمدكم

قالت نعم

٢١٢

بلغ

قالت نعم وفي رواية لابن مردويه عن ابن عباس ان صلى
الله عليه وسلم ارسل ابا بكر الى ابنتها ويبشرها فجاء ابو بكر فاخبرها
بعذرها وما انزل الله فيها فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك
وفي رواية للطبراني وغيره عن عايشة رضي الله عنها قالت انزل
الله تعالى عذري وكادت الامة تهلك في سببي فلما سري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعرج الملك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر اذهب الى ابنتك فاخبرها ان الله قد انزل عذرها
من السماء قالت فاتاني ابي وهو يعدو يكاد ان يعثر فقال
ابشري يا بنية بابي وامي فان الله تعالى قد انزل عذرك قلت
بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك الذي ارسلك ثم دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتناول ذراعي فقلت بيده هكذا فاخذ
ابو بكر النعل ليعلوني به فمنعته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اقسمت عليك ان لا تفعل وصح عنها انها قالت لما رميت
بما رميت به هممت ان آتي قليبا او بيرا فاطرح نفسي فيه وانه لما
نزل عذرها قبل ابو بكر راسها فقالت لا عذرتني فقال اي سما
تظلني واي ارض تقلني ان قلت ما لا اعلم وانها قالت خلال لي
تسع لم تكن لاحد الا ما اتى الله مريم جاء الملك بصورتي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني وانا ابنة سبع سنين و
اهديت اليه وانا ابنة تسع سنين وتزوجني بكرا وكان يأتيه

الوحي وأنا وهو في لحاف واحد وكنت ابنة أحب الناس إليه و
نزلت فيّ آيات من القرآن فكادت الأمة تهلك فيها ورأيت
جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري وقبض في بيتي لم يله أحد غير
الملك إلا أنا وصح أن الوليد ابن عبد الملك سأل الزهري عمن
تولى كبره لإفك منهم علي فقال لا حدثني سعيد ابن المسيب وعروة
ابن الزبير وعلقمة ابن وقاص وعبيد الله بن عتبة ابن مسعود كلهم
سمع عائشة تقول الذي تولى كبره عبد الله بن أبي فقال الوليد
للزهري فما كان جرمه على عند عائشة قال حدثني شيخان من
قومك أي قريش أبو سلمة عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر ابن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام أنهما سمعا عائشة تقول كان مسيئا في
حقي أي لكونه قال يا رسول الله طلقها والنسا سواها كثير وفي
رواية عند ابن أبي شيبة أن سليمان بن يسار دخل على هشام
ابن عبد الملك فقال له يا سليمان الذي تولى كبره من هو قال
عبد الله ابن أبي قال كذبت هو علي قال أمير المؤمنين أعلم بما يقول
فدخل الزهري فقال يا ابن شهاب من الذي تولى كبره فقال ابن
أبي قال كذبت هو علي قال أنا أكذب قال لا أبا لك والله لو
نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت حدثني عروة
وسعيد وعبد الله وعلقمة عن عائشة أن الذي تولى كبره
عبد الله ابن أبي وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عروة أن

عبد الملك

علي

عبد الملك ابن مروان أرسل إليه يسأله عن الذين جاءوا بالإفك فكتب
إليه لم يسم أحد منهم إلا حسان ومسطح وحمنة بنت جحش في
آخرين لا علم لي بهم وأخرج الشيخان وآخرون عن مسروق قال
دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله تعالى عنها فشبب

وقال

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
كناية عن أنها لا تغتاب أحدا فقالت تكلمك أمك لكنك
لست كذلك أي لكونه أكل لحمها بخوضه في الإفك فيها وهي غافلة
قلت مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله تعالى والذي تولى كبره منهم
له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وأخرج ابن جرير
من طريق الشعبي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت ما
سمعت بشيء أحسن من شعر حسان وما تمثلت به إلا رجوت له
الجنة قوله لأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب شعرا

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالدي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفو ... فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره السقاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا إنما اللغو ما قيل
عند النساء قيل أليس الله تعالى يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب

خـ الدلاء

عظيم قالت البس اصابه عذاب عظيم البس قد ذهب بصره وكسع بالسيف يعني النبي ضربها اياه صفوان ابن المعطل حين بلغه عنه انه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد يقتله واخرج عبد ابن حميد عن محمد ابن سيرين قال عنها انها قالت تاذن له وتلقي له الوسادة وتقول لا تقولوا له الا خيرا فانه كان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمي والعمى عذاب عظيم والله قادر على ان يجعل ذلك اي عماه هو العذاب العظيم ويغفر لحسان ويدخله الجنة واخرج ابن سعد انها كانت تاذن له وتدعو له بالوسادة وتقول لا تؤذوا حسانا فانه كان ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه وقال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمي والله قادر على ان ذلك العذاب العظيم عماه وفي هذه الروايات ان حسانا تولى كبره ولا ينافي ما مر انه ابن ابي لان ابن ابي هو الذي اخترعه واشاعه اولا فهو الذي تولى كبره حقيقة وعلى الاطلاق واما حسان فيحتمل انه اول من تولاه بعد ابن ابي باشاعته ونحوها واخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حبان ان مسطحا جاء الى ابي بكر رضي الله تعالى عنهما يعتذر فقال جعلني الله فداك والله الذي انزل القران على محمد ما قذفتها وما تكلمت بشيء مما قيل

كانت ص

لها

لها اي خال وكان ابو بكر خاله اي قريبا له من جهة امه فقال ابو بكر ولكن ضحكت واعجبك الذي قال لعله يكون قد كان بعض ذلك واخرج عن عروة قال ما رايت احدا اعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر من عائشة

ومنها وقائع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع قريش

فان احدا لم يبالغ في قطيعة الرحم كما بالغت قريش في قطيعة رحمه صلى الله عليه وسلم بالاذايات التي لا منتهى لها وبالعزم على قتله وتعدي ذلك منه الى ان قطع سائر قريش رحم بني هاشم والمطلب لاجله صلى الله عليه وسلم لما عانوه ونصروه ووقائعهم في ذلك كثيرة منتشرة ومع ذلك لم يبالغ احد في صلة الرحم كما بالغ صلى الله عليه وسلم في صلة رحمهم والصبر على اذاياتهم ثم لما فحش جاوز الحد وقطع الباطل من عنادهم للرحم وصلتهم لما اذن له صلى الله عليه وسلم في قتالهم بعد ان نهي عنه في نحو ثمانين اية كل ذلك لعلهم يرجعون ويؤمنون به ويصلون الرحم ويرجعون عن قطيعتها فلما لم يزدادوا الا طغيانا وانهماكا في ذلك سلطه الله تعالى عليهم وظفره بهم فاباد هم قتلا وسبيا واسرا الى ان كان يستاصل شافتهم وان يقطع خاوتهم فادركته عليهم شفقة القرابة والرحم فقال لهم يوم فتح مكة وقد صاروا كلهم ظانين انه لم يبق منهم احد ماذا تظنون اني فاعل بكم فقالوا

اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقا وقال لهم قول
لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو ارحم الراحمين فتامل هذا الباب الواسع الذي لا تدرك
منتهاه وتاس بما يلي عليك من احوال نبيك صلى الله عليه وسلم الذي
امرت باتباعه والتاسي به قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة مع اقاربه وارحامه وانهم ما زالوا يقطعونه وهو
يصلهم حتى رجع كثير منهم اليه وصاروا من اعز الناس عليه وحتى
ظفر بمن لم يرجع منهم فورث ديارهم واموالهم ونصره الله تعالى
عليهم النصر البالغ اعلا غايات الظفر والاستيلا **واعلم انك**
اذا ما تاسيت بنبيك في ذلك من وصلتك لرحمك وان بالغوا
في قطيعتك لابد ان يظفرك الله تعالى بهم ويذلهم لك ويجعلك
الظافر بهم المقدم عليهم المستخدم لهم فيما شئت لان من لجا الى الله
تعالى وامتثل امره واذل نفسه له جعل الله سبحانه له فرجا ومن كل
ضيق مخرجا حقق الله تعالى لنا ولك ذلك بمنه وكرمه امين
اعلم ان الله تعالى بين لنا ان الرحم كلما قربت كانت احق
بالمراعاة والاحسان والنصيحة والشفقة والانقاذ من المولم
بهما قدر الانسان عليه من ذلك بل يفعل معهم ذلك لله تعالى قال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مع علمه باذاياتهم له الاذاية التي ما
بعدها اذاية وانذر عشيرتك الاقربين اخرج احمد وعبد بن حميد

وابن المنذر

المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين
دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فقال يا معشر
قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا
يا معشر بني كعب بن لوي انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك
لكم ضرا ولا نفعا يا معشر قصي انقذوا انفسكم من النار فاني
لا املك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بني عبد مناف انقذوا انفسكم
من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بني عبد
المطلب انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا
يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم ضرا
ولا نفعا الا ان لكم رحما وسابلها ببلالها فتامل قوله صلى
الله عليه وسلم الا ان لكم رحما وسابلها ببلالها تعلم ما طبع عليه
صلى الله عليه وسلم من الخلق العظيم فانهم مع ما بلغتهم في قطيعته
بعدهم بجميع ما عنده وهو انه يصل رحمهم ويبالغ في دفع المؤذي
عنهم بما امكنه **وصح** انه لما نزلت الاية قام صلى الله عليه وسلم
فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني
عبد المطلب لا املك من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم
وصح انها لما نزلت انطلق صلى الله عليه وسلم الى صخرة من جبل
فعلى اعلاها حجرا فقال يا بني عبد مناف اني نذير انما مثلي

ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يريد اهله فخشي ان
يسبقوه الى اهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه اتيتم
اتيتم وفي رواية انهم اجتمعوا اليه فحذرهم وانذرهم ثم قال
لا املك لكم من الله شيئا وفي اخرى انه صاح على ابي قبيس يا آل
عبد مناف اني نذير فجاءته قريش فحذرهم وانذرهم وفي
اخرى انها لما نزلت بكا صلى الله عليه وسلم ثم جمع اهله فقال
يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا
انفسكم من النار يا بني هاشم ثم التفت الى فاطمة فقال يا فاطمة
بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا اغني عنك من الله
شيئا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها وصح ايضا عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين
ورهطك منهم المخلصين خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد
على الصفا فهتف يا صاحباه فقالوا من هذا الذي يهتف
قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج
ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء عمه ابو لهب وقريش فقال ارايتكم
لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي
قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم
الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت ساعيه

وخسرت ذاته فصار في ذاته وصفاته وسائر احواله خاسرا
خسرانا لا خسران بعده لانه قطع رحم ابن اخيه وما جاء به
وبارزه من بين قريش كلهم بالاساءة والشتم والاستهانة
بحقه فلاجل ذلك تولى الله تعالى نصر نبيه فاجاب عمه اللعين
بنظير ما فرط منه وكفاه زيادة في تقبيحه والتسجيل عليه بانه
اشتعلت فيه نار القطيعة حتى صيرته الى النار الحقيقية المكني
عنها بقوله ابي لهب فتفطن ما تفيد النكتة تعظم فكيف كني
هذا الكافر اللعين واخرج عبد بن حميد عن عكرمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بني هاشم ويا صفية عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اغني عنكم من الله شيئا اياكم
ان ياتيني الناس يحملون الاخرة وانتم تحملون الدنيا وانكم
تردون الحوض ذات اليمين وذات الشمال فيقول القائل
منكم يا رسول الله انا فلان بن فلان فاعرف الحسب وانكر
الوصف فاياكم ان ياتي احدكم يوم القيامة وهو يحمل على ظهره فرسا
ذات حمحمة او بعيرا له رغاء او شاة تعار او يحمل قشفا فيختلجون
من دوني ويقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاطيبوا
نفسا واياكم ان ترجعوا القهقرى من بعدي قال عكرمة انما
قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول حين انزل الله
تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخرج الطبراني وابن مردويه عن

عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت وانذر عشيرتك
الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني هاشم فاجلسهم
على الباب وجمع نساءه واهله فاجلسهم في البيت ثم اطلع عليهم
فقال يا بني هاشم اشتروا انفسكم من الله فاني لا املك لكم من الله
شيئا ثم اقبل على اهل بيته فقال يا عائشة بنت ابي بكر ويا
حفصة بنت عمر ويا ام سلمة ويا فاطمة بنت محمد ويا ام الزبير
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتروا انفسكم من الله و
اسعوا في فكاك رقابكم فاني لا املك لكم من الله شيئا ولا
اغني عنكم يا عائشة فقالت وهل يكون ذلك يوم لا يغني عنا
شيئا قال نعم في ثلاثة مواطن يقول الله ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة الآيتين فعند ذلك لا اغني عنكم من الله
شيئا وعند النور من شاء الله اتم نوره ومن شاء اكبه في الظلمات
فيغمه فيها فلا املك لكم من الله شيئا ولا اغني من الله شيئا
وعند الصراط من شاء سلمه ومن شاء اجازه ومن شاء كبكبه
في النار قالت عائشة قد علمنا الموازين هي الكفتان وقد علمنا
ما النور وما الظلمة فما الصراط قال طريق بين الجنة والنار
يجوز عليها وهو الناس مثل حد الموسى والملائكة صافين يمينا الناس صح
وشمالا يخطفونهم بالكلاليب مثل شوك السعدان وهم يقولون
رب سلم سلم وافئدتهم هواء فمن شاء سلمه ومن شاء كبكبه فيها

وظاهر

وظاهر سياق هذه الرواية ان الآية نزلت بالمدينة وصريح
الآيات الاول وما ياتي انها نزلت بمكة **ويجاب** بان نزولها
بمكة لكنه صلى الله عليه وسلم كما جمعهم بمكة عقب نزولها جمعهم
بالمدينة تذكيرا لمن كان من جمعهم اولا وتبليغا لمن لم يكن
جمعهم **واخرج** ابن اسحاق وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه
وابو نعيم والبيهقي من طرق عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت
هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك
الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان
الله تعالى امرني ان انذر عشيرتك الاقربين فضقت بذلك
ذرعا وعرفت اني مهما اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت
عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد انك ان لم تفعل
ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لي طعاما من طعام اي بر و
اجعل عليه رجل شاة واجعل لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني
عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغ ما امرت به ففعلت ما امرني به
ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او
ينقصون فيهم اعمامه ابو طالب والحمزة والعباس وابو لهب فلما
اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعته لهم فجئته به
فلما وضعته تناول النبي صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم
فنتفها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال كلوا باسم

الله فاكلوا القوم حتى نهلوا عنه ما نرى الا آثار اصابعهم والله
ان كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال
اسق القوم يا علي فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا و
ايم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما اراد النبي صلى الله عليه
وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم
فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال
يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فانصرفوا
قبل ان اكلمهم فعد لنا مثل الذي صنعت بالامس من الطعام و
الشراب ثم اجمعهم لي ففعلت ثم جمعتهم فدعاني بالطعام فقربته
ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا حتى نهلوا ثم تكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم
شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير
الدنيا والآخرة وقد امرني الله تعالى ان ادعوكم اليه فايكم
يوازرني على امري هذا فقلت وانا احدثهم سنا انا فقام القوم
يضحكون وفي رواية انه قال لهم يا بني عبد المطلب اني انا النذير
النذير اليكم من الله والبشير قد جئتكم بما لم يجئ به احد جئتكم
بالدنيا والآخرة فاسلموا تسلموا واطيعوا تهتدوا واخرج ابو
يعلى عن الزبير رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت الآية صاح رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ابي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير فجاءته

قريش

قريش فحذرهم وانذرهم فقالوا تزعم انك نبي يوحى اليك و
ان سليمان سخرت له الريح والجبال وان موسى سخر له البحر وان
عيسى كان يحيي الموتى فادع الله ان يسير لنا هذه الجبال ويفجر
لنا انهارا فنتخذها محارث فنزرع وناكل والا فادع الله ان
يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا والا فادع الله ان يصير لنا
هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة
الشتاء والصيف فانك تزعم انك كهيئتهم فبينا نحن حوله اذ نزل
عليه سماة الوحي فلما سري عنه قال والذي نفسي بيده لقد
اعطاني ما سألتم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا
في باب الرحمة فيؤمن منكم من يؤمن وبين ان يكلكم الى ما
اخترتم لانفسكم فضلوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم واخبرني
ان اعطاكم ذلك ثم كفرتم ان يعذبكم عذابا لا يعذبه احدا من
العالمين فنزلت وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب
بها الاولون ثم قرا ثلاث آيات ونزل ولو ان قرآنا سيرت به
الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى واخرج الديلمي
وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الواحد الدمشقي قال
رايت ابا الدرداء يحدث الناس ويفتيهم وولده واهل بيته
جلوس في جانب يتحدثون فقيل له يا ابا الدرداء ما بال الناس
يرغبون فيما عندك من العلم واهل بيتك جلوس لاهين فقال

والديلمي



اني سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ازهد الناس في الانبياء
واشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما انزل الله وانذر عشيرتك
الاقربين الى اخر الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ازهد الناس في العالم اهله حتى يفارقهم وانه يشفع في اهل
داره وجيرانه فاذا مات خلى عنهم من مردة الشياطين اكثر من
عدد ربيعة ومضر قد كانوا مشتغلين به فاكثروا التعوذ بالله
منهم واخرج ابن عساكر عن محمد بن حمادة ان كعبا لقي ابا مسلم
الخولاني فقال كيف كرامتك على قومك قال اني عليهم لكريم قال
اني لاجد في التورية انه لم يكن حليم في قوم الا كان ازهدهم
فيه قومه ثم الاقرب فالاقرب فان كان في حسبه شيء عيروه
به وان كان عمل برهة من دهره ذنبا عيروه به واخرج البيهقي
في المدخل عن كعب انه قال لابي مسلم كيف تجد قومك لك قال
مكرمين مطيعين قال ما صدقتني التورية اذا ما كان رجل
حليم في قوم الا بغوا عليه وحسدوه واخرج ابن جرير وابن المنذر
عن ابن جريج قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين بدا
باهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وتامل هذا فانه
يوقفك الى المبالغة في صلة الرحم ويحذرك من قطعها او تعلم
بانه لا فائدة للقرب الصوري مع البعد المعنوي الناشي عن

المقاطعة والمنافرة والمخالفة وانما المدار على القرب المعنوي
الناشي عن عظيم المودة والموافقة والطواعية لمن يستحق
ذلك من الاجانب فكيف بالاقارب الا ترى ان قريشا لما خالفوا
وقطعوا رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بالغتهم في
اذيتهم قال لهم الله تعالى في حقهم وانذر عشيرتك الاقربين اي
توعدهم بالعذاب العظيم وخوفهم عن ان يقع بهم فانهم فعلوا
موجبه من المقاطعة والمخالفة وان المؤمنين لما وصلوا واطاعوا
قال الله تعالى في حقهم واخفض جناحك للمؤمنين وشتان ما
بين الانذار وخفض الجناح فالمدار اذن على قرب القلوب لا على
الاقرب الانساب فانه لا ينفع الا ان وجد قرب القلوب والا لم
يفد القرب النسبي شيئا بل قطعه سببا لا عظم النكال وابلغ الخزي
والضلال صاننا الله واياك من ذلك بمنه وكرمه امين واذ قد
علمت هذا نذكر لك خلاصة من انواع الظفر التي ظفره الله تعالى
بهم ونصره عليهم **النوع الاول** اخرج البخاري وابن المنذر
وابن مردويه عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني
باشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن
ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه
في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه

عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فإن يك كاذبا فعليه
كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا
يهدي من هو مسرف كذاب رافعا صوته بذلك وعيناه يسجان
حتى أرسلوه ۝ وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى والنسائي في
الكبرى ورواته ثقات عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال
ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوما واحدا
ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي عند المقام فقام عقبة بن أبي معيط ثم جذبه حتى
وجبا أي سقط لركبتيه وتصايح الناس وظنوا أنه مقتول فأقبل
أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ورائه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم يصلي فلما قضى
صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال يا معشر قريش
أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح وأشار بيده
إلى حلقه فقال له أبو جهل يا محمد ما كنت جهولا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنت منهم ۝ وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك
قال قد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام
أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله قالوا من

هذا

هذام

هذا قالوا ابن أبي قحافة وأخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه
من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما نحوه وأخرج
البزار وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن علي كرم الله وجهه
أنه قال يا أيها الناس أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم
فمن قال أبو بكر لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته
قريش فهذا يجثه وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذي جعلت
الآلهة إلها واحدا قال فوالله ما دنا أحد منا إلا أبو بكر يضرب
هذا ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون
رجلا أن يقول ربي الله فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال
أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال
ألا تجيبوني فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل
فرعون ذلك رجل كتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه النوع
الثاني ما أشار الله تعالى في سورة حم السجدة بقوله عز
قائلا وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته وهوم
فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وكان إذا أخفى قراءته لم يسمع
من يحب أن يسمع القرآن فأنزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا

تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا واخرج عنه ايضا في قوله
والغوا فيه قال عيبوه واخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن
مجاهد في قوله تعالى والغوا فيه بالمكاء والتصفير والتخليط
في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرئ القران قريش
تفعله واخرج عبد بن حميد عن قتادة والغوا فيه قال تقولوا
اجحدوا به وانكروه وعادوه وما اشار اليه تعالى في قوله اذا
فقد صح عن جابر بن عبد الله قال اجتمع قريش يوما
فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فلياتي هذا الرجل
الذي قد فرق جماعتنا وامرنا وعاب ديننا فليكلمه و
لينظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة قالوا
انت يا ابا الوليد فاتاه فقال يا محمد انت خير ام عبد الله انت
خير ام عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي
انت عبت وان كنت تزعم انك خير منهم حتى نسمع قولك اما
والله ما راينا سخلة قط اشأم على قومك منك فرقت جماعتنا
وشتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار
فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر
الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف يا
ايها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك من اموالنا

حتى

حتى تكون اغنى قريش رجلا واحدا وان كان انما بك الباه
فاختر اي نساء قريش شئت فنزوجك عشرا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته حتى بلغ فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة
حسبك حسبك ما عندك غير هذا قال لا فرجع الى قريش
فقالوا ما وراك قال ما تركت شيئا ارى انكم تكلمونه به الا كلمته
قالوا فهل اجابك قال والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا
مما قال غير ذكر الصاعقة • واخرج ابن اسحق وابن المنذر و
البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن محمد بن كعب القرظي قال
حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا حليما قال ذات
يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى هذا فاكلمه
فاعرض عليه امورا لعله يقبل منها بعضا ويكف عنا قالوا يا
ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه من
المال والملك وغير ذلك حتى اذا فرغ عتبة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد فقال نعم قال فاسمع مني قال
افعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فلما سمعها
عتبة انصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع
منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد
فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد قال سمعت قال فانت وذاك
فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم
ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا
ما وراءك يا ابا الوليد قال والله اني سمعت قولا ما سمعت بمثله
قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة والله ليكونن
لقوله الذي سمعت نبأ ه وفي رواية لابي نعيم والبيهقي
انه قال يا قوم اطيعوني في هذا اليوم واعصوني بعده فو
الله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت اذناي قط
كلاما مثله وما دريت ما ارد عليه ه واخرج البيهقي في
الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى
عنهما قال قال ابو جهل والملأ من قريش لقد انتشر علينا
امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالسحر والكهانة والشعر يكلمه
ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة لقد سمعت قول السحر والكهانة
والشعر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه
فلما اتاه قال له عتبة يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد

المطلب

في هاشم

المطلب انت خير ام عبد الله فلم يجبه قال فيم تشتم آلهتنا
وتضلل آباءنا فان كنت انما بك الرياسة عقدنا الويتنا لك
فكنت رأسنا ما بقيت وان كان الباءة زوجناك عشر نسوة
تختار من اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك من
اموالنا ما تستغني به انت وعقبك من بعدك ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
آياته قرآنا عربيا فقرأ حتى بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فا عادٍ ح
مسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف عنه ولم يخرج
الى اهله واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما
نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة
اصابته انطلقوا بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل يا عتبة ما واسرهم
حسبنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك امره فان كان
بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد
فغضب فاقسم بالله لا يكلم محمدا ابدا وقال لقد علمتم اني اكثر من من م
قريش مالا ولكني اتيته فقص عليهم القصة فاجابني بشيء
والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن
الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا
حتى بلغ انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت

بنفسه وناشدته الرحم فكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا
لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وفي رواية عبد الله
بن عساكر ان عتبة قال لهم دعوني اكلمه فاني عسى ان اكون
ارفق به فقام حتى جلس اليه فقال يا ابن اخي انك اوسطنا نسبا
وافضلنا مكانا وقد ادخلت على قومك ما لم يدخل رجل على قومه
فان كنت تطلب بهذا الحديث مالا وذكر نحو ما مر ثم قال وان
كان هذا عن لمم اي جنون يصيبك لا تقدر على النزوع منه
بذلنا لك خزائننا نعذر في طلب الطب لذلك منك وان كنت
تريد ملكا ملكناك وفيها انه قرا عليه حم السجدة حتى مر
بالسجدة فسجد وعتبة ملق يده خلف ظهره حتى فرغ من قراءتها
وقام عتبة لا يدري ما يراجعه به واته فقالوا لهم قد كلمته بالذي
امرتموني به حتى اذا فرغت كلمني بكلام لا والله ما سمعت اذناي
بمثله قط فما دريت ما اقول يا معشر قريش اطيعوني اليوم و
اعصوني فيما بعده اتركوا الرجل واعتزلوه فوالله ما هو بتارك
ما هو عليه وخلوا بينه وبين سائر العرب فان يظهر عليهم
يكن شرفه شرفكم وعزه عزكم وملكه ملككم وان يظهروا
عليه تكونوا قد كفيتموه بغيركم قالوا اصابك السحر يا ابا الوليد
فتامل انهم لما علموا صدقه صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه
انه توعدهم بنزول صاعقة عليهم تستاصلهم عن اخرهم لقطعهم

لرحمهم

لدمر

لرحمهم كما استاصلت عادا وثمود لما قطعوا ارحامهم وكفروا بهود
وصالح صلى الله على نبينا وعليهما وسلم الذين هما من جلدتهم فحينئذ
ناشدوه بالرحم واقسموا عليه بها ليمسكن عن هذا التوعد
الذي لا شك عندهم في وقوعه ان سكتوا عنه نعلم ان الرحم
كان لها عندهم ولا سيما في الجاهلية امر خطير جدا ولذلك لما
بالغوا في قطعها علموا ان تلك الصاعقة تنزل عليهم مستاصلة
لهم جزاء بما ارتكبوه من قطيعة الرحم التي تواصاها حتى
اولئك الكفار لكنهم لما عدموا التوفيق قطعوها في حب اهويتهم
الفاسدة واراءهم الباطلة فاستحقوا ان يستاصلهم الله تعالى
بالقتل تارة والسبي اخرى حتى لم يبق فيهم يوم فتح مكة الا مسلم
او مسالم ومن اراءهم الكاذبة المموهة قولهم لما قرئ عليهم صلى
الله عليه وسلم القران قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر اي صمم عن سماع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب وقد
جاء عن عمر رضي الله تعالى عنه ان قريشا اقبلت الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لهم ما يمنعكم من الاسلام فتسودوا العرب
فقالوا يا محمد ما نفقه ما تقول ولا نسمعه وان على قلوبنا
لغلفا واخذ ابو جهل ثوبا فمده فيما بينه وبين النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم

خ في حب

ادعوكم الى خصلتين شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فولوا على ادبارهم نفورا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب وقال بعضهم لبعض امشوا واصبروا على
الهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا
الا اختلاق اانزل عليه الذكر من بيننا وهبط جبريل فقال
يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك الم يزعم هؤلاء
ان على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا فليس يسمعون
قولك كيف واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم
نفورا لو كان كما زعموا لم ينفروا ولكنهم كاذبون يسمعون ولا
ينتفعون بذلك كراهية له فلما كان من الغد اقبل منهم سبعون
رجلا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اعرض علينا
الاسلام فلما عرض عليهم الاسلام اسلموا عن اخرهم فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله بالامس تزعمون ان على قلوبكم
غلفا وقلوبكم في اكنة مما ندعوكم اليه وفي اذانكم وقرا واصبحتم
اليوم مسلمين فقالوا يا رسول الله والله كذبنا بالامس لو كان
كذلك ما اهتدينا ابدا ولكن الله الصادق والعباد الكاذبون
وهو الغني ونحن الفقراء

النوع الثالث

قوله تعالى واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين جاء عن ابن عباس بسند حسن قال

تشاورت

تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم اذا اصبح محمد فاثبتوه
بالوثاق وقال بعضهم اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فا
طلع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبات علي بن
ابي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
الليلة حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون
انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه فلما راوا عليا
رد الله تعالى مكرهم فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فا
قتصوا اثره فلما بلغوا الجبل فاختلط عليهم فصعدوا في الجبل
فمروا بالغار فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هنا
لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا واعلم انه
صلى الله عليه وسلم لما ارسله الله تعالى الى قومه مكث ثلاث سنين
وهم لا يتعرضون له ولا لمن اسلم معه حتى امره الله تعالى ان يصدع
بما يؤمر اي يتكلم جهارا بالدعوة الى الله تعالى ثم ذكر الهتهم وعابها
وسفه احلامهم كل ذلك في سنة اربع فاجمعوا على عداوته و
اذايته وبالغوا في ذلك فرق عليهم عمه ابو طالب ومنعه وقام
دونه فاشتد الامر فتضاربت القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة
واتفقت قريش على ضعفاء المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن
دينهم حتى مر عدو الله اللعين ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر
وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها وكان الصديق رضي

الله تعالى عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه منهم و
اعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة واخرون جملتهم سبعة انفر
منهم وكان ممن جملة عذابهم انهم يلبسونهم ادراع الحديد ويصهرونهم
في الشمس وكانوا يعطون بلالا وفي رقبته حبل لولدانهم فيطوفون
به مكة ويقول احد احد ولو شفى الله تعالى قلب بلال من معذبه
اللعين امية بن خلف فان عبد الرحمن بن عوف اسره يوم بدر
لاخوة كانت بينهما في الجاهلية فلما راه بلال معه صاح باعلا
صوته يا انصار الله راس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجى
فضربوه باسيافهم حتى قتلوه ومنع الله تعالى رسوله بعمه ابي
طالب وبني هاشم الا ابا لهب وبني المطلب فاجتمعوا بابي طالب يريدون
بنبي الله صلى الله عليه وسلم سوءا فمنعهم واغلظ عليهم وايسهم من
ذلك ولعزته في قريش ممن ذكرهم ولما كان يطوف على الناس في
منازلهم يدعوهم الى عبادة الله تعالى وحده وكان عمه ابو لهب
يدور وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين
ابائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قوم على ذلك و
رموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على
راسه ووطئ عقبة ابن ابي معيط كما ياتي على رقبته الشريفة وهو
ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا
شديدا كما مر وروى البخاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يصلي

بلغ

يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظروا
الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها و
دمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه و
ثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم الى
بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة رضي الله تعالى عنها
وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلوة قال اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة
ابن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد ابن عتبة وامية ابن
خلف وعقبة ابن ابي معيط وعمارة ابن الوليد قال عبد الله
فوالله لقد رايتهم صرعى ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة ومراد
عبد الله ان اكثرهم قتل يوم بدر وجر الى بيرها فطرح فيها لان
عمارة ابن الوليد منهم لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات
بارض الحبشة وله قصة مع النجاشي فانه تعرض لامرأته
فامر ساحرا فنفخ في احليل عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وصار
مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر وعقبة ابن ابي معيط لم
يطرح في القليب وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا عن بدر الى
الصفرا واخيه ابن خلف لم يطرح في القليب وقوله ثم قال رسول

ع
٢ الله

الله صلى الله عليه وسلم واتبع اهل القليب لعنة ظاهر السياق فانه قال
بعد ذلك الدعا فيكون فيه علم عظيم من اعلام نبوته صلى الله عليه
وسلم واستمراره في صلوته يحتمل انه لم يعلم انها نجاسة ويحتمل ان الصلاة
نافلة فلذا لم ينقل انه اعادها على ان النجاسة انما حرمت في الصلاة
والحاصل انها واقعة فعلية وهي تسقط بالاحتمال ثم في
سنة خمس اذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة و
كانوا احدى عشر او اثنى عشر رجلا وفيهم اربع نسوة وقيل خمس
وقيل ثنتان اولهم عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم
ولما استقروا بالحبشة ارسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن
ابي ربيعة بتحف وهدايا الى النجاشي ليردهم اليهم فابى ذلك وردهما
خائبين بهديتهما ثم في سنة ست اسلم حمزة عمه صلى الله عليه وسلم
وكان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة بعد عمر ابن الخطاب
رضي الله تعالى عنهما بثلاثة ايام فقربهما صلى الله عليه وسلم وكف عنه
قريش قليلا ومن ثم لما قالوا له ان كنت تطلب الشرف فينا سودناك
او الملك ملكناك وان كان الذي ياتيك رئيا بذلنا لك اموالنا في
طبك قال لهم ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل
علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا
والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم

ولما رات قريش عزته صلى الله عليه وسلم باصحابه لانهم
كانوا وقت اسلام حمزة بضعة واحدى واربعين رجلا واحد
عشر امراة وعزة الصحابة بالحبشة وفشا الاسلام في القبائل
اجمعوا على ان يقتلوه صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك ابا طالب فجمع
بني هاشم وبني المطلب وامرهم ان يدخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم
ويمنعوه ممن اراد قتله فاجابوه لذلك حتى كفارهم حمية وانتصارا
للرحم فلما رات قريش ذلك اجتمعوا واجتمع رايهم على ان يكتبوا كتابا
يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا
ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا
ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه
في صحيفة بخط منصور ابن عكرمة فشلت يده لمبالغته في
قطيعة الرحم وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم
سنة سبع فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا
معه في شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين
او ثلاثا ثم جهدوا وكان لا يصل اليهم شي الا سرا حتى كانت
قريش يسمعون صياح صغارهم من شدة الجوع فلا يرقون لهم بشي
من طعام كل ذلك مبالغة في قطيعة رحمهم وقرابتهم بل قصدوا انهم
لو ماتوا عن اخرهم بذلك الشعب ما اغاثوهم بكسرة خبز ولا شربة ما
وقرا صلى الله عليه وسلم سورة النجم فالقى الشيطان في اسماعهم انه

معدم
سقم

بمدح آلهتهم فلما سجد آخرها سجد المشركون كلهم وفشي اسلامهم
حتى بارض الحبشة فاقبل بها سراعا ثم لما تبين للمشركين خلاف ما
توهموه من مدح آلهتهم رجعوا الى اشد ما كانوا عليه من العداوة و
المقاطعة فهاجر المسلمون الهجرة الثانية الى الحبشة وهم نحو ثلاثة
وثمانين رجلا واثنى عشر امراة وخرج ابو بكر رضي الله عنه مهاجرا
الى ارض الحبشة فبلغ برك الغماد وهي مدينة الحبشة ثم رجع في
جوار ابن الدغنة بعد بره بكلمه فابتنى بفنا بابها مسجدا فكان
يصلي فيه ويقرا القران فخشيت قريش ان يفتن ضعفائهم فسالوا ابن
الدغنة انه يخفي صلوته وقراته في داره والا فليرد اليك ذمتك
فذكر له فرد اليه جواره ورضي بجوار الله تعالى ثم قام رجال في نقض
تلك الصحيفة فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطلعه
الله عليها بان الارضة اكلت جميع ما فيها الا اسم الله تعالى فانزلوها
فراوها كما اخبر ثم في السنة العاشرة مات عمه ابو طالب مشركا بعد
ان قرب من الاسلام وانما تركه خوف العار كما عرف وهو بذلك وفيه
قول انه مات مسلما لكن الاحاديث الصحيحة ترده منها ان العباس قال
يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل
ينفعه ذلك قال نعم وجدته في النار فاخرجته الى ضحضاح
وصح ايضا انه يجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منها
دماغه قيل سبب ذلك انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته
الارض

الا انه

الا انه كان مثبتا لقدمه على عبد المطلب حتى كان آخر ما تكلم به عند
الموت ان قال انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه
خاصة لتثبيته اياهما على ملة ابائه ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة ايام
ماتت خديجة قيل ولاجل ذلك كان صلى الله عليه وسلم يسمي
ذلك عام الحزن ثم بعد ايام تزوج سودة بنت زمعة ثم بعد
ثلاثة اشهر من موت خديجة خرج صلى الله عليه وسلم اواخر شوال
لما نال منه من قريش الى الطائف ماشيا ومعه مولاه زيد فاقام به شهرا
يدعو اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه بل اغروا به سفهائهم
وعبيدهم يسبونه ويرجمون عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه
أدم
بالدما وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه
بعضديه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه
بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي البخاري ومسلم
عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان
اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن
عبد كلال اي وهم بتحتيتين بينهما لام مكسورة وبضم الكاف من
اشراف ثقيف فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي
فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب وهو ميقات اهل نجد المشهور
فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل

فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك و
قد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال
فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال
وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من
اصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا وكان جملة دعائه عز وجل صح
صلى الله عليه وسلم لما بلغ اهل الطائف في اذيته اللهم اليك
اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين
انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو
بعيد يتجهمني او صديق قريب كلفته امري ان لم تكن غضبانا علي
فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت
به الظلمات واصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك
او يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله
اورده ابن اسحق ورواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر رضي الله
تعالى عنه قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم
ماشيا الى الطائف فدعاهم فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى
ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره وقوله يتجهمني بالجيم قبل الهاء
اي يلقاني بغلظة وجه كريه قال ابن سعد وكانت مدة اقامته
صلى الله عليه وسلم بالطائف عشرة ايام ولا ينافيه ما مر انه اقام بها

شهرا

شهرا لامكان الجمع بان العشرة في نفس الطائف والعشرين فيما
حواليها وطريقها ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف مر
في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما فلما رايا
ما لقي تحركت لهما رحمهما فبعثا له مع نصراني لهما قطف عنب فلما وضع
صلى الله عليه وسلم يده على القطف قال بسم الله ثم اكل فنظر النصراني
الى وجهه فقال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلد
فقال له صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك قال
نصراني من نينوى فقال صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح
يونس بن متى فقال وما يدريك قال ذلك اخي وهو نبي مثلي فا كب
النصراني على يديه ورجليه يقبلهما واسلم ولما بلغ صلى الله عليه
وسلم وادي نخلة المشهور اليوم بالمضيق صرف اليه سبعة من
الجن من جن نصيبين مدينة بالشام فقام صلى الله عليه
وسلم يصلي من جوف الليل فاستمعوا له وهو يقرا سورة الجن وفي
الصحيح ان الذي اذن صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة
وانهم لما سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في
يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفي هذا رد
على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب ونظر الحافظ ابن كثير في
استماعهم لقراءته وهو بنخلة كان في رجوعه من الطائف بان الذي
تقتضيه الاحاديث انه كان ذلك قبل ذلك ويجاب بانه

لامانع من تكرر استماعهم له ولو في سورة واحدة ثم دخل
صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم ابن عدي فاسري به في
شهر ربيع الاول ففرضت عليه الخمس وفي وقت الاسرا خلاف
طويل وتناقض تصحيح النووي فصحح مرة انه سنة خمس من المبعث
واحتج بانه لاخلاف انها صلت بعد الخمس وانها توفيت قبل
الهجرة اما بثلاث واما بخمس وان فرض الخمس كان ليلة الاسرا
واعترض بان الصحيح ان موتها سنة عشر قبل فرض الخمس وادعى
ابن حزم الاجماع على ان موتها كان قبل الهجرة بسنة وجزم في
الروضة بانه في شوال قبل الهجرة بسنة واشهر وفي فتاويه بانه
كان ثالث عشر ربيع الاخر وفي شرح مسلم بانه كان في ربيع
الاول وقال ابن دحية الى انه ليلة الاثنين ليوافق المولد والمبعث
والهجرة والوفاة ولما اراد الله سبحانه وتعالى اعزاز نبيه صلى الله عليه
وسلم واظهار دينه وانجاز موعده له خرج صلى الله عليه وسلم
في الموسم يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم
فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الانصار فقال لهم من انتم
قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا
معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القران
فاجابوه وامنوا به لان اليهود اسست عندهم بعثته فعرفوه به
وكانوا ستة فقال لهم صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى ابلغ

رسالت

رسالة ربي فاعلموا انهم قريبوا عهد بحرب بين الاوس والخزرج وانهم
يذهبون الى المدينة يدعون الناس ثم يعودون العام القابل
فوافقهم وهؤلاء يسمون اهل العقبة الاولى فلما كان العام
المقبل لقيه منهم اثنى عشر رجلا فيهم خمسة من اولئك الستة و
البقية من الخزرج ايضا الا رجلين فمن الاوس ابا الهيثم ابن
التيهان وعويم ابن ساعدة فاسلموا وبايعوه وهؤلاء يسمون اهل
العقبة الثانية ثم رجعوا المدينة فاظهر الله تعالى الاسلام الحرم
بها وكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم وكانوا اربعين يجمع بهم سعد بن
زرارة ابعث الينا من يقرينا القران فبعث اليهم مصعب بن عمير
فاسلم على يديه خلق كثير من الانصار منهم سيد الاوس سعد بن
معاذ وابن عمه اسيد بن حضير وتبعهما في يوم واحد جميع بني
عبد الاشهل قبيلتهما الرجال والنسا الا واحدا تاخر اسلامه
ولم يكن فيهم منافق ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة
الثالثة اوسط ايام التشريق منهم نحو سبعين رجلا فاسلموا
وبايعوه على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وكان على
حرب الاحمر والاسود فنقب عليهم اثنى عشر نقيبا وكان ذلك ليلا
سرا وصح عند الحاكم وغيره اقام صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع
الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول من يؤويني من ينصرني
حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعثنا الله تعالى من يثرب لدم

فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب وتمنعوني
مما تمنعون منه نساءكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة الحديث
وحضر العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه العقبة
متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب ثم
امر صلى الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا و
اقام بمكة ينتظر ان يؤذن له ولم يبق معه الا القليل منهم علي
وابو بكر رضي الله تعالى عنهما فاستاذنه ابو بكر في الهجرة فقال لا
تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع ان يكون هو ثم
لما علمت قريش بما صار للصحابة من العزة والمنعة بالمدينة
اجتمعوا ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي لمنعهم اهلها من
الدخول فيهم ليمكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة دار شوريهم
لكونها دار قصي يتشاورون فيما ما لهم يصنعون في امره صلى الله
عليه وسلم فاجتمع رايهم على قتله وتفرقوا على ذلك فاتاه جبريل
فقال لا تبيتن هذه الليلة على فراشك فلما جاء الليل اجتمعوا
على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فامر صلى الله عليه وسلم
عليا ان ينام مكانه ففعل وغطى ببرد اخضر فكان اول من باع
نفسه لله تعالى ثم خرج صلى الله عليه وسلم وهم جلوس على بابه
فاخذ الله ابصارهم فلم يره احد منهم بل اخذ كفا من تراب فوضع
على راس كل منهم شيئا اشارة الى غاية ذلتهم وخيبتهم وهو يتلو قوله

وكان يومئذ على دين قومهم

تعالى

تعالى يس الى فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف عنهم صلى الله عليه وسلم
فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هاهنا قالوا محمدا
قال قد خيبكم الله والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا
الا وضع على راسه ترابا وانطلق الى حاجته افلا ترون ما بكم
فوضع كل رجل يده على راسه فاذا عليه تراب وصح انه ما اصاب
رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل
قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ثم اذن الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة فخرج يوم الخميس بعد العقبة الثالثة
بنحو شهرين ونصف فاقام في الغار ليلة الجمعة وتاليتيها وخرج
اثنا ليلة الاثنين من الغار الى المدينة وكانت مدة اقامته بمكة من
حين النبوة الى الهجرة نحو ثلاث عشرة سنة وعند ارادة الخروج
امره جبريل ان يستصحب ابا بكر فامر عليا ان يتخلف ليؤدي للناس
ما كان عنده من ودائعهم ثم قدم الى بيت ابي بكر في نحر الظهيرة
متقنعا فاستاذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي
بكر اخرج من عندك اي لاخبرك بسر هو الاذن لي في الهجرة فقال
ابو بكر بابي انت وامي يا رسول الله انما هم اهلك اي عائشة لانه نكحها
قبل ذلك ولم يدخل فقال صلى الله عليه وسلم قد اذن لي في الخروج
فقال ابو بكر الصحبة فقال نعم فقال الخذ احدى راحلتي قال بل

نحو

بالثمن اي لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله فتكون على اكمل الاحوال
قالت عايشة فجهزناه احب الجهاز اي اسرعه ثم لحقا بغار ثور
وصح انه حين خرج وقف على الحزورة فراى الكعبة فقال والله
انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان
اهلك اخرجوني منك ما خرجت ولعل هذا قبل مجيئهم الى بيت
ابي بكر لانهما على ما روي خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته الى
الغار ولما فقدته قريش ارسلوا خلفه في كل جهة فوجد من
ذهب قبل ثور اثره فتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وكبر عليهم خروجه
وازداد جزعهم لذلك حتى جعلوا لمن يرده مائة ناقة وجاء انه
صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار انبت الله عز وجل على بابه شجرة ام
غيلان فحجبته عن اعينهم وامر الله تعالى العنكبوت فنسجت على وجه
الغار وارسل الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار
ايضا وباضتا عليه وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين وان
ذلك مما صد المشركين لانهم لما جاؤوا قالوا لو دخله احد لانكسر
البيض ولفسخ نسج العنكبوت وصح ان ابا بكر قال يا رسول الله
لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له صلى الله عليه وسلم
ما ظنك باثنين الله ثالثهما ثم اشتد خوفه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا فانزل الله
تعالى سكينته عليه اي طمانينته سكن بها ما بصدر ابي بكر وايده

اي النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها اي يحرسون الغار وجاء
ان ابا بكر وجد فيه جحرا فالقمه عقبه وفاتر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعلت الحيات والافاعي يلسعنه ودموعه تتحدر وكان
صلى الله عليه وسلم نايما على ركبته فصار بعض دموعه على الوجه الكريم
فقال ما لك يا ابا بكر فقال لسعت فداك ابي وامي فتفل صلى الله
عليه وسلم عليه فبرئ ثم بعد ثلاث ليال كوامل وقيل بضعة عشر يوما
خرج الى المدينة على طريق سواحل البحر ووقع في طريقه خوارق
ليس هذا محل بسطها ولما سمع المسلمون بخروجه صاروا يخرجون كل
يوم لتلقيه فما يردهم الا حر الظهيرة فانقلبوا يوما وصعد يهودي
على اطم عال فراهما فنادى باعلا صوته هذا جدكم اي حظكم و
مطلوبكم يا بني قيلة اي الاوس والخزرج قد ظهر فخرجوا اليه سراعا
باسلحتهم فتلقوه فنزل بقبا وذلك يوم الاثنين ثاني عشر
ربيع الاول على خلاف طويل فيه وجزم بذلك في الروضة و
اقام بقبا اثنين وعشرين يوما ووصل اليه علي كرم الله وجهه
بعد مقدمه بثلاثة ايام وامر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ حينئذ
من الهجرة ثم ركب صلى الله عليه وسلم على راحلته متوجها الى المدينة
وكلما مر على دار من دور الانصار دعوه لانفسهم فيقول خلوا
سبيلها يعني ناقته فانها مامورة وقد ارخى زمامها وما يحركها
وهي تنظر يمينا وشمالا حتى بركت على موضع باب المسجد ثم ثارت

وهو صلى الله عليه وسلم عليها فبركت بباب ابي ايوب الانصاري من بني
النجار افضل دور الانصار واخوال جده صلى الله عليه وسلم عبد
المطلب ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول والقت باطن عنقها
بالارض وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم
فاحتمل ابو ايوب رحله وانزله بيته فاقام عنده سبعة اشهر ثم
اشترى محل مسجده بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر ثم بناه باللبن
وسقفه بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وجعل فيه موضعا
مظللا سمي بالصفة لياوي فيه فقراء اصحابه فسموا اهل الصفة ثم بنا
بيوتا الى جنبه ثم تحول اليها وكان قد ارسل مولاه زيدا ومولاه
ابا رافع فقدما بعياله وعيال ابي بكر قال ثم نصب احبار اليهود
العداوة والبغضا بغيا وحسدا بعد ان كانوا قبل مبعثه ومقدمه
يظهرون بالايمان به ويقرون بنبوته وعلاماتها فسحره منهم
لبيد ابن الاصم وجعل سحره في مشط ومشاطة وجف طلع ودفنه
في بير ذي اروان واكثر المحدثين يقولون ذروان تحت راعوفة
البير كما في الصحيح فمكث صلى الله عليه وسلم يخيل له انه فعل الشي وما
فعله لكن في الامور العادية صونا لغيرها ان يتطرق اليها دخل
واثر فيه السحر لانه من جملة البلايا المسلطة على الكمل واستمر
كذلك سنة حتى ارسل الله تعالى اليه ملكين في نومه فاخبراه
بمحله فذهب اليه واخرجه منها ومسخ ما تلك البير حتى صار

كنقاعة

كنقاعة الحنا وطلع النخل الذي حولها صار كرؤس الشياطين
وانزل الله تعالى المعوذتين حافظتين من كل سوء نفصد له
بعد وانضاف الى اليهود جماعة من الانصار منافقون فاظهروا الاسلام
تقية وراسهم عبد الله ابن ابي اللعين فكانوا يبالغون في اذايته
صلى الله عليه وسلم وهو يتحمل كلما جا منهم بل يصلهم ويعاملهم
في الظاهر معاملة المسلمين وقد قيل له الا تقتلهم فقال
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ثم اذن الله تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم بالقتال بقوله تعالى اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا اي في القتال انهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير و
حكمة ذلك انهم كانوا بمكة قليلين لا يطيقون جهاد اهلها
فلما كثروا بالمدينة وغزوا وقويت شوكة الاسلام واشتدت
شكيمته وصارت المدينة واهلها ملجا شرع الله تعالى لهم جهاد
اعدائهم فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا وقاتل
هو واصحابه حتى دخل الناس في دين الله افواجا وعدد مغازيه
التي خرج فيها بنفسه سبع وعشرون قاتل في تسع منها
بنفسه منها بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة و
خيبر وفتح مكة وحنين والطايف واذ قد فرغنا من ذكر
خلاصة انواع الايذا التي وصلت اليه من قومه
فلنذكر خلاصة الانواع التي ظفر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم

حتى م

عليه م

افواجا م

صلى الله عليه وسلم م



كلهم كل ذلك اعزازا لك ايها الموفق الطالب للكمال الهارب من
النقص واستايز على تحمل اذايات ارحامك ما استطعت والقصر
عليها وان بلغت منك مبلغا تعجز القوي البشرية من حيث طبعها
عن ان تحمله وان الله تعالى يعوضك عن ذلك من الصبر على من بغى عليك
والظفر به ما لم يكن لك في حساب حتى ترى من عجيب لطفه وافضاله
وجوده عليك العجب العجاب فالق لكل ما تلي عليك سمعا واول
ذلك الى سر اسرارك وتحلى بطر بباطنك وظاهرك لا تسمع الالفاظ
ومبانيها من غير تخلل معانيها فان ذلك ينزلك اسفل السافلين
ويلحقك بالهالكين منعنا الله واياك من كل سوء ونقص بمنه
وكرمه امين ٥ النوع الاول سرية امير المومنين عبد الله بن
جحش في رجب على راس سبعة عشر شهرا من الهجرة
ووقع قبلها سرايا اخر ليس فيها قتال ولا غنيمة خرج عبد الله
ومعه ثمانية من المهاجرين الى نخلة المشهور بالمضيق كامن يرصد
قريشا فمرت بهم عيرهم تحمل زبيبا وادما من الطائف وفيها عمرو بن
الحضرمي فتشاور المسلمون لانهم كانوا اخر يوم من رجب فخشوا
فواتهم فقتلوا عمرو واستاسروا اثنين وهرب البقية واستاقوا
العير فكانت اول غنيمة في الاسلام فقسمها ابن جحش وعزل الخمس
في ذلك قبل ان يفرض فقيل بل قدموا بها النبي صلى الله عليه وسلم فاخرها
الى غنيمة بدر فقسمها معها وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدما

بكرم

واخذ

واخذ المال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى ردا عليهم يسئلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال وبعث اليه في فداء الاسيرين
فقبل فداهما فاحدهما اسلم واقام ثم مات شهيدا ببير معونة و
الاخر ذهب الى مكة فمات بها كافرا ٥ النوع الثاني غزوة
بدر الكبرى وهي الفرقان التي اعز الله تعالى فيها
الاسلام واهله ودمغ فيها الشرك وادحض محله
فهي اعظم غزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره وبلوغه الغاية
في العزة والاحكام هذا مع قلة عدد المسلمين وعدتهم وكثرة
العدو واعدتهم وموانع الحديد والخيول المسومة ومن ثم قال
تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وكان خروجه صلى الله عليه
وسلم باصحابه لثنتي عشرة خلت من رمضان السنة الثانية و
انقضاؤها لتسع عشرة خلت من رمضان وعدتهم ثلثماية وخمسة
والحق بهم ثمانية منهم عثمان لم يشهدوها فعدوا منهم وضرب لهم
بسهم ومعهم ثلاثة افراس ليس لهم غيرها وسبعون بعيرا وعدة
المشركين الف ومعهم ماية فرس وسبعماية بعير ولم يقصد صلى الله
عليه وسلم واصحابه قتالا بل اخذ عير قريش التي قدم بها ابو
سفيان في ثلاثين راكبا من الشام باموال عظيمة لقريش الى قرب
بدر فاذ سمع ابو سفيان ذلك ارسل لقريش يستنفرهم
فخرج اشرافهم الا ابا لهب فلما بلغ صلى الله عليه وسلم الروحا

أتاه الخبر بمسير قريش في ذلك العدد والعدة فاستشار أصحابه
صلى الله عليه وسلم في طلب العير وحرب النفير وقال إن الله و
عدكم إحدى الطائفتين وكانت العير أحب إليهم فقام أبو بكر رضي الله
عنه فقال فأحسن وكذا عمر وكذا المقداد ثم قام سعد بن معاذ
ووقع في مسلم سعد بن عبادة واعترض فحرض على غزو العدو وكان
من جملة كلامه والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن
نلقى عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله تعالى
يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثم قال أبشروا فإن الله
قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع
القوم هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا وههنا فما
تنحى أحدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم ثم رحل صلى الله عليه
وسلم فرأوا المشركين قد سبقوهم إلى الماء ببدر فأحرزوه فعطش المسلمون
وجاء الشيطان لكثير منهم يوسوس فأرسل الله تعالى
عليهم مطرا حتى سال منه الوادي وكانوا على كثيب أهيل فثبتت أقدامهم
وطابت نفوسهم وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه
ثم خرج عتبة ابن ربيعة ينهى عن القتال فقال يا قوم إني أرى قوما
مستميتين لا تصلون إليهم يا قوم اعصبوا برأسي وقولوا جبن عتبة

٢٣٤

وقد علمتم أني لست بأجبنكم فسمعه أبو جهل فقال لقد ملئت رئتك
وجوفك رعبا فقال له عتبة إياي تعني يا مصفر استه ستعلم رماه
بالأبنة وإنه كان يزعفر استه وقيل كان به برص فكان
يصبغه بالزعفران وقيل غير ذلك ولعل الكل كان باللعين فإنه حقيق
بكل ذم وعيب فعليه لعنة الله سيعلم اليوم من الجبن ثم برز عتبة
بين أخيه شيبة وابنه الوليد ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية
من الأنصار فلم يرضوا بهم وطلبوا أكفاءهم من قومهم فأمر صلى الله
عليه وسلم ابن عمه عبيدة ابن الحارث وعمه حمزة وابن عمه عليا رضي الله
تعالى عنهم فقالوا أكفاء كرام ووقع في تمييز هؤلاء لأولئك
خلاف وأصح الروايات أن حمزة بارز عتبة وعليا بارز
شيبة وعبيدة بارز الوليد والمشهور الذي بارز الوليد هو
علي ورجح بأنه شاب مثله بخلاف الأخوين فإنهما شيخان و
كالأولين فأقبل حمزة إلى عتبة فقتله وعلي إلى شيبة فقتله
واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل الآخر ثم مال
حمزة وعلي على الوليد فقتلاه واحتملا عبيدة ثم تزاحف
الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه أبو بكر لا
غير يناشد ربه ما وعده من النصر لما غلب عليه من مقام الخوف ومن
لا يعبد الله في الأرض بعد ذلك اليوم وهذا من هذه الجهة
أكمل من مقام الرجا الآتي بكثير ووعده بالنصر لم يكن معينا في

ايتنا الاجبن م

فلما عرفوهم م

تلك الوقعة وابو بكر كرم الله وجهه يحفض عليه ويقول بان
الله منجز له ما وعده ولما غلب عليه من مقام الرجا ثم اخذته
صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال
ابشر يا ابا بكر هذا جبرئيل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش
وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر ثم لما التقى الجمعان اخذ
صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به وجوههم وقال شاهت
الوجوه اي قبحت وخسرت فلم يبق بشر الا دخل في عينيه ومنخريه
فيها شيء وقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش واسر من
اسر من اشرافهم قال جماعة وهذا الرمي هو المراد من قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي اذ رميك لا يبلغ هذا المبلغ
عادة فالذي منك مبدا الرمي ومنا ايصاله **ومن ذلك**
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فبين تعالى الاسباب والاعتداد
بها في الظاهر دون الحقيقة وانه تعالى هو الفاعل حقيقة لا غيره
فانه مع اخذ الجبرية من الاية سلب الافعال عن العباد بالكلية
على انهم يلزمهم بطلان سائر التكاليف في الشريعة من اصلها لكن
هولاء لا عقول لهم فليسطو عنان البحث عنهم وامد الله المومنين من
الملائكة بالف في صور الرجال يقاتلون معهم ثم صاروا ثلاثة الاف
ثم صاروا خمسة الاف ولما راهم ابليس وكان جاء في جند من الشيطان
معه رايته في صورة بعض من يعرفونه وقال لهم لا غالب لكم اليوم من

الناس واني جار لكم وكانت يده في يد رجل منهم انتزعها ثم نكص
على عقبيه وقال اني ارى ما لا ترون **وروي** ان بعض الملائكة
كان على خيل بلق وثيابهم وعمائمهم بيض قد ارخوا اطرافها بين
اكتافهم وان عمائمهم سود وانها صفر ولا مانع ان عمائمهم سود و
انها صفر ولا مانع ان عمائمهم اختلفت ولم تقاتل الملائكة
الا يوم بدر وصح في مسلم عن سعد ابن ابي وقاص رايت يوم
احد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله رجلين
عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبرئيل وميكائيل
يقاتلان كاشد القتال وبقية المواطن يحضرون ولا يقاتلون
واشرف مشركان على بدر لينظران الوقعة لينتهبا فدنت منهما
سحابة فسمعا منها حمحمة الخيل وقائلا يقول اقدم حيزوم وهو
اسم فرس جبرئيل فانكشف قناع قلب احدهما فمات مكانه
وصح عن بعض الانصار لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير
الى المشرك بسيفه فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه
السيف وحينئذ فحكمة قتالهم مع قدرة جبرئيل مثلا على اهلاك
الكل في لحظة واحدة بريشة من جناحه ارادة نسبة الفعل
الى النبي صلى الله عليه وسلم والى اصحابه في الظاهر وان الملائكة مجرد
مدد على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي اجراها
الله تعالى في عباده والله تعالى فاعل الجميع ومن جملة معجزاته صلى الله

عليه وسلم التي ظهرت يوم بدر ان عكاشة انقطع سيفه فاتاه بنبي
فاعطاه جزلا من حطب وقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا
طويل القامة شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به حتى انهزموا
كان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد
مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده وان معاذ بن
عمرو جاءه يحمل يده اذ لم تبق معلقة الا بالجلد من ضربة من
عكرمة فبصق صلى الله عليه وسلم فالتصقت وعاش بها صحيحة
الى من عثمان وامر صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين فطرحوا في
القليب الا امية ابن خلف فانه انتفخ في درعه فستروه بالتراب
والحجارة قرب القليب ثم وقف صلى الله عليه وسلم وناداهم
توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة باسمائهم هل وجدتم ما وعدكم
الله ورسوله حقا فانا وجدت ما وعدني الله حقا وزاد
بعضهم بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس وقال صلى
الله عليه وسلم لاصحابه ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا
يستطيعون ان يردوا جوابا وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى
اي سماعا بانفعالهم وقاتل ابي جهل عبد الله بن مسعود لانه
فرآه قد صرع وهو يذب الناس بسيفه فقال الحمد لله الذي
اخزاك الله يا عدو الله وقال ما هو الا رجل قتله قومه فجعل
يضربه بسيفه وهو لا يصنع شيئا حتى اصاب يده فسقط سيفه

فاخذه

٢٣٦

فاخذه فضربه حتى قتله ثم جاء مبشرا للنبي صلى الله عليه وسلم به فقال آلله
الله الذي لا اله الا هو قال الله اكبر الحمد لله الذي صدق و
عده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال انطلق فارنيه
فانطلق فاراه فقال الحمد لله الذي اخزاك الله يا عدو الله اقتلت
فرعون هذه الامة وجملة من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة
عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ستة من الخزرج و
اثنان من الاوس وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون
افضلهم العباس وابنا اخويه عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث
وقيل للعباس كيف اسرك ابو اليسر وهو ذميم ولو شئت لجعلته في
كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني كالخندمة من الجبل
المشهور بمكة وفي رواية رجالها ثقات جاء رجل من الانصار
قصير بالعباس اسيرا فقال العباس يا رسول الله ان هذا ما اسرني
اسرني رجل افلح من احسن الناس وجها على فرس ابلق ما اراه في
القوم فقال الانصاري انا اسرته يا رسول الله فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسكت لقد ايدك الله برجل كريم وولي عمر
وثاق الاسير فشد وثاقه فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
ياخذه النوم فبلغ ذلك الانصار فحلوا وثاقه رضا له صلى الله
عليه وسلم وسالوه ان يتركوا فداءه فلم يجبهم فاستشار الناس في
الاسارى فاجاب انصاري بحرقهم وعمر بضرب اعناقهم ثم بعد

والله صح

العباس فان

الأخرى والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه وابو بكر يقول
الفدا فرضي صلى الله عليه وسلم وقبله منهم فانزل الله تعالى
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم الاية قال صلى الله عليه وسلم
يا عباس افد نفسك وابني اخيك وحليفك فقال اني كنت مسلما
ولكن استكرهوني قال الله اعلم ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا
وامره صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه بمائة اوقية من ذهب
وعقيلا بثمانين وما ذكر انه كان مسلما سرا قبل ذلك هو ما
عليه علماء التاريخ ولذا جاء انه صلى الله عليه وسلم قال من
لقي العباس فلا يقتله بعد ان رجع لمكة اراد الهجرة فكتب اليه صلى
الله عليه وسلم ان مقامك بمكة خير لك اي لاجل انه كان يكتب
اخبار المشركين اليه صلى الله عليه وسلم وقيل انما اسلم ببدر لانه
خرج بعشرين اوقية ذهبا ليطعم بها المشركين فذهبت منه في
الحرب فسال النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسبها من فدائه فابى
وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك قال
تركتني اتكفف قريشا قال فاين الذهب الذي دفعته الى ام
الفضل وقت خروجك من مكة فقال وما يدريك قال اخبرني
ربي فاسلم حينئذ وقيل اسلم قبل فتح خيبر وعلى كل لم يظهر
اسلامه الا في وقت الفتح فانه خرج لملاقاة النبي صلى الله عليه
وسلم بالابواء واستمر معه وبه ختمت الهجرة وكان فراغه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم من بدر اول يوم من شوال فبعث زيد مولاه الى المدينة
بشيرا وكان من جملة الاسرا اللعين عقبة ابن ابي معيط فقتل
صبرا وجاء مرسلا عن الشعبي قال لما كان يوم بدر اتي
بعقبة ابن ابي معيط اسيرا فقال صلى الله عليه وسلم اتقتلني من بين
قريش قال نعم ثم اقبل على اصحابه فقال ان هذا اتاني وانا
ساجد فوطي على عنقي فوالله ما رفعها حتى ظننت ان عيناي
ستنقعان واتى بسلا جزور فالقاه على ظهري حتى جاءت فاطمة
فاماطته عني ثم امر عند انصرافه من بدر عاصم ابن ثابت وهو
جد عاصم بن عمر ابن الخطاب بقتله فقتله صبرا ثم اقبل صلى
الله عليه وسلم قافلا الى المدينة ومعه الاسارى فلما خرج
من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين وامر عليا بالصفراء
بقتل النضر ابن الحارث فقتله فانشدت بنته قتيلة

٭ ابياتا تحسرا وتعطفا شعرا ٭

ابا راكبا ان الاثيل مظنة ٭ ما ان تزال بها الركائب تخفق
فليسمعن النضر ان ناديته ٭ ان كان يسمع ميت او ينطق
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه ٭ لله ارحام هنالك تشقق
امحمد ولانت نجل نجيبة ٭ في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ٭ من الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية فلنأتين ٭ باعز ما يغلو لديك وينفق

صبرًا ام

فالنضر اقرب ما اصيب وسيلة م واحقهم ان كان عتق يعتق
اخرج ابو الفرج في الاغاني عن عمر بن شبة قال بلغنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو سمعت هذا قبل ان اقتله ما قتلته
وقال الواقدي اسلمت قتيلة يوم الفتح ولما انشدته هذه
الابيات قال صلى الله عليه وسلم لو سمعتها لعفوت عنه ولا نقتل
قرشيا بعدها صبرا ورينا في هذا الاخير انه صلى الله عليه وسلم لما
خرج اثر المشركين عقب وقعة احد ظفر بمعاوية بن المغيرة بن ابي
العاص فامر بضرب عنقه صبرا فتامل كونه صلى الله عليه وسلم
رثى لما انشدته الرحم بقولها لله ارحام هنالك تشقق وعطف لهام
عليها بقوله لو سمعت بهذا قبل ان اقتله ما قتلته ولعفوت عنه
تعلم ان الرحم توجب عظيم العطف وان كثرت الجنايات وعظمت اذ
ابوها النضر كان من جملة رؤوس الكفر والدعاة اليه والمبالغين
في اذاية النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به ومع ذلك
لما ذكرت له ما بين النضر من الرحم رق وهش وذكر انه لو سمع
ذلك وهو حي ما قتله كل ذلك لما كان للرحم عنده صلى الله عليه بنيه و م
وسلم عظيم القدر وواجب الرعاية الواجب على الامة اتباعه في
ذلك فانه السعادة التي لا نهاية لها وفقنا الله تعالى لرعايتها
بمنه وكرمه امين ه والانثيل بضم ففتح للمثلثة موضع قبر النضر
والمظنة المنزل المعلم وخامسة اي ليلة خامسة من منذ

التسير

التسير الى الانثيل ومفعول بلغ الثاني تحية وتخفق تضطرب
وظلت الى اخره تخبر منها لما جرى على ابيها انه بذ صارت سيوف
اخوانه تنتنا وله بعد ما كانت تذب عنه قالت كالمتعطفة
والمتعجبة لله ارحام وقرابات في ذلك المكان قطعت
ولام لله للتعجب وكانوا اذا عظموا شيئا نسبوه اليه تفخيما
لامره ومحمد منادى نون للضرورة ومعرق لانت الى انت
كريما الابوين يقال هو عرق في الكرم اذا كان متناهيا
والمدعوله قولها ما كان البنت وما استفهامية ونافية
وربت للتقليل والمغيظ اسم مفعول من غيظ وكذا المحنق
من احنق والوسيلة القرابة وكان تامة ويعتق اي بان
يعتق فحذف الباء اي هو احقهم ان وقع عتق بان يعتق
اسارى ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى
بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال استوصوا بهم خيرا
ولما قدم ابو سفيان بن الحارث عم النبي صلى الله عليه وسلم
من بدر لمكة سأله عمه ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا
ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا
ويأسروننا كيف شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا
رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا تقوم لها
شيء فقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

غلاما للعباس والله تلك الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب
وجهه فقامت زوجة العباس ام الفضل الى عمود فضربت
به راس ابي لهب وقالت استضعفته ان غاب سيده فما عاش
اللعين الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة وهي قرحة
تتشاءم بها العرب تزعم انها تعدي اشد العدو فتباعدت عنه
بنوه حتى قتله الله القوي وبقي بعد موته ثلاثا لا يقرب احد
جيفته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له خ اصل السبة
في موضع بعيد بداره ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة
من بعيد حتى واروه وما يظن ان المحل الذي بين الزاهر وباب
شبيكة المشهور عند العامة بقبر ابي لهب هو قبره لا اصل له
وانما هو قبر اللعين القرمطي الذي فعل بمكة الافاعيل

النوع الثالث غزوة بني قينقاع احد فرق يهود المدينة الثلاثة هم وقريظة والنضير

وسببها انهم بعد نحو شهر من وقعة بدر نقضوا عهده صلى الله عليه وسلم
ان لا يحاربوه ولا يتألبوا عليه بقتلهم مسلما فسار اليهم صلى الله
عليه وسلم فحاصرهم خمسة عشر ليلة وقذف الله تعالى في قلوبهم
الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له المال
ولهم الذرية والنساء ثم امر صلى الله عليه وسلم بتكتيفهم فالح
عليهم حليفهم اللعين المنافق ابن ابي حتى ترك قتلهم وامر

باخراجهم فلحقوا باذرعات الشام ٥ **النوع الرابع قتل كعب بن الاشرف وذلك بعد خمس وعشرين شهرا من الهجرة**
لما قال صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ سيد
الاوس ابعث لكعب بن الاشرف من يقتله **وفي رواية** من لكعب
ابن الاشرف فاني من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا و
هجائنا وقد خرج الى قريش فجمعهم لقتالنا وقد اخبرني الله
بذلك ثم قرا على المسلمين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
الى قوله اولئك الذين لعنهم الله **وفي اخرى** فقد اذانا بشعره
وقوى المشركين فقال محمد بن سلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك به
يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك قال يا
رسول الله انه لا بد لنا ان نقول اي قولا نحتال فيه للواقع قال
قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع معه اربعة
من قومه الاوس فذهبوا اليه ثم احتالوا عليه حتى خرج
اليهم من حصنه مع كونه عروسا ومع التحذير الشديد فلم يعد
وخرج اليهم فسالوه السير فذهب معهم فادخل بعضهم يده في راسه
ليشم طيبه ثم اراه انه في غاية الطيب وان به حاجة الى شمه وا (دخل)
يده ثانيا فهش اليه واطمان فادخل يده ثالثا فتمكن منه ثم
قال اقتلوا عدو الله فتمكنوا منه وقتله محمد بن سلمة ثم
احتز راسه وحملوها في مخلاة وكان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قام تلك الليلة يصلي فلما وصلوا البقيع كبروا فلما سمع
صلى الله عليه وسلم تكبيرهم كبر وعرف انهم قتلوه ثم انتهوا اليه
فقال قد افلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا
براسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى على قتله
واصاب ذباب السيف احدهم فنقل عليه صلى الله عليه وسلم

النوع الخامس اخذ عير قريش واموالهم الكثيرة
وذلك انه على راس ثمانية وعشرين شهرا
من الهجرة ارسل زيد بن حارثة الى ماء من مياه نجد في ماية
راكب يعترض عير القريش منهم ابو سفيان وصفوان ابن امية و
حويطب ابن عبد العزى ومعهم مال كثير وانية فضة وكانت قريش
يسلكون الى الشام طريق بدر فلما وقع لهم فيها ما وقع عدلوا
الى طريق العراق من نجد فاغار عليهم زيد ومن معه فاصابوا ذلك
المال الكثير فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فخمسه فبلغ الخمس خمسة
وعشرين الف درهم ● **النوع السادس غزوة احد وذلك**
انه في شوال سنة ثلاث اراد اهل مكة اخذ ثارهم
مما وقع لهم ببدر فطلبوا من اصحاب العير التي سلمت الى سفيان ومن
معهم ان يعينوهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وياخذوا بثارهم فاجابوا وكانت الف بعير وخمسين الف دينار فا
جتمعوا للمسير اليه صلى الله عليه وسلم فكتب اليه عمه العباس بخبره فجاؤا

حتى

٢٤٠

حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة فرآى صلى
الله عليه وسلم ليلة الجمعة بقرا تذبح وثلما في ذباب سيفه وانه ادخل
يده في درع حصينة فاول البقر بموت جماعة من اصحابه والثلم بموت
رجل من اهل بيته وهو حمزة رضي الله عنه او بما حصل له في
وجهه الشريف يومئذ من شجه وكسر رباعيته وجرح شفته و
الدرع بالمدينة وانهم يعودون عليها ثم قال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه امكثوا فان دخل القوم الازقة قاتلناهم ورموا
من فوق البيوت فقال قوم لم يشهدوا بدرا واسفوا على ما
فاتهم من مشهدها يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى
اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم فصلى صلى الله عليه وسلم بالناس
الجمعة وحرضهم على الجد والاجتهاد واخبرهم بان لهم النصر ما
ثم وعظهم صح
صبروا ففرحوا ثم صلى بهم العصر ثم دخل بيته ومعه ابو بكر و
عمر فعمماه وهياه فقال سعد ابن معاذ واسيد بن حضير
استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر
اليه فلما خرج لابسا لامته وهي بالهمزة وقد تخفف الدرع
متقلدا بسيفه ندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا
ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته
ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وعقد ثلاثة
الوية لواء للاوس بيد اسيد ابن حضير ولواء للخزرج بيد الحبا

ابن المنذر ولواء المهاجرين بيد علي كرم الله وجهه وكانوا
الفا وماية درع والمشركون ثلاثة الاف وسبعماية درع و
ماية فرس وثلاثة الاف بعير وخرج السعدان سعد بن
معاذ سيد الاوس وسعد ابن عبادة سيد الخزرج ما بين
يعدون امامه صلى الله عليه وسلم فنزل احد ورد ابن ابي عندهم
المنافق في ثلثماية من المنافقين ثم صف المسلمون باصل احد
والمشركون بالسبخة وعلى ميمنتهم خالد ابن الوليد وميسرتهم عكرمة
ابن ابي جهل وجعل صلى الله عليه وسلم الرماة الذين يحمون ظهرهم
خمسين رجلا وامرهم ان لا يبرحوا من مكانهم مطلقا غلب المسلمون
او غلبوا وممن اثخن القتل في المشركين ابو دجانة بالسيف الذي
اعطاه له صلى الله عليه وسلم بحقه فاخذه وعصب راسه بعصابة
حمرا شارة للموت واختال عند الحرب فقال صلى الله عليه وسلم انها
لمشية يبغضها الله تعالى الا في مثل هذا الموطن وحمزة فقتل
بعض سادتهم وعلي فقتل صاحب لوائهم وقتل حنظلة فراى صلى
الله عليه وسلم الملائكة تغسله لكونه خرج جنبا ثم كر حمزة على
من ولي اللواء ثانيا فقطع يده وكتفه ثم انزل الله تعالى نصره على
المسلمين فانهزم الكفار هزيمة فاحشة حتى دعاهم نساؤهم بالويل
وتبعهم المسلمون ينهبونهم فاراد الرماة الانصراف عن مواطنهم
للغنيمة فذكروا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم عن الانصراف

مطلقا

مطلقا فابوا وانصرفوا فلما اتوا الناس صرف وجوههم فانقلبوا
منهزمين لشؤم مخالفتهم وصاح ابليس اللعين حينئذ اي
عباد الله اخراكم فرجع المنهزمون واختلط العسكران ولم يتميزوا
فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض وكر خالد وعكرمة على
من بقي من الرماة فقتلوهم وخرج مشرك فقال هل من مبارز
فخرج اليه حمزة فقتله وكان وحشي كامنا تحت صخرة فلما دنا
منه نفقفاه ورماه بحربته فخرجت من بين وركيه فمات
لساعته وقاتل مصعب ابن عمير رضي الله تعالى عنه دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمية يظنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصاح ان محمدا قتل فانهزم طايفة الى جهة المدينة وتفرق
سايرهم وفشا القتل فيهم حتى قتل منهم سبعون فقال بعضهم
ارجعوا الى قومكم ليامنوكم قبل ان يقتلوكم وبينهم سوا بيوتكم و ليأمنوكم
قال اكثرهم ان كان نبيكم قتل افلا تقاتلون عن دينكم وثبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشفوا عنه وثبت معه
اربعة وعشرين من المهاجرين فيهم ابو بكر وعمر وسبعة من الانصار
وصاح ابو سفيان ثلاثا افي القوم محمد فنهاهم صلى الله عليه
وسلم ان يجيبوه ثم قال ثلاثا افي القوم ابن ابي قحافة ثم قال
افيهم عمر ثم رجع لاصحابه فاخبرهم ان هؤلاء الثلاثة قتلوا
فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ان الذين ذكرت

لاحيا كلهم وقد بقي لك ما يسوؤك قال يوم بيوم والحرب
سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فرماه ابن
قمية بحجر وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته
الشريفة فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت
ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه وأدماه وكسر رباعيته
عتبة أخو سعد ابن أبي وقاص ومن ثم لم يولد له ولد إلا وهو
أبخر أو مكسور الثنايا رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى
وفي رواية أن الذي كسر رباعيته هو ابن قمية ولما رماه
قال خذها وأنا ابن قمية فقال صلى الله عليه وسلم وهو
يمسح الدم عن وجهه أقماك الله فسلط الله تعالى عليه تيس جبل
فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وشجه عبد الله بن شهاب
الزهري في جبهته وهشموا البيضة أي كسروا الخوذة على رأسه
ورموه بالحجارة حتى سقط في حفرة فأخذ علي بيده واحتضنه
طلحة حتى استوى قائما وامتص مالك بن سنان وأبو سعيد
الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مس دمي دمه لم تمسه النار ولما سال الدم على
وجهه الكريم جعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو
يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون وفي رواية أنه لما نشف

الدم

الدم قال لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء
ثم قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وفي أخرى مرسلة
قوته ضرب وجهه صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة
وقاه الله شرها وذبت أم عمارة المازنية عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجرحها ابن قمية فضربته ضربات لكن عليه درعان وترس
دونه أبو دجانة فانحنى عليه فكثر وقوع النبل عليه وهو لا
يتحرك ورمى دونه سعد ابن أبي وقاص فصار يناوله النبل حتى
ما لا نصل له وهو يقول ارم فداك أبي وأمي وأصيبت يومئذ
عين قتادة بن النعمان فوقعت على وجنته فأتى بها النبي صلى الله
عليه وسلم فأخذها بيده الكريمة ثم ردها إلى موضعها وقال
اللهم اكسه جمالا فصارت أحسن عينيه ورمي أبو ذر الغفاري
بسهم في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف
عبد الله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في
يده سيفا فقاتل به وكان يسمى العرجون ولم يزل يتوارث
حتى بيع من بعض ترك المعتصم في بغداد بمائتي دينار وهذا
نظير سيف عكاشة الآتي في بدر المسمى بالعود ومثل المشركون
يومئذ بقتلى المسلمين بقطع الآذان والأنوف والفروج وشق
البطون وبقرت هند عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع فلفظتها
وأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه الكريمتين كعب

اكسها

المغفر كعب بن مالك فنادى باعلا صوته هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنهضوا اليه ونهض نحو الشعب فادركه اللعين ابي
ابن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله
يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه
فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن
الصمة فانتفض بها انتفاضة عظيمة ثم طعنه فوقع عن فرسه وقد
كسر ضلعه فلما رجع لقريش قال قتلني والله محمد اليس قد
كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو
الله بسرف وهم قافلون الى مكة وفي رواية للبيهقي وغيره عن
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه مات ببطن رابغ وان ابن عمر
رأى نارا تاجج ورجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها ويصيح
العطش واذا رجل يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا ابي بن خلف ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم
الشعب ملا علي درقته من المهراس صخرة كبيرة منقورة فغسل بها
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدم وصب على راسه وهو
يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه صلى عليه الصلاة
والسلام يومئذ الظهر قاعدا من الجراح التي اصابته وعند انصراف
المشركين نادى ابو سفيان بكلام منه اعل هبل صنمهم فقال
صلى الله عليه وسلم لعمر اجبه فقال عمر الله اعلا واجل ثم قال قتلانا

الجنة وقتلاكم في النار فقال لنا العزى ولا عزى لكم اي صنم
آخر لهم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى
لكم ثم نادى ايضا ان موعدكم بدر العام القابل فقال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه قولوا نعم هو بيننا وبينكم وبعد انصراف المشركين خرج
النسا فكان فيهم فاطمة رضي الله تعالى عنها فاعتنقته صلى
الله عليه وسلم وجعلت تغسل جراحاته فازداد الدم فاخذت
شيئا من حصير احرقته وكمدته به حتى لصق بالجراح فاستمسك
وارسل صلى الله عليه وسلم محمد ابن سالم فنادى في القتلى يا سعد
ابن الربيع فاجابه وبه رمق فقال ابلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم عني السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبي
نبيا عن امته وابلغ قومك اي الانصار عني السلام وقل لهم لا
عذر لكم عند الله ان تخلصوا الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات
وفتش صلى الله عليه وسلم على حمزة فلما راه مثل به اشتد وجعه عليه
فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم
والله لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزل واصبر وما صبرك
الا بالله الاية فصبر وكفر عن يمينه ومثل ايضا بابن اخته عبد الله
بن جحش ودفن معه في قبره ويسمى المجدع في الله **تنبيه**
من قال انه صلى الله عليه وسلم هزم كفر فان تاب والا ضرب عنقه
هذا مذهبنا وذهب المالكية والحنفية الى ان التائب يقتل

حدا وان تاب وهذا سبب بلا نزاع فيقتل عندهم مطلقا خلافا
لما وقع في الشفا عن بعض ائمتهم **تتمة** اخرى في هذه القصة
وما اصيب به المسلمون فوايد جليلة **منها** تعريف المسلمين سوء
عاقبة معصية نبيهم ومخالفته اولا باشارته عليه صلى الله
عليه وسلم بان يخرج اليهم وقد كان اقتضى نظره السديد عدم
ذلك وثانيا بمخالفة الرماة لموافقهم التي امرهم صلى الله عليه وسلم
بملازمتها وان لا يبرحوا منها مطلقا **ومنها** ان سنته صلى
سنة من قبله من الرسل فان عادتهم ان يبتلوا ثم تكون لهم
العاقبة وحكمته تمحيص المومنين الصادقين وتمييزهم عن المنافقين
ومن في قلبه غل ودخل اذ لو انتصروا دايما لم يحصل لهم
تمييز ولو هزموا دايما لم يحصل المقصود من البعثة وقد كان
نفاق المنافقين مخفيا فاظهرته هذه القضية برجوع ثلثمائة
منافق قبل القتال كما مر فعرف المسلمون ان لهم اعداء بين اظهرهم
وتحرزوا منهم **ومنها** عظيم الابتلاء بكسر النفس وتجرع مرارة الصبر
ومنها الوصول بذلك الابتلاء وتلك المحن والشهادة لمراتب
علية لا تبلغها الاعمال ه **النوع السابع غزوة حمراء الاسد**
وهي على ثمانية اميال من المدينة وسببها انه صلى الله عليه وسلم
خرج يوم الاحد ثاني يوم احد لطلب عدوهم بالامس مرهبا
لهم ليبلغهم انه خرج في طلبهم فيعلموا بقا قوته وان ما حصل لاصحابه

لم يوهنهم ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج
معنا الا من حضر يومنا بالامس فبلغ حمراء الاسد على ثمانية اميال
من المدينة فظفر بمعاوية بن ابي العاص فضرب عنقه صبرا ه
النوع الثامن قتل سفيان بن خالد الهذلي لكونه على
راس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة جمع بعرنة جموعا لحرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب اليه عبد الله بن انيس فلما وصل
اليه قال له ممن الرجل قال من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون
معك قال اجل ثم مشى معه ساعة ثم اغتره وقتله ثم اخذ راسه
وسار الليل وكمن النهار فلما قدم قال له صلى الله عليه وسلم افلح الوجه
قال افلح وجهك يا رسول الله فوضع راسه بين يديه صلى الله عليه
وسلم ه **النوع التاسع غزوة بدر الصغرى مرتبة على غزوة احد**
ان ابا سفيان قال الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل و
انه صلى الله عليه وسلم اجابه بذلك فخرج في الف وخمسماية ومعهم
عشرة افراس فاقاموا ببدر ينتظرونهم ثمانية ايام فباعوا ما معهم
من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وكان ابو سفيان خرج الى
ان بلغ عسفان ثم جبن ورجع ه **النوع العاشر غزوة بني
المصطلق** وسببها في شعبان سنة خمس بلغه صلى الله عليه
وسلم عن بني المصطلق بطن من خزاعة انهم دعوا العرب الى حرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج صلى الله عليه وسلم في كثرة لم يخرجوا في غزاة

مثلها فاغاروا عليهم وانعامهم تسقى على ماء لهم المسمى بالمريسيع
بين قديد والساحل فقتل مقاتليهم وسبا ذراريهم فكان جمع
وفي هذه الغزوة نزلت اية التيمم **وفيها** ايضا كانت قصة
الافك السابقة وكون اية التيمم نزلت في هذه طال فيها النزاع
والذي رواه الطبراني صريح ان اية التيمم انما نزلت في غزوة
هذه صح اخرى بعدها لكن في اسناده مقال **وروى** ابن ابي شيبة ان ابا
هريرة قال لما نزلت اية التيمم لم ادر كيف اصنع وابو هريرة انما
اسلم في السنة السابعة فتكون اية التيمم في غزوة بعد خيبر وهي
غزوة بني المصطلق بكثير اتفاقا ه **النوع الحادي عشر غزوة**
الخندق في السنة الرابعة والخامسة والاول اشهر بلغه صلى
الله عليه وسلم ان قريشا وغطفان واليهود الذين خرجوا اليهم و
حرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فامر صلى
باشارته صح الله عليه وسلم سلمان بحفر الخندق لانه من مكايد الفرس ثم عمل فيه
صلى الله عليه وسلم بنفسه فداب ودابوا فيه حتى انهوه في ثلاثين
ووقع او عشرين او خمسة عشر يوما ووقع في حفره معجزات **منها انه** عرض
لهم فيه قطعة غليظة فقام صلى الله عليه وسلم وبطنه معصوب بحجر
لانا لبثنا ثلاثة ايام لم نذق شيئا فاخذ المعول وضربها فعادت
كثيبا اهيل اي رملا سائلا غير متماسك هذا ما في رواية صحيحة
وفي اخرى بسند فيها حسن انها صخرة لا تاخذ منها المعاول واراد صلى

الله عليه وسلم اخذ المعول فقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها
فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله لابصر قصورها الحمر الساعة
انجيحه ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا اخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح
فارس والله لابصر قصر المدائن البيض الان ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله
فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله لابصر
ابي صح ابواب صنعاء من مكاني الساعة **ومنها** ما صح ايضا في قصة جابر
المشهورة في تكثير الطعام القليل ثم اقبلت قريش ومن معهم في عشرة
الاف فنزلوا بمجمع السيول ونزلت غطفان واهل نجد عند احد
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجعلوا ظهورهم لسلع
وهم ثلاثة الاف وصار الخندق بينهم وبين القوم وحينئذ خرج
اللعين حيي ابن اخطب الى بني قريظة فلا زال بهم حتى نقضوا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعزموا على حربه مع قريش فلما بلغه
صلى الله عليه وسلم ذلك من الزبير لما ارسله اليهم ولم يجسر على
الذهاب اليهم غيره ثم اشتد البلاء وعظم الخوف واتاهم عدوهم من
فوقهم وهم قريش وبني قريظة خافوهم على ذراريهم حتى ظن المؤمنون
كل ظن وظهر نفاق كثير من المنافقين كما ذكر تعالى ذلك اوائل سورة
الاحزاب واراد نوفل المخزومي ان يثب الخندق بفرسه فوقع
فيه فقتله الله تعالى وكبر ذلك على المشركين فارسلوا يبذلون
ديته لياخذوه ويدفنوه فقال صلى الله عليه وسلم انه خبيث هو

وتريبه ولا تمنعكم اخذه واقتحم جماعة من خيولهم من ناحية ضيقة
منه حتى صاروا بالسبخة فقتل علي احدهم والزبير اخر فرجعوا منهزمين
ولم يكن بين الفريقين الا مراماة بالنبل فاصاب سهم منها الكحل
سعد بن معاذ فقطعه وهو في الذراع ويسمى عرق الحياة لان
في كل عضو منه شعبة ودام الحصار بضعة عشر ليلة فمشى
نعيم بن مسعود الاشجعي وهو مخف اسلامه فاوقع بين قبائل
المشركين حتى اختلفت كلمتهم وارسل الله تعالى في اخر ليلة وهي
ليلة الاربعا ظلمة وريح الصبا شديدة ريح الصبا شديدة وبرد
لم يروا مثلها فصار المنافقون يستاذنونك ويقولون بيوتنا
عورة حتى لم يبق الا ثلثمائة فدعى صلى الله عليه وسلم حذيفة ودعا
له حتى ذهب عنه القر والفزع وقال ائتني بخبر القوم فدخل
عسكرهم فراى كلمتهم اختلفت وسمع ابا سفيان يقول هلك الخف و
الكراع واختلفنا وبنو قريظة ولقينا من هذا الريح ما ترون اي
من قلعها الاوتاد وكفئها القدور وسفيها التراب عليهم ومنهم
بالحصى وسماعهم في جا عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا
فاتى مرتحل وواثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم فرجع
حذيفة فراى فوارس فقالوا اخبر صاحبك ان الله تعالى كفاه القوم
وروى احمد انهم قالوا يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت
القلوب الحناجر فقال نعم اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا

فضرب وجوه اعدائهم بالريح اي حتى تركوا ما ثقل من متاعهم
وحينئذ قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم
هذا وفي رواية سندها حسن لا تغزوكم بعد هذا ابدا و
لكن انتم تغزونهم وكان الامر كذلك وعاد صلى الله عليه وسلم
يوم الاربعا الى المدينة هو واصحابه فوضعوا اسلحتهم واغتسل
صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل معتجر العمامة من استبرق على
بغلة عليها قطيفة ديباج فقال قد وضعت السلاح
والله ما وضعناه اخرج اليهم اي قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل
بهم فامر صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا
مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وفي رواية قد
سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا وبعث يومئذ
مناديا ينادي يا خيل الله اركبي ثم سار اليهم وهم ثلاثة الاف
ومعهم ستة وثلاثون فرسا ونزل صلى الله عليه وسلم على بعض
ابارهم وتلاحق الناس وبعضهم تركوا العصر الى العشا اخذا بظاهر
قوله صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فلم
ينكر عليهم تاويلهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يرد الا مجرد المبادرة
وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله
في قلوبهم الرعب ثم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم ابا لبابة
يستشيروه فارسله اليهم فقام اليه الرجال وجهش غيرهم بالبكا في

لهم فقالوا ننزل على حكم محمد قال نعم واشار الى حلقه انه الذبح
ثم تلهف لخيانته فذهب على وجهه فربط نفسه على عمود من المسجد
وحلف انه لا يبرح من مكانه حتى يتوب الله تعالى عليه فلما بلغه صلى
الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه قال لو جاءني لاستغفرت
له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب
الله عليه فاقام مرتبطا بالجذع ست ليال تحله امراته للصلوة و
قضاء الحاجة ثم تعيده وفي رواية انه ارتبط بسلسلة ثقيلة
بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد بصره ان يذهب ثم نزلت
توبته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة من السحر
فضحك فقالت ام سلمة مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على
ابي لبابة فسالته ان تبشره فاذن فقامت على باب حجرتها و
قالت قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد
تاب الله تعالى عليك فبادر والناس ليطلقوه فابى الا ان يطلقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فلما مر عليه خارجا الى صلاة
الصبح اطلقه ولما اشتد الحصار ببني قريظة رضوا ان ينزلوا
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد ابن معاذ
سيد الاوس فاتاه قومه للمسجد وكان به جرح في خيمة امراة تداوي
الجرحى فحملوه على حمار فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و
المسلمين قال صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقال المهاجرون

من

من قريش اراد الانصار وقال الانصار اراد الكل فاعلموه انه
صلى الله عليه وسلم ولاه امر مواليه ليحكم بينهم قال فاني احكم
فيهم بان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا
فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الحديث فامر
صلى الله عليه وسلم برجالهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدود في
السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه تضرب اعناقهم
وكانوا ما بين ستماية وسبعماية وثمانماية ولا ينافي ما صح
انهم اربعماية مقاتل لاحتمال ان البقية اتباع لا قتال منهم
واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة وكان
يطاها وقيل استمرت مملوكة وانفجر جرح سعد ابن معاذ من
لبته فمات شهيدا وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز
لموته عرش الرحمن رواه الشيخان واهتزاز العرش على حقيقته
فرحا بقدوم روحه السعيدة وجعل الادراك في الجمادات
جائز وله نظائر وزعم ان المراد بالعرش نعشه باطل يرده
رواية عرش وقبضت قبضة من تراب قبره فاذا هي مسك
ومع ذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان احد ناجيا من ضمة
القبر لنجا منها ضم ضمة ثم فرج الله عنه ٥ النوع الثاني
عشر اخذ عير قريش وذلك انه في جمادى الاولى
سنة ست ارسل صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سبعين



راكبًا الى العيص موضع على اربع ليال من المدينة لعير قريش
اقبلت من الشام فاخذوها وما فيها ومن حملته فضة كثيرة
لصفوان بن امية واسر منهم جماعة منهم العاص بن الربيع فاجارته ابوص
زوجته زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ونادت في الناس بذلك
حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فقال قد اجرنا من اجرت
ورد عليه ما اخذ منه **النوع الثالث عشر قتل ابي
رافع اليهودي وذلك انه في رمضان** سنة ست
ارسل صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ومعه اربعة الى
اللعين ابي رافع بن ابي الحقيق اليهودي الذي حزب الاحزاب يوم
الخندق وامرهم بقتله فذهبوا الى حصنه بخيبر عند غروب
الشمس واجلسهم عبد الله وجاء الى باب الحصن فتقنع بثوبه
فصاح عليه البواب فدخل واستخفى حتى راى البواب غلق
وعلق المفاتيح فقام اليها ثم صار الى انقضا سمر اللعين ابي رافع
ففتح وصعد وصار كلما فتح بابا اغلقه عليه من داخل حتى انتهى
اليه في بيت مظلم وسط عياله فقال ابا رافع فقال من
هذا فاهوى نحو الصوت فضربه بسيفه وهو دهش فما اغنى فخرج
ومكث قليلا ثم دخل اليه كالمستغيث له فقال وغير صوته ما
هذا الصوت فقال ان رجلا ضربني قبل بالسيف فضربه فلم تغن
شيئًا فصاح وقام اهله فتنحا عنه ثم جا وغير صوته كالمغيث فاذا

هو

هو مستلق على ظهره فوضع السيف في بطنه واتكا عليه فسمع صوت
العظم فخرج وجعل يفتح الابواب فانتهى الى درجة له فوضع
الى م منه رجله وهو يرى انه انتهى الى الارض فوقع فانكسر ساقه فعصبها بعمامة
فلما صاح الديك قام الناعي على السور فذهب لاصحابه فاخبرهم
ثم انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه فقال ابسط رجلك فمسحها
فكانه لم يشكها قط وورد ما يخالف ذلك لكن هذا هو الاصح
النوع الرابع عشر سرية عمرو بن امية الضمري وسببها
ان ابا سفيان بن حرب ارسل في هذه السنة الى النبي صلى الله
عليه وسلم من يقتله غدرًا فاخذه اسيد بن الحضير بداخلة
ازاره فاذا بالخنجر في يده فقال له صلى الله عليه وسلم اصدقني
ما انت قال وانا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه
ليقتله وسلم وبعث عمرو بن امية الضمري ومعه آخر الى ابي سفيان ليقتله
فذهب اليه وصار يطوف ليلا ففطن به معاوية بن ابي سفيان
فاخبر قريشًا فخافوا وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية فهرب
ولقي اثنين فقتلهما ورسولين بعثتهما قريش يتجسسان الخبر
فقتل احدهما واسر الاخر فقدم به المدينة فجعل يخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ه **النوع الخامس عشر عمرة الحديبية**
بتخفيف اليا وتشديدها اسم لبير سمي به ما حولها واكثره من الحرم
على سبعة اميال من مكة وهي في ذي القعدة سنة ست

خرج صلى الله عليه وسلم معتمرا باصحابه وهم الف فيها
خلا وطويل فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم
منها بالعمرة ولم يستصحب الا سلاح المسافر وهو السيوف لا السيوف ٢
غير وبعث عينا له من خزاعة فجاءه ببعض الطريق واخبره انهم
جمعوا له الجموع ومقاتلوه وصادوه عن البيت فاستشار اصحابه
ان يذهب الى ذراريهم بمكة فياخذها فاشار الصديق بانه يمضي لعمرته
فمن صده قاتله فمضى ثم لما قدموا من الغميم قرب عسفان قال
صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة
فخذوا ذات اليمين فما شعر خالد الا بقترة الجيش فانطلق
يركض نذيرا لقريش وسار صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية
التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقالوا حل حل فلم تقم
فقالوا خلات القصوى فقال صلى الله عليه وسلم ما خلات
القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل اي
منعها الله عن دخول مكة على هذا الوجه وسار الوجه المقتضي
سفك دماء اهلها لان اكثرهم سيسلمون ثم اقسم صلى الله عليه وسلم
انهم لا يسالونه خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطاهم اياها
ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد
بها فشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته فجعل فيه فافاض ماءه ص
ماؤه حتى فضل عنهم فجاء جماعة من خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى
الله

الله عليه وسلم فاخبروه ان اهل مكة جاؤا مقاتليه وصاديه
عن البيت فقال صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكن
جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا نهكتهم ص
ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس ان شاؤا فان اظهر فان شاؤا
ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس والا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم
على امري هذا حتى تنفرد سالفتي اي صفحة عنقي كني بذلك عن
القتل ولينفذن الله امره فجاء مقدم خزاعة قريشا واخبرهم
بذلك فقال لهم عروة بن مسعود ان هذا هو الرشد والصلاح
وانه ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال له نحو ذلك فقال
عروة اي محمد ارايت ان استاصلت امر قومك هل سمعت باحد
من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله
لارى اخلاطا خليقا ان يفروا ويدعوك فسبه الصديق
بما ابلغ سب بقوله امصص بظر اللات اي افرض ان نصحك فرجا
وان لفرج بظر وهو ما ينقطع عند الختان واشتغل بمصها
عن ان تنسبنا الى الفرار فقال عروة من هذا قال ابو بكر
فقال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك
بها لاجبتك ثم اخذ بلحية النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه
على عادتهم عند تكلم النظير ملاطفة والمغيرة بن شعبة قائم
على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى

عروة

عروه الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضربها المغيرة بنعل السيف و
قال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجلالا لرسول
الله عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة ابن شعبة
فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك اي لاغتيالك اصحابا في
الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جعل عروة يرمق الصحابة وما
هم عليه من التعظيم البالغ له صلى الله عليه وسلم لا يتنخم نخامة الا
وقعت في كف من يدلك بها وجهه وجلده ولا يتوضا الا كادوا
يقتتلون على وضوئه ولا امر الا ابتدروا اليه ولا يتكلم الا
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له اي
فكانهم يقولون لعروة ما توهمته فينا انا نفر عنه توهم باطل اذ
كيف من يفعل ذلك يفر عنه وانما الحقيق بالفرار قبائلكم التي
يراعي بعضها بعضا بمجرد الرحم ثم رجع لقومه فقال وفدت على الملوك
قيصر وكسرى والنجاشي فما رايت ملكا قط يعظمه اصحابه كما يعظم
اصحاب محمد محمدا وذكر لهم ما مر ثم قال وانه عرض عليكم
خطة رشد فاقبلوها فقال كنانة دعوني آتيه فاذنوا فلما
اقبل قال صلى الله عليه وسلم هذا ممن يعظمون البدن فابعثوها
له فبعثت اليه واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان
الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فعاد اليهم مشيرا عليهم
ان لا يصدوهم فقال اخر دعوني آتيه فلما اقبل قال صلى الله عليه وسلم

هذا

هذا فلان وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم و
حينئذ جاء سهيل ابن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من
امركم فقد ارادت قريش الصلح حين بعثت هذا فتكلم معه حتى وقع
بينهما الصلح على ان توضع الحرب بينهم اربع سنين او يامن بعضهم بعضا
ويرجع عنهم عامهم هذا وطلب كتابا بذلك فامر صلى الله عليه
وسلم بذلك وقال لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال
سهيل اما الرحمن الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك
اللهم كما كنت تكتب فابى الصحابة ورضي صلى الله عليه وسلم بكتب
ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما قاضى او صالح عليه
محمد رسول الله اهل مكة فقال سهيل لو علمنا انك رسول الله ما
صددناك ولا قاتلناك فقال والله اني لرسول الله وان
كذبتموني ثم قال لعلي امحه فقال علي ما انا بالذي امحاه لغة في
امحوه وهذا من باب ان سلوك الادب اولى من امتثال الامر
وحمله فيما علم بالقرائن ان الامر ليس للايجاب فمحاها صلى الله
عليه وسلم وكتب ابن عبد الله كما في البخاري وغيره وفي رواية
فامر عليا فكتب ذلك فتعين ان كتب الاولى بمعنى امر وحملها
على ظاهره فلا ينافيه حرمة الكتابة عليه خصوصية له لان
هذا وقع معجزة وهي لا تنافي الامر المستقر انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب ولا يقرا المكتوب على ان احسان كتابة بعض

الحروف لا أنها في كونه أميا كما هو مشاهد في كثير من العوام
يحسنون وضع بعض الكلمات بأيديهم ولا يخرجون به عن
كونهم أميين وقول جمع إنه إنما كتب حقيقة من غير تعليم معجزة
مستمرة وأن مفهوم ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك بعده وأن سبب النفي أن لا يلتبس بالقرآن والوحي غيرهما
وقد أمن من ذلك مردود وما أنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى كتب
ضعيف وزعم أن الالتباس أمر ممنوع إذ لو جاز أن يصير يكتب
بعد ذلك لعادت التهمة وقال المعاند كان يحسن يكتب
لكنه كان يكتم ذلك والمعجزات تستحيل أن يدفع بعضا وجوز
عياض وغيره معرفته صلى الله عليه وسلم لرسوم الخط وحروفه
لأنه أوتي علم كل شيء ويدل له قوله لمعاوية رضي الله تعالى عنه ألق
الدواة وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم وإنما
وافقهم صلى الله عليه وسلم على ذلك لمصلحة الصلح الذي كان سببا
لفتح مكة وتطهيرها من كل مشرك ودخول الناس في دين الله أفواجا
على أن الذي وقع من ترك كتابة لفظ الرحمن الرحيم ورسول الله ولا
محظور فيه وإنما المحظور لو طلبوا كتابة ما لا يحل ولما كتب ذلك
قال صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف
به فأبى سهيل خشية أن تتوهم العرب أنهم أخذوا ضغطة أي
إكراها وقال ذلك من العام المقبل فوافقه صلى الله عليه وسلم ثم

اشترط

اشترط رد من جاء النبي صلى الله عليه وسلم ولو مسلما فوافقه لمصلحة
الصلح المؤمل فيه ما مر آنفا لأنهم بعد الصلح اختلطوا بالمسلمين
فجاؤوا المدينة وذهب المسلمون لمكة فسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه
وسلم ومعجزاته الظاهرة ومحاسن سيرته الباهرة وعاينوا كثيرا من
ذلك وبادر به جماعة قبل الفتح وأسلم البقية يومئذ وأسلم
بإسلامهم بقية العرب لأنهم كانوا ينتظرونهم ولأجل ذلك
كان هذا هو المراد بالفتح المبين من سورة الفتح كما يأتي وفي
هذا المجلس دخل أبو جندل بن سهيل هذا فرمى بنفسه بين المسلمين
فقال سهيل أبوه هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فأبى
صلى الله عليه وسلم فأبى سهيل فقال فأجره لي فأبى فقال مكرز
قد أجرناه لك فقال صلى الله عليه وسلم لأبي جندل وكان قد
عذب في الله عذابا شديدا يا أبا جندل اصبر واحتسب فإنا لا نغدر
فإن الله جاعل فرجا ومخرجا وقال له عمر يحرضه على قتل من
قدر عليه منهم صبرا إنما هم المشركون وإنما دم أحدهم كدم كلب وإنما
رده إليهم عملا بقضية الصلح لما مر من المصلحة فيه على أن رده
إنما هو لأبيه والغالب أنه لا يهلكه ولكنه التقية بالتلفظ با
لكفر قال تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وعندنا
الحكم يأتي في مكلف ذي عشيرة وعند الحنفية منسوخ الكل فيه م
ولما تم الصلح قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم ألست نبي الله حقا

قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال فلم
نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه
وهو ناصري قال او ليس كنت تحدثنا انا ناتي البيت فنطوف به
قال بلى افاخبرتك انا ناتيه العام قال لا قال فانك اتيه ومطوف
به فاتى ابا بكر وقال له مثل ذلك فاجابه ابو بكر بمثل ما اجابه
به النبي صلى الله عليه وسلم سوا بسوا الا انه الخليفة الاعظم وسوال
عمر عن ذلك للضعفا خشية من ان يبقى في نفوسهم
شي وما مر ان الصلح عشر سنين هو اشهر منه وانه اربع وكان ثم
من جملة الصلح كما اشير اليه فيما مر ان لا يدخلوا البيت الا العام
المقبل ثلاثة ايام وسيوفهم مغمودة في غمدها ولما كتب كتاب
الصلح قبل ارسل به مع عثمان وامسك سهيلا فامسك المشركون
عثمان فغضب المسلمون واشيع انه قتل فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت
وقيل على ان لا يفروا وضرب صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى على
اليسرى وقال هذه بيعة عثمان ولما سمعوا بهذه البيعة
خافوا فارسلوه وجماعة من المسلمين ثم حلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحر هديه ففعلوا كذلك ثم قفلوا راجعين
فانزل الله تعالى سورة الفتح بكراع الغميم تسلية لهم عما وقع في
نفوس بعضهم قال ابن عباس وانس والبراء رضي الله تعالى عنهم

ثانيه

الفتح المبين صلح الحديبية بعد ان حسب المنافقون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لا ينقلبون الى اهليهم ابدا والمراد
بالفتح القريب فيها فتح خيبر لانه وقع قريبا وفيه المغانم الكثيرة و
الفتح في سورة اذا جاء نصر الله والفتح وفي حديث لا هجرة
بعد الفتح المراد به فتح مكة اتفاقا وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم
بالحديبية بضعة عشر يوما **النوع الثالث عشر غزوة**
خيبر بلد كبيرة على ثمانية برد من المدينة وهي بعد الحديبية
بنحو شهر ذهب اليها صلى الله عليه وسلم اواخر المحرم سنة سبع
فحاصرها بضعة عشر ليلة الى ان فتحها ومن قال انها اخر سنة ست
بناه على ان اول السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الاول
ورواية انها في رمضان تصحفت فيها خيبر بحنين وقول
الشيخ الحامد من ائمتنا انها سنة خمس وهم وكان معه صلى
الله عليه وسلم الف واربعمائة وما ئتا فرس وغار عليهم صلى الله عليه
وسلم بعد الصبح فراوا اليهود خارجين لنخلهم وارضهم بمساحيهم
ومكاتلهم فقالوا محمد والخميس اي الجيش لانه خمسة اقسام منهم المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب فتفاءل صلى الله
عليه وسلم برؤية آلة الهدم معهم او اوحي اليه فرفع يديه وقال الله
اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
وفرق صلى الله عليه وسلم الرايات ولم تكن الا في خيبر وانما

السادس

فارس

الذي كان الالوية وكانت رايته صلى الله عليه وسلم سوداء وتأخر
علي لرمد ثم لحق به ففي ليلة الفتح قال صلى الله عليه وسلم لاعطين
الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فاصبحوا
كلهم يرجو ان يعطاها فقال صلى الله عليه وسلم اين ابن ابي
طالب فاخبر برمده فارسل اليه وبصق في عينيه ودعا له فبرا
لوقته فاعطاه الراية وامره بان يدعوهم الى الاسلام ويخبرهم
بما يجب عليهم قال فوالله لان يهدي بك رجلا واحدا خير
لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث ولما تصافوا قاتلوا اشد
القتال حتى قتل من اليهود ثلاثة وتسعون ومن المسلمين
خمسة عشر وعاد سيف عامر بن الاكوع عليه فقتله فلما
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لما حدا في الطريق يرحمه الله
ولما سمع سلمة بن الاكوع ممن يزعم انه حبط عمله سال النبي
صلى الله عليه وسلم فقال كذب من قاله وان له لاجرين وجمع
بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد واصاب ساق سلمة ضربة يوم
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما
اشتكاها بعده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل معه هذا
من اهل النار وكان بعضهم ارتاب فكثرت فيه الجراحات فاخذ
سهما ونحر به نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر وفتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم

رضي الله عنه

فقتله م

حصون

حصون خيبر العشرة ودل الله تعالى على كنز آل ابي الحقيق الذي كان
في مسك حمار غيبوه في خربة فاستخرج وقلع علي باب خيبر وفي
اخبار واهية انه لم يحركه الا اربعون او الا سبعون وسبى صلى الله
عليه وسلم الذرية فكان فيهم صفية بنت حيي في سهم دحية فا
فتداها صلى الله عليه وسلم منه بسبعة رؤوس خشية ممن تغير خاطر
يقع لبعضهم لانها بنت ملك من ملوكهم فلم تلق الا به صلى الله عليه
وسلم ثم اعتقها وتزوجها وكانت قبل رات ان القمر سقط في
حجرها فتاول بذلك وحرم صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية
واذن كما في مسلم في لحوم الخيل وبه اخذ الشافعي رضي الله تعالى
عنه واجاب المحرمون بما فيه تكلم وتعسف وفي صحيح مسلم عن
اسماء نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلنا ونحن
بالمدينة اي وقد فرض الجهاد فزعم ان نحرها لاجله باطل وفي
رواية للدارقطني فاكلناه نحن واهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
وبفرض عدم ثبوتها فالراجح في الاصول ان الصحابي اذا قال
كنا نفعل كذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان له حكم
المرفوع وفيها ايضا سمته زينب اليهودية النبي صلى الله عليه وسلم
في ذراع عنز اهدتها اليه مشوية لعلمهم انه كان يحب الذراع
بسم يقتل من ساعته اجمع عليه اليهود واعطوه لها واكثرت منه
في الذراع والكتف فتناول الذراع وانتهش منها واكل رهط.

خ
٢ النبي سم

من اصحابه معه فقال ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها
مسمومة وارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من
اخبرك قال الذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا لم يضره وان لم يكن
نبيا استرحنا منه فعفى عنها صلى الله عليه وسلم وتوفي اصحابه
منها واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله تداويا لما اكل وفي
رواية انه امر الاكلين بشر ابن البراء وانه دفعها الى اوليائه فقتلوها
قيل قتلها به قصاصا بعد ان عفى عن حق نفسه لانه كان
لا ينتقم لنفسه وقيل اسلمت فتركها وبه قال الزهري وغيره و
لما رجعوا نزلوا اخر الليل فامر صلى الله عليه وسلم بلالا ان يرصد
لهم الفجر فاستند الى راحلته فغلبه النوم ولم يستيقظوا الا من
حر الشمس فساروا وانتقلوا ابعد منه واخلهم شيئا يسيرا ثم توضا صلى
الله عليه وسلم وامر بلالا فاقام بهم الصلوة فصلى بهم الصبح و
فيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة وكان فتحها عنوة والقول
بانه صلح مردود بان قابلة توهمه من الحصنين اللذين اسلما اهلهما
لتحقن دماؤهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع الا بحصار وقتال

النوع السابع عشر عمرة القضية لانه صلى الله عليه وسلم
قضى صالح كفار قريش عليها كما مر في الحديبية وليست قضاء
عن العمرة التي صد عنها لان تلك لم تفسد بل انهت بالتحلل
منها ومن ثم عدوها من عمره صلى الله عليه وسلم الاربع وقال جمع

سميت

سميت بذلك لانه يجب قضاؤها وخرج اليها صلى الله عليه وسلم
لما هل ذو القعدة سنة سبع فامر ان لا يتخلف احد ممن شهد
الحديبية فخرجوا هم وغيرهم وكانوا الفين وساق ستين بدنة
وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس
فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل وعليها محمد ابن مسلمة
والسلاح وعليه بشير ابن سعد واحرم صلى الله عليه وسلم ولبى
ولبى معه المسلمون ولما وصل محمد ابن مسلمة مر الظهران اخبر بعض
قريش فاتوا واخبروهم ففزعوا وخرجوا من مكة الى رؤس الجبال
ولما قرب صلى الله عليه وسلم من مكة قدم صلى الله عليه وسلم الهدي
امامه وهو على راحلته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف
محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية
العليا المشرفة على الحجون وابن رواحة اخذ بزمام راحلته وهو يقول
خلوا بني الكفار عن سبيله ۞ اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ۞ ويذهل الخليل عن خليله
يا رب اني مؤمن بقيله ۞ اني رايت الحق في قبوله
فقال له عمر رضي الله عنه تقول الشعر بين يدي رسول الله — يا ابن رواحة صح
الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر
فلهي اسرع فيهم من نضح النبل ولم يزل صلى الله عليه وسلم يلبي
حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته

وطاف المسلمون معه مضطبعين وامرهم صلى الله عليه وسلم لقول
المشركين وهنتهم حمى يثرب اي فلم يبق فيهم قوة فقال ان يرملوا
الاشواط الثلاثة الاول وان يمشوا ما بين الصفا والمروة ليرى
المشركون قوتهم فانهم كانوا على قعيقعان ولم يامرهم بالرمل في جميعه
رفقا بهم ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته
ثم عند فراغه والهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة
منحر فنحر وحلق عند المروة وكذلك المسلمون واقام صلى الله عليه وسلم
بمكة فلما ان مضى ثلاثة الايام المشروط في الصلح انهم لا يقيمون
اكثر منها قالوا لعلي كرم الله تعالى وجهه قل لصاحبك اخرج عنا
فقد مضى الاجل فخرج صلى الله عليه وسلم فتبعته بنت عمه حمزة
فامر علي فاطمة رضي الله تعالى عنهم باخذها فخاصم اخوه جعفر لكون
خالتها تحته فقضى بها صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة
بمنزلة الام اي في الحضانة لانها اقرب اليها في الشفقة والحنو
من نحو العمة ومن ثم لم يقض بها صلى الله عليه وسلم للعمة صفية
مع انها كانت اذ ذاك موجودة وتزوج صلى الله عليه وسلم
ميمونة في رجوعه بسرف وهما حلالان كما قال ابو رافع السفير
بينهما وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن اختها عبد الله بن
عباس تزوجها محرما قال ابن المسيب ذهول منه وروى مسلم
عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف

على

على انه صلى الله عليه وسلم النكاح محرما ثم بعد ذلك في صفر سنة
ثمان قدم خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاص
وهؤلاء من اكابر قريش الى المدينة فاسلموا

النوع الثامن عشر فتح مكة زادها الله شرفا وهو الفتح الاعظم

الذي اعز الله تعالى به دينه ورسوله وجنده وحرمه الامين وا
استنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من ايدي
الكفار والمشركين وهو الفتح الذي استبشر به اهل السماء وضربت
اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا
واشرق به وجه الدهر ضياء وانما جا خرج صلى الله عليه وسلم
بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش ما وقع في صلح
الحديبية انه لا يمنع من دخل في عقد احدى الفئتين فدخلت
بنو بكر في عقد قريش وخزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبيتت بعض بني بكر خزاعة لما كان بينهما من الحرب وقتلوا
رجلا من خزاعة فاستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا
الحرم فامدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا
في خفية فجاء كعب بن خزاعة واخبره صلى الله عليه وسلم فقام
وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر به نفسي
وجاء عند الطبراني انه صلى الله عليه وسلم اعلم بما وقع لخزاعة قبل
ان ياتوا فامر صلى الله عليه وسلم ان يجهزوا سرا وكان قدم ابو سفيان

ابن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد
ويزيد في المدة فأبى عليه فانصرف إلى مكة وعند تجهيزه أصحابه
صلى الله عليه وسلم أرسل حاطب كتابا وأرسله إلى مكة يخبرهم بذلك
فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فأمر عليا والزبير والمقداد علم
رضي الله تعالى عنهم أن يأتوا امرأة معها بمحل كذا فأتوه فوجدوها
فأنكرته فتشددوا عليها حتى أخرجته من عقاصها فجاؤوا به فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فاعتذر بأنه حليف
لقريش وليس منهم فأراد أن يتخذ عندهم يدا يحمي بها أهله بخلاف
بقية المهاجرين فإن لهم قرابات يحمي أهلهم ومالهم وبأنه لم
يفعل ذلك ردة ولا رضى بالكفر وقال صلى الله عليه وسلم أما إنه
قد صدقكم فقال عمر لشدة ما عنده من الدين وظنا أنه استحق
بذلك القتل إن صدق فيه يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا
المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا وما يدريك
لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
وفي رواية إني غافر لكم فتلك نعماها وإنما أثرها مبالغة في
تحقق ذلك ووقوعه وهذا يعلم أن قوله اعملوا خطاب إكرام
وتشريف تضمن أنهم حصلت لهم حالة كفرت عنهم ما سلف وتأهلوا
بها أن يغفر لهم ما يفعلونه بعد إن فرض وإلا فلم يزالوا على أكمل
الأحوال إلى الموت ومن فرض منه وقوع ذنب بادر للتوبة منه

حالا

حالا وبعث صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من قبائل العرب فجلبهم فمنهم
من وافاه في الطريق فصاروا اثني عشر ألفا وخرج صلى الله عليه وسلم
في رمضان سنة ثمان والأصح أنه خرج ثاني رمضان ودخل
سادس عشر واختلف في تعيين يوم خروجه ويوم دخوله مكة و
لما بلغ صلى الله عليه وسلم قديدا عقد الألوية والرايات ودفعها
إلى القبائل ولما بلغ الكديد وهو بفتح الكاف الماء الذي بين
قديد وعسفان ولعله المسمى الآن بخليص أفطر فلم يزل مفطرا حتى
انسلخ الشهر رواه البخاري وفي أخرى لما أفطر وأفطروا وكان
العباس مقيما بمكة على سقايته برضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهاجر إليه بأهله وعياله فوافاه بالجحفة ثم نزل مر الظهران عشاء
فأمرهم فأوقدوا عشرة آلاف نار وكان قريش أرسلوا أبا سفيان
بن حرب ليأخذ لهم أمانا من النبي صلى الله عليه وسلم فخرج هو و
حكيم ابن وبديل بن ورقا فلما أتوا مر الظهران أفزعهم ما رأوا فقال
أبو سفيان ما هذه النيران كأنها نيران عرفة فقال بديل نيران
بني عمرو فقال أبو سفيان بنو عمرو أقل من ذلك فأدركهم
بعض الحرس فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوقف أبا سفيان
مع العباس ينظر قبائل المسلمين فكلما مرت قبيلة سأل عنها فإذا
قيل جهينة قال ما لي ولجهينة وهكذا حتى أقبلت كتيبة لم ير
مثلها قال من هذه قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية

فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي القتل اليوم تستحل
الكعبة وفي رواية الحرمة فقال أبا سفيان حبذا يوم الذمار
بكسر المعجمة أي الهلاك وتمنى أن تكون له قوة يحمي بها قومه لوثوقه بقول
سعد في أن يحميه وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة سعد
فأمر عليا أن يأخذ الراية منه خوفا أن يكون له في قريش صولة
وروي أن أبا سفيان لما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له ما قال سعد ثم ناشده
الله والرحم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة يعز الله فيه قريشا
ثم دفعت الراية لقيس بن سعد وفي رواية كذب سعد و
لكن هذا يوم يعظم الله تعالى فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة
وروى ابن عساكر أن سبب أخذ الراية منه أن امرأة من قريش
لما سمعته عارضت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الهدى إليك لجاء ... حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرض ... وعاداهم إله السماء
إن سعدا يريد قاصمة الظهر ... بأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم شعرها هذا دخله رأفة لهم ورحمة
فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لولده كما تقرر وقيل لعلي
وقيل للزبير فدخل مكة بلواءين لأنه كان حامل راية الكتيبة
الذين فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماهم المهاجرون ثم أمر

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا الزبير أن ينصب رايته بالحجون
ليدخل صلى الله عليه وسلم من أعلا مكة فدخل من أعلاها ودخل
أسامة ودخل خالد بن الوليد ومن معه من القبائل من أسفلها
هذا هو المحفوظ وعكسه مردود وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن
يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم وقاتلت قبائل استنصرت
بهم قريش خالدا فأثخن وأصحابه القتل فيهم إلى أن بلغوا الحزورة
ورأى صلى الله عليه وسلم بارقة السيوف فقال ما هذا وقد
نهيت عن القتال فقالوا نظن خالدا بدأ بالقتال فقاتلهم ولما
اطمأن خالد قال صلى الله عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك
عن القتال فقال هم بدأونا بالقتال وقد كففت عنهم ما استطعت
فقال قضاء الله خير وعند ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما
نزل مر الظهران رقت نفس العباس لأهل مكة فخرج ليلا راكبا
بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكي يجد أحدا يعلمهم ليأتوا و
يستأمنوا فلقي أبا سفيان فأردفه خلفه وأتى به النبي صلى الله
عليه وسلم وروي أن عمر لما رآه مع العباس استأذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه فقال العباس إني قد أجرته
فقال له صلى الله عليه وسلم يا عباس اذهب به إلى رحلك فإذا
أصبحت فأتني به ففعل فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان
ويحك ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي

ما احلمك واكرمك واوصلك فاعاد عليه ثم قال اما هذه ففي
فاعادم
النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم قبل ان يضرب عنقك
فاسلم فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر
فاجعل له شيئا قال نعم وامر صلى الله عليه وسلم مناديه من دخل
المسجد فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق
بابه فهو امن واستثنى عشرة انفس ستة رجالا واربع نساء
فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة فقتلوا الا من
اسلم منهم كعكرمة ابن ابي جهل وعبد الله ابن ابي سرح وصح انه
صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة اهتف لي بالانصار فهتف
بهم فجاؤوا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم
احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا
فما نشاء ان نقتل واحدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال
يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم
من اغلق بابه فهو امن وقد تمسك بهذا الاكثرون في قولهم ان مكة
فتحت عنوة **وقال الشافعي** رضي الله عنه انها فتحت صلحا وقد
بينته في شرحي على المنهاج ورجح الاول وان الظاهر هو الثاني
خلافا لما في فتح الباري ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة في
كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد
ابن الحضير راى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس يا

ابا

ابا الفضل لقد اصبح ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انها
نبوة قال نعم **وجاء انه** صلى الله عليه وسلم طاطا راسه حين
دخولها حتى كاد يمس رحله تواضعا وشكرا لما راى ما اكرمه الله تعالى
به من ان احل له بلده وبواه منه ومن اهله ولم يحل لاحد بعده
وكان على راسه الكريم المغفر بكسر فسكون للمعجمة وبفتح الفاء اي
حينئذ ثم
فضلة من الدرع تعمل على قدر الراس كالقلنسوة وعليه او تحته عمامة
سوداء ولم يكن محرما كما في مسلم وغيره وقيل كان اولا بالمغفر
ثم نحاه وتعمم لخطبته الناس على باب الكعبة وصح ان اسامة
قال يا رسول الله اين تنزل قال وهل ترك لنا عقيل من منزل او
رباع او دور اي لانه كطالب ورث اباهما دون علي وجعفر لاسلا
مهما
ثم قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الخيف حيث
تقاسموا على الكفر يعني به المحصب لان قريشا وكنانة تحالفوا على
ان لا يناكحوا بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى
ولا يبايعوا
الله عليه وسلم واستمر صلى الله عليه وسلم على راحلته حتى اناخها
بفناء الكعبة فطلب المفتاح من عثمان ابن طلحة فذهب لياتي به فابت
امه تعطيه فهددها بانه يقتل ان لم ياتيه به فاعطته اياه فدفعه اليه
ففتح الباب وعثمان ناوله له والشيبيون حجبة مكة الان من
نسل شيبة ابن عم عثمان المذكور ووقع لهم انهم يفتحون الكعبة
في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فدخل صلى الله عليه وسلم
فاغلظ عليه ونال منه فقال له لعلك سترى هذا المفتاح بيدي

اصغر حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال
بل عمرت وعزت يومئذ ودخل ولما كان يوم الفتح اخذه منه
ورده اليه وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم
وفي ثاني يوم الفتح قام صلى الله عليه وسلم خطيبا في الناس
فحمد الله تعالى واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان الله
حرم مكة الحديث المشهور ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني
فاعل فيكم قالوا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقا
اي الذين اطلقهم الله تعالى عن قيد الاسر والاسترقاق ولما طاف
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح كان يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان
على خلاف فيه خطر لفضالة بن عمير بن الملوح انه يقتله طائفا
فقال له وقد دنا منه ما كنت تحدث به نفسك قال لا شيء
كنت اذكر الله فضحك صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع
يده الكريمة على صدره فسكن قلبه فكان يقول والله ما رفع
يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئا احب الي منه واشار صلى
الله عليه وسلم وهو طائف بمحجنه الى الاصنام المعلقة بالكعبة وكانت
ثلثمائة وستين صنما مشددة بالحديد والنحاس فتساقطت كلها
لوجوهها ولما صعد صلى الله عليه وسلم الصفا يدعو رافعا يديه خطر
للانصار انه يقيم ببلده فقال ماذا قلتم قالوا لا شيء فلم يزل بهم حتى
اخبروه فقال المحيا محياكم والممات مماتكم وجاء بسند جيد
ثقات انه صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة راى فيها صورا فدعا

بماء

بماء فجعل يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون
واقام صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما يقصر الصلاة وبعد
خمسة ايام من الفتح ارسل صلى الله عليه وسلم خالدا ومعه ثلاثون
رجلا الى العزى صنم بنخلة اعظم اصنامهم فهدموها ثم جاءوا
اليه صلى الله عليه وسلم فقال لخالد هل رايت شيئا قال لا قال انك
لم تهدمها فارجع فرجع مجردا سيفه فخرجت اليه امراة عجوز عريانة
سوداء ثائرة الراس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها
اثنين فرجع فقال له صلى الله عليه وسلم نعم تلك العزى وقد ايست
ان تعبد ببلادكم ابدا ثم ارسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن
العاص الى سواع صنم هذيل ليهدمه فلما وصل اليه قال له السادن انك
لا تقدر عليه فدنا منه فكسره ثم قال للسادن كيف رايت قال
اسلمت لله وفي سادس يوم الفتح ارسل صلى الله عليه وسلم سعيد ابن
زيد الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل فلما اقبل عليه في
عشرين فارسا خرجت اليه امراة عريانة سوداء ثائرة الراس تدعو
بالويل والثبور فقتلها ثم هدموا الصنم ولما رجع خالد من هدم
العزى ارسله صلى الله عليه وسلم في ثلثمائة وخمسين الى قبيلة بيلملم
في شوال فقال ما انتم قالوا صبانا يريدون اسلمنا فامر خالد
بقتلهم فقتل جماعة منهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اني ابرا مما فعل خالد لكونه لم يتثبت في قتلهم ولم

للسادن ع

يسالهم عن مرادهم بقولهم فلا ابنا في ذلك ان خالد رضي الله عنه
كان مجتهدا والمجتهد اذا اخطا له اجر لان الخطا وان كان فيه
يصح ان يقول صلى الله عليه وسلم فيهم اللهم اني ابرا اليك منه اعلاما بان
ما فعله لم يكن من امره صلى الله عليه وسلم ولا من اشارته وانما هو
اجتهد فيه خالد وما صادف باطن الامر فيه ثم خرج صلى الله
عليه وسلم من مكة لما مهدها واسلم عامة اهلها سادس شوال في
اثني عشر الف العشرة الذين كانوا معه والفان ممن اسلم بمكة الى
هوازن وثقيف بحنين او ما قرب ذي المجاز على ثلاث ليال
من مكة قريب من الطائف وقال لهم رجل بالطريق اني انطلقت
الى هوازن فاذا هم عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم اجتمعوا الى حنين
فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان
شاء الله تعالى والبكرة لما يستقى عليها الماء واريد بها في كلام
العرب الكثرة المفرطة والظعن جمع ظعينة وهي المراة واصلها
الراحلة التي يظعن عليها اي يسار ولما راى رجل كثرة المسلمين
قال لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه
وسلم لعلمه انهم سيؤاخذون بهذه الكلمة ولما وصلوا اليهم لبس
صلى الله عليه وسلم درعين والمغفر والبيضة وركب بغلته
البيضاء لدى غبش الصبح فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله
قط من الكثرة وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة

ابرّ م

واحدة

واحدة فولت خيل بني سليم فاهل مكة فالناس ولم يثبت معه
صلى الله عليه وسلم الا عمه العباس والفضل ابنه وعلي وابو سفيان
وابناء عميه ابي طالب والحارث وابو بكر وعمر واسامة في اناس
من اهل بيته واصحابه والعباس اخذ بلجام بغلته يكفها
مخافة ان تصل الى العدو لانه كان يتقدم بها في نحر العدو
وابو سفيان ابن الحارث اخذ بركابه وهو يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب ولم ينهزم صلى الله عليه وسلم قط كما اجمعوا عليه
وما اوهم ذلك هنا من قول سلمة ابن الاكوع مررت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم منهزما الحال فيه من الفاعل ولا يجوز اعتقاد خلافه
بل ربما يؤدي الى الكفر وجعل صلى الله عليه وسلم يقول للعباس و
كان جهوري الصوت يسمع صوته من ثمانية اميال ناد يا معشر
الانصار اصحاب الشجرة اي شجرة بيعة الرضوان التي بايعوا تحتها
ان لا يفروا ومنه فلما سمعوه رجعوا كانهم الابل او البقر اذا حنت
على اولادها قائلين يا لبيك يا لبيك ومن ابى عليه بعيره اخذ
ما تيسر او تركهم فامرهم صلى الله عليه وسلم مثلا انما يسوق البير
فقال احمي الوطيس وهو التنور شبه شدة الحرب بشدة
حره وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات ثم ترابا او حصا مخلوطة
بتراب فرمى بها في وجوه المشركين قائلا شاهت الوجوه اي قبحت
وتغيرت فلم يبق منهم الا امتلات عيناه وفمه وسمعه وسمعوا

صلصلة من السماء شديدة مزعجة فولوا منهزمين وجاء من
كان معهم انه قال لما لقيناهم لم يقوموا لنا حلب شاة فجعلنا
نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فتلقتنا عنده
ناس بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا
وركبوا اكتافنا فكان سيما الملائكة يومئذ عمائم حمر ارخوها
بين اكتافهم وبين صلى الله عليه وسلم بركوبه البغلة في مثل هذا
المواطن مع انها من مراكب الامن لا الحرب اذ لا تصلح لكر ولا لفر
انهما مستويان عنده لثباته سبحانه التي لا منتهى لها واختلف
في عدد الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم ما بين اثني عشر
اربعة عشر وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا له عليه بينة
فله سلبه فاستلب ابو طلحة عشرين رجلا وفي الهدي كان
كان الله تعالى قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين
الله افواجا ودانت له العرب باسرها فلما تم ذلك الفتح المبين
اقتضت حكمته ان امسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام
وان يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليظهر اعزاز الله تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرانا لاهل
الفتح وليظهر قهره تعالى لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق اهلها
مثلها ولا يقاومهم بعد احد من العرب بعد ان اقتضت حكمته
تعالى ان اذاق المسلمين مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وقوة شوكتهم

بلغ

اقتضت م

والنصرة لدينه اصـ

ليطا

ليطامن رؤوس رفعت بالفتح ولم يدخل بلده وحرمه كما دخل
صلى الله عليه وسلم واضعا راسه منحنيا على فرسه متواضعا
لربه خضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله
ولا لاحد بعده وليبين سبحانه وتعالى لمن تغلب اليوم من
قلة ان النصر انما هو من عند الله تعالى وانه من ينصره فلا غالب له
ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله و
دينه لا كثرتكم التي اعجبتكم فانها لن تغني عنكم شيئا فوليتم مدبرين
فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد انزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت
حكمته تعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على اهل الانكسار و
نريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وبهذه وبدر قاتلت
الملائكة بانفسها ورمى صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصى
فيهما انتهى وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم نحو
الطائف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى اوطاس وهو واد في
ديار هوازن واستشهد من المسلمين اربعة وقتل من عدوهم
اكثر من سبعين ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من حنين ارسل ابا
عامر عم ابي موسى الاشعري في طلب الفارين الى اوطاس فانتهى اليهم
فاذا هم ممتنعون فقتل منهم تسعة مبارزة ثم برز له العاشر فضرب
ابا عامر فقتله فخلفه ابو موسى فقاتلهم حتى فتح الله تعالى عليه وقتل

قاتل ابن عامر ولما رمى ابو عامر قال لابي موسى يا ابن اخي ابن م
اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفر لي فلما رجع
ابو موسى ذكر له ذلك فتوضأ ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه
فقال اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك فقال ابو
موسى ولي يا رسول الله فقال اللهم اغفر له ذنبه وادخله يوم
القيامة مدخلا كريما ولما خرج صلى الله عليه وسلم من حنين وحبس
الغنائم بالجعرانة بلغه ان ثقيفا لما انهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم
بالطائف بلد كبير على مرحلتين او ثلاث من مكة قيل سميت بذلك
لان جبريل اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم بناحية صنعاء
فسار بها الى مكة وطاف بها حول الكعبة ثم انزلها حيث الطائف
واغلقوه عليهم بعد ان اعدوا فيه ما يصلحهم لسنة ومر صلى الله عليه
وسلم في طريقه بقبر ابي رغال وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج
منه غصنا من ذهب وعسكر قريبا من الحصن فرموا المسلمين
بالنبل رميا شديدا كانه رجل جراد فجرح كثير من المسلمين وقتل
منهم اثنا عشر رجلا فارتفع صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد
الطائف اليوم فضرب لام سلمة قبة ولزينب اخرى وكان يصلي
بين القبتين مدة حصار الطائف وهي ثمانية عشر يوما ونصب
عليهم المنجنيق وهو اول منجنيق رمي به في الاسلام ثم امر صلى الله عليهم
عليه وسلم بقطع اعنابهم وتحريقها فقطعها المسلمون قطعا ذريعا

فسألوه

فسألوه ان يدعها وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم اني ادعها لله و هم
للرحم ثم نادى مناديه انه من نزل الينا من الحصن فهو حر فخرج اليه
ثلاثة وعشرون رجلا منهم ابو بكرة رضي الله تعالى عنهم فاعتقهم
ودفع كلا منهم الى من يمونه فشق ذلك على اهل الطائف ولم يؤذن
له في فتحه فامر عمر فاذن بالرحيل فضج الناس من ذلك فقالوا
نرحل ولم يفتح علينا فقال صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال
فغدوا فاصاب المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا
قافلون ايبة اجعون ان شاء الله تعالى فسروا بذلك واذعنوا
وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك قال
النووي قصد صلى الله عليه وسلم الشفقة عليهم بالرحيل
عنهم مع رجائه انه سيفتحه بعد بلا مشقة فلما حرصوا على
المقام والقتال لجدهم فلما جرحوا رجع بهم الى ما كان قصده اولا
من الرفق بهم ففرحوا فضحك تعجبا من تغير رايهم وفقئت عين ابي
سفيان صخر بن حرب يومئذ فذكر ابن سعد انه صلى الله عليه
وسلم قال له وهي في يده ايما احب اليك عين في الجنة او
ادعو الله ان يردها عليك قال بل عين في الجنة ورمى بها و
شهد اليرموك بعد ذلك بمدة مديدة فقاتل وفقئت عينه
لهم م الاخرى يومئذ ولما عزم صلى الله عليه وسلم قال لهم قولوا لا
اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب

وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون عابدون لربنا حامدون
وفي هذا من اداب السلوك والتربية ما يعظم وقعه
لانه صلى الله عليه وسلم كان عند الخروج للجهاد يعتقد الذي يمكنه
من العدة والعدد فاذا رجع تبرأ عن ذلك ورد الامر كله
لمولاه وحده بقوله المذكور الذي هو عين الحقيقة اذ الاسناد
وفعله خلق له تعالى فهو الذي دبر واعان ونصر وخذل فالكل
منه واليه ولو شاء ان يبيد اهل الكفر من الدنيا كلها في لحظة
لفعل لكنه تعالى اشار الى حكمة خلافه ذلك بقوله عز قائلا ولو
يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا اي يختبر بعضكم ببعض اي فيثبت فيثبت
الصابرين ويجزل ثواب الشاكرين وليتميز المخذول المبطل والمنافق
من المومن وقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم اي
علم ظهور للناظر والا فهو تعالى لا يخفى عليه خافية ازلا وابدا و
الصابرين ونبلوا اخباركم فتعلم انه يجب على المكلف شهود الحق
وحده في حالتي تعاطي الاسباب والرجوع الى مسببها بالتفويض
البتة لا الى غيره كما كان صلى الله عليه وسلم يأتي الاسباب ولا
تأدبا مع ربوبيته وتشريعا للامة ثم ينسلخ من ذلك وينظر الله
عليه بما يشاء مما اخره له من الكرامات والمعجزات صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم ولما قيل يا رسول الله ادع لثقيف فقال اللهم
اهد ثقيفا وائت بهم ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة وبها

سبي

سبي هوازن انتظر ان يقدموا مسلمين فلما مضى بضعة عشر يوما بدأ بقسم
الاموال وكان السبي ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الفا
والشاه اكثر من اربعين الف والفضة اربعة الاف اوقية فطفق
يعطي حتى اعطى المائة من الابل يتالفهم بذلك فوقع من صغار الانصار
قالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من
دمائهم فبلغه فجمعهم واخبرهم بما بلغه عنهم فانكر ذلك اكابرهم
وطلبوا منه العفو عن صغارهم فقال اما ترضون ان يذهب الناس
بالشاء والابل وانتم تذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى دياركم
فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد
رضينا قيل وكان قد وصل الجعرانة لليلتين بقيتا من شوال و
رد بان المعروف انه كان ليلة الخميس خامس القعدة فاقام بها
ثلاث عشرة فلما اراد الانصراف الى المدينة خرج اثناء الليلة
الاربعاء ثامنة عشر القعدة محرما بعمرة فاتمها ورجع ليلا
ثم اصبح كبائت ولذا لم يعلم بعمرته هذه الا افراد وانكرها من لم
يعلمها ثم قدم المدينة ومدة غيبته فيها شهران وستة عشر يوما
وفي عاشر رجب سنة تسع بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الروم تجمعت الى هرقل بالشام الى قتاله صلى الله عليه وسلم فاعلم
الناس بذلك كعادته ليتأهبوا لبعد المكان وكثرة العدو
وتسمى هذه الغزوة غزوة تبوك بمحل معروف على نصف طريق

وغنايمهم اقام بها لعل هوازن ثم

دمشق من المدينة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها
بحيث كانوا ينحرون الإبل ليشربوا ما في كرشها واعظم الجذب و
قلة الظهر والنفقة والاهبة ومن ثم جاء عن عثمان رضي الله تعالى
عنه بما بين بعير باقتابها واحلاسها وما بين اوقية وفي رواية
انه حمل في هذه الغزوة على الف بعير وسبعين فرسا وفي اخرى
انه اتى بعشرة الاف دينار فصبت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت
وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي بما عمل بعدها و
استنفر صلى الله عليه وسلم اهل مكة وقبايل العرب وطلب اصحابي
موسى الاشعري من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحملهم فقال لا اجد
ما احملكم عليه فبكوا فاشترى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد
ستة ابعرة فارسلها اليهم وقام علبة ابن زيد فصلى وبكى وقال
اللهم انك امرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما
اتقوى به على سولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه و
اني اتصدق على كل مسلم بكل مظلمة اصابني فيها مال او جسد او
عرض فلما اصبح مع الناس قال صلى الله عليه وسلم اين المتصدق
بهذه الليلة فلم يقم احد فاعاد ثم اعاد واخره فقال صلى الله
عليه وسلم ابشر فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة و
اذن صلى الله عليه وسلم لاثنين وثمانين رجلا من المعذرين من الاعراب

في التخلف وقعد اخرون منافقون بلا اذن جراة على الله ورسوله
وتخلف من اكابر المسلمين الثلاثة الذين ذكرهم الله وتاب
عليهم اخر سورة براءة واستخلف على المدينة محمد ابن مسلمة في
قول وقال محمد الدمياطي وعليا في قول اخر ثبت في الصحيحين وقال
له يومئذ انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي
وضلت الامامية والشيعة والرافضة حيث اخذوا
من هذا انه الخليفة بعد موته صلى الله عليه وسلم جهلا منهم ان
خلافة هرون عن موسى انما كانت في حيوة موسى لان هرون
توفي قبله ولما اوهم التشبيه خلاف المراد قال الا انه لا نبي بعدي
اي بعد نبوتي ولو في حياتي وجملة من كان معه صلى الله عليه
وسلم في هذه الغزوة ثلاثون الفا واربعون او سبعون الفا و
الخيل عشرة الاف فرس ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه
على وجهه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين
ظلموا انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم و
امرهم ان لا يشربوا من مائها شيئا وان ما عجنوا به يطعمونه للدواب
وان لا يخرج احد وحده فخالف واحد فاختنق فاتي به
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له واخر فاحتملته الريح الى جبل
طي فاتوا به النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه الى المدينة ولما وصل
تبوك اخبرهم انه ريحا شديدة تهب الليلة فاحتفظوا فهبت

فقام رجل فحملته حتى القته بجبل طي وفي بعض الطريق ضلت ناقته
فقال منافق يزعم انه نبي وانه يخبركم بخبر السماء فبلغ ذلك يسرح
النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا اعلم الا ما علمني الله وهي بمحل
كذا حبستها شجرة بزمامها فاتوني بها فجاءوا بها ولما وردوا
عين تبوك راوا ماءها قليلا جدا فاخذ منه قليلا وغسل
به صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ثم اعاده فيها فكثر ماؤها
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم في تبوك صاحب ايلة فصالحه و
اعطاه الجزية واتاه اهل جربا بكسر الجيم بلد بالشام واذرح
بمعجمة فراء فمهملة بلد بها وبين الاولى ثلاثة ايام فاعطوه الجزية
وكتب عليهم كتابا وارسل خالدا الى اكيدر النصراني لد ملك عظيم
بدومة الجندل في اربعمائة وعشرين فارسا فاسره ثم اجاره
حتى ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة
الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة فرس واربعمائة
درع واربعمائة رمح وكتب صلى الله عليه وسلم كتابا الى هرقل يدعوه
الى الاسلام فقارب الاجابة ولم يجب ومن ثم انه صلى الله
عليه وسلم قال عنه كذب عدو الله ليس بمسلم هو على نصرانيته ثم
انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بها عشرين ليلة نخوص
ولم يلق كيدا وبنى في طريقه مساجد ولما قرب صلى الله عليه وسلم
من المدينة نزلت عليه اية مسجد الضرار فارسل من هدمه وحرقه

وكان

وكان اتخاذه قريب سفره ليضاهي به المنافقون اهل مسجد قباء
وليتعللوا به حتى لا يصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم واظهروا
انه للمعذورين منهم وسألوه صلى الله عليه وسلم ان يصلي فيه فقال
اني على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه
ولما دنى صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه
والصبيان والولايد يقلن

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعى لله داع

ويقول بعض الرواة هذا كان حين قدومه من مكة وهم منه
فيه لان ثنيات الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها
القادم من مكة بل من الشام وكانهم لم ينظروا الاحتمال انه صلى الله عليه
وسلم عرج عند مقدمه المدينة الى تلك الناحية فدخل منها او
لاحتمال ان بناحية مكة محل يسمى بذلك وان الواقعة متكررة
لان مثل هذا احتاج لسند يصرح به وعند دنوه صلى الله عليه وسلم
من المدينة قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم سيرا ولا قطعتم
واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر اي فلهم مثل ثوابكم وهذا
يؤيد الحديث الضعيف نية المؤمن خير من عمله لانهم بنيتهم
وهم على فرشهم لحقوا الكمل المجاهدين باموالهم وانفسهم وكمال الثواب
انما ينشأ عن خلوص النية وصدقها دون مجرد العمل وحينئذ



راي صلى الله عليه وسلم المدينة قال هذه طابة وهذا احد
جبل يحبنا ونحبه قيل وهو مجاز ورد بانه لا مانع من حمله على
ظاهره نظير تسبيح الحصى بيديه الكريمتين وتحرك الجبل به
تيها وفرحا فقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
اي عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم **وجاءه** صلى الله عليه وسلم
المتخلفون فاستغفر لهم الا اولئك الثلاثة كعب ابن مالك و
زرارة ابن الربيع وهلال ابن امية فاخرهم حتى نزلت توبتهم في قوله
تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى قوله ان الله هو التواب الرحيم
تاب الله علينا توبة نصوحا ورحمنا برحمته الواسعة التي لا تنقضي
نقصا ولا تبعة واقام علينا واسبغ فضله ورضاه وجعلنا ممن
اتحفه وارضاه انه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين **وهذا ما**
سنح له القلم من ذكر مشاهير السير والغزوات على غاية من الايجاز
والاحاطة بما فيهما من الغرايب والاخبار التي فيها المثل لمثلها غاية
الهداية والتوفيق لمن تاسى باحوال نبيه صلى الله عليه وسلم على غاية
من الايمان والتصديق فكن ممن تاسى لا سيما في صلة الارحام
البالغ نفعها حتى اواها مبلغا باهرا والدايم توسلها بالعرش في
صلة من وصلها وقطع من قطعها توسلا موصلا او قاطعا
قاهرا واستعن بالله تعالى على ذلك فانه افضل ما انتحله المنتحلون
وابلغ ما عمله المجاهدون حفظ الله تعالى لنا واياك من فضله

اعنة م

المامول

المحقق م

المامول وادام علينا توفيقه ورضاه لكل مرغوب ومسؤول
انه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم واذ قد انتهى ذلك
فلنذكر وقايع الصحابة رضي الله تعالى عنهم و
وقايع من بعدهم التي فيها صلة الرحم او قطيعته ليكون
هذا الكتاب مجموعا جامعا وذخيرة نافعا مستوفيا لجميع المقاصد
مستوعبا لامهات الفرايد مشتملا على نفايس تتعلق بما هو المقصود
من تاليفه وفوايد تزيده تنميقا الى تنميقه وترصيفا الى ترصيفه
فمن ذلك قطع رحم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه بالسعي في قتله
وتفويت الناس التمتع بعدله وعلومه ومعارفه وفضله كيف
وقد اجمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على انه اعلمهم وافضلهم
وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه لولا ابو بكر رضي الله عنه ما
عبد الله بعد محمد ومع ذلك سعي في قتله بالسم **فقد صح**
عن الامام الاكبر ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى عليه ان ابا بكر
والحارث ابن كلدة طبيب العرب كانا ياكلان خزيرة اهديت
لابي بكر وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحارث
لابي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله ان فيها السم وانا وانت
نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في
يوم واحد عند انقضاء السنة واخرج الحاكم عن الشعبي انه

سنة م

قال ماذا تتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسم ابو بكر واخرج ابن سعد وابن ابي الدنيا
انهم قالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي قالوا
فماذا قال لك قال اني فعال لما اريد وتوفي ليلة الثلثا
لثمان بقين من جمادى الاخر سنة ثلاث عشرة وصلى عليه عمر بين
القبر والمنبر وكذا سم عمر رضي الله تعالى عنه على الاصح حين
قتله مجوسي عبد للمغيرة ابن شعبة لكونه شكى اليه ثقل خراجه فلم
يشكه لعلمه بكذبه في شكايته فاستعمل الخنجر وكان له ضابع
كثيرة الحدة اذ ذاك وغيرها وعمل له راسان وجعل نصابه في وسطه و
وبالغ في حده وسمه ثم كمن له في الغلس في بعض زوايا المسجد
حتى خرج عمر يصف الناس لصلوة الصبح فقام حذاه في الصف
وضربه به في كتفه وفي خاصرته فسقط وطعن معه ثلاثة عشر
رجلا مات منهم ستة فالقي عليه ثوب فلما اغتم فيه قتل نفسه و
وحمل عمر الى اهله وكادت الشمس تطلع فصلى عبد الرحمن بن عوف
بالناس باقصر سورتين وعلم عمر انه ميت لما اسقي اللبن فخرج كما
هو من جرحه فقال للناس لما قالوا له لا باس عليك ان يكن
بالقتل باس فقد قتلت وقال للمثنين عليه وددت اني خرجت
منها كفافا لا علي ولا لي وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلمت لي ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي

الاسلام

الاسلام ثم ارسل ولده عبد الله لعائشة رضي الله تعالى عنها
يستاذنها ان يدفن مع صاحبيه فاذنت له واثرته على نفسها
فانها كانت اعدت ذلك المكان لها فسرت بذلك كثيرا وكانت
اصابته لاربع بقين من الحجة ومات ودفن يوم الاحد مستهل
المحرم وصلى عليه صهيب في المسجد وصح ان الشمس كسفت يوم
موته ومن ذلك قطع مروان لرحم محمد بن ابي بكر وقطع محمد
لرحم عثمان ذي النورين بسعايته في قتله روى الائمة عن
سعيد ابن المسيب في ذلك ما حاصله قتل عثمان مظلوما و
قاتله ظالم ومن خذله من الصحابة معذورون لانه لما ولي الناس
اثني عشر سنة رضوا عنه ست سنين وفرحوا به اكثر من عمر
للينه ثم في الست السنين الاخيرة وقع في نفوسهم منه شي لانه
ولى فيها اقاربه بني امية ممن ليست لهم صحبة الاعمال كلها ففعلوا
ما انكره الصحابة فشكوهم اليه فلم يعزلهم لحسن ظنه بهم ومبالغته
في توصيتهم بتقوى الله تعالى وانضم الى ذلك ما كان منه الى
عبد الله ابن مسعود والى ابي ذر وعمار ابن ياسر مما اغضب قبائل
هولاء الثلاثة بجملهم ومن غضب لاجل عمار بني مخزوم وجاء
اهل مصر يشكون اليه عبد الله بن ابي سرح فكتب اليه يهدده
فلم يزدد الا طغيانا وقتل بعض من شكاه فخرج من اهل مصر
سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا الى الصحابة فكلم طلحة بن عبيد الله

عثمان بكلام شديد وكذلك عايشة وعلي وغيرهم واشاروا
عليه بعزل ابن ابي سرح والانتقام منه بالحق واشاروا عليه
بتولية محمد ابن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ففعل وخرج معه عدد
من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين اهل مصر وابن ابي
سرح فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة راوا غلاما اسود على
بعير مجد فقالوا ما قصتك قال انا غلام امير المومنين الى عامل
مصر فقيل له هذا عامل مصر هنا فقال ليس هو اريد واحضره
محمد وساله فقال ذلك مرة ومرة اخرى قال انا غلام مروان ثم
سيل عما ارسل به فانكر ففتش حتى داوة معه يابسة فراوا فيها اداوة
كتابا فيه من عثمان الى ابن ابي سرح فجمع محمد الصحابة وغيرهم وفك
ختم الكتاب بحضرتهم فاذا فيه اذا اتاك محمد وفلان وفلان
فاحتل في قتلهم وابطل كتابه وقر على عملك حتى ياتيك امري
واحبس من يجي يتظلم منك ففزعوا وختمه محمد بخواتيم نفر معه
ثم دفعه لرجل منهم ورجعوا الى المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا
وسعدا وبقية الصحابة وقرى الكتاب عليهم واخبروهم بقصة
الغلام فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق على عثمان وزاد
ذلك اوليك القبايل الثلاثة غيظا فحاصر الناس عثمان فدخل
عليه علي وجعفر ومعه اهل بدر والغلام والكتاب والبعير و
الخاتم له ثم اكد في الحلف انه لم يكتب هذا الكتاب ولا علم به فبروه

لانه

فبروه لانه لم يكذب منذ اسلم ولانهم عرفوا ان الخط خط مروان
فسالوه ان يدفعه اليهم فابى خوفا عليه من القتل وايثارا لنفسه
النفيسة به فخرج الصحابة من عنده غضابا ولزموا بيوتهم
فاشتد حصار اهل مصر ومن تبعهم من الاخلاط له حتى منعوه الماء
فاشرف فقال افيكم علي قالوا لا فقال الا احد يبلغ عليا فيسقينا
فبلغه فارسل له ثلاث قرب فلم تصل الا بعد ان جرح كثير من
موالي بني هاشم وبني امية ثم بلغ عليا انهم يريدون قتل عثمان
فغضب وقال انما اردت منه مروان ثم امر الحسنين رضي الله تعالى
عنهم ان يقفا بسيفيهما على بابه فلا يدعا ان احدا يصل اليه و
بعث عدة من الصحابة ابناءهم كذلك فكثر الناس عليه وطلب مروان
فابى فرموه بالسهام فاصاب بعضها وجه الحسن فخضبه بالدما
وهو على بابه وكذا خضب محمد ابن طلحة وشج قنبر مولى علي فخشي
محمد ابن ابي بكر غضب بني هاشم للحسن فاخذ بيد رجلين وتسوروا
عليه من دار انصاري حتى دخلوا عليه من غير ان يعلم بهم احد ممن
كان معه في داره لان محله اعلا من بيوتها فوجدوا عنده امراته
فمنع محمد صاحبيه حتى تستتر وجنته فلما دخل ذهب فاخذ
بلحيته فقال له لو راك ابوك لساءه مكانك مني فتراخت يده
ودخل الرجلان عليه فذبحوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا
فصاحت امراته فلم يسمع صوتها فاشرفت على الناس واخبرتهم

فبلغ الخبر عليًا وسعدًا وطلحة والزبير وغيرهم فخرجوا وقد طاشت
عقولهم فدخلوا عليه فقال علي لابنيه كيف قتل امير المؤمنين
وانتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين و
شتم محمد ابن طلحة وعبد الله ابن الزبير وخرج وهو غضبان حتى
اتى منزله وجاء الناس يهرولون اليه فقالوا له نبايعك فمد
يدك فلا بد من امير فقال علي كرم الله وجهه ليس ذلك اليكم
انما ذلك لاهل بدر فاتاه اهل بدر فقالوا انت احق بها مد
يدك نبايعك فمد يده فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء
علي الى امراة عثمان فقال ان محمد ابن ابي بكر من القتلة ولم تعرف
الذين معه فدعى عليًا محمدًا فقال وقد دخلت بيد قتله فذكر
لي ابي فقمت وانا تائب الى الله والله ما قتلته ولا امسكته
فقالت امراته صدق وقال عثمان رضي الله عنه وهو محصور
لقد اختبات عند ربي عشرا وذكر فيها انه رابع الاسلام وانكحه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته رقية فماتت والنبي صلى الله
عليه وسلم ببدر ولذلك خلفه لها وضرب له بسهم وجعله من
اهل بدر لانه انما تخلف طاعة لله ولرسوله ثم ام كلثوم فماتت في
السنة التاسعة ولم يضع يمينه على فرجه منذ بايع بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت به جمعة بعد الاسلام الا اعتق فيها
رقبة ولا زنى ولا سرق في جاهلية ولا اسلامًا وانه اول من جمع

القرآن

القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قتله رضي
الله تعالى عنه في اوسط ايام التشريق سنة خمس وثلاثين ومن
ثم قال حسان رضي الله تعالى عنه
ضحوا باشمط عنوان السجود له * يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا
وسنه بضع وثمانون سنة وصلى عليه الزبير رضي الله تعالى عنهما
لوصيته له بذلك وفي حديث تفرد به من له مناكير ان لله
سيفًا مغمودًا في غمده ما دام عثمان حيًا فاذا قتل عثمان جرد ذلك
السيف فلم يغمد الى يوم القيمة وورد ان عامة الذين ساروا
الى عثمان جنوا واخرج ابن عساكر عن حذيفة صاحب سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم في علم الفتن والملاحم والوقائع بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الفتن قتل عثمان واخرها
خروج الدجال وصح عن علي كرم الله وجهه انه قال يوم الجمل
اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل
عثمان وانكرت نفسي وجاؤني للبيعة فقلت والله اني لاستحي
من الله تعالى ان ابايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع
الناس فسالوني البيعة قلت اللهم اني مشفق مما اقدم عليه ثم
جاءت عزيمة فبايعت ولقد قالوا يا امير المؤمنين فكانما صدع
قلبي وقلت اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى وقال كرم الله تعالى
وجهه ان بني امية يزعمون اني قتلت عثمان ولا والله الذي لا

اله الا هو ما قتلت ولا مالئت ولقد نهيت فعصوني ه ه
ومن ذلك قطع كثير من قريش رحم علي كرم الله تعالى
وجهه حيث نسبوه لما هو بري منه انه اعان على قتل عثمان
او رضي بقتله او سكت عليه مع قدرته عليه وليس الامر كذلك
في الكل حاشاه الله تعالى من ذلك ثم رتبوا على هذا التخييل
الفاسد مقتضاه فخرجوا على امير المومنين كرم الله تعالى وجهه وقاتلوه
المرة الكثيرة واذوه الايذا البالغ حتى كان ذلك سببا لقتله
هذا مع ان النبي صلى الله عليه وسلم صرح له في حال حيوته انه على
الحق وعدوه على الباطل وقال للزبير انك ستقاتل عليا
وانت له ظالم ومن ثم لما ذكر علي الزبير بذلك يوم الجمل ادبر موليا
وترك القتال فقتل بعد ذلك بقليل في الطريق وكذلك انبأ
صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله تعالى عنها انها ستقاتل
وانها ظالمة له ثم وصاه ان ظفر بها خيرا فظفر بها واوصى بها ووفا
بواجب حقها وشرح هذه الاجمالات بعض الشراح ان عليا
كرم الله وجهه بويع بالخلافة الغداة قتل عثمان رضي الله
تعالى عنه بالمدينة ممن كان بها لكن قيل ان طلحة والزبير رضي الله
تعالى عنهما بايعا كارهين ثم خرجا الى مكة وعايشة بها فخرجا معها
الى البصرة يطلبون بدم عثمان وخرج علي الى العراق فلقيهم ومن
معهم بالبصرة وهي وقعة الجمل كانت في جمادى الاخرة سنة ست

وثلاثين

وثلاثين وقتل بها طلحة وكذا الزبير بعد انصرافه لما ذكره علي
بقول النبي صلى الله عليه وسلم له ستقاتله وانت له ظالم وبلغت
القتلا ثلاثة عشر الفا واقام علي على البصرة ثلاثة عشر ليلة
ثم انصرف الى الكوفة ثم بلغه خروج معاوية رضي الله تعالى عنهما
اليه واهل الشام فسار اليهم فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع
وثلاثين ودام القتال بها اياما فرفع اهل الشام المصاحف
يدعون الى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص فانه كان مع معوية
رضي الله تعالى عنهما فكره الناس الحرب وتداعوا الى الصلح وحكم
على ابا موسى الاشعري ومعاوية عمروا وكتبوا بينهم كتابا ان
يوافوا راس الحول باذرح فينظروا في امر الامة فتفرق الناس ورجع
معاوية الى الشام وعلي الى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من
اصحابه ومن كان معه وقالوا لا حكم الا لله وعسكروا بحروراء
فبعث اليهم ابن عباس ليبين لهم انهم على الباطل فخاصمهم وحجهم
فرجع منهم كثيرون وثبت الباقون فساروا الى النهروان فسار
اليهم فقتلهم اشد قتلة سنة ثمان وثلاثين واجتمع الناس
باذرح في شعبان هذه السنة وحضرها سعد ابن ابي وقاص
وابن عمر وغيرهما من الصحابة فكاد عمرو ابا موسى بان وافقه على
ان كلا منهما يخلع من حكمه وان ابا موسى يتقدم يخلع عليا فتقدم
وتكلم ثم خلع عليا فتكلم عمرو ثم اقر معاوية وبايع له وتفرق

النهروان

الناس على هذا وصار علي في خلاف من اصحابه حتى صار لكونه الامام
على الحق وكون معاوية باغيا عليه وان كان له اجتهاده
بعض على اصبعه ويقول اتمضي ويطاع معاوية ولم ينظر الى ما
وقع من ابي موسى لانه كان ناشئا عن مكر وخديعة وما هو كذلك
لا ينظر اليه ولا يعول عليه ولما اشتد هذا الخلاف بالناس
انتدب ثلاثة من الخوارج قبحهم الله تعالى هم عبد الرحمن بن ملجم
المرادي اللعين وتميميان فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا ليقتلن وتعاقدوا على
هذه الثلاثة لتنطفي الفتنة عليا ومعاوية وعمرو بن العاص وابن ملجم
لعلي والآخران ثم توجه كل منهم الى المصر الذي فيه صاحبه فقدم
ابن ملجم الكوفة فلقي اصحابه الخوارج فكاتمهم ما يريد واستمر الى ليلة
الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين فلم ينم علي تلك الليلة
وكانه كان عنده علم بها وهو يدخل ويخرج وينظر الى السماء على خلاف
عادته ثم قال خ رأيت لابنه الحسن رضي الله تعالى عنهما بسحر الليلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك
من الكدر فقال ادع الله عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم خيرا لي منهم
وابدلهم بي شرا لهم مني فدخل المؤذن فقال الصلوة فخرج علي من الباب
ينادي ايها الناس الصلوة فاعترضه ابن ملجم اللعين فضربه بالسيف
فاصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه على الكيفية التي
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بها عليا وبين له صفة قاتله وانه

اشقى الاولين والآخرين فشد الناس عليه من كل جانب فامسك
واوثق واقام علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وغسله
الحسنان وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن بدار
الامارة بالكوفة ليلا ثم قطعت اطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة
واحرق بالنار **وقيل** ان اللعين عشق خارجية فاشترطت
عليه ان يصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل علي ولا مانع ان
السبب مركب من هذا ومما مر وعمي قبره لئلا ينبشه الخوارج وقال
شريك نقله الحسن الى المدينة **وفي رواية** اخرجها ابن عساكر
انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم في
مسيرهم ليلا اذ ند الجمل الذي هو عليه فلم يدر اين ذهب ولم يقدر
عليه فلذلك قالت طائفة من الشيعة انه في السحاب و
الاصح ان عمره ثلاث وستون سنة ومدح بعض الخوارج وهو عمران بن حطان
ابن عمرو بن ملجم على قتله لعلي فقال

يا ضربة من تقي ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا
اكرم بقوم بطون الارض اقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغ ذلك امام الشافعية القاضي ابا الطيب الطبري فاجابه

اني لابرأ مما انت قائله ... في ابن ملجم ذا الملعون بهتانا
اني لاذكره يوما فالعنه ... دينا والعن عمران بن حطانا

خطانا اصح

عليك ثم عليه الدهر متصلا : لعاين الله اسرارا واعلانا
فانتموا من كلاب النار جاء لنا : نص الشريعة برهانا وتبيانا

ومن ذلك قطع رحم امير المؤمنين ابي محمد الحسن بن علي كرم الله وجههما بقتل بعض قريش له بالسم وبيان ذلك باختصار ان الحسن كرم الله تعالى وجهه لما ولي الخلافة عن ابيه واستمر فيها نحو ستة اشهر عزم معاوية على قتاله فراى الحسن كثرة من معه من المسلمين ثم اراد ان ينزل لمعاوية عن الخلافة فبلغ ذلك معاوية فسر به كثيرا ثم وافقه على انه يشترط ما يريد ثم اشترط ما اراد ووافقه عليه ثم نزل له فسمي معاوية من حينئذ امير المؤمنين بحق ثم انتقل الحسن الى المدينة وكان معاوية يحبه حبا مفرطا ويعطيه عطايا باهرة فخشي يزيد ان اباه يموت فلا يولي الخلافة الا الحسن فسعى في قتله فارسل الخبر وجته جعدة بنت الاشعث ان سميه بهذا السم وانا اتزوجك ففعلت فمات سنة تسع واربعين ثم ارسلت ليزيد تطلب منه ما وعدها به فابى لخيانتها وجهد به اخوه الحسين ان يخبره بمن سقاه السم فابى وقال الله اشد نقمة ان كان الذي اظن والا فلا تقتل بي بريا

ومن ذلك قطع جماعة من قريش رحم الحسين بن علي كرم الله تعالى وجههما فتمالوا عليه في السعي في قتله حتى قتل وقصة قتله وما اشتملت عليه من العجائب المدهشة للعقول بسطتها

في كتابي الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والابتداع والزندقة وحاصل ذلك منها ان سبب خروجه ان معاوية رضي الله تعالى عنه لما مات بايع اهل الشام ولده يزيد فطلب البيعة من اهل المدينة فابى الحسين وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم وخرجا الى مكة وكان اهل العراق يكتبون للحسين بالمسير اليهم المرة بعد المرة فاراد ذلك واشار عليه الصحابة بالترك وبينوا له انهم خذلوا اباه واخاه فلم يصغ اليهم ولقد قال له ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لا تخرج فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خيره الله تعالى بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة وانك بضعة منه ولا تنالها يعني الدنيا وقال له ابن عباس والله اني لاظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان ومع ذلك صمم على الخروج الى العراق فخرج عشر الحجة ومعه طائفة كثيرة من اهل بيته رجالا ونساء وصبيانا فكتب يزيد الى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد لقتاله فوجه اليه جيشا اربعة الاف وامر عليهم عمر بن سعد بن ابي وقاص فخذله اهل الكوفة كما هو شانهم مع اخيه وابيه رضي الله تعالى عنهم فقاتلوه حتى قتلوه بكربلا يوم عاشورا وقتلوا معه ستة عشر رجلا من اهل بيته ثم قطع راسه الشريف وجيء به الى ابن زياد قال بعض الحفاظ ممن جمع بين العلوم العقلية والنقلية الظاهرة والباطنة نعم

ثم ارسل يزيد لهم

كلهم

خ اصل
عمر

الله قاتله وابن زياد معه ويزيد ايضا قال وفي قصة قتله
طول لا يحتمل القلب ذكرها فانا لله وانا اليه راجعون ثم حمل
راسه واهله نساء وصبيانا على اقتاب هيئة واشنعها الى يزيد
اللعين بالشام فاظهر عنده ذلك من الشماتة والاستبشار بالذرية
الطاهرة المطهرة ما اوجب مقته وخزيه في الدنيا والاخرة بل
قال الامام احمد بن حنبل وناهيك به اماما وجلالة وزهدا
حفظا للسنة ان يزيد كافر انتهى ولقد سماه رجل امير
المؤمنين بحضرة امام الهدى الملحق بالخلفاء الراشدين عمر بن
عبد العزيز فضرب ذلك الرجل عشرين سوطا وقال تقول امير
المؤمنين ولقد نزلوا بالراس المكرم في بعض منازل الطريق فخرجت
لهم يد بها قلم يكتب ٭ اترجوا امة قتلت حسينا ٭
شفاعة جده يوم الحساب ٭ فتركوا الراس ونفروا ثم عادوا
اليه فاخذوه وكسفت الشمس يوم قتله ومكثت الدنيا سبعة
ايام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة يضرب بعضها
بعضا واحمرت افاق السماء ستة اشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة
ترى بعد ذلك ولم يكن فيها قبل ذلك وروى انه لم يقلب حجر
ببيت المقدس الا روئي دم عبيط وصار الورس الذي في عسكرهم رمادا
ونحرت ناقتهم فروئي في لحمها النار فطبخت فكانت امر من العلقم
وتكلم رجل فيه فرماه الله تعالى بكوكبين من السماء فطمس بصره وراى

ام

ام سلمة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقت قتله النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى راسه المكرم ولحيته الشريفة التراب فقالت ما لك يا رسول الله
قال شهدت قتل الحسين انفا وكذا راه ابن عباس حينئذ
اشعث اغبر وبيده قارورة فيها دم فقال ما هذا يا رسول الله
قال هذا دم الحسين واصحابه لم ازل التقطه من الارض منذ
اليوم وسمع كثيرون الجن يبكون بكربلاء عليه وينوحون وورد
ان ملكا نزل من السماء على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت
ام سلمة فامرها ان تمنع احدا يدخل فجاء الحسين فمنعته فدخل
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقبله وقال له الملك اتحبه قال
نعم فقبض قبضة من تراب احمر من كربلاء وقال انه سيقتل
بهذه الارض فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ثم اعطى التراب لام
سلمة فجعلته في قارورة فانقلبت يوم قتله دما ٭ ومن
ذلك قطع جماعة من قريش رحم عبد الله بن الزبير فقتلوه بغير
حق فانه كان الخليفة الحق فبغوا عليه حتى حصروه ثم قتلوه
وخلاصة قصته انه كان ممن ابى البيعة ليزيد وفر
الى مكة ولم يدع الى نفسه في حياة معاوية رضي الله تعالى
عنهما بل بعده فوجد عليه يزيد وجدا شديدا وكذا
وجد على اهل المدينة لما خلعوه سنة ثلاث وستين لما
بلغهم عنه من القبائح والفسق والتهور والانسلاخ من الدين

كما ننسلخ الحية من جلدها ومن ثم قال عبد الله بن حنظلة ابن
الغسيل والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بحجارة من
السماء انه ينكح اخواته وامهات اولاد ابيه ولا يفارق الخمر ولا
يصلي فجهز عليهم جيشا كثيفا وامرهم بقتالهم ثم بالمسير الى مكة
لقتال ابن الزبير فجاؤا وكانت وقعة الحرة المشهورة على باب
المدينة قتل فيها من الصحابة وحملة القران وافتض فيها من
الابكار ما يدهش العقل ويطمس الفكر ومن ثم قال الحسن البصري
والله ما نجا من اهل المدينة احد ثم سار جيش الحرة الى مكة
لقتال ابن الزبير فمات امير الجيش بالطريق فاستخلف عليهم اميرا
فاتوا الى مكة وحاصروا ابن الزبير في صفر سنة اربع وستين و
احترق من شرارة من نيرانهم استار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش
الذي فدي به اسماعيل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكانا
في سقفها واهلك الله تعالى الطاغية يزيد في نصف ربيع
الاول من هذا العام فجاء الخبر بموته والقتال مستمر فنادى
ابن الزبير يا اهل الشام ان طاغيتكم قد هلك فتفرقوا وذلوا
وتخطفهم الناس ودعا ابن الزبير الى بيعة نفسه البيعة الكاملة
وتسمى بالخلافة واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان
ولم يخرج عنه الا الشام ومصر بويع بهما لمعاوية الصالح ابن
يزيد الفاسق اللعين فلم تكن اربعين يوما وكان مشغولا بالمرض

لم يتول من امور الناس شيئا ولم يستخلف احدا تورعا وسنه احدى
وعشرين سنة وبعده اطاع اهل الشام ومصر واستمر الى ان
مات سنة خمس وستين وعهد لابنه عبد الملك والاصح كما قاله
الذهبي ونحوه ان مروان لا يعد في امراء المؤمنين بل هو باغ
خارج على ابن الزبير فانه استمر خليفة حق بمكة الى ان تغلب عبد
الملك فجهز لقتاله الحجاج في اربعين الف فحصره بمكة اشهرا و
رمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه وتسللوا الى
الحجاج فظفر به وقتله ثم صلبه يوم الثلاثاء من جمادى الاولى
سنة ثلاث وسبعين واخرج ابو يعلى في ان النبي صلى الله عليه
وسلم ناول ابن الزبير دم حجامته وقال له اذهب فاهرقه حيث
لا يراك احد فذهب وشربه ثم رجع فقال له ما صنعت بالدم
قال عمدت الى اخفى موضع علمته فجعلته فيه قال لعلك شربته
قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون
ان القوة والشجاعة التي بابن الزبير من ذلك الدم ومن ثم كان
يصلي في الحجر وهو محصور بالمسجد وحجارة المنجنيق تصيب
طرف ثوبه فلا يلتفت اليها وكان لا ينازع في ثلاثة الشجاعة
والعبادة والبلاغة ومن ثم قال له معاوية رضي الله تعالى
عنهما انشدني ثلاثة ابيات لرجل من العرب كل بيت قائم
بمعناه فقال بثلاثمائة الف قال وتساوي قال انت بالخيار

وانت واف كاف فقال هات فانشده للافوه الاودي

بلوت الناس قرنا بعد قرن ۝ فلم ار غير ختال وقال

فقال صدق قال

وذقت مرارة الاشياء طرا ۝ فما طعم امر من السؤال

فقال صدق قال

ولم ار في الخطوب اشد وقعا ۝ واصعب من معاداة الرجال

فقال صدق وامر له بثلثمائة الف ولم يصح خلافة عبد الملك الا بعد قتل ابن الزبير واما قبله فكان باغيا متغلبا على مصر والشام ثم على العراق وما والاها ومن عجيب ما وقع لعبد الملك من التناقض الدال على سوء عاقبته انه كان في اول امره على غاية من النسك والعبادة وقراءة القران والفقه والحديث بحيث عده ابو الزناد من فقهاء المدينة ومن نظراء ابن المسيب ومن ثم روى عنه اكابر التابعين منهم عروة وخالد بن معدان ورجاء بن حيوة وابن شهاب الزهري واخرون فجلس اليه وهو على هذه الحالة رجل من الجيش المرسل لقتال ابن الزبير فقال له عبد الملك من هذا الجيش انت قال نعم قال ثكلتك امك اتدري الى من تسير الى اول مولود في الاسلام وابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين ومن حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله ان جئته نهارا

وجدته

وجدته صائما وان جئته ليلا لتجدنه قائما فلو ان اهل الارض تطلعوا الى قتله لاكبهم الله جميعا في النار قال ذلك الرجل فلما صارت الخلافة اليه وجهنا مع الحجاج حتى قتلنا ابن الزبير انتهى فتامل وصفه لابن الزبير ببعض صفاته حتى عجزه ثم تجبره وتمرده حين قدر حتى باء باثم قتله ومن تهوره الدال على سوء عاقبته ايضا انه لما افضت الخلافة اليه والمصحف بحجره اطبقه وقال هذا اخر العهد بك قال العسكري وهو اول من بخل في الاسلام واول من غدر واول من نهى عن الامر بالمعروف وقال بعض الحفاظ لو لم يكن من مساويه الا الحجاج لكفى فانه ولاه على الصحابة يهينهم ويذلهم قتلا وضربا وشتما وحبسا وقد قتل من الصحابة واكابر التابعين ما لا يحصى فضلا عن غيرهم وختم في عنق انس وغيره من الصحابة ختما يريد بهم ذلهم واهانتهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه ولا عن عبد الملك انتهى ۝ ومن ذلك قطع بني امية رحم امام الهدى عمر بن عبد العزيز بن مروان حيث قتلوه بالسم وسبب ذلك انه لما تولى اظهر من العدل ما لم يعهد الا في زمن الخلفاء الثلاثة ابي بكر وعمر وعمر فقيل له من عمر الثاني قال ان عشت ادركته وان مت كان بعدك هذا مع ان ابن المسيب مات قبل ان يلي عمر بن العزيز فلما رضي الله تعالى عنه الارض

عدلاً كما ملئت جوراً اخرجه قال بعض التابعين لا مهدي الا
هو فان يكن المهدي غيره فهو عيسى ابن مريم وصح انه رضي الله
تعالى عنه خرج الى الصلوة وشيخ يتوكأ على يده ثم قال له رباح من
ذا الشيخ المتوكئ على يدك قال رأيته قلت نعم قال ما احسبك
يا رباح الا رجلاً صالحاً ذاك اخي الخضر اتاني ثم اعلمني اني سالي
امر هذه الامة وقال لي اني ساعدك فيها وامه بنت عاصم بن
عمر ابن الخطاب وكان عمر يقول من ولدي رجل بوجهه شجة
يملأ الارض عدلاً وقال مرة اخرى من ذو الشين من ولدي
الذي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً فكان ذلك الولد عمر ابن
عبد العزيز وكان بوجهه شجة من دابة ضربته وهو غلام
ومن مآثره عدله انه رد جميع مظالم اهل بني امية وجورهم
وما غصبوه واستولوا عليه بغير حق الى اربابها حتى افقرهم
واذلهم فامتلأوا منه غيظاً وحنقاً وتسببوا في قتله بالسم
فانه كان اهمل التحرز ولم يلتفت الى عادة الملوك في ذلك
فسقوه السم قال مجاهد قال لي عمر ابن عبد العزيز رضي
الله عنه ما تقول الناس في قلت يقولون مسحور قال ما انا
بمسحور واني لاعلم الساعة التي سقيت فيها السم ثم دعا غلاما
له وقال له ويحك ما حملك على ان تسقيني السم قال الف دينار
اعطيتها وعلي ان اعتق قال هاتها فجاء بها فالقاها في بيت

المال وقال اذهب حيث لا يراك احد ثم توفي رضي الله تعالى عنه
بدير سمعان بكسر السين من اعمال حمص لعشر بقين من رجب سنة
احدى ومائة عن تسع وثلاثين سنة وستة اشهر وقيل له
لو اتيت المدينة فان مت دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لان يعذبني الله بكل عذاب
الا النار احب الي من ان يعلم الله مني اني لذلك الموضع اهلا و
نزل على الذين يسوون التراب على قبره كتاب من السماء فيه امان من
الله لعمر بن عبد العزيز من النار ومن قطع بني امية لارحامهم
الذي كان سبباً لازالة ملكهم ان يزيد ابن عبد الملك ولي
الخلافة بعد عمر بوصية من اخيه سليمان فسار سيرة عمر اربعين
يوماً فجاءه اربعون شيخاً من ابالسة الانس شهدوا عنده ان
الخلفاء ليس عليهم حساب ولا عقاب فراج عليه كلامهم لغباوته
وشقاوته فعدل عن سيرة عمر فقتلوه بالعقر قرب كربلاء فقال
الناس ضحى بنوا امية يوم كربلاء بالدين ويوم العقر بالكرم و
بعد قتله تولى ولده الوليد بعهد من ابيه له وكان على غاية
في الفسق وانتهاك الحرمات بل والالحاد والكفر على ما قاله
الحريري لكن رده الذهبي فخرجوا عليه فحاصروه حتى قتلوه
ثم قطعوا راسه وجاؤا به ليزيد الناقص ابن الوليد بن عبد الملك
فنصبه على رمح ثم وثب على الخلافة ثم خطب الناس وذكر فسق

الوليد وقتله مجة ثم مات يزيد هذا مع فبويع بالخلافة اخوه
ابراهيم فخرج عليه بعد سبعين ليلة مروان الحمار آخر خلفا
بني امية بن محمد بن مروان الحكم لقب بالحمار لانه كان لا يفتر
عن محاربة الخارجين عليه وفي المثل فلان اصبر من حمار فهزم
ابراهيم ثم دعي الى بيعته فبويع سنة تسع وعشرين ومائة فاول
شئ بدا به امر بنبش قبر يزيد الناقص فاخرجه من قبره وصلبه لكونه
قتل الوليد الفاسق ثم لم يتهنى بالخلافة لكثرة من خرج عليه
خرج في سنة اثنين وثلاثين بنو العباس فهرب الى مصر فتبعوه
الى ان قتلوه ببوصير في الحجة من هذه السنة ولما قطع راسه و
جئ به الى امير الجيش عبد الله بن السفاح الذي هو اول الخلفا
العباسيين جاءت هرة فاقتلعت لسانه فمضغته فقال الامير
لو لم يرنا الدهر من عجايبه مه الا لسان مروان في فم هرة لكفانا
ومن ذلك قطع المنصور العباسي حرم العلم بقتل وايذا كثير
من عظما الامة كابي حنيفة وسفيان الثوري واضرابهما وسبب
ذلك انه لما ولي كان الملك حاويا فيهم فان اباه السفاح اول
الخلفا العباسيين وهو ثانيهم فقتل خلقا كثيرين لاستقامة
ملكهم لا سيما لما خرج الامامان الجليلان الطاهران العلويان
محمد وابراهيم ابني عبد الله ابن الحسن ابن الحسن ابن علي رضي الله
تعالى عنهم في سنة خمس واربعين ومائة فظفر بهما وقتلهما مع

الامامان

جماعة

جماعة كثيرين من اهل البيت النبوي المطهر المكرم فانا لله و
انا اليه راجعون وبالغ في ابتلاء خلق من اكابر العلما ممن خرج
معهما او امرهما بالخروج عليه لظلمه وجوره واستباحته
الاموال والدما قتلا وضربا وغير ذلك وممن افتى بجواز الخروج
عليه مع محمد المذكور مالك ابن انس رضي الله تعالى عنه فقيل
ان في اعناقنا بيعة للمنصور فقال انما بايعتم مكرهين وليس على
مكره يمين ومنهم عبد الحميد بن جعفر وابن عجلان والامام
الاعظم المجتهد ابو حنيفة النعمان ابن ثابت رضي الله تعالى
عنه فانه رمي عنده ممن افتى محمدا بذلك فلم يمكنه بان يبطش بابي
حنيفة جهارا خشية من العامة فاحتال عليه بتوليته القضا
فامتنع عليه اشد الامتناع ووقعت له معه محاورات
والزامات من ابي حنيفة له لانه لا يلي له ولا يصلح لولايته
القضا اي لظلم هذه الخليفة وجوره فامر بضربه فضرب ضربا
مبرحا شديدا الى ان يسيل الدم ولا يزال يكرر ذلك عليه حتى
علم ابا حنيفة انه قاتله ولا بد فارسل لولده حماد ان يأتيه
من الكوفة الى بغداد فاتاه فتوفي ومن العجيب انه لما مات
في السجن لم يمض الا زمن يسير وكان من نادى في بغداد ان
ابا حنيفة قتله المنصور فحضر اهل بغداد على اختلاف
طبقاتهم ومراتبهم وشهدوا جنازته فكان له مشهد حافل

هذا ما قاله جماعة وقال آخرون ضمّ المنصور إلى ذلك الضرب
الشديد المبرح إذ أسقاه سمًّا في السجن فكان موته بسبب السم
وعلى كلٍّ فقد قتل أبو حنيفة شهيدًا مظلومًا وباء بذلك
الظالم بذنبه وإثمه فقد انتصف منه بين يدي الله تعالى
وفي سنة ثمان وخمسين أمر نائبه بمكة أن يحبس سفيان الثوري
وعباد بن كثير لما ميّز ما بينهما علمًا وزهدًا فحبسا وتخوف
الناس أن يقتلهما إذ جاء الحج بل أمر بنصب الأخشاب ليصلب
سفيان الثوري فدعى عليه في الملتزم فاستجيب له فيه فلم
يوصله الله تعالى مكة سالمًا بل قدم مريضًا ومات بالبطن
وكفاه الله شره ودفن بين الحجون وبين ميمون وقد قيل له
لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو فاعتذر بما
ليس بعذر فقال إن بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم
تغمد سيوفهم ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفا
فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو فمن
عجيب أمره أنه فعل تلك الأفاعيل بأكابر العلما مع قوله لمن
ولاه القضا أصلب في الحكم فإن أبي حدثني عن أبيه عن جده
علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في
عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا يقدر أن ينصره

فلم

فلم يفعل **ومن ذلك** قطع بني العباس رحم المهدي بن المنصور
وكان أعدل من أبيه قيل مات مسمومًا وقيل ساق خلف صيد
فاقتحم الصيد خربة وتبعه الفرس فدق ظهره فمات لوقته لثمان
بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة **ومن ذلك**
قتل الخيزران مستولدة المهدي لولدها موسى الهادي
بن المهدي المذكور وولي عهده **وسبب** ذلك أنه عزم على
قتل أخيه هرون الرشيد ولي العهد من بعده ليعهد إلى
ولده فسمته أمه المذكورة **وقيل** كانت حاكمة مستبدة با
لأمور الكبار وكانت المواكب تغدو إلى بابها فزجرها عن
ذلك وكلمها بكلام فج وقال لئن وقف ببابك أمير لأضربن
عنقه أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك فقامت ما
تعقل من الغضب فقيل إنه بعث إليها بطعام مسموم فأطعمت منه
كلبًا فانتثر لحمه فعملت على قتله لما وعك فأمرت خدمها أن يغموا
وجهه ببساط وأن يجلسوا على جوانبه ففعلوا ذلك فانحبس نفسه
في جوفه إلى أن مات في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة
وقيل بل سبب موته أنه دفع نديمًا له من جرف عال على أصول
قصب فتعلق النديم به فوقع فدخلت قصبة في مخرجه فمات
وقيل أصابته قرحة في جوفه **ومن ذلك** قطعهم لرحم
هرون الرشيد بسعيهم في قتله بأرشا طبيبه وكان نصرانيًا

فلما ادرك هارون ذلك منه همّ ان يفصل اعضاه عضوا
عضوا فمكر به وقال له انظر الى غد فانك تصبح في عافية
فان كنت كذلك والا فانت لاحق ما تريد فانظره طمعا
في الحيوة وظنا انه يصدق فيما قال له فمات ذلك اليوم
ورأى مناما يدل على موته فقال احفر والحفر فحفر له ثم حمل
في قبة حتى نظر الى القبر فقال يا ابن ادم تصير الى هذا وامر
قوما فنزلوا القبر وختموا فيه ختمة وهو في محفة على شفيره ثم مات
بطوس من خراسان ودفن بها سنة ثلاث وتسعين ومائة
عمره خمس واربعين ومدة خلافته ثلاث وعشرين سنة
ومن ذلك قطع كل من الامين والمامون ولدي هارون
الرشيد رحم الاخوة ومبالغته في التدابير والعزم على قتله
وسبب ذلك ان هارون عهد لولده محمد الامين ثم من بعده
لولده المامون وعلم الفضل ابن الربيع ان الخلافة اذا افضت
الى المامون لم يبقه فاغرى الامين به وحثه على خلعه وان يولي
العهد لابنه موسى وهو رضيع فلما علم المامون ذلك تسمى
بامام المؤمنين وقاطع الامين فجهز له الامين جيشا اربعين
الفا فقاتلهم المامون بجيش اربعة آلاف فهزمهم وسلم عليه
بالخلافة فجاء الخبر للامين وهو يتصيد السمك فقال للمخبر دعني
فان كوثرا خادمه صاد سمكتين وانا الان ما صدت شيئا

ثم بعد

ثم بعد ندم على خلعه اخاه وطمع الامرا فيه ثم استمر القتال بينه
وبين اخيه وصار امر الامين كل يوم في ادبار لانه اكثر في اللعب
والفسق وامر المامون في ازدياد الى ان بايع المامون اهل الحرمين
واكثر بلاد العراق وفسد الحال على الامين جدا وفقد خزائنه
وعظم النهب وكثر الخراب والهدم من القتال ورمي المجانيق والنفط
حتى درست محاسن بغداد ودام الحصار فيها خمسة اشهر ولم
يبق مع الامين من يقاتل الا غوغا بغداد والحرافشة الى ان استهلت
سنة ثمان وتسعين فدخل كلابر عامل المامون الى بغداد
بالسيف فهرب الامين الى مدينة المنصور فقتل بعد ليلة او
ليلتين لانه اخذ وحبس في موضع ثم ادخل عليه قوم من العجم
ليلا فضربوه بالسيف ثم ذبحوه من قفاه في تلك السنة وذهبوا
براسه الى عامل المامون فنصبها على حائط بستان ونودي هذا
راس المخلوع وجرت جثته بحبل ثم لما وصل راسه للمامون اشتد
عليه قتل اخيه لانه كان يحب ان يرسله اليه حيا ثم اهمل طاهر الى ان
مات طريدا بعيدا **وقال** امام الهدى احمد بن حنبل رضي الله
تعالى عنه اني لارجو ان يرحم الله تعالى الامين بانكاره على اسمعيل
بن علية فانه ادخل عليه فقال له يا ابن الفاعلة انت الذي تقول
كلام الله مخلوق ه **ومن ذلك** قطع الخليفة الواثق رحم
العلم بقتله الامام احمد بن نصر الخزاعي **وكان** من اهل الحديث

قائما بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسبب قتله انه في اوائل
خلافته تبع اباه المعتصم التابع لاخيه المامون في الاعتزال والقول
بخلق القران والتشييع فقتل كثيرين من اهل السنة ابوا ان
يوافقوه على بدعته ومنهم احمد المذكور واحضر اليه الواثق مقيدا
وساله عن القران فقال ليس بمخلوق وعن رؤية الله تعالى في
الاخرة فقال كذا جاءت الرواية وروى له الحديث فقال له
الواثق تكذب انت فقال وبحك يرى كما يرى القمر ليلة البدر بلا حد ولا تجويز
مكان وبجهة الناظر انا كفرت برب هذه صفته فقال جمع معتزلة
حوله هذا حلال الضرب فدعا بالسيف فقال اذا قمت اليه فلا يقومن
احد اليه معي فاني احتسب خطاي الى هذا الكافر الذي هو مقيد
فمشى اليه وضرب عنقه وامر بحمل راسه الى بغداد فصلبت بها وصلبت
جثته في سر من راى واستمر على ذلك ست سنين الى ان ولي
المتوكل فانزله ودفنه ولما صلب كتبت ورقة وعلقت في
اذنه فيها هذا راس احمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الامام
هرون الى القول بخلق القران ونفي التشبيه فابى الا المعاندة فعجله الله
تعالى الى النار ووكل بالراس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح
فذكر المتوكل له بعد انه راه بالليل يستدير الى القبلة فيقرا سورة يس
بلسان طلق فلب الحفاظ روت هذه الحكاية من غير وجه
وقد عاقب الله سبحانه وتعالى الواثق نوع مثله وعقاب في الدنيا و

لعذاب

٢٨١

ولعذاب اكبر وذلك انه لما مات ترك وحده واشتغل الناس
بالبيعة لاخيه المتوكل المظهر للسنة والناصر لاهلها فجيئة اشتغل
يردون عن الواثق فاكلتها هذا مع رجوعه عن تلك البدعة
على ما حكي انه حمل اليه فيمن يحمل الامام ابو عبد الرحمن عبد الله بن
محمد الازدي شيخ لابي داود والنسائي وهو مكبل بالحديد فلما
دخل وانشفي ابن ابي داود الحامل له على القول بخلق القران
والاعتزال والدعاية الى ذلك حاضر قال له ابو عبد الرحمن المذكور
وهو في قيده اخبرني عن هذا الراي الذي دعوتم الناس اليه
اعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه ام شي لم يعلمه
فقال ابن ابي داود بل علمه قال فكان يسعه ان لا يدعو الناس
اليه وانتم لا يسعكم فبهتوا فضحك الواثق وقام قابضا على فمه و
دخل بيتا ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم
ان يسكت ولا يسعنا ثم امر ان يعطى ذلك الرجل ثلثمائة دينار و
ان يرد الى بلده ولم يمتحن احدا بعدها ومقت ابن ابي داود من يومئذ
ولما بويع للمعتصم اخي الواثق بالخلافة بعد اخيه المامون سنة
ثمان عشرة ومائتين سلك ما كان المامون ختم به عمره من خاتمة
وهو امتحان الناس بالقول بخلق القران فكتب الى البلاد بذلك
وامر المعلمين ان يعلموا ذلك للصبيان وقاسى الناس منه شدة
عظيمة وقتل عليه خلقا من العلماء وضرب الامام احمد بن حنبل

٢ وقاسم حلسه

رضي الله تعالى عنه على القول بذلك فابى وصبر على المحنة في الله تعالى
ولم يبال بتهديده له كما خبر المامون بالقتل ان لم يقل ذلك مع
ان المامون لما امتحن بذلك كان معه كثيرون من العلما فمنهم
فبعضهم قال ذلك خوفا وبعضهم ذل فقال له اعتقادا والامام
احمد صمم على عدم القول بذلك رضي الله تعالى عنه ولما بلغه ان الذين
اجابوا انما اجابوا به مكرهين غضب وامر باحضارهم اليه فحملوا اليه
فتوفي وهم في الطريق ففرج الله تعالى عنهم ولطف بهم وقد اظهر
الله تعالى على المامون الصفرة الدالة على مرض القلب باعوجاجه
كما في الحديث وذلك ان لونه كان في غاية الاعتدال الا في لحيته
فانهما كانتا صفراوتين كانهما طليتا بالزعفران ولما بويع للمتوكل
في الخلافة سنة اثنين وثلاثين ومائتين بالغ في اظهار
السنة وكتب بذلك الى الافاق سنة اربع وثلاثين واستقدم
المحدثين وبالغ في اكرامهم وامرهم ان يحدثوا باحاديث الصفات و
الرؤية وجلس امام المحدثين ابو بكر ابن ابي شيبة شيخ البخاري
في جامع الرصافة فاجتمع اليه ايضا نحو من ثلاثين الفا وتوفر
دعاء الخلق للمتوكل والثناء عليه حتى قال قائلهم الخلفاء
ثلاثة ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة وعمر ابن عبد العزيز
في رد المظالم والمتوكل في احياء السنة واماتة البدعة وفي
هذه السنة اصاب ابن ابي داود الداعي للبدعة فالج صيره حجرا

ملقا قال بعض الحفاظ فلا آجره الله تعالى ومن محاسن المتوكل
انه ارسل لنائبه بمصر ان يحلق لحية قاضي قضاتها ابي بكر محمد
ابن ابي الليث من رؤس الجهمية والمعتزلة ومن الظلمة الجابرة وان
يضربه ويطوف به على حمار ففعل ونعم ما فعل وولي بدله الحارث
بن مسكين من اصحاب مالك بعد تمنع واهان ذلك اللئيم المعزول
بضربه كل يوم عشرين سوطا حتى يرد المظالم الى اهلها ومن محاسن
المتوكل ان ابن الحكم من اكابر اصحاب مالك لما انكر على ذي النون
المصري تكلمه على الاحوال والمقامات على طريقة العارفين و
انه احدث علما لم يتكلم فيه السلف ورماه بالزندقة دعا المتوكل
على البريد فلما سمع كلامه ولع به واحبه واكرمه حتى كان يقول
اذا ذكرت الصالحون فبذي النون ومن محاسنه ايضا
ما اخرجه ابن عساكر انه كان يقول واحسرتي على محمد بن ادريس
الشافعي رضي الله تعالى عنه كنت احب ان اكون في ايامه فاراه و
اشاهده واتعلم منه فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المنام وهو يقول يا ايها الناس ان محمد بن ادريس المطلبي قد صار
الى رحمة الله وخلف فيكم علما حسنا فاتبعوه تهتدوا ثم قال اللهم
ارحم محمد بن ادريس رحمة واسعة وسهل علي حفظ مذهبه وانفعني
بذلك قال بعض الائمة استفدنا من هذا ان المتوكل كان
متمذهبا بمذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو اول من تمذهب.

من الخلفا واخرج ايضا عن احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه قال
سهرت ليلة ثم نمت فرأيت كأن رجلا عرج بي الى السماء و

وقائلا يقول

مليك يقاد الى مليك عادل ⁂ متفضل بالعفو ليس بجائر

ثم اصبحت فجاء نعي المتوكل ه ومن ذلك قطع المتوكل رحمه
آل البيت النبوي الطاهر المطهر بن ريحانتي الامام الاعظم الشهيد
الحجة ابي عبد الله الحسين وسبب ذلك انه لما اظهر السنة
واباد البدعة واهلها دبت اليه بدعة اخرى هي النصب وهو
بغض علي واهل البيت المطهر على ضد ما كان عليه المامون في
المبالغة في محبتهم وتقديمهم على بني العباس بحيث خلع اخاه
المؤتمن من العهد وجعل ولي العهد من بعده عليا الرضي ابن
موسى الكاظم بن جعفر الصادق وحتى قيل انه هم بخلع نفسه وتفويض
الامر اليه وهو الذي لقبه الرضي وضرب الدراهم باسمه وامر
بترك شعار بني العباس وهو لبس السواد وشعار اهل البيت وهو
لبس الخضرة فاشتد ذلك على بني العباس وكانوا احصوا انفسهم
فبلغوا ثلاثة وثلاثين الف نفر ذكورا واناثا وخرجوا عليه
وبايعوا ابراهيم بن المهدي فجهز المامون لقتاله وجرت امور و
حروب ومن تنصب المتوكل انه في سنة ست وثلاثين امر
بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع

الناس

الناس من زيارته فتألم المسلمون من ذلك وكتب اهل بغداد شتمه
على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فمما قيل في ذلك

تالله ان كانت امية قد اتت ⁂ قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله ⁂ هذا لعمرك قبره مهدوما
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا ⁂ في قتله فتتبعوه رميما

ومن جملة قبائحه وغلوه في التنصب انه امام العربية واللغة
يعقوب ابن السكيت كان المتوكل ندبه الى تعليم ولديه المعتز و
المؤيد يعلمهما فنظر المتوكل يوما اليهما وقال له من احب اليك
هما او الحسن والحسين فقال له قنبر يعني مولى علي خير من ولديك
فامر الاتراك فداسوا بطنه حتى مات وقيل امر بسل لسانه و
ارسل بديته الى ولده وكان غلوه في النصب هو السبب فيما وقع
في ايامه من العجائب المهلكات التي لا تحصى منها ريح اشتد حر
السموم دامت بالعراق خمسين يوما واتصلت بهمذان والموصل
فاحرقت الزرع والثمار والمواشي ومنعت الناس من المعاش بل من
المشي في الطرقات واهلكت خلقا كثيرين ومنها زلزلة مهولة
بدمشق سقط منها دور وهلك منها خلق كثيرون واشتدت
الى انطاكية فهدمتها والى الجزيرة فاحرقتها والى الموصل فيقال
هلك من اهلها خمسون الفا ومنها نار ظهرت بعسقلان احرقت
البيوت والبيادر ولم تزل تحرق الى ثلث الليل ثم كفت ومنها

صيحة عظيمة سمعها اهل خلاط من جو السماء فمات منها خلق ومنها برد وقع بالعراق كابيض الدجاج ومنها خسف وقع بالمغرب لثلاثة عشر قرية ومنها ان النجوم رمي بها من السماء وتناثرت الكواكب كالجراد اكثر الليل وكان امرا مزعجا لم يعهد ومنها زلزلة عظيمة بتونس واعمالها والري وخراسان ونيسابور وطبرستان واصبهان وتقطعت جبال وتشققت الارض بقدر ما يدخل الرجل في الشق ومنها ان قرية السويداء بناحية مصر رجمت من السماء بحجارة وزن بعضها فكان عشرة ارطال ومنها سار جبل باليمن عليه مزارع لاهله حتى اتى الى مزارع اخرين ومنها انه وقع بحلب في رمضان طائر ابيض دون الرخمة فصاح يا معشر الناس اتقوا الله الله الله وكرر ذلك اربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد ففعل ذلك وكتب البريد بذلك بشهادة خمسمائة انسان ومنها في سنة خمس واربعين عمت الزلازل الدنيا فاخربت المدن والقلاع والقناطر وسقط من انطاكية جبل في البحر وسمع من السماء اصوات وسمع اهل بلبيس بلدة كبيرة من نواحي مصر صيحة هائلة فمات منهم خلق وغارت عيون مكة فارسل المتوكل مائة الف دينار لاجراء الماء اليها من عرفات ومن ذلك قطع محمد المنتصر رحم ابيه المتوكل في سعيه في قتله وسبب

ذلك

ذلك انه كان بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ان ينزل عن العهد فابى فكان يحضره مجلس العامة ويحط منزلته ويشتمه ويتهدده ويتوعده واتفق ان الترك انحرفوا على المتوكل فاتفقوا مع المنتصر على قتل ابيه فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو ووزيره الفتح ابن خاقان خامس شوال سنة سبع واربعين ومائتين واخرج ابن عساكر عن عمرو بن شيبان قال رايت في الليلة التي قتل فيها المتوكل قائلا يقول

يا نائم العين في اوطار جسمان ... افض دموعك يا عمرو بن شيبان
اما ترى الفئة الارجاس ما فعلوا ... بالهاشمي وبالفتح بن خاقان
وافى الى الله مظلوما فضج له ... اهل السموات من مثنى ووحدان
وسوف ياتيكم اخرى مسومة ... توقعوها لها شان من الشان
فابكوا على جعفر وابكوا خليفتكم ... فقد بكاه جميع الانس والجان

وجعفر هو المتوكل قال ثم رايت المتوكل في النوم بعد اشهر فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي بقليل من السنة احييتها قلت فما تصنع هاهنا قال انتظر محمدا ابني اخاصمه الى الله ومحمد ابنه هو المنتصر الساعي في قتله وقد جازاه الله تعالى بمثل فعله فانه لما سعى في قتل ابيه بيد الاتراك وقوي صارت الاتراك ويقولون هؤلاء قتلة الخلفاء فعملوا عليه وهم

بن فعجز واعنه لانه كان مهيبا شجاعا فطنا متحرزا فتحيلوا
الى ان رشوا الى طبيبه في مرضه ثلاثين الف دينار فاشار
بفصده ففصده بريشة مسمومة فمات قيل نسي هذا الطبيب تلك
الريشة فمرض فامر غلامه ففصده بها فمات لوقته وقيل سم
المنتصر في كمثراة ولما احتضر قال لامه ذهبت مني الدنيا
والاخرة عاجلت ابي فعوجلت فكانت مدة خلافته دون
ستة اشهر وجلس للهو يوما فراى في بساط دائرة فيها فارس
وعليه تاج وحوله كتابة فارسية فطلب من يقراوها فاحضر
اليه فلما راها قطب وجهه فقال له ما معناها قال لا
معنى لها فالح عليه فقال معناها انا شيرويه بن كسرى بن هرمز
قتلت ابي فلم امتع بالملك الا ستة اشهر فتغير وجه المنتصر وعلم
انه لا يمتع بالملك فكان كذلك ومن ذلك قطع المعتز بن
المتوكل رحم عمه احمد ابن المعتصم ابن الرشيد الملقب بالمستعين
بذبحه كما تذبح الشاه وسبب ذلك ان المنتصر لما
مات اجتمع القواد وقالوا ان ولينا احدا من اولاد المتوكل
لم يبق منا باقية فولوا احمد هذا وهو اخو المتوكل ثم تنكر وخاف
ثم بايعوا المعتز فقاتله الى ان خلع نفسه سنة اثنين وخمسين
ومائتين ثم حبسه تسعة اشهر ثم امر ابن طولون ان يقتله
فابى وقال لا اقتل اولاد الخلفا فندب له سعيد الحاجب

فذبحه ثالث شوال من السنة ثم خلع المعتز اخاه المؤيد من
عهد ابيه له بالخلافة بعد المعتز ثم ضربه وقيده الى
ان مات بعد ايام فخشي ان يتحدث انه قتله او احتال عليه
فاحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به اثر ثم جزاه الله بفعله
القبيح مع رحم عمه واخيه فسلط عليه جماعة من الاتراك
طلبوا منه ارزاقهم فسال امه في مال لهم فشحت عليه فجمعوا هم
وغيرهم على خلعه فلبسوا السلاح وجاؤا الى دار الخلافة
فارسلوا للمعتز ان اخرج فتعلل بانه شرب دواء فهجم عليه جماعة
منهم وجروا برجله وضربوه بالدبابيس واقاموه في الشمس في
يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون له اخلع نفسك
ثم احضروا القاضي والشهود وخلعوه ثم بايع هو والناس المهتدي
محمد ابن الواثق بن المعتصم ثم بعد خلعه بخمس ليال من خلعه
اخذوه وادخلوه الحمام فعطش فمنعوه الماء ثم اخرجوه وهو
في غاية العطش فسقوه ماء بثلج فسقط ميتا في شعبان
سنة خمس وخمسين ومائتين والعجب كل العجب من امه الذي
طلب منها خمسين الف دينار فشحت عليه بها ولم تخلصه بها
من القتل مع ان الذي اخذ منها الف الف دينار وسقط فيه مكوك
زمرد وسقط فيه مكوك لؤلؤ حب كبار وكيلجة ياقوت
احمر وغير ذلك ومن ذلك قطع رحم الخليفة المهدي محمد

الغرم

ابن الواثق ابن المعتصم وكان من الصلاح والعدل على جانب
كبير بحيث انه في خلفا بني العباس كعمر ابن عبد العزيز في خلفا
بني امية حضر بعض الناس عشاه في رمضان فكان مليحا واجلا
وزينا وذكر عنده ابو القايل بخلق القران وحمله الناس على
ذلك ثم جازني ان انه امن ابي لتبرات منه وكان يلبس جبة صوف
وكسا ويصلي فيهما بالليل وكان فيهم اصحاب السلطان الذي
استن ابوه الواثق ولابنه ثانيا عن الخلافة في الحروب اذ هو
اعني الواثق اول خليفة استخلف على السلطنة تركيا ثم اشتهر
فيهم وسبب قتل ذلك الخليفة الصالح ان بعض المتجبرين
طلب الاذن عليه فلم ياذن فهجم من معه عليه وانتهبوا القصر
ثم ارادوا خلعه فخرج متقلدا سيفه وقال بلغني شانكم
ولست مثل المستعين والمعتز والله ما خرجت الا والي محنط
وقد اوصيت وهذا سيفي والله لاضربن به ما استمسكت
قائمته في يدي اما دين او حياء اما دعتكم لكون الخلاف
على الخلفا والجراة على الله ثم اطلعوا انه امر بقتل ذلك المتجبر
فاجمعوا على قتله فساروا اليه فهزم جيشه وامسك على
خصيته الى ان مات في رجب سنة ست وخمسين فكانت
خلافته سنة الا خمسة عشر يوما ولما قتل كتب العوام رقاعا
والقوها في المساجد يا معشر المسلمين ادعوا الخليفة العدل الرضي

المضاهي

بلغ

المضاهي لعمر ابن عبد العزيز ان ينصره الله على عدوه ومن ذلك
قتله لاحمد المعتمد ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد قيل بالسم
وقيل بل نام فوضعوا البساط عليه وغموه حتى مات سنة ثمان
وسبعين ومائتين مع كونه قاتل الملاعين الزنج لما دخلوا البصرة
واعمالها واخربوها واشتد القتال بينه وبينهم نحو اربعة عشر
سنة حتى قتل امامهم لعنه الله وكان يزعم انه رسل الى الخلق
وجملة ما قتل من المسلمين الف الف وخمسمائة الف وكان
له منبر يقعد عليه ويسب عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة
رضي الله عنهم وسبى العلويات وارخص قدرهن حتى كان ينادي
على العلوية في عسكره بدرهمين وكان يجتمع عند الواحد منهم
العلويات العشر يطاهن ويستخدمهن وكان قبل ذلك
اللعين قد طاف براسه في بغداد يوم مشهود وفي زمنه
القاضي بكار الرجل الصالح المتولي قضا مصر الحنفي وذلك ان
المعتمد هذا لما عاهد لاخيه الموفق فغلب عليه وحجره ووكل
به فبلغ ذلك ابن طولون فجمع القضاة والاعيان وقال قد
قلب الموفق بيعة امير المومنين فاخلعوه من العهد فخلعوه
الا القاضي بكار فانه قال انت جيتني بولاية العهد لاخيه
فاتني منه بكتاب انه خلعه فقال انه محجور عليه ومقهور فقال
لا ادري فقال له ابن طولون غرك الناس بقولهم ما في الدنيا

مثل بكار انت شيخ قد خرفت وحبسه وقيده واخذ منه جميع
عطائه منذ سنين فكانت عشرة الاف دينار فقيل انها وجدت
في بيت بكار بختمها وفي سنة ست ومائتين ظهرت باليمن دعوة
المهدي عبد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين
الروافض بل لكنهم ملاحدة كفار ومن عجيب امرهم انهم يزعمون
الشرف وانهم من اهل البيت وجدهم مجوسي كما ثبت ذلك في
محضر خط اكابر ائمتنا الشافعية وغيرهم وفيها ظهرت
القرامطة بالكوفة وهم فرع من الملاحدة يدعون لا غسل من
الجنابة وان الخمر حلال وان الصوم في السنة يومان يوم
النيروز ويوم المهرجان ويزيدون في اذانهم وان محمد بن الحنفية
رسول الله وان الحج والقبلة في بيت المقدس ثم ضعف امر
المعتمد جدا فتمكن ابو العباس ابن اخيه الموفق من الامور واشهد
المعتمد على نفسه انه خلع ابنه المفوض من ولاية العهد وبايع
لابي العباس ولقبه المعتضد فبويع له بعده في رجب سنة تسع
وسبعين ومائتين وكان شجاعا مهيبا ظاهر الجبروت وافر
العقل شديد الوطأة من افراد خلفاء بني العباس كان يقدم على
الاسد لشجاعته قال اسماعيل القاضي دخلت عليه وعلى
راسه احداث صباح الوجوه فنظرت اليهم فراني كالمنكر عليهم فقال
ايها القاضي والله ما حللت سراويلي على حرام قط ودخلت عليه

يوما

يوما فدفع الي كتابا مشتملا على ذكر الرخص من زلات العلماء
لمصنف هذا زنديق فقال اختلف هو قلت لا ولكن من اباح
السكر لم يبح المتعة ومن اباح المتعة لم يبح الغنا وما من عالم الا
وله زلة ومن اخذ بكل زلل العلما ذهب دينه فامر بالكتاب فاحرق
ومن محاسنه ان الفتن سكنت في ايامه لفرط هيبته وكانت
ايامه امنا ورخا وعدلا فانشيا حتى اسقط المكوس ورفع الظلم
عن الرعية وكان يسمى السفاح الثاني وكان لانه جدد ملك
بني العباس وكان قد خلق وضعف الى ان كاد يزول من حين
قتل المتوكل وفي سنة ثمانين ومائتين دخل داعي المهدي العبيدي
الى القيروان وفي سنة احدى وثمانين هدم المعتضد دار
الندوة وجعلها زيادة في المسجد الحرام من الجانب الشمالي و
في سنة ثمانين كتب الى الافاق بان يورث ذوو الارحام
وان يبطل ديوان المواريث وفي سنة اربع وثمانين ظهرت بمصر
حمرة عظيمة حتى كان الرجل ينظر الى وجه الرجل فيراه احمر
وكذا الحيطان فتضرع الناس بالدعا الى الله تعالى وكانت
من العصر الى الليل وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية على
المنابر ولم ينفع منه نافع ولا زاجر الا تخويفه بالعلويين
تقوى شوكتهم فتنتزع عنه الامر منه فرجع وفي سنة خمس و
ثمانين هبت بالبصرة ريح صفرا ثم صارت خضرا ثم صارت سودا و

وامتدت في الامصار وفي سنة ست ظهر بالبحرين اللعين ابو
سعيد القرمطي وقويت شوكته وهو ابو ابي طاهر القرمطي
الآخذ للحجر الاسود وافرط المعتضد في الجماع حتى انه اغتسل فتكون
في موته فلما جس الطبيب نبضه فتح عينيه ورفسه فمات ثم مات
هو عقبه وفي زمن خلافة المقتدر ابن المعتضد غلب الامر
المهدي العبيدي بالمغرب ودعي له بالخلافة وخرج المغرب
عن امر بني العباس من حينئذ فكانت مدة ملكهم لجميع الممالك
الاسلامية مائة وبضعة وستين سنة ومن هنا
دخل النقص عليهم واختل النظام كثيرا في ايام المقتدر لصغر
سنه فانه ولي وعمره ثلاث عشرة سنة وفي سنة ثلثمائة
ساخ جبل كبير بالدينور وخرج من تحته ماء غرق القرى
وفيها ولدت بغلة فسبحان القادر على كل شيء وفي سنة
احدى وثلثمائة ابطل من المكوس ما ارتفاعه في كل سنة
خمسمائة الف دينار وفيها ادخل الحسين الحلاج الى بغداد
على جمل مشهورا فصلب حيا ونودي عليه هذا احد دعاة
القرامطة فاعرفوه ثم قتل سنة تسع بافتاء القاضي ابي عمر
المالكي بحضرة الفقهاء والعلماء بانه حلال الدم اي ظاهرا بحسب ما
ظهر له لا باطنا بمقتضى انه كان صوفيا محققا الكرامات وتاويل
واصطلاح كغيره ممن تقدم وممن تخلف وقد افرد الناس احواله

واحكامها

واحكامها بالتصنيف واختلفوا فيه والحق ما ذكرناه و
اما ما اشيع عنه عفى الله عنه انه ادعى الالوهية وانه يقول
بحلول اللاهوت في الاشراق وانه نوظر فلم يوجد عنده شيء
من القرآن ولا الحديث ولا الفقه فهو من تقولات اعدائه عليه
رحمه الله تعالى ولا بدع ان العارف يرى الجهال من تجاهله ما
يظنونه كذلك مع انه اعلم الناس وما رمي به من الحلول رمي به
غيره وهو باطل ونقول على هؤلاء الطوائف الصوفية المحققين
الجامعين بين الحقيقة والشريعة وقد ذكر شيخ الاسلام
عنه في لسان الميزان ما الله اعلم بصحته وبفرض وقوع ما
لصوفيتهم في ذلك تاويل واصطلاح لا يعرفه غيرهم وفي المعلوم
من حاصل صاحب الميزان المبالغة في الحط على الصوفية بما هم
بريئون منه وفي سنتها اخذ سار المهدي العبيدي بريد مصر
فاخذ الاسكندرية والفيوم وفي سنة اربع خيف كثيرا
ببغداد من حيوان يقال الزبزب ذكروا عنه انه يأتي ليلا ويأكل
الاطفال ويقطع ثدي النساء فكانوا يتحارسون ويضربون
على النحاس ليهرب وفيها عاد القائم محمد بن المهدي العبيدي
الى اقليم مصر فاستولى على اكثر اقليم الصعيد وفي سنة ثمان ملكت
جيوش العبيدي الجزيرة من الفسطاط واشتد قلق اهل
مصر وتاهبوا للخروج وجرت امور وحروب يطول شرحها وفي

سنة ست عشر بنى القرمطي اللعين الثاني دارا وسماها دار
الهجرة بعد ان كثر فساده واخذ البلاد وفتكه بالمسلمين واشتد
الخطب به وتمكنت هيبته من القلوب وتزلزل له الخليفة المقتدر
وهزم جيشه غير مرة وانقطع الحج سنين خوفا منه ونزح اهل
مكة عنها وفي سنة عشرة خرجوا على المقتدر فخلع نفسه
فبايعوا اخوه ولقبوه بالقاهر بالله فجلس للموكب فطلب
منه العسكر ارزاقهم فركبوا عليه ثم ذهبوا فحملوا المقتدر على
اعناقهم الى قصر الخلافة وجيء لهم باخيه القاهر يبكي ويقول
يا اخي الله الله في نفسي فقبله وقال لا ذنب لك ثم سير
المقتدر ركب الحاج فوافاهم عدو الله القرمطي يوم التروية
فقتل الحجيج بالمسجد الحرام قتلا ذريعا وطرح القتلى في
زمزم وضرب الحجر بدبوس فكسره ثم اقتلعه واقام بها احد
عشر يوما ثم رحل بالحجر الاسود فبقي عندهم اكثر من عشرين سنة
ودفع لهم فيه خمسين الف دينار فابوا حتى اعيد في خلافة المطيع
قيل هلك تحته وهم ذاهبون به الى هجر اربعون جملا فلما
اعيد حمل على قعود هزيل فسمن قال بعض الحاضرين اذ ذاك
صعد منهم رجل ليقلع الميزاب فقلت يارب ما احلمك فسقط
على دماغه فهلك وصعد القرمطي على باب الكعبة وانشد شعرا
انا بالله وبالله انا يخلق الخلق وافنيهم انا

ثم لم يفلح بعده بل تقطع جسده بالجدري حتى هلك وفي هذه
السنة هاجت فتنة كبرى ببغداد بين الاشعرية والحنابلة
تقول الحنابلة ان المقام المحمود في الاية ان الله يجلس محمدا
على عرشه فقام عليهم الاشعرية واقتتلوا فقتل خلق كثيرون
وفي سنة عشرين ركبوا على المقتدر فرمي بحربة فسقط ثم ذبح
بالسيف ورفع راسه على رمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف العورة
حتى ستر بالحشيش حتى حفر له عجلة ولما صاح الناس نقاتله
ساق فرسه الى دار الخلافة ليخرج القاهر فصادف حمل شوك
فزحمه الى قنا الحمام فعلقه كلاليبه وخرج الفرس من تحته فمات
فانزله الناس واحرقوه بالحمل الشوك ومن ذلك ما وقع بين
اولاد المقتدر وعمهم القاهر من قطيعة الرحم التي كانت سببا
لهلاكهم وقهرهم بملكهم واستيلاء الارفاض والملحدين
الديلم هم العبيديين ثم التتار وغيرهم على ملكهم حتى لم يبق لهم
منه الا مجرد وهم وصورة وشرح شيء من ذلك ان اولاد المقتدر
اثنى عشر ولي منهم الخلافة ثلاثة الراضي والمتقي والمطيع فلما
قتل المقتدر احضر اخوه القاهر محمد ابن المعتضد وابن
اخيه محمد ابن المكتفي ابن المعتضد فسالوا ابن المكتفي
ان يتولى فقال لا حاجة لي في ذلك وعمي هذا احق فاخذ
عمه القاهر للبيعة فبايعوه فاول ما فعل ان صادر الخيزر

المقتدر وعذبهم فاتفقوا على خلعه بابن المكتفي فتحيل الى
ان امسك جماعة وذبحهم وطين على ابن المكتفي بين حيطانين
فاستقام امره ثم بالغ في منع الخمور والغنا ونفي المخنثين
وهو مع ذلك لا يصحو من السكر ولا يفتر عن سماع الغنا ثم
تحرك الجند عليه واجتمعوا على الفتك به فدخلوا عليه با
لسيوف فهرب فادركوه وقبضوا عليه وبايعوا محمد بن المقتدر
ولقبوه الراضي بالله ثم ارسلوا الى القاهر الوزير والقضاة
فابى الخلع فقال الوزير تخلعه ولا تبالي به افعاله مشهورة ثم
اخبر الراضي بذلك فعزم على تعذيبه فاشير عليه بان يحمى
مسمارا ويوضع في كل من عينيه ففعل ذلك حتى سالتا على خديه
وكان سبب محاربته بذلك انه كان قبيح السيرة جدا وقال
الصولي لولا اصلاح وزيره لاهلك الحرث والنسل وبعد ان
كحل طولب بالاموال التي اخذها فانكر فعذب بانواع العذاب
فلم يقر بشي فاقربه الراضي اليه فقال له المال مدفون بالبستان
الذي انشاته وبنيت محله فحفره الراضي حتى لم يبق منه شيا
فلم يجد شيا فقال للقاهر وهل عندي مال وانما كان قصدي
حسرتي في جلوسك في بستاني وتنعمك فاردت ان افجعك فيه
فحبسه الراضي مدة ثم اهمله الى ان وقف يوما بجامع المنصور بين
الصفوف وعليه مبطنة بيضا وقال تصدقوا علي فانا من قد

عرفتم ولما بويع المقتفي بالله ابراهيم ابن المقتدر بعد موت
اخيه الراضي لم يغير شيا قط ولا تغزى على جارية التي كا
له وكان كثير الصوم والصلوة لم يشرب نبيذا قط ويقول
لا اريد نديما غير المصحف ثم جرت له حروب الى ان قبض
عليه ثم كحلت عيناه واخذ منه الخاتم والقضيب والبرده
وكان ملك بني العباس في هذه الثلاثة ثم احضروا عبد الله
بن المكتفي عم المقتفي وبايعوه هم والمقتفي بالخلافة بعد
اشهاد المقتفي على نفسه بالخلع ولقب المستكفي وبعد ان
كحل المقتفي اخرج الى جزيرة فسجن فيها خمسا وعشرين سنة الى
ان مات سنة سبع وخمسين وثلثمائة ولما بلغ القاهر انه كحل
فقال صرنا اثنين ونحتاج الى ثالث فكان كذلك كحل
المستكفي المذكور وسبب ذلك انه لما بويع بالخلافة
لقب نفسه امام الحق وولي احمد بن بويه من الديلم ولقبه
بمعز الدولة فقوي امر معز الدولة وتحكم على الخليفة وقرر
له كل يوم شيا معينا ثم تخيل من الخليفة فدخل ومعه اثنان
من الديلم فتقدما الى الخليفة والناس وقوف فمد يديه
اليهما ظنا انهما يريدان تقبيلها فجذباه من السرير حتى طرحاه
على الارض وجراه بعمامته وهجم الديلم دار الخلافة فلم يبقوا
فيها شيئا ومضى معز الدولة الى منزله وساقوا الخليفة

ماشيًا اليه فخلعه وكحل عيناه بالنار يومئذ ثم احضروا الفضل
ابن المقتدر وبايعوه ثم قدموا ابن عمه المستكفي المكحول فسلم
عليه بالخلافة واشهد على نفسه بالخلع ثم سجن الى ان
مات سنة ثمان وثلاثين عن ست واربعين سنة وكان
يتظاهر بالتشيع ولقبوا الفضل المطيع لله ووقع في زمن
المطيع عجائب وفي ايامه في سنة سبع وثلاثين اعيد
الحجر الاسود الى موضعه وجعل له طوق فضة يشد به وزنته
ثلاثة الاف وسبعة وسبعون درهما ونصف واخبر من
رآه مقلوعا ان السواد في راسه فقط وسايره ابيض و
هذا يوافقه قوله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة
اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني ادم وطوله قدر
عظم الذراع وفي هذه السنة مات المنصور العبيدي
صاحب المغرب وولي بعده المعز لدين الله باني القاهرة و ابنه م
احسن السير كابيه وصفى له المغرب وفي سنة اربع و
اربعين زلزلت مصر وغيرها زلزلة شديدة دامت نحو ثلاث
ساعات فزع الناس الى الله بالدعا وخسف ثمانية وخمسين قرية
من قرى الري واكثر حلوان وقذفت الارض عظام الموتى وتفجر
منها المياه وتقطع بالري جبل وعلقت قرية بين السماء و
الارض فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الارض خروقا

عظيمة

عظيمة هذا ذكره ابن الجوزي وفي سنة احدى وخمسين ظهر
التشيع ظهورا تاما ببغداد بامر معز الدولة الخبيث وفي سنة
اثنين وخمسين وصل لبغداد رجلان كاملان ملتصقان
سنهما خمسة وعشرون سنة ويختلفا اوقات جوعهما وعطشهما و
بولهما واحدهما يميل الى النسا والاخر يميل للمرد ومات احدهما
فانتن فسئل الاطبا امكن فصله قالوا لا ثم مرض الحي من رائحة الميت
ثم مات وفي سنة سبع وخمسين وغيرها وذلك ان كافور الاخشيدي
صاحب مصر لما مات اختل النظام وقلت الاموال على الجند فكتب
جماعة الى المعز العبيدي ليأخذ مصر فارسل مولاه جوهر في مائة
الف فارس فملكها ونزل موضع القاهرة اليوم واختطها وبنى دار
الامارة للمعز وهي المعروفة الان بالقصرين وقطع خطبة بني
العباس ولبس السواد ولبس الخطبا البياض وامر ان يصلى في
الخطبة على آل البيت لا غير وذلك كله في شعبان سنة ثمان
وخمسين وثلثمائة ثم في سنة تسع وخمسين اذنوا في حي على خير
العمل وشرعوا في الجامع الازهر ففرغ في رمضان سنة احدى وستين
ثم لا زال امر العبيدي يقوى وامر خلفا بني العباس يضعف الى ان لم
يبق لهم من الخلافة الا مجرد الاسم في بغداد لا غير ثم انقطعت خلافتهم
منها وتحولوا الى مصر وكانوا كذلك واضعف ثم في العبيديين و
استولى على مصر واعمالها دول كثيرة معروفة لا حاجة بنا الى ذكرهم

فانهم كانوا على غاية من الظلم والجور وبيس قصدنا من جميع ما قدمنا
الابيان ان قطيعة الرحم للاغراض الدنيوية او النفسية او الهوائية
امر مقرر سابق في الامم السالفة وفي هذه الامة وبيان ان
قاطع الرحم لا بد ان يجازى في الدنيا بمثل قطيعته واقبح منها كما
علمت ذلك وتلى عليك في قصصا كثيرة تقدمت فاحذرها الموفق
المسدد الذي يطلب مدارج الكمال ويسعى البر ان يصدر منك قطيعة
بوجه بل اذا قطعوك بالغايات فصلهم والعفو عنهم وتامل
قول الصادق المصدوق في الحديث الصحيح كن خير ابني ادم كن
عبد الله المظلوم او المقتول ولا تكن عبد الله الظالم او القاتل
فامرك معلمك الخير الارفق بك من امك وابيك انك تكون مظلوما
دايما وحذرك ونهاك عن ان تكون ظالما في حالة من الحالات
فاجتهد في ذلك وتفطن له وجاهد نفسك على العمل به فانك
اذا تسلم والله سبحانه وتعالى اعلم ● خاتمة في طرق ومواعظ
مبددة منتشرة لها تعلق ببعض ما مر الاولى روى مسلم
ان سعيد ابن زيد ابن عمرو بن نفيل احد العشرة المشهود لهم بالجنة
ادعت عليه امراة عند مروان وهو والي المدينة انه اقتطع قطعة
من ارضها فقال كيف اظلمها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اقتطع شبرا من ارض ظلما طوقه الله من سبع ارضين ثم ترك
لها الارض فقال اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واجعل قبرها

في بيرها فعميت وجاء سيل فاظهر حدود ارضها ثم وقعت في
البير وماتت وروى انها سالته ان يدعو لها فقال لا ارد
على الله شيئا اعطانيه وروى البخاري عن سعيد ابن ابي وقاص
احد العشرة ايضا ان الله استجاب له دعوات ثلاث دعاها على
من رماه بانه لا يعدل حين ولاه عمر الكوفة فقال اللهم اعم بصره
واطل عمره وعرضه للفتن فعمي وطال عمره حتى غطى هدب حاجبيه
عينيه كان وهو بهذه الحالة يتعرض للجواري في الطرق ويغمزهن
ويقول اصابتني دعوة سعد الثانية روى البيهقي ان جمعا
حجاما مات احدهم فحفروا له فاذا افعى شديدة السواد اخذت
بلحده فحفروا له ثانيا فراوه كذلك ثم ثالثا فراوه كذلك فاتى
بعضهم ابن عباس وسالوه فقال ذلك عمله الذي كان يعمل
اذهبوا فادفنوه في بعضها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتم
فدفنوه
ذلك فالقوه في واحد منها ثم لما عادوا سالوا امراته فقالت كان
يبيع الطعام فياخذ قوت اهله كل يوم ثم يخلط فيه مثله من
قصب الشعير ثم يبيعه فعذب بذلك الثالثة روى احمد في
الزهد ان رجلا من قوم صالح اشتد اذاه لهم بالترفه وعمرها فسالوا
صالحا صلى الله على نبينا وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين ان يدعو
عليه فدعا وقال قد كفيتموه وكان يحتطب فعاد بحطبه
سالما فجاء الصالح فقال له ما صنعت اليوم قال خرجت ومعي

رغيفان تصدقت باحدهما قال حل حطبك فحله فاذا فيه
افعى اسود مثل الجذع عاض على عود حطب فقال بها دفع عنك
يعني بالصدقة وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ان نفرا
مروا على عيسى عليه السلام ومعهم حزم الحطب فقال يموت احد
هؤلاء اليوم ان شاء الله تعالى فمضوا ثم رجعوا بالعشي ومعهم حزم
الحطب فقال ضعوا وقال للذي قال انه يموت حل حطبك فاذا
فيه حية سودا فقال له ما عملت اليوم قال ما عملت شيئا قال
انظر ماذا عملت قال ما عملت شيئا الا انه كان معي فلقة من
خبز فمر مسكين فسألني فاعطيته بعضها قال بها دفع عنك
الرابعة اشترى امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه امة فلما كان
الليل اقبل على درسه فلم يجتمع بها فسارت الى النخاس وقالت
حبستموني مع مجنون فبلغ ذلك الشافعي رضي الله عنه فقال
المجنون من عرف قدر العلم وضيعه او توانى فيه حتى فاته وما
احسن ما اشار اليه رضي الله عنه بقوله ما رأيت افقه من
اشهب لولا طيش فيه ومن طيشه كان يدعو على الشافعي بالموت
ويقول لئن بقي هذا بمصر ذهب منها علم مالك ولما سمع ابن الحكم
يدعو على الشافعي ذكر للشافعي ذلك قال

تمنى رجال ان اموت وان امت ❊ فتلك طريق لست فيها باوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ❊ تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

قال فمات الشافعي رضي الله تعالى عنه واشترى من تركته عبدا
فاشتريته من تركته بعد ثلاثين يوما وكانت وفاته بعد الشافعي
بثمانية عشر يوما الخامسة روى الطبراني باسناد صحيح كان
الرجلان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يفترقا
حتى يقرأ احدهما على الاخر والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذ
الذين امنوا الى اخر السورة وسر ذلك ان هذه السورة اشتملت
على جميع المواعظ والاوامر والنواهي والبشارة والنذارة و
الوعيد والتهديد فكن منها على ذكر دائم لتكون ممن عمل صالحا
وتواصى بالحق وتواصى بالصبر السادسة صح عن الشعبي انه قال
ذهب زيد بن ثابت ليركب فامسك ابن عباس بالركاب فقال تنح
يا ابن عم رسول الله قال لا هكذا نفعل بالعلماء والكبراء واخرج
الواقدي ان زيدا هذا اول مشاهده الخندق لانه استصغر
فيما قبله فكان فيمن ينقل التراب فجاء عمارة بن حزم فاخذ سلاحه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا جبر فادوه يومئذ نهى صلى الله
عليه وسلم ان يروع المؤمن فلا يؤخذ متاعه جادا ولا لاعبا
وصح ان زيدا هذا كان من اصحاب الفتوى وهم ستة عمر وعلي
وابن مسعود وابي وابو موسى وزيد بن ثابت الانصاري
البخاري الزهري ولما مات سنة بضع واربعين قال ابو هريرة
مات خير هذه الامة وعسى ان يجعل في ابن عباس منه خلفا وينظر

ح رجلان

في الجمع بين هذا النهي وما رواه احمد ان ابا بكر خرج تاجرا
الى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكلاهما شهد بدرا
وكان سويبط على الزاد فقال له نعيمان اطعمني فقال حتى يجي ابو
بكر وكان نعيمان مضحاكا مزاحا فذهب الى ناس فقال ابتاعوا
مني غلاما عربيا فارها فقالوا نعم فقال انه ذو لسان ولعله يقول
انا حر فان كنتم تاركيه فدعوه لا تفسدوه علي فقالوا بل نبتاعه
فابتاعوه منه بعشر قلايص فاقبل يسوقها وقال دونكم هو هذا
فقال سويبط هو كاذب انا رجل حر فقالوا قد اخبرنا خبرك فطرحوا
الحبل في رقبته فذهبوا به فجاء ابو بكر فاخبر فذهب هو و
اصحابه اليهم فردوا القلايص واخذوه ثم اخبروا النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فضحك هو واصحابه منها حولا واخرجه كذلك
ابو داود الطيالسي والروياني واخرجه ابن ماجه فقلبه فجعل
المازح سويبط والمباع نعيمان وبعضهم سماه سليطا و
هو تصحيف وقد يقال يحمل النهي على الترويع لكن ما اذا كان من
شانه انه يؤدي ايذاء لا يحتمل غالبا والقصة الاولى تفيد
ذلك فان اخذ سلاح النائم في حال الحرب او النهي ظاهر فيه
غاية الاذى الذي لا يحتمل والاذن فيه للذي تضمنته هذه
القصة على ما اذا صدر ممن عرف بالمزاح والضحك قال العلم
بحاله يسهل ما يصدر لان المتبادر من احوال المزاح وعدم الحقيقة

وهذا

وهذا جمع ظاهر متعين وان لم ار من ذكره **السابعة** اسنعار
عبد الله بن المبارك قلما وهو في الشام فنسي وسافر به فلما وصل
انطاكية تذكره فرجع ماشيا الى الشام حتى رده الى صاحبه ومن
احسن ادبه ان انسانا عطس عنده فلم يحمد فقال له ما السنة للعاطس
ان يقول اذا عطس قال الحمد لله فقال يرحمك الله **وقدم** الرقة
فما يحصل الناس خلفه حتى تقطعت النعال وارتفعت الغبرة فاشرفت
ام ولد الرشيد فسألت فقالوا عالم فقالت هذا والله الملك لا
ملك هارون الذي لا يجمع الناس الا بسوط **الثامنة** صح في
الحديث ان العبد ليبشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب ولا
يزن عند الله جناح بعوضة وفيه صح ايضا انه ليأتي الرجل السمين
العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وفيه من
الفقه ذم السمن لمن تكلفه **ومن ثم ورد** في الحديث نصا ان
ابغض الرجال الى الله تعالى الحبر السمين قال وهب بن منبه ارسل الله
تعالى البعوض على النمرود فاجتمع منه في عسكره ما لا يحصى عددا
فلما عاين النمرود ذلك انفرد عن جيشه ودخل بيته واغلق الابواب
وارخى الستور ونام على قفاه مفكرا فدخلت بعوضة في انفه
وصعدت الى دماغه فتعذب بها اربعين يوما الى ان كان يضرب
براسه وكان اعز الناس عنده من يضرب راسه ثم سقطت منه
كالفرخ وهي تقول كذلك يسلط ربي رسله على من يشاء من عباده

فت

واعوان ص

التسمين

الدم

وهلك حينئذ **التاسعة** ما في الحديث الحسن ان الله يبغض
البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة وهو الذي
يتشدق بالكلام ويفخم فيه لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ
بلسانها **العاشرة** احذر اذا ارتكبت معصية فلم تعاجل بالعقوبة
ان تظن انك اهملت لا بل ربما املي لك كيدا قال تعالى واملي لهم ان كيدي
متين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته
وروى البيهقي في شعبه عن معاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنه انه كان
في بني اسرائيل رجل يستغفل الغلمان ثم يقتلهم ويطرحهم في مطمورة له
ويأخذ ما عليهم من حليتهم اخوان عليهما حلي وكانت زوجته تنهاه عن
ذلك فيقول لو ان الله يؤاخذني على شيء اخذني يوم فعلت كذا وكذا
فتقول المرأة ان صاعك لم يمتل ولو امتلا صاعك اخذك فخرج اخوا
الغلامين يفتش عليهما فاعياه طلبهما فذهب لنبيهم فقال له هل كان
لهما لعبة يلعبان بها قال نعم كان لهما جرو فقال النبي بجرو فاتاه به فوضع
خاتمه بين عينيه ثم خلى سبيله فقال اول دار يدخلها فيها بيان
فتخلل الجرو حتى دخل دارا فدخلوا خلفه فوجدوا الغلامين مقتولين
مع غلمان كثيرين فانطلقوا به الى النبي فامر به ان يصلب فلما رفع على
الخشبة قالت له زوجته قد كنت احذرك هذا اليوم واخبرك ان الله
تعالى غير تاركك وانت تقول لو ان الله يؤاخذني على شيء لاخذني يوم
فعلت كذا وكذا فاخبرك ان صاعك لم يمتل بعد والان قد امتلا

الحادية

الحادية عشرة صح عن ابن مسعود ومثله لا يقال من قبل الرأي انه
قرأ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى ثم قال ان الجعل ليعذب في جحره بذنب ابن
ادم وفي حديث حسن ان الله قد اذهب عنكم عبية وفخرها انما مؤمن
تقي او فاجر شقي انتم بنو ادم وادم من تراب ليدعن رجال فخرهم
باقوام ما هم الا فحم من فحم جهنم وليكونن اهون على الله من الجعل يدهده
الخرا بانفه والجعل بضم الجيم واسكون العين دويبة معروفة
اكبر من الخنفسا يسمى ابو زعقوق يعض البهائم في فروجها فتهرب ومن
شانها النجاسة وادخارها ومن عجيب امرها انها تموت من ريح الورد
وساير الروائح الطيبة فاذا اعيدت الى الروث عاشت

وهذا اخر ما وجد من هذا الكتاب والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد و
على اله وصحبه وسلم وكان الفراغ من تحريره
يوم الاثنين غرة شعبان المبارك
على يد الفقير الى الله الغني عمر
سواه علي بن عثمان بن خواجي
بدبوي غفر الله له
ولوالديه ولجميع
المسلمين اجمعين
امين
امين

سنة اربع وثمانين والف

ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

بلغ مقابلة بحسب
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد النبي
وعلى اله وصحبه وسلم امين

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من ممتلكات الفقير راجي عفو ربه الشيخ محمد الجعفري عفا الله عنه